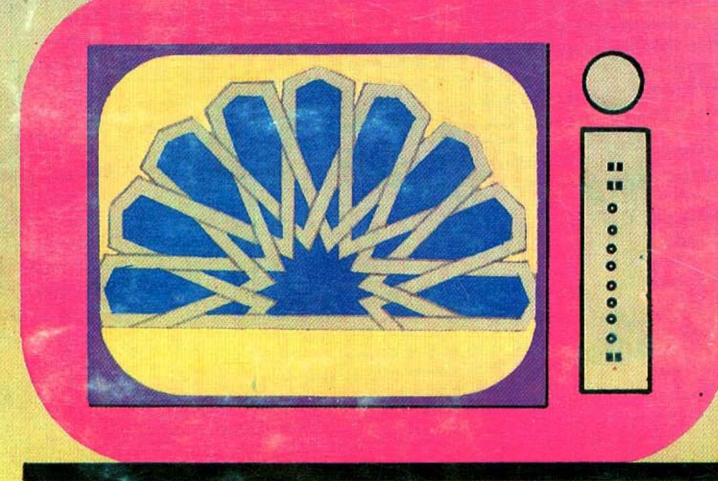
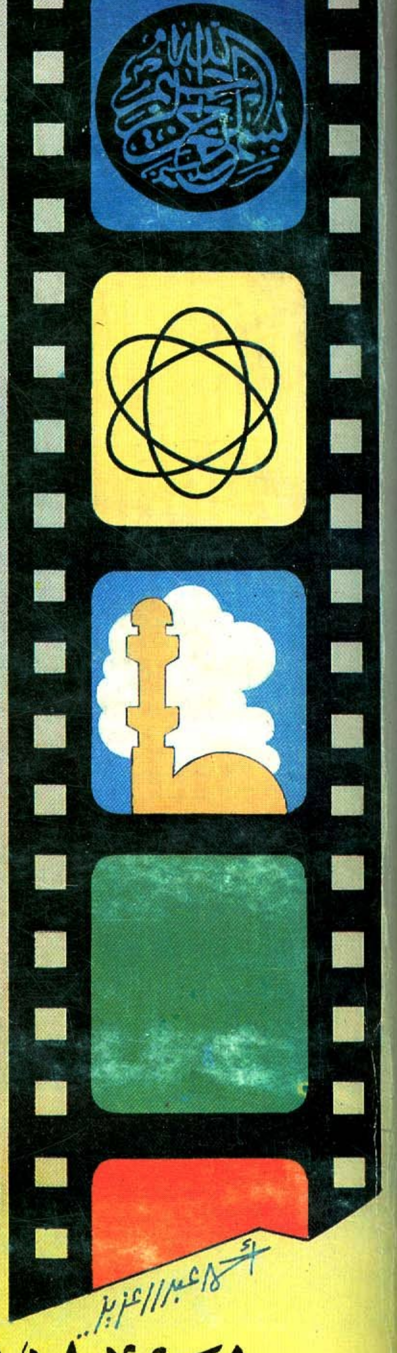
موسوعة العلوم الإسلامية







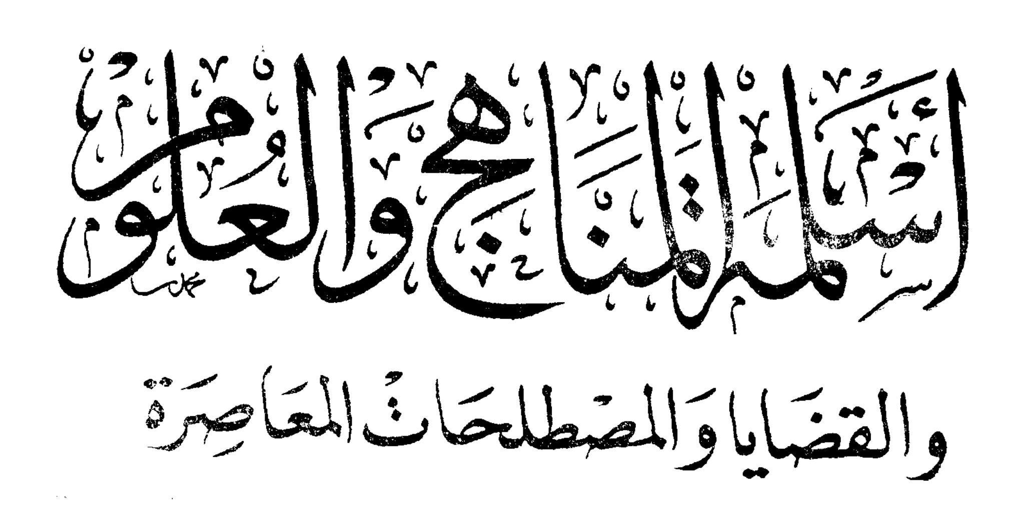
أسلمة المناهج والعلوم

والقضايا والمصطلحات المعاصرة

ر الجندي

دار الاعتصام

موسوعة العلوم الإسلامية



أنور الجندي

دار الاعتصام

آفاق البحث

البـــاب العشرون

البـــاب الحادى والعشرون

❊ ❊ ❊

أسلمة المناهج والبرامج
هو المنطلق الحقيقى للمجتمع
الإسلامى الجديد

كان السؤال فى ندوة الاعتصام عن المنطلق الحقيقى لتصحيح مسار مجتمعنا فى مواجهة هذه التحـــديات التى ظهرت على الساحة ، والسلبيات التى تبرز نتيجة البرامج والمسلسلات والأفلام والمسرحيات التى تسرف كثيرا فى عرض قضايا وافدة ليست من مجتمعنا ، والتى تركز كثيرا على الجريمة والجنس ، وما يتصل بتعاطى المخدرات ، وعدم الأمانة فى التجارة ، وانتشار الرشوة واغتصاب الفتيات ، والجشع فى الحصول على الارزاق والانفاق المسرف الفاسد .. كل هذه المشاكل لا يمكن أن تحـل الا عن طريق تطبيق الشريعة الاسلامية التى تقـوم على مجتمع سليم نقى ، وعـن طريق الفهم الصحيح ..

أن تطبيق الحدود هو وقاية من الجريمة لا عقاب عليها ، وأن الاسلام يعمل على حماية المجتمع من السقوط فى الأزمات والأخطار .. وانما أراد الاسلام صد الناس عن الخطأ لا عقوبتهم ، فالشريعة الاسلامية تعلم أهلها أن ينتقوا موارد كسبهم ، وأن يحسنوا انفاقهم ، بعيـدا عن الاسراف والترف الزائد ، وعن الغل والبخل . وذلك حين يحميهم من شارب الخمر والربا ، والتحلل الاجتماعى والفساد الاباحى .

ان علينا أن نقيم المنهج الربانى فى نفوسنا وبيوتنا وأن نكمل المناهـج بالثقافة الاســلامية ، وأن نجرى تعاملنا فى اطار الحلال بعيدا عن الربا ، وعن أساليب الفهلوة والشطارة التى ان حققت ربحا عاجلا فهو سحت حرام وسوف تتقاذفه الأهواء ، ثم يكون حســابه يوم القيامة عسـيرا .

ان مجتمعنا يجب أن يدخل الى نطاقه الخوف من الحساب فى الآخرة . وأن يقيم نظرته وتعامله على أساس الالتزام الأخلاقى والمسئولية الفردية . ولابد من أداء حق الله فى هذا المال . وحق الله هنا هو حق المجتمع فى الحقيقـــة ..

ونعلم تماما : أن هذا الانحراف الأخلاقى الذى يبثه أفلامنا ومسرحياتنا سيؤدى الى تدمير هذه الأجيال الجديدة من الشباب التى يؤمل بناؤها على كلمة الله لحماية هذا الوطن ، والدفاع عنه وعمرانه .. ولنؤمن تماما بأن هذه النذر التى تواجـه مجتمعنا من نقص فى الأموال والثمرات ، وانقطاع للمطر وما يتصل به من هلاك المحاصيل ، وفساد التربة .. انما يرجع الى التقصير فى طاعة الله عز وجل ، والانشغال بهذه التفاهات العاجلة عن الاتصال بالله تبارك وتعالى ، واداء حقه فى الزكاة ، وفرائضه فى الصلاة والصيام وغيرها . ولقد توعد الله تبارك وتعالى الأمم التى خرجت عن طاعته وتعالت عن الالتزام بشريعتـه بالهزيمة فى الدنيـــا ، والضربات المتوالية لكسر شوكتها . ونحن أمة اسلامية مؤمنة نتطلع الى رضاء الله ، ونلتمس مرضاته باقامة مجتمع كريم ، بعيد عن الربا وعن الفساد ، ونسير على الطريق الموصل باذن الله الى الجادة .. فعلينا أن ننتبه تماما الى هذه الأخطار المحيطة بنا ، ونحن فى مصر قدوة للأمة الاسلامية كلها ، وشرف لنا أن نخطـو الخطوات الواثقة نحو اقامة المجتمع الربانى وقد ذللت لنا أسبابه ووسائله ، وأمامنا عبرة التاريخ والأحداث مما مضى ، والاســلام يجب ما قبله . عسى الله تبـارك وتعالى أن ينقــذ اقتصادنا ، ويفتح لنا من فضله عطاء بالغا اذا التمسنا طـريقه يرضى عنها ، واذا أخذنا بالأسلوب الربانى الذى أمر به والذى حين أخذت به الأمة الاسلامية انقذها من الأخطار التى تحيط بها ، وأمدها بالقــــوة والتمكين فى الأرض .

ان هذه الصحوة الاسلامية هى عطاء حقيقى لهذه الأمــة بكل مقاييس علماء الاجتماع ، وقذى فى عيون أعدائها ، الذين لايريدون لها أن تخرج من مرحلة الحصار التى تمر بها . فعلينا أن نلتمس الأصالة والعودة الى المنابع ، ونلتمس الطريق الربانى الأصيل الذى أنقذ هذه الأمة من قبـل من كل أزمة مرت بهـا فى غارات الصليبيين والتتار والفرنجة . عندما عادت الأمة الى

الله عز وجل ، والتمست منهجه . ولقد جربنا كل المناهج وفشلت جميعها ، وتكسرت النصال على النصال ولم يعد امامنا — نحن والانسانية كلها — الا هذا الطريق : طريق الله المستقيم الخالص التى تقف قوى كثيرة الآن تحول بيننا وبينه . لانه يحول دون مطامعها ومصالحها . ولكن هـذه الامة مؤهلة اليوم ، كما كانت مـؤهلة فى كل ازمـة ومعضلة ان يتحقق على يديهـا الخير للبشر جميعـا . ان هـذه الامة التى تملك منهجا ربانيا كريما لا يجوز ابدا ان تتخذه ظهريا ثم تتطلع الى مناهج بشرية قاصرة ثبت اضطرابها وعجزها .. اننا مطالبون بحمـل أمـانة الاسـلام الى العـالم كله . وليس هنـاك من طريق يفتح امامنا الباب لهذا الا « اسلمة التعليم » الموجهة الى بناء الانسان . وامتلاك القدرة على الردع لاى قوة تحاول ان تسيطر على اى موقع فى قارة الاسـلام ، وان نكون قادرين على مواجهـة المؤامرات التغريبية التى تختفى فى الثقافة والصحافة والمسرح .. وادوات التسلية والترفيـه ، والتى تحاول أن تدخل مفاهيم غير اسلامية وغير عربية فى الاجتماع ، وعلاقات الرجل والمرأة . والتعامل الاقتصادى . هذه أمة لهـا منهج حياة ، ربانى المصدر ، انسانى الوجهة ، يمكنها من أن تنهـار ذاتيتها ، أو تصـاب بالاضطراب ، ولابد فى الحضارات والايدلوجيات التى تختلف تماما عـن منهجنا وحضارتنا ، واننا سـوف يحاكمنا التاريخ ، ويحكم علينا حكما شديدا اذا ما تغافلنا عن حماية أمتنا من أن تنهار ذاتيتها ، أو تصاب بالاضطراب ، ولابد من حماية هذا الشباب من الانهيار تحت تيارات الجريمة والجنس التى تطرحها وسائل التسلية والترفيه . فضلا عن المخدرات ، ووسائل تدمير الشخصية ، واحتوائها . ولابد أن تقوم الجامعة الاسلامية التى تمكن الأمة الاسلامية من مواجهة الأخطار ، ورد الحقوق للأقليات التى تعانى من فقدانها ، ولمواجهة المجاعة التى تتركز فى البلاد الاسلامية حيث يذهب الغرب الى اغاثة غير المسلمين . كما يحدث فى اثيوبيا ، ولابد من عقـد الخناجر على اعادة القدس التى انتزعتها اسرائيل ، ويجب أن لاتغفل بالتحلل والترف والأمن الكاذب عن الأخطار التى تواجـه أمتنا وتعمل على اجتياحها واحتوائها والسيطرة عليها ، وبين أيدينـا معطيات كبرى : منها : الطاقة والثروة ، والتفوق البشرى تمثل أمة كبرى ، وقارة عظمى هى قارة الاسلام .

ان ترشيد هذه المعطيات التى بين أيدينا ، وتوجيهها لخـدمة المجتمع ، وبناء جوانبه ، وتحريره من عوامل ضعفه . وما يتحوطه من أخطـار . أبرزها الخطر الذى يرمى الى القضاء على التماسك الأخلاقى والقوة الايمانية الحقيقية التى تستطيع أن تحمى الأمانة ، وتحافظ عليها . وقد تكشفت أمامنا مخططات الأعـداء واضحـة . وكلها ترمى الى التهامنا ، وتعويق نهضتنا (ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض) .

ان علينا اليوم ان نبدأ الخطوات الى الأصالة ، والى المجتمع الربانى ، واهم ما يجب أن نبدأ به هو « أسلمـة المناهج » مناهـج التعليم والتربية .. ومناهج التسلية والترفيه ومناهـج الاقتصاد والاجتماع والسياسة ، وأن ندعم الخطوات التى خطوناها فى مجال المصارف الاسلامية وتأصيل وجهـة المرأة ، وبناء الثقافة الاسلامية فى نفوس الشباب . ولنحم شبابنا ومجتمعاتنا من هـذه البرامج الوافدة . وخاصة ما يتعلق بالرقص والجريمة والجنس . فان بعض الشباب المنحرف يقوم بمغامرات يعتمد فيها على ما رآى من هـذه المسلسلات والأفلام . وفى عشرات من المعضلات المثارة فى المجتمع الاسـلامى قد فشلت كل الوسائل والوسائط لانها قاصرة عن أن تصـل بالنفس الانسانية الى منهج الله تبارك وتعالى فى فطرته وأصالته وسلامة وجهته ، فهى أقـوى وأنضج وأعمق من المنهج البشرى الذى لن يحقق شيئا سوى الهلاك والضياع .

فنلتمس من الله تبارك وتعالى الوجهة ، ونلجأ اليه ليكشف الغمة عنا ، ولنكن من الذين اذا جاءهم بأس الله تضرعوا اليه ، ولجئوا الى حمايته .. اللهم انا نستعينك ونستهديك ونؤمن بك ونتوكل عليك ، ولا نقف من هذه النذر التى تحيط بنا موقف الغفلة واللامبالاة ، والا فقد حق علينا انتقام الجبار .

« ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا » .

(٢)

ولقـد لفت نظرى الى خطورة هذا الموضوع الذى تتناوله هذه الدراسة ما كتبه رجال المعهد العالمى للفكر الاسلامى حيث يقـول الدكتور طه العلوينى : ان هناك قضيـة كبرى ذات علاقة وثيقة جدا بتكوين الشخصية الاسلامية وهى قضية (أسلمة المعرفة) حيث يحتاج الأمر فى الغرب الى جهود كبيرة لتصحيح المفاهيم الخاطئة عن أمتنا الاسلامية ، خاصة فى مجال مدرسى العلوم الاجتماعية والانسانية هنـاك .

ويحدد مفهوم أسلامية المعرفة بمعنى تقديم المعرفة الانسانية بكل جوانبها من منظور اسلامى لتحقيق غايات وأهداف الاسلام وبناء النفسية والعقلية الاسلاميتين .

ان الثقافات الغربية المعاصرة مستمدة من تراث مزدوج بين القديم والحديث وقد أدى ذلك التركيب والازدواج الى كثير من التناقضات والمواقف الثقافية والفكرية المضطربة التى لم تكتشف بسهولة لأن الثقافة الغربية اليوم هى ثقافة الانسان الغالب القوى المسيطر على العالم الحديث . لقد جعلت هذه الثقافة الانسان الفرد محور الدائرة فى كل شىء وجعلت منه ومن لذاته ورغباته جوهر كل موضوع ومقياس كل شىء وهذه الثقافة مستمدة من فلسفة أفلاطون وهى فكرة فصل المادة عن الروح واعتبار الجسد أنفكاك للروح وعليها أن تعمل جاهدة على الفكاك منه والتخلص من صواغطه كما جعلت من المنطق الارسطى وسيلتها للمعرفة فاصبح هذا المنطق مصدر العلم والمعرفة فصاغت هذه الثقافة حياتها صياغة خاصة جعلتهم لا يحلمون بشىء الا بالسيطرة على الدنيا كلها من خلال السيطرة على كل الوسائل والغايات الانسانية التى تخدمها ولم يعد لحملة هذه الثقافة من هدف ظاهر أو باطن فى الحياة الا النمو الاقتصادى والنفوذ السياسى والعسكرى الذى أصبح خطرا يهدد العالم بالفناء ، وقد يقول قائل :

وأين موضع ثقافتنا الاسلامية من الثقافة المعاصرة ونحن نعلم أنها استمدت منها الكثير .

فنقول : لاشك أن فى الثقافة الاسلامية المعاصرة مزيجا ثالثا هو الجانب التجريبى فى ثقافتنا وعلومنا العربية ، ذلك أن (بيكون) الذى عرف فى هذه الثقافة بأنه أبو المنهج التجريبى لم يكن الا تلميذا من تلاميذ العلماء المسلمين تتلمذ عليهم فى الأندلس ، فهم اذن أخذوا من ثقافتنا شيئا قائما وهو الجانب التجريبى وأضاعوا وأهملوا (الحكمة) التى كان علماؤنا ينشدونها مع العلم التجريبى فأخذوا الوسائل وتخلوا عن الغايات فلا غرابة اذا ما تحولت هذه الثقافة الى وسائل لتستنفد طاقات الانسان وجهده فى طلب العلو فى الأرض والاستعلاء على خلق الله لتلبية روح التطلع لديهم ، ومن وراء هذا التطلع أصبح لكل حى على ظهر المعمورة الآن أربعة أطنان من المتفجرات فى وقت تموت فى العالم شعوب من الجوع أو سوء التغذية .

هذه الخصائص للثقافة الغربية تجعل منها ثقافة غير صالحة لقيادة الانسانية لذلك فان على المسلمين أن يطرحوا للعالم البديل الثقافى عن هذه الثقافة الخطرة الدلالة .

ان الثقافة الاسلامية ثقافة متوازنة بين الفرد والجماعة وبين العقل التجريبى والعقل المعرفى ن العالم كله اليوم فى حاجة الى :

المعرفة الإسلامية

وأن حاجة غير المسلم الى المعرفة الاسلامية لا تقل أبدا الى حاجة المسلم نفسه الى المعرفة الاسلامية التى تعرف معنى الحياة وهدفها وتعرف معنى الموت وغايته فلا تكون الحياة فى نظر الانسان شيئا لا معنى له كما أوحت بذلك الثقافة الغربية أو شيئا ينبغى أن يتخلص الانسان منه ولو بالجنس والانحراف فى المخدرات والمسكرات والسعى وراء العدم .

واعتقد أن (اسلامية العلوم الانسانية والاجتماعية) هى التى تشكل المادة الثقافية للانسان ويمكن أن تتم باسلامية مناهج هذه العلوم وفق الخطوات التالية :

أولا : تصنيف آيات العلوم الكونية على العلوم الانسانية المعاصرة التى تعتبر خلاصة ما توصل اليه الانسان (وتوزيع أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم وسلم وسائر ما صح من سنته الشريفة عليها) .

ثانيا : العمل على استقراء وتتبع ما ورد فى تراثنا الاسلامى بعد تيسير الاطلاع عليه .

ثالثا : الحصول على خلاصات الفكر المعاصر بطريقة موسوعية نافذة بعيدة عن نظرتى الرقص والانبهار . ا هـ .

وبعد فقد كانت خطوة أسلمة العلوم والمعرفة والثقافة هى حلقة ضرورية فى تطور الفكر الاسلامى من اليقظة الى الصحوة وصولا الى النهضة ولابد من الاشارة التاريخية الى أن هذا الخط قد تحدث عنه وسار فيه كثيرون فى مقدمتهم جارودى ورشدى فكار وكان رائده الأول الامام حسن البنا ..

هذا وبالله التوفيق ...

أنور الجندى

الباب الأول

التغريب : دعوة مسمومة

هو مصطلح صكه هاملتون جب فى كتابه الذى نشره ١٩٣٠ تحت عنوان (وجهة الاسلام) وترجمه (الدكتور محمد عبد الهادى أبو ريدة) ولخصه الدكتور محمد حسين هيكل فى ملاحق السياسة الأسبوعية ١٩٣٢ وبدأت الكتابة عنه عام ١٩٤٧ فى مجلة الاخوان المسلمين ، وكان ذلك لأول مرة تدرس هذه القضية .

ويصور بعض الباحثين التغريب بأنه استلاب واغتراب عن التراث ، بين الانسان وجماعته أو بين الانسان وتاريخه ، ولذلك فان من الضرورى استرجاع الانسان العربى المسلم المعاصر لهويته الضائعة عن طريق العمل على قهر شتى أسباب الاغتراب .

ومن شأن الاغتراب أن يقضى على شعور الفرد بانتمائه لنفسه والمقابل للاغتراب هو امتلاك الذات ، ووعى الفرد لذاته من حيث أمتلاكه استقلالا ذاتيا وقدرة على الفصل فى مصيره الشخصى فى الاطار التاريخى الخارجى .

واللفظ المقابل للاغتراب هو الهوية أو الذاتية ، ويعنى الاغتراب أيضا تعبيرا عن الحرمان والضياع عندما يجىء المستعمر فيسرق من الجماعة أرضها وحضارتها ولغتها وشخصيتها .

قال جاك بيرك : ان الاستعمار قد سلب تلك الجماعة عاداتها وتاريخها ووجودها الحضارى وانتزع منها صميم طبيعتها فقذف بتلك الجماعات الى عالم غريب من الأشياء والمعانى والدلالات فلم تستطع أن تتحرر بعد الاستقلال السياسى من تلك الغربة .

والسر فى الاغتراب فى المجتمع الاسلامى : أنه مجتمع منتزع من صميم ماضيه غائب عن حاضره وان كان يعمل بجهد ومشقة فى سبيل بناء مستقبله .

وان ما يدور حول الأصالة والمعاصرة ، هو تعبير عن أزمة الاغتراب ، وبحث عن الشخصية المستلبة ، والتحرر من كل آثار الاستعمار » .

ويعمل التغريب على استغلال وجود النقص النفسى من أجل تدمير الشخصية المسلمة ، ولذلك فان على المسلمين أن يعملوا على تحرير مواريثهم الحضارية التى أفاء الله عليهم من هذه الأحقاد والأطماع التى صبها عليهم أعداؤهم وأن يدركوا أن طبيعة أعدائهم تدفعهم دائما الى أن يتآمروا على الاسلام كى يقضوا عليه وقد سجل القرآن الكريم هذا المعنى بقوله :

« ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم » .

ولاريب أن من أكبر أخطائهم محاولة تخيير المسلمين بين الاسلام والعلمانية أو القول بأن الاسلام لايستطيع أن يواجه التطورات الاقتصادية والاجتماعية التى تمر بمجتمع المسلمين ، والاسلام قادر على أن يقدم منهجه الأصيل المرن الواسع الأفق ، أما العلمانية التى يدعون اليها فانها تجارة خاسرة وتجربة بائرة،وانها قد عجزت فى مجتمعاتها أن تقدم الحلول ، ويتطلع الغربيون اليوم الى تجربة جديدة ونظام جديد بعد فشل الرأسمالية والماركسية على السواء وليس أخطر مما يطرحه التغريب اليوم من التيارات الهدامة والمذاهب الفكرية المعادية للاسلام ، وهى التحدى الحقيقى الذى يواجه الشباب المسلم الذى ليس له خلفية اسلامية أصيلة ، حيث يعطيهم التغريب صورة مشوهة عن واقع الاسلام والحقيقة أن هذا الواقع الذى يعيشه المسلمون ليس هو الاسلام ولا هو حجة عليه ، انما هذا الواقع جاء ثمرة الخروج عن نظام الاسلام ولا ريب أن الكشف عن مخططات التغريب يقتضى منا العمل على مواجهة التغريب : وان على الأمة ومثقفيها محاربته بكل الأسلحة ولاريب أن الدعوة الى الأصالة والتجديد فى اطار الأصالة ، هو السبيل الأمثل للنجاة بمستقبل الأمة وحمايتها من الذوبان فى حضارة الغزاة ، ولا ريب أن المحافظة غير الجمود ، وأن هناك فارقا واسعا بين التجديد والتحديث فى اطار الأصالة وبينهما فى اطار التغريبوليس صحيحا مايقال من ان المحافظة هى الجمود او انها تجعل الأمة معرضة للوقوع فى شرك المتغربين .

* * *

والتغريب فى أبسط مفهوم هو حمل المسلمين والعرب على قبول ذهنية الغرب ، ومحاولة غرس مبادىء التربية الغربية فى نفوس المسلمين حتى يشبوا مستغربين فى حياتهم وتفكيرهم وحتى تخف فى نفوسهم موازين القيم الاسلامية ويستهدف تحقيق ذلك ايجاد شعور بالنقص فى

نفوس المسلمين والشرقيين علمة وذلك باثارة الشبهات وتحريف التاريخ الاسلامى ومبادىء الاسلام وثقافته واعطاء المعلومات الخاطئة عن اهله وانتقاص الدور الذى قام به فى تاريخ الثقافة الانسانية ومحاولة انكار المقومات التاريخية والثقافية والروحية التى تتمثل فى ماضى هذه الأمة مع توهين القيم الاسلامية والغض من قدرة اللغة العربية وتقطيع أوصال الروابط بين الشعوب العربية والاسلامية .

ويقول أصحاب هذه الدعوة ان للمسلمين والعرب قيما ومثلا وذاتية خاصة تحول بينهم وبين الاندماج فى الأمم الأخرى تخلق منهم قدرة قوية على مقاومة النفوذ الاجنبى والغاصب ولا سبيلَ للقضاء على هذه المقاومة الا بصهر هؤلاء فى بوتقة الفكر الغربى واخراجهم من قيمهم لينصهروا فى قيم الغرب وابراز أهداف التغريب : الحيلولة دون قيام (وحدة الفكر) التى هى مصدر وحدة الامة وبلبلة العقول والنفوس بعشرات من المذاهب والدعوات وتعميق الفوارق الثقافية والاقتصادية فى الأمة الواحدة بما يحول دون قيام الوحدة الجامعة .

ماذا استهدف التغريب :

أولا : القضاء على وحدة الأمة الاسلامية باسقاط الخلافة الاسلامية .

ثانيا : التعليم هو الخنجر المسموم الذى طعنت به الأمة فنحن ما أوتينا الا من قبل التعليم والصحافة .

ثالثا : فرض الاقتصاد الغربى والنظام الربوى وتمزيق ثروات الأمم .

رابعا : اسقاط القانون الربانى للبشر (الشريعة الاسلامية) وفرض القانون الوضعى الذى يهدم الأخلاق ويحطم الأسرة ويزلزل المجتمع ويدخله فى مرحلة التحلل .

خامسا : اثارة النعرات الاقليمية والقوميات والعصبية واحياء التاريخ القديم السابق للاسلام .

سادسا : هدم اللغة العربية لأنها لغة القرآن الكريم .

سابعا : انكار دور المسلمين على الحضارة خلال ألف عام وأثرهم على صناعة التجريب .

ثامنا : طرح نظرية وحدة الحضارة العالمية لصهر الحضارة الاسلامية فى اطار الحضارة الغربية .

تاسعا : كتابة التاريخ الاسلامى من وجهة نظر تقول أن القرامطة والزنج دعاة الى العدل الاجتماعى .

عاشرا : فرض التجربتين : الليبرالية والماركسية اللتين سقطتا بعد أن مر بهما المجتمع الاسلامى ولم يعد أمام المجتمع المسلم الا أن يعود الى منابعه .

حادىعشر : طرح نظرية دارون كمدخل الى الالحاد وتدمير الشخصية الانسانية والتشكيك فى قضية الخلق القرآنية ، وقد تكشف للعالم كله الآن أنها نظرية باطلة وأن الانسان الأول كان يمشى على قدمين منذ ملايين السنين .

ثانى عشر : طرح نظرية فرويد التى تقول ان الانسان حيوان وتحكمه غرائز الجنس .

ثالث عشر : فرض دوائر المعارف البريطانية والفرنسية والأمريكية ودائرة المعارف الاسلامية المليئة بالسموم من أجل تقديم مفاهيم خاطئة بالنسبة للاسلام والنبى وعلاقة اليهود بفلسطين .

* * *

كذبت بنوءة (جب) بعد خمسين سنة
وارتفعت أعلام الصحوة الإسلامية
وتحطمت أحلام التغريب

يقول الامام ابن تيمية : « من لم يجادل أهل الباطل حتى يقمع باطلهم لم يكن أوفى للاسلام » ونحن نؤمن بأن المدافعين عن الحق خالصا لوجه الله لا يخلو منهم عصر أو جيل حتى يرث الله تبارك وتعالى الأرض ومن عليها وقد واجهت الأمة الاسلامية فى هذا العصر سموم مثارة وشبهات مطروحة ونظـريات ومذاهب ومحاولات للتآمر والخداع ترمى كلها الى صرف المسلمين عن المنهج الربانى الى منهج البشرية الوافد فاذا تعلقوا به وتركوا منهجهم أحاطت بهمدائرة الاحتواء وصهروا فى بوتقة الأمميةوفقدوا ميزتهم الحقيقية وذاتيتهم الخاصة التى أقامها لهم القرآن بحيث يكونون حملــة لواء التوحيد الى البشرية كلهــا الى ما شــاء الله .

ومنذ أكثر من خمسين عاما كشفت مخططات النفوذ الأجنبى مؤامرة التغريب التى تعمـل على تغيير طبيعة وروح المجتمع الاسلامى ليخضع للحضـارة الغربية ويستسلم أمام المفاهيم الوافدة المستمدة من مصادر ثلاثة : من الفكر الوثنى اليونانى ، ومن الفكر الرومانى المادى ، ومن الفكر المسيحى الغـربى الذى يختلف عن المسيحية المنزلة.تكشف هذا بظهور كتاب وجهة الاسلام) للمستشرق هاملتون جب وزملائه (١٩٣٤) يدرسون كيف وصل التغريب بالعالم الاسلامى وما هى العوامل التى تمكن من الاجهاز عليه وتغريبه كلية وفىذلك عبارة واضحة يتساءل جب عن المستقبل : مستقبل التغريب فيقول :

الى اى مدى أصبح العالم الاسلامى غربيا ويجيب على ذلك مستعرضا نفـوذ الثقافة الغـربية فى العالم الاسلامى بلدا بلدا . ثم يعقب على ذلك بقوله :

نستطيع أن نقول حسب سير الأمور الآن : ان العالم الاسلامى سيصبح خلال فترة قصيرة لا دينيا فى كل مظاهر حياته . مالم يطـرأ على الأمور عوامل ليست فى الحسبان فيتغير اتجاه التيار)) .

كتب هذا هاملتون جب فى الأيام نفسها التى كانت فيها اليقظة الاسلامية تشق طريقها لتواجه مختلف شبهات الاستشراق والتغريب مواجهة حاسمة . ومن ثم كان لها دورها الواضح فى تصحيح ما دسته الشعوبيـة والعلمانية والماسونية والماركسية من سموم فى تاريخ الاسلام وعلت صيحة : التحرر من التبعية للنظريات الغربية الوافدة .

(أولا) كشفت اليقظة عن المراجع الزائفة : دائرة المعارف الاسلامية والمنجد والموسوعة الميسرة ، وأعلنت أن الأغانى والف ليلة وكتب المحاضرات ورسائل اخوان الصفا كلها مراجع زائفة .

(ثانيا) كشفت اليقظة أخطاء طه حسين ، سلامه موسى ، ساطـع الحصرى ، جـرجى زيدان ، على عبد الرازق ، أمين الخولى ، لويس عوض وكشفت عن فساد النظريات التى طرحوها .

(ثالثا) سقطت مدرســة جبران خليـل جبران ودعوات كتابة العربية بالحروف اللاتينية والفرعونية والعامية ، وفساد عبارة (التنوير) وعصر التنوير فهى كلمــة يهـودية !!

(رابعا) أعيد اعتبار السلطان عبدالحميد وموقفه المشرف من الصهيونيــة ، وتحـرر موقف ابن خلدون ، والمتنبى ، وعمر الخيام بعد أن سيقت الاتهامات لتدمير كيانهم الأصيل .

خامسا : تكشف فساد وجهة الحضارة الغربية وأنها المركب الغارقة ، والغربيون اليوم هم الذين يقولون بانهيار الحضارة ، شبنجلر كشف ذلك منذ اربعين عاما وجاء بعـده الكس كاريل وجارودى وتبين أن هـزيمة الحضارة الغربية ترجع الى سبب واحد : هو غيـاب البعد الالهى الحضارة والعلم والبعد الأخلاقى للمجتمع والاقتصاد كما تبين فساد فكرة الحـوار بين المسيحية والاسلام لأنها لم تقم على أساسها الصحيح وهو ايقاف التنصير كما تكشف زيف الكتب المقدسة مصدر التبشير ، كما ظهر اعتراف الغرب بفضل حضارة الاسلام .

سادسا : تكشفت هـزيمة القانون الوضعى ، وفساد نظرية العلمانية وتأكد أن مفهوم الاسلام الأصيل (دين ودولة) منهج حيـاة ونظام مجتمع هـو المفهوم الصحيح وقد سقطت قلاع الاقليمية والقومية والماركسية

(سابعا) تبين فساد دعوى (جيل العمالقة) نقد تكشف أن هؤلاء العمالقة لم يكونوا الا قناطر بين الفكر

الغربى والفكر الاسلامى وأنهم لم يزيدوا على أنهم نقلوا نظريات الغرب دون أن يتبينوا صلاحيتها أو فسادها ودون أن يلائموا معها تتبيما يؤصلها ، كذلك فقد كذبت الوقائع أن يكون أرسطو معلما للمسلمين كما يدعون .

ثامنا : تبين أن هنـــاك انقطاعا حضـــاريا بين الاسلام والعصر الجاهلى وأنه ليس هناك ارتباط بين الفرعونية والبابلية والفينيقية وبين عصر التوحيد وتبين أن أول تاريخ العصر الحديث هو ظهور الاسلام وليس سقوط الدولة الرومانية .

تاسعا : تبين أن المنهج الفلسفى لديكارت أخذت عناصره من نظرية الامام الغزالى التى أوردها كتابه : (المنقذ من الضلال) وقد وجد فى النسخة المترجمة الى الفرنسية تعليق لديكارت يؤكد هذا المعنى .

وأن نظرية التجريب التى قدمها فرنسيس بيكون مأخوذة من الرسالة للامام الشافعى .

ومن العجيب أن طه حسين الذى يفترض أنه درس الغزالى لم يتبين ذلك وظن أن ديكارت هو صـــاحب النظرية .

ومن العجيب أن يقول أحد الكتاب المعاصرين الذين درسوا فى الأزهر أنهم تعلموا مفهوم حركة التاريخ من ماركس بينما نجد أن القرآن الكريم الذى بين أيدينا الذى سبق ماركس بأربعة عشر قرنا قد قدم مفهوم حركة التاريخ الذى سبق به كل المفكرين المعاصرين .

عاشرا : ان النظريات العالمية التى قيل انها بنت حضارة العصر قد سقطت : نظـرية دارون ، نظـــرية ماركس ، نظرية فرويد ، نظرية دوركايم . أما نظرية دارون فقد تجاوزتها الكشوف والحضارات بعد أن ظهرت عظام الانسان قبـــل ١٧ مليون سنة شمـــال كينيا وهو مستقيم الجذع تماما كما هو اليوم ، أما نظرية ماركس فقد سقطت لأنها اعتمدت على وقائع انتقائية من التاريخ ولم يدرس ماركس الاسلام ، أما نظرية فرويد فقد ثبت فسادها لأنها اعتمدت على عنصر واحد هو الجنس ، أما نظرية دوركايم فقد سقطت لأنها خالفت الفطرة والعـــلم .

حادى عشر : ان محاولة تفسير التاريخ الاسلامى بمفاهيم علمانية أو قومية أو مادية هى محاولة فاشلة ولن تجد فى هذه المرحلة من حياة الأمة الاسلامية اى قبول أيا فالقول بأن الحروب الصليبية هى صراع بين العرب وأوربا كما يحاول (محمد عماره وعبد العظيم رمضان) هو قول باطل تماما ولا دليــل عليه ، فمتى كانت هنـــاك عروبة تصارعها أوربا فى هذه الفترة وكلمة العروبة لم تظهر الا منذ سبعين عاما ؟!؟

ثانى عشر : سقط مفهوم كتاب الغرب القائل بأن أسلوب الحضارة الغربية هو وحده المنطلق الذى يستطيع به المسلمون أن يحققوا كيانهم ووجودهم ، هذه دعوى خدعت المسلمين والعرب سنوات طويلة منذ أثارها طه حسين ومحمود عزمى ، وغيرهم وقد تكشف بطلانها منذ أن انتزعت القدس من أيدى المسلمين ، وثبت فشل المنهج الليبرالى الغربى بعد الحرب العالمية الأولى كما ثبت فشل المنهج الماركسى الاشتراكى بعد الحرب العالمية الثانية ، فان ما ظنوا أنه عامل موصل للنهضة ، تبين أنه عامل عازل يسلم المسلمين والعـــرب الى الاحتـــواء الكامل والانصهار فى بوتقة الأممية العالمية .

ثالث عشر : ان الدعوة المثارة اليوم الى ترجمة آثار الغرب هى دعـــوة مضللة فان حـــركة الترجمة يجب أن تتحرك فى اطار الأصالة والحفاظ على الذاتية الاسلامية العربية لا أن تكون غزوا لنا بأباطيل وأساطير وتفاهات الأدب الغربى المنحل المكشوف الزائف ، اننا لا نحتاج من الغـــرب لغير كتب العلوم الطبيعية والرياضيـــة وكل ما يتعلق ببناء تكنولوجيا عربية اسلامية وما كان للمسلمين أن يكرروا التجربة التى تحتويهم داخل اطار الفكر الغربى وهو فى مرحلة الهزيمة .

رابع عشر : تبين فساد نظرية (تعليم بلا تربية) الوافدة من الغرب ، ولن يتحقق للمسلمين بناء مجتمعهم الربانى الا اذا أقاموا نظـــام التربية الأصـــيل قـــائدا لهم الى مسيرة التعليم .

خامس عشر : مسألة التبادل الثقـــافى بين عالم الاسلام والعالم الخارجى مسألة تحتاج الى يقظة تامة فان استيراد الأفلام المشبعة بالجنس والجريمة التى تغزو مجتمعاتنا اليوم هى من الأمور الخطيرة التى يجب التنبه لها . كذلك يجب الاحتراز من نقل معلومات البلاد الاسلامية الى الغرب عن طريق اللجان المشتركة .

سادس عشر : فساد فكرة الدورات التى يحاول أن يطرحها الفكر الباطنى ، وهى فكرة التناسخ القديمة فى أسلوب جـــديد والمسلمون لا يؤمنون بهذه الفكرة ويرون انها من الباطل الذى يجب كشفه .

سابع عشر : يتجدد الكلام عن القومية بعد أن سقطت سقوطا شنيعا وفى هذه المناسبة يجب أن نذكر قـــول كبير المبشرين الغربيين (زويمر) : **ان انتصـــار الاستعمار الحقيقى هو هدم (الوحدة الاسلامية) واحلال القومية محلهـــا وما علينا الا أن ننفخ فى بوق القومية فتقاد لهـــا الشعوب وهذا هو الانتصار العظيم)) .**

فليعتبر بهذا أولو الأبصار .

ثامن عشر : تجب اليقظة التامة ازاء دعويين : البهائية والقاديانية « والقاديانية المعدلة بالأحمدية » فكلاهما تدعو الى اسقاط فريضة الجهاد فى سبيل الله وتدعو الى عالمية الأديان وهى فتنة يراد بها هدم الاسلام وقد تبين ولاء البهائية للمنظمات الصهيونية وهى اشبه بالماسونية والروتارى والليونز كما تبين ولاء القاديانية والأحمدية الى النفوذ الغربى والى الصهيونية اخيرا .

تاسع عشر : فساد نظرية تطوير الشريعة ، وهى نظرية علمانية مرتبطة بالايدلوجيات البشرية ، حيث ان الشريعة الاسلامية ربانية المصدر ، قد وضعها الحق تبارك وتعالى فى أطرها الواسعة المرنة لتكون صالحة المجتمعات البشرية فى مختلف البيئات والعصور ، فهى تختلف عن الفكر الانسانى الذى يعتوره النقص والفساد ويحتاج دائما الى الاضافة والحذف وانما تتطور فى الاسلام الوسائل ولا تتطور القيم الثوابت وهناك مجال للمتغيرات .

عشرون : فساد فكرة التفرقة بين العلم والدين وقولهم ان للعلم ميدانه وللدين ميدانه وهذه نظرية غربية مرتبطة بالمسيحية التى لم يكن لها نظام مجتمع ، أما فى الاسلام فانه لم يحدث صراع بين العلم والدين على مدى هذه العصور المتوالية ذلك لأن العلم نشأ فى كنف الاسلام الذى هو ليس دينا بمفهوم اللاهوت الغربى ، والعلم فى الاسلام جزء منه وخاضع لمنهجه واخلاقياته وتقوم الحضارة الاسلامية على اسلامية العلم الذى يخدم البشرية ويقدم لها مايصلحها ويرفع عنها اخطار العصر الذرية والهدروجينية التى تهدد العالم فى كل لحظة .

هذا وينكر الاسلام ما يسمى بالصدفة فكل حادث تم بقصد وغاية وحاشا لله أن يقع شيء بالصدفة فى ملك الله . وليس فى الاسلام ما يسمى بالطبيعة التى صنعت كذا وانما الصانع فى الاسلام هو الله تبارك وتعالى والطبيعة مخلوقة لله تعالى ، واذا كان فى الغرب اليوم تيار يسمى مراجعة الذات تعبيرا عن الشك فى الكتب المقدسة وفى نظام القيم الراهن وبحثا عن نظام جديد أكثر ملاءمة لها ، فاننا فى الاسلام نقيم نظام (العودة الى المنابع) وهو صلب دعوة مدرسة الأصالة التى حمل لواءها الامام أحمد بن حنبل حتى صاغها الامامين ابن تيمية وابن القيم فى منهج أصيل ، هذا المنهج لم يتوقف عن أن يحمله المجاهدون جيلا بعد جيل ، فلم يخل منه جيل حتى جاء الشيخ محمد بن عبد الوهاب فانجح الله قصده وارتبط المنهج الربانى بالحكم فقامت دولة عايشت الأحداث وكان ظهورا مجددا عام ١٩٢٦ بعد سقوط الخلافة العثمانية وقد قرانا فكرة جب فى مطالع الصبا وعايشنا الأحداث فى مواجهة التغريب .

ولقد كانت صيحة الامام حسن البنا فى العصر الحديث هى الرد الحقيقى على مؤامرة (هاملتون جب)
وقد قطعت اليقظة الاسلامية مراحلها فى تصحيح المفاهيم حتى ظهرت صيحة العودة الى الله ١٩٦٧ بعد ضياع القدس وقدمت هذه المرحلة ثلاثة مظاهر كبرى :

١ ــ عودة المراة المسلمة الى البيت والى الحجاب .

٢ ــ ظهور المصارف الاسلامية التى خرجت عن دائرة الربا .

٣ ــ تطبيق الشريعة الاسلامية فى باكستان والسودان .

٤ ــ غلبة مفهوم الاسلام الجامع : دينا ودولة ونظام مجتمع ومنهج حياة ونحن فى العقد الأول من القرن الخامس عشر الهجرى نتطلع الى :

***

١ ــ نهج اسلامى للأدب وتاريخه والنقد والقصة .

٢ ــ منهج أصيل للفن الاسلامى والعمارة الاسلامية .

٣ ــ منهج اسلامى اصيل للنفس والاجتماع والأخلاق .

٤ ــ أن تكون اللغة العربية الفصحى هى لغة المسلمين جميعا .

٥ ــ أن يقوم نظام التربية الاسلامية ، فان الخنجر الذى طعن به المسلمون هو نظام التعليم الغربى العلمانى .

٦ ــ ان يقوم نظام العلوم التكنولوجية فى العالم الاسلامى على اللغة العربية وفى نطاق الاسلام .
وهكذا كذبت نبوءة هاملتون جب وقد نشأ فعلا الجيل الذى قاوم المؤامرة وحطمها تماما .

هذا وبالله التوفيق ››

***

فى ضوء الصحوة الإسلامية من التغريب إلى الأصـــالـة

كشفت حركة التغريب والغزو الثقافى هدفها منذ خمسين عاما بكتاب المستشرقين الخمسة وعلى راسهم هاملتون جب (وجهـــة الاسلام) ولكن عملية التغريب نفسها كانت قد بدات قبـل ذلك منذ الحملة الفرنسية على مصر ١٧٩٨ — ١٢١٦ هـ تقريبا اى فى مطالع القرن الثالث عشر بعد أن دعا الشيخ محمد بن عبد الوهاب الى التوحيد الخالص بوقت طـويل يزيد عن خمسين عاما ومعنى هذا أن نهضة الاسلام بدأت من داخله وليس من خارجه كما يدعى المدعون ، وكانت هذه الريـدة سببا فى التنبيه والوعى لاخطار حركة التغريب ، يبدو ذلك واضحا فى كلمات عمر مكرم والشيخ الدردير ، ولقد كشفت مجلدات (وصف مصر) التى كتبها المستشرقون الفرنسيون عن أن المجتمع الاسلامى كان فى أعماقه سليما وكان النظام الاسلامى قائما ليس فى مصروحدها بل فى العالم الاسلامى لم يحجب الا بعد الاحتلال البريطانى الذى قطع لأول مرة استمرارية هذا النظام منذ ظهرر الاسلام .

ان حركة الغزو الثقافى والتغريب التى قادها الغرب لم تكن تستطيع أن تعزل المجتمع الاسلامى عن قيمـه الا بالاحتلال والسيطرة العسكرية وفرض القادة والمفكرين الغربيين وعزل القـوى الصادقة الايمان عن الحركة والعمل ، كما حدث بالنسبة للمجاهدين الذين عارضوا النفوذ الاستعمارى فى مصر والجزائر وتونس والهند .

ويكذب الذين يدعـون بأن المجتمع الاسلامى قد تقبل النموذج الغربى تقبلا اختياريا فقد كان المجتمع الاسلامى يمتلك منهجا تطبيقيا واسع الأفق مرن الاطر ، قادرا على استيعاب مختلف وجوه الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ، وان كان المسلمون قد اصيبوا بالجمود والتخلف بعد جولة الف سنة من اضاءة العـالم وبث روح الحضارة والتقدم فيه ، ولكنهم كانوا قادرين عن طريق مصلحيهم الذين انطلقوا فى دعوات تحمل طابع مقاومة الاستبداد وتطهير العقيدة ، والقضاء على الجبرية الصوفية أن يستعيدوا كيـانهم وعطـاءهم للانسانية ولكن النفـوذ الأجنبى الذى هزم فى الحروب الصليبية ، والذى استيقظ على المنهج العلمى التجريبى الاسلامى سرعان ما امتلك ارادة القوة والسيطرة ومضى فى جولة جديدة للسيطرة على عالم الاسلام .

كان الهدف هذه المرة هو « الاسلام » نفسه فقد اكتشفت هذه القوى انه هو (العروة الوثقى) وانه روح الارادة القادرة على المقاومة وصد العدوان ، ومن هنا كانت محاولة التغريب الرامية الى تفريغ الاسلام من مضمونه الأصيل وهو (الجهاد والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر) وتفريغ العقول والقلوب المسلمة منه .

وقد كشفت مخططات التغريب عن الوسائل كما كشفت عن الغايات ، الوسائل الرامية الى تمزيق وحدة المسلمين حتى لا يجتمعوا فى كيان موحـد وقد اشار (هاملتون جب) الى بعض هذه الوسائل .

أولا : اشار الى الرابطة العامة الوثيقة بين عناصر المجتمـع الاسلامى والتى نشأت من العقيـدة والثقافة الدينية المشتركة وهى التى تؤلف بين الجماعات الاسلامية فى الشعور والراى والمصلحة وكان لابد لهدم هذه الرابطة من خلق الفرق والأحزاب والهيئـات ذات الولاء الغربى والشرقى ، والسياسى ، والاجتماعى ، والاقليمى والقومى مع التركيز على الأقليات وعلى القبليات واحياء النزعات القديمة التى اندثرت سـواء الفرعـونية والفينيقية والاشورية والبابلية ، أم المعتزلة ، والباطنية ، أم ادخال الفرق الجديدة كالشيوعية والوجودية والفرويدية .

ولكى تقضى على التعاطف الاسلامى الذى يجمع الشعوب ظهرت الدعوات الى تاريخ قومى لكل قطر عربى يمتد الى تاريخ ما قبل الاسلام مع أن الاسلام حين جـاء قضى على هذا التاريخ وأعلن المؤرخون قيـام (الانقطاع التاريخى) بين ما قبل الاسلام وما بعده .

ثانيا : اشار الى الرابطة الدينية وعمقها ، وتلك دعوة الى احلال روابط اخرى تتعلق بالوطن والقومية وغيرها محل هذه الرابطة والعمل على اعلاء شأن (الاتجاه العلمانى) القائم على الروابط الاقتصادية والسياسية اى العمل على توهين هذه الرابطة المقدسة واحـلال روابط اخرى بدلا منها واقامة نظم جديدة فى تأليف الحكومة وتكوين المجتمع وهى الليبرالية والديموقراطية الغربية) .

ولاريب أن احياء الثقافات القومية والاقليمية الممتدة الى تاريخ كل بلد قبـل الاسلام يحدد تلك الخلافات

ويعمقها ويصبح على حد قوله (وبذلك يختلف معنى الوحدة الاسلامية فى هذا العصر الحديث اختلافا تاما عن معناها فى العصر الوسيط) .

ثالثا : غزو العقول العربية والاسلامية بالأفكار الغربية حتى تنقطع القنوات التى تستقى كلها من نبع واحد ، والتى تؤدى الى هدف واحد .

ويقول هاملتون جب ان هذا العمل سيعمل على زلزلة بناء المجتمع الاسلامى وتقويض أركانه .

هكذا تصورت حركة التغريب انها قادرة على احتواء المجتمع الاسلامى وصهره فى بوتقة الحضارة الغربية بتقطيع أوصاله عن الاسلام جملة والحاقه بالتيارات الغربية جملة وقد غفل هؤلاء الخبراء عن شىء أساسى يكاد يكون من جوهر أسرار الاسلام التى يفاجىء بها دعاة التغريب دائما وفى كل موقع ، ذلك هو قدرة المجتمع الاسلامى وهو فى مرحلة الضعف والتخلف على الصمود فى وجه الغزو الذى يريد أن يقتلعه أو يدمره أو يحتويه ، تلك خاصية شديدة الخطورة تكمن فى صميم المجتمع الاسلامى ولا تظهر الا فى وقتها المحدد وهى بالقياس الى وقائع التاريخ يمكن اعتبارها قانونا قائما أو سنة من سنن المجتمعات والحضارات .

تلك هى قدرة المجتمع الاسلامى الى الانبعاث من داخله وقدرته ايضا على رفض الجسم الغريب والانطواء على نفسه فى حالة الضعف حتى لا تنفذ اليها السهام .

ولقد كان المجتمع الاسلامى قادرا على أن يستجيب للتطورات العالمية وللمتغيرات العديدة دون أن يفقد ذاتيته أو تنهار شخصيته ، وقد ظهرت خلال هذه السنوات هذه الحقيقة فى وضوح وجلاء ، يقول جب :

(لا يستطيع مجتمع أن يبقى منعزلا عن وسائل المدنية الحديثة) نعم ولكن المجتمع الاسلامى له قدرة خارقة على أن يأخذ ما يتناسب مع حاجته دون أن ينصهر ، وهو يعرف ما هو فى حاجة اليه وهو العلم التجريبى والتكنولوجيا ، اما اسلوب العيش (بما يتعلق بالثقافة والاخلاق والعادات والقيم) فهو لا يستبدل قيمه واخلاقه واذا انحرف تحت تأثير اى ضغط فانه سرعان ما يعاود الاصالة والنظرة الصحيحة ، وسرعان ما يصحح مساره ، والمجتمع الاسلامى فى القرن الرابع عشر الهجرى مر بكلتا التجربتين الغربيتين : الليبرالية والماركسية ، وتأكد عقمهما وعجزهما عن العطاء، وهو يقف من النفوذ الغربى موقفا واضحا ، وقد تكشفت له الآن ابعاد المخططات ، كما يؤمن بأن الأسلوب الاسلامى فى معالجة مختلف التحديات التى تواجهه — ليس هو الأسلوب الأمثل فحسب ، ولكنه الأسلوب الوحيد الآن بعد ان فشلت محاولات استعمال الأساليب الوافدة التى لم تحقق الا اطالة أمد الاغتراب والعجز عن امتلاك الارادة ولن يستطيع النموذج الغربى أو المثل الماركسى ، ان يسيطر أحدهما على هذه الأمة الناضجة التى تعرف أن منهجها اعظم المناهج واقدرها على العطاء ، ليس للامة الاسلامية وحدها ، بل للبشرية جميعا ، هذه الأمة لن تخدع وان خدع افراد منها احتوتهم المدرسة التغريبية وكان لهم بعض النفوذ فى بعض المجتمعات ، ولكن الى قدر قصير وأمد محدود ، ولن يستطيع شىء ماعدا الأصالة والفطرة ان يستقيم ويمتد ويدوم ، ولابد للزيف أن ينهار وان ظن البعض لبريقه ولمعانه فترة أنه ممتد ومستمر — لقد تكشف للأمة الاسلامية أن « التغريب » يهدف الى تشويه الذاتية الاسلامية المتميزة ، ولذلك حاربته الأمة بكل الأسلحة ، وظهرت مؤسسة تصحيح المفاهيم والمراجعة الشاملة الدخائل التى دخلت على الفكر الاسلامى خلال فترة النفوذ الغربى والماركسى وعلت الدعوة الى اسلمة الاعلام والعلوم والفن والعمارة واستجاشت المشاعر فى مختلف البلاد الاسلامية بالدعوة الى تطبيق الشريعة الاسلامية ، وتقاوست اقلام الدعاة والمفكرين الاسلاميين بالرد على الشبهات المثارة ومواجهة التحديات فكشفت زيف (ساطع المصرى) فى مفهوم القومية وزيف (على عبدالرازق) فى مفهوم الدين والمجتمع ومفاهيم طه حسين فى الفصل بين الأدب العربى والفكر الاسلامى ونظرية الشك الفلسفى ومفاهيم آخرين فى الاقتصاد الربوى ، والقانون الوضعى ومفاهيم الدعوة الى العامية والفلكلور وتحديد النسل ، ومفاهيم الماسونية والباطنية والشعوبية ومختلف دعوات لطفى السيد ولويس عوض وزكى نجيب محمود وحسين فوزى وتوفيق الحكيم كما كشفت عن أن جيل الرواد والقمم الشوامخ لم يكن هؤلاء التغريبيون وانما كان هذا الجيل ممثلا فى محمد ابن عبد الوهاب والسنوسى والمهدى وجمال الدين ومحمد عبده ورشيد رضا وحسن البنا وعبدالعزيز جاويش والمين الرافعى ومحب الدين الخطيب وشكيب أرسلان والثعالبى وعلال الفاسى ومالك بن نبى والمودودى والندوى وعشرات . اما أن تكون القمم الشوامخ هى لطفى السيد وطه حسين وزكى نجيب محمود فهذا لا يقره احد من المنصفين .

لقد مرت فترة الانبهار ومضت الى غير رجعة ، وسقطت دعاوى الاقليمية والليبرالية والماركسية والقومية المتغربة ، وعادت مفاهيم العلاقات بين العروبة والاسلام وبين العدل الاجتماعى والاسلام وبين الشورى والاسلام الى حقيقتها .

ان موقف المسلمين من الحضارة الغربية الآن ،

ليس أسوأ من رأى مفكرى الغرب أنفسهم فيها ، وليس موقف المسلمين من الاسلام الآن هو جمود على ماض زاخر او تاريخ باهر ، وانما على « منهج حياة ونظام مجتمع » ربانى المصدر واسـع الأطر ، قادر على العطـاء . لا تستطيع المتغيرات والأحداث أن تعتوره ، ولا يستطيع تغير البيئات أن ينال منه ، ليس شأنه شأن المناهج البشرية والايدلوجيات العصرية ، التى تحتاج الى الاضافة والحذف ، والتى لا تستطيع العطـاء فى كل البيئات أو العصور .

ان المنهج الاسلامى اليوم يدرس فى مجال (حـوار الحضارات) ويجرى الاستعانة به فى سد ثغرات الحضارة الغربية المتهرئة التى توشك أن تنهار فليس الأمر الآن هو أن نأخذ ولكن هو أن نعطى .

ان فكرة التغريب (التحرر من سيادة الدين) هى فكرة مسمومة وهى ليست فكرة الغرب وحده ولكنها فكرة القوى الأخرى (الشيوعية والصهيونية) ولكن المجتمع الاسلامى الآن يؤكد سيادة منهج الله ويتطلع الى فجر جديد يشرق فى ضوء القرآن .

* * *

ماذا تتطلـع إليـه حركـة التغـريب

(من تقرير جب عام ١٩٣٠)

ان تقرير هاملتون جب الذى أعده ليرسم مخططا لحركة التغريب والذى ظهر عام ١٩٣٠ انما كان يرمى فى الأساس الى القضاء على الوحدة الاسلامية واحلال القوميات بدلا منها كأساس لعمل التغريب كله .

وقد نسى جب أن الاسلام وحـدة سياسية ووحدة عقائدية فكرية وانه ان كانت قد انهـزمت الوحـدة السياسية فان الوحـدة العقائدية الفكرية قد بقيت ، وقاومت محاولات التغريب وعادت الى مفهومها الأصيل وأنه عندما سقطت الوحدة السياسية عن طريق سقوط الخلافة ماانهار المجتمع الاسلامى بفضل وحدته العقائدية وقد أحـل المجتمع الاسلامى وحـدات جديدة لمقاومة النفوذ الاستعمارى أما بالنسبة لاتجاه العالم الاسلامى الى المدنية الغربية وقد جعله (جب) عـاملا قوميا فى التغريب فان المسلمين قد أصبحوا يفرقون تفرقة واضحة بين أسلوب العيش الغـربى وبين المدنيـة القائمة على التجريب والتكنولوجيا وهم يرفضون أسلوب العيش الغـربى ويطالبون بأن يحصلوا على التجريب ليبنوا حضارتهم من جديد على أسس قرآنية اسلامية وانهم مهما سيطرت عليهم أساليب المدنية المادية فى الطعام والمسكن والتنقل وغيرها فانهم يفرقون تماما بين قبول ذلك وقبول فكر الغرب القائم على المسيحية واليهودية والفكر اليونانى والرومانى ولايقبلون بأسلوب الأرجانون الرومانى القائم على العبودية والرق ، ويؤمنون بمفهومهم الاسلامى القائم على التوحيد الخالص والعدل الاجتماعى والاخاء البشرى وقد تراجع التغريب اليوم فى دعواه الى صهر المسلمين فى بوتقة الحضارة الغربية وظهر دعاة التغريب يدعون الى الجمع بين تراث المسلمين وبين عصرانية الغرب ، وهى دعـوى يرددها كثيرون فى مقـدمتهم زكى نجيب محمود ويرفضها المسلمون الذين يؤمنون بأن البناء يجب أن يكون على الأساس وأن المسلمين لا ينتقون ولكنهم يعرضون الوافد والتراث جميعا على مقياس القرآن فكل مايصادمه يجب أن يبعـد ، وأن كثيرا من التراث كتب فى ظروف ترجمة الفلسفة اليونانية وغلبة الفكر الباطنى والوثنى ولذلك فهو مردود ، أما بالنسبة للفكر الغربى الحديث فان المسلمين ينظرون اليه ويراجعونه ولكنهم لا يعتنقونه لأن لديهم (مناهج اسلامية كاملة) فى مختلف جوانب السياسة والاجتماع والاقتصاد والتربية والأخلاق والنفس وغـيرها وهى مختلفة تماما مع الأيدلوجيتين الغـربية والماركسية وتتميز عليهما بميزات أهمهـا :

١ ــ أنها ربانية المصـدر .

٢ ــ انها واسعة الأفق مرنة قابلة لمواجهة متغيرات العصور والبيئات .

٣ ــ انها جامعة لشطرى الانسان : الروح والمادة وليست قاصرة على الفكر المادى وحده .

* * *

الباب الثانـــى

الاستشراق فى خدمـــة التغـــريب

أولا : آثـــار الاستشراق :

وصل النفوذ الأجنبى بعد الحروب الصليبية فى معركته مع الاسلام وعالمه الى حقيقة مؤكدة ، وهى أن هذه الأمة لاتغلب عسكريا لانها تملك منهجا يحول دون الهزيمة وان الاسلام ربى ابناءه خلال أربعة عشر قرنا على الجهاد فى سـبيل الله والدفاع عن البيضة والمرابطة فى الثغـور وحماية الحدود فى آيات هى بمثابة الأمر الأعلى الذى يصدع له المسلمون **(وأعدوا لهم ما استطعتم من قـوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم) .**

ومن هنـا دفعهم تآمرهم على تدمير هـذا السد الفولاذى القوى القائم فى النفس المسلمة بتوهين هذه القيم التى قام عليها الاســلام واثارة الشبهات حولها واذاعة السموم والأحقاد حولها فى محاولة ماكرة خبيثة تحت اسم تقديم علوم المسلمين الى المسلمين عن طـريق الأساليب الحديثة والجامعات والبعثات وخلق أجيال جديدة تتربى فى بيئاتهم وتصـدر عن كتاباتهم ويمكن لها النفوذ الأجنبى فى بلادهم ومن هنا نشأ « الاستشراق » بهدف تسميم منابع الفكر الاسلامى ، والتراث واللغـة والتاريخ واثارة الشبهات حول القرآن والسنة والسيرة والفقه وعلوم الدين بهـدف خلق روح التخاذل وتهوين القيم وضرب النصوص والتشكيك فى المفاهيم الجـادة والحدود القائمة .

لم يعمل الاستشراق بمفرده فى سبيل المخطط الذى كان يرمى اليه وانما اعانته قوى مختلفة أهمها مؤسسة التبشير التى بدأت فى مدارس الارساليات الأجنبيـة وتنوعت أساليبها حتى سيطرت على التعليم فى البـلاد الاسلامية وحـورت مناهجه وأوضـاعه حتى جعلته علمانيا مقصـوص الجناح مجردا من مفهـوم الاسلام الأصيل الجامـع بين التعليم والتربية والقائم على بناء الفرد المسلم مقـدمة للأسرة المسلمة ، فالأمة المسلمة فالدولة المسلمة .

وقـد كان الاستشراق نفسه منظمة ذات هـدف واضح يعمل بالتنسيق مع الاستعمار والنفوذ الأجنبى من ناحية ومع التبشير من ناحية اخرى فى سبيل تحقيق غاية كبرى هى « تغريب » الاسلام والمسلمين باخراجه من طبيعته الخاصة وجوهره الذاتى ورسالته الحقيقية وذلك لاحتـواء المسلمين ودفعهم دفعـا لأن يكونوا « تابعـين » للحضارة الغربية العالمية يقبلون وجهتها وينصهرون فيهـا ويسلمون مقاليـد بلادهم وأمتهـم لامبراطورية الربا العالمية ــ والاستشراق ليس علما بأى مقيـاس علمى ، وانما هـو عبارة عن (أيديولوجية) خاصـة يراد من خـلالها ترويج تصورات معينة عن الاسلام بصرف النظر عما اذا كانت هذه التصورات قائمة على حقائق أو مرتكزة على أوهام وافتراضات . فالدارس لأعمال المستشرقين لايحتاج الى جهد كبير ليرى تعمدهم فى تزييف الحقائق واللجوء الى منطق فاسد ، ومغالطات وتقطيع للنصوص ، مع وضـع اهداف مسبقة يطلبونها ويحاولون بالبحث ايجاد ما يساعدهم على تأكيدها وهى تستهدف فى غايتها رسـم صورة مشوهة سقيمة عن الاسلام فى نظر القارىء الغربى والى زلزلة عقيدة الاسلام وتمييعها فى عين ابنائها من المسلمين فغاية الاستشراق اذن مشتركة : ذلك لأنه نشـأ فى أحضان الكنيسة وفى رحاب وزارات الاستعمار فجمع بين الغايتين ، هما صد الغربى المتطلع الى الاسلام عنه وافساد نظرة المسلم نفسه لدينه .

وبذلك صد الاستشراق فى الغرب كثيرا من متفتحى الثقافة والعقول حتى لا يقعوا فى أسر الاسلام ، بعد أن استشرى الحديث فى الغرب بعد هزيمته فى الحـروب الصليبية عن امانـة المسلمين وعدالتهم ورحمتهم ، وحسن اخلاقهم .

ولمـا كانوا يعرفون أن مواريثهم ضئيلة قليلـة تافهـة ، هى مجموعة من الأساطير والخرافات فقـد ازعجهم ذلك القدر الضخم من العطاء العلمى والروحى والثقافى الذى قدمه الاسلام للبشرية وخشوا عـلى وجـودهم فبادروا الى النيل منـه وتزييفـه واثارة الشبهات حوله .

وقد حرص رجالهم على وضع مخططات ترمى الى احتواء العالم الاسلامى كله والسيطرة عليه ومن ذلك دعوتهم الى القومية والى الاشتراكية والى تشويه

الوحدة الاسلامية الجامعة والتآمر على دولة الخلافة الاسلامية لتمزق تلك الجبهة الموحدة وفرض نفوذهم الاقليمي على كل منطقة ومحاولة اقامة وجود وتاريخ وكيان خاص لكل منها مستمد من تاريخ ما قبل الاسلام وبذلك أحيوا دعوات الفرعونية في مصر والفينيقية في لبنان والأشورية والبابلية في العراق والبربرية في المغرب والزنجية في أفريقيا بهدف تقطيع أواصر العالم الاسلامي وقد أكد أكثر من مستشرق بأن التركيز على القوميات من أكبر أهداف عملهم ومنذ ذلك اليوم تحدثت الدراسات عن الأدب المصري والأدب السوري ، والحضارة العربية والحضارة الاسلامية ، وعن الثقافة المصرية والثقافة السودانية ، وهكذا جرت المحاولة بفصل الأدب والثقافة والفكر في هذا العصر الحديث عن منطلق الفكر الاسلامي وتنفصل الادب العربي عن الفكر الاسلامي وهذه مؤامرة خطيرة ، يجب الوقوف في وجهها بينما هي (وحدة) من وحداته لا تنفك عنه .

وجاءت القضايا السياسية لتدرس في كل قطر على حدة ، ويتكون لها وجهة نظر مختلفة ، وتمزقت جبهة الأمة الاسلامية في اقليميات وقوميات ، كان من شأنها سقوط الوحدة الاسلامية الجامعة الى حين وتبنت الدعوات المرتبطة بالعرق والدم والعنصر ، وظهرت الدراسات تتحدث عن النحو العربي والبلاغة العربية في كل قطر على حدة بينما هي مما لا يمكن فصله أو تجزئته وتنافس المسلمون الشخصية الواحدة فقال عنها هؤلاء انه تونسي وقال الآخرون بل جزائري ، وقال آخرون انه ولد في جنوب ليبيا (كذلك فعلوا بأكثر من شخصية) وقالوا ان الفارابي تركي والغزالي فارسي ، ونسوا حقيقة أساسية هي أن العقل الاسلامي وحده هو الذي كون هذه الشخصيات وكون آثارها وأن اللغة العربية والقرآن والسنة هم مصادر هذه الأعمال حيث لم يكن يعرف المسلمون في عصورهم المزدهرة مثل هذا الخلاف بين العربي والفارسي أو التركي بل هو مما رماهم به عدوهم .بل كان المسلمون وحدة واحدة لا يملكون جواز سفر الا من لا اله الا الله وقد جال ابن بطوطة أربعين قطرا دون أن يوقفه أحد منذ خرج من الأندلس حتى بلغ جاوة .

تلك هي مؤامرة الاستشراق الكبرى التي هدمت وحدة المسلمين وفتحت الطريق أمام غزو قوسية أخرى خارجة على وجودهم ومزقت العالم الاسلامي كله الى قوميات وأسقطت الخلافة الاسلامية ومكنت للاقليمية التي ما تزال تصر على انفصالها ، وكانت الأطروحة الكبرى وهي الماركسية من أخطر ما حال دون وحدة المسلمين وأسلمتهم الى ولاءات مختلفة بين القوى الغربية والماركسية .

هذا عن الأثر السياسي للاستشراق في العالم الاسلامي أما الأثر الفكري فقد درس المستشرقون العلوم الاسلامية بهدف تدميرها من الداخل وتخصص كل منهم في علم معين : جولدسيهر (علوم القرآن) وشاخت (الشريعة الاسلامية) ومرجليوث (سيرة الرسول) لويس ماسنيون (التصوف والحلاج) كيف ترون رجلا مثل ماسينيون ينفق أربعين سنة على بعث تراث الحلاج ليجدد هذه السموم التي قتل من أجلها وهي دعواه الى وحدة الوجود واتحاد المخلوق بالخالق وتآمره مع القرامطة . وقد أفسد مرجليوث مفهوم علاقة القرآن بالشعر الجاهلي ، وزيف علاقة الخلافة بالنظام الاسلامي وخلط جولدسيهر مفهوم التدوين والسنة . وأفسد شاخت العلاقة بين العرف البدوي والشريعة الاسلامية وقد كانوا دعاة الى احياء أدب الفسق والفجور (أبو نواس وبشار بن برد) وكتابات الباطنية . فهم الذين أعادوا طبع كتاب رسائل اخوان الصفا ، وأحيوا ابن عربي والحلاج وابن سبعين والسهروردي .

وكانت دعوتهم الباطلة الى ربط المسلمين بالفلسفة الغربية بدعوى ارتباط أجدادهم بالفلسفة اليونانية وهي دعوى عريضة كذبتها وقائع التاريخ فلم يتقبل المسلمون في صدر الاسلام عندما ترجمت الفلسفة اليونانية أو الفارسية أو الهندية مقولاتها ورفضها علماء الاسلام وكشفوا عن الفوارق العميقة بين منهج الحياة الاسلامي القائم على العدل والاخاء البشري والتوحيد وتحرير الانسان من عبوديته للأصنام والأوثان وعبوديته لغير الله بينما يقوم الارجانون الذي تحمله الفلسفة اليونانية على سيادة السادة في أعلى منصة السيادة وعبودية العباد ، والاقرار بالرق ، أقر به أرسطو وأفلاطون واعتبروه أساس الجمهورية بل لقد بلغوا في ذلك مبلغا جريئا متطرفا اذ قالوا لو أن عبدا وصل مكان السيادة لظل عبدا ولو أن السيد وصل مكان العبودية لظل سيدا . لذلك رفض الاسلام فلسفة اليونان وأعلن رفضه لها لأنها تتعارض مع قيمه وعدالته وأساس التوحيد الخالص الذي سوى بين البشر ، (كلكم لآدم وآدم من تراب) .

هذا وقد كشف علماء الاسلام فساد الفلسفة اليونانية وزيفوا وجهتها وكان للأئمة الشافعي وابن حنبل والغزالي وابن تيمية كتاباتهم المدحضة لفساد هذه الترجمات .

وقد جاء الاستشراق ليبني على هذه المخططات التي هدمها المسلمون ، فأحياها من جديد لاثارة الشبهات وتسميم الآبار .

وقد وزعوا شبهاتهم فى ميادين مختلفة من الفكر الاسلامى : حقائق الاسلام ، تاريخ الرسول ، القرآن الكريم ، اللغة العربية ، التراث الاسلامى ، السنة ، الحضارة ، الشريعة الاسلامية ، التاريخ الاسلامى .

وبالرغم من أن الاستشراق كله جبهة واحدة فى مواجهة الاسلام ، الا أن هناك ثلاثة تيارات استشراقية تعمل متساندة ، ويتميز كل منها بأغراضه الخاصة .

(أولا) الاستشراق الغربى : الذى بدأ مع النفوذ الاستعمارى فى العالم الاسلامى ويرمى الى خلق مفهوم العلمانية وفصل الدين عن الدولة ، وتبرير الربا وهو الذى تركز فى التعليم والثقافة والصحافة وأقام قواعده الرامية الى تقليص الاسلام كمنهج حياة ونظام مجتمع ، وحصره فى العبادات والمساجد ، وفتح الطريق أمام الأنظمة الليبرالية والربوية الاقتصادية والقوانين الوضعية التى مهدت للجريمة والاباحية واستشراء الفساد الخلقى والاجتماعى رغبة فى هدم الاسرة والمجتمع .

ثانيا : الاستشراق اليهودى : وقد بدأ منذ وقت مبكر لتشويه حقائق العلاقة بين الحنيفية الابراهيمية ، واسماعيل وبين اليهودية والمسيحية والاسلام .
وقد فرض اليهود انفسهم على حركة الاستشراق منذ البدايات لتحقيق أهدافهم فى النيل من الاسلام واضعافه والتشكيك فى قيمه لأسباب سياسية تتصل بخدمة الصهيونية فكرا أولا ثم دولة .

وقد ركزوا على دوائر المعارف الاجنبية (البريطانية والانجليزية) ولاروس وغيرها لتسميم عناصرها المتعلقة بالنبى صلى الله عليه وسلم والاسلام وما يتصل باسماعيل عليه السلام بوصفه جد العرب والتشكيك فى رحلة ابرهيم عليه السلام الى الحجاز وتشويه وعد الله تبارك وتعالى لابرهيم وذريته ومحاولة حصره فى (اسحق) باعتبار أن اسماعيل ليس الا ابن احدى الجوارى (مع أن السيدة هاجر كانت أميرة وابنة ملك وقد أهداها ملك مصر لابراهيم) .

ويجرى الاستشراق اليهودى فى هدم كل عناصر العروبة الحقيقية ذات الجذور الأصيلة فى تربة فلسطين قبل وصول اليهود اليها وأثنائها وبعدها .

* * *

وبالجملة فقد هدت الاستشراق الصهيونى الى اعطاء القارىء الغربى والفرد المثقف فى العالم أن فلسطين كانت يهودية قبل الاسلام ، واعطاء الصهيونية الحق المزعوم فى العودة الى فلسطين وتشويه الفتح العربى .

ثالثا : الاستشراق الماركسى : فيحاوله احتضان الدعوات الهدامة كالقرامطة والزنج ووصفها بأنها حركات عدل اجتماعى وحرية ، وقد أفردت لذلك رسائل واطروحات كثيرة استهدفت ضرب مفهوم العروبة الأصيلة والاسلام واحياء مفهوم الشعوبية والباطنية القديمة . وعمد الاستشراق الماركسى الى تفسير التاريخ والتراث الاسلامى تفسيرا ماركسيا مع قصور المنهج الماركسى فى تفسير جوانب الاسلام المعنوية والروحية وقد حرص الاستشراق على احياء الاسرائيليات القديمة واحياء كثير من الروايات الموضوعة والحكايات المدسوسة التى هدمها كبار الباحثين المسلمين وفى مقدمتهم الامام ابن كثير وقد ارتفعت الصيحة فى السنوات الأخيرة الى تحرير التراث الاسلامى من هذه الأساطير التى جاءت نتيجة اعتماد بعض المفسرين على روايات جاءت فى التوراة والكتب القديمة وهناك مادة تدرس لتنقية هذا الجانب تسمى (الدخيل فى كتب التفاسير) .

وبالجملة فقد ركزوا أعمالهم فى موسوعة ضخمة هى دائرة المعارف الاسلامية ، ولم يتوقف فسادهم عند هذا الحد بل توسع فى دوائر المعارف الأجنبية (البريطانية والأمريكية) ودائرة لاروس الفرنسية وكان آخر هذه الأعمال كتاب اليونسكو عن الاسلام الملىء بالسموم والذى عجزت الدوائر الاسلامية خلال سنوات ثلاث عن ردهم عليه وتصحيحه وهم يراوغون فى مكر بالغ .

ولقد جاءت مرحلة خطيرة فى الكشف عن سموم الاستشراق ، حين بدات الدراسات الغربية عنه لتعريته .

ثانيا : دراسات غربية عن الاستشراق ..

ويقول ادوار سعيد فى كتابه الخطير عن الاستشراق :

أن الفكر الاستشراقى يتميز بنظرة استعلاء على الشرق يرى فيه الدونية .

ويدعو ضمنا أو صراحة الى ازدرائه وأن مجموع الكتب التى عالجت الشرق العربى والتى صدرت بين (١٨٠٠ — ١٩٥٠) وتقدر بحوالى ٦٠ الف كتاب تقريبا تتميز كلية بالعدوانية وأن الطلاب الذين يدرسون فى أوربا ، خصوصا فى الولايات المتحدة هم ضحايا هذا الاستشراق الذى يسود الجامعات هناك وبما أن الاستشراق يعلمهم فيما يعلمهم أن العقل العربى يتميز بالدونية عند مقارنته

بتفوق العقل الأوربى وبسمات ثابتة جامدة متخلفة تتناقض مع الحضارة الحديثة (ولما كان هذا باطلا فى حقيقته) ولكنه يلقن ويفرض على ابنائنا الذين يدرسون فى الغرب فانه يؤدى الى خلق احساس فى النفس العربية بالاقتناع بعظمة الغرب وازدراء قيم أمتها ودينها .

ويؤكد ادوار سعيد بأن الهدف من الاستشراق ودراسة المتخصصين الغربيين للشرق الأوسط هو خدمة (النفوذ الغربى الاستعمارى) اى أن الهدف هو فرض المصالح الغربية على العالم الاسلامى وأن المعرفة لاتكون فى فراغ وانما تنشأ على العلاقات السياسية والاجتماعية السائدة .

ويترتب مع هذا أن هؤلاء النفر من الخبراء بشئون البلاد العربية والاسلامية لم يكونوا مراقبين محايدين فهم خدام للاستعمار وعملاء للسيطرة الغربية (فهم من ناحية ينظرون الى العرب والمسلمين نظرة عنصرية امبريالية شوفينية) ومن ناحية أخرى قد سمحوا لخبرتهم بالعمل فى سبيل الاضرار بالشعوب ، وأنهم يقدمون صورة العالم الاسلامى اليوم — فى مرحلة صحوته — وكأنه وثبة معادية للغرب وان لهذه الصورة تأثير كبير على صانعى السياسة الأمريكية فضلا عن محاباتهم لاسرائيل فى صراع الشرق الأوسط .

***

والاستشراق دائما فى الجانب المعادى للأمة الاسلامية ، لخدمة اسرائيل والمستشرق (مروبرجر) يذهب فى التضليل الى حد الادعاء بأن منطقة الشرق الأوسط والعالم الاسلامى لا تشكل مركز قوة سياسية ، أو أن هناك ما يشير الى أنها ستصبح قوة سياسية ذات أهمية وذلك بهدف تخدير الخلق الغربى فلا يتأثر بتشريد شعب فلسطين ولا بمظالم الصهيونية وتحركاتها المريبة وفى ثانويات أمريكا يدرس للطلاب أن الاسلام دين صحراوى أسسه تاجر عربى اسمه محمد وأن العرب مازالوا يركبون النوق .

ولقد كان لليهود تأثير على بعض المستشرقين لتغيير الحقائق ، وقد تبعهم بعض كتاب العرب الذين انكروا وجود شخصية عبد الله بن سبأ ، وذهاب سيدنا ابرهيم الى مكة المكرمة وبناء البيت .

ومونتجمرى وات ينكر دور اليهودية فى التحريض على غزوة الخندق ، ويمثل هو ومكسيم ردنسون ، وبروكلمان ، ونيشر ، وفيليب حتى ، وبرنارد لويس عصابة تخدم أهداف الصهيونية فى تزييف حقائق التاريخ الاسلامى .

ثالثا : شبهات حول أساليب البحث ..

ان خطة العمل التى تقوم عليها الدراسات الاستشراقية التى تفرض على ابنائنا المبعوثين الى جامعات الغرب (أمريكا وأوربا) لا تقوم على أسس علمية حقيقية ، وانما تقوم على مصادر غير موثوق بها ، فهم يبدأون عملهم بخطة مسبقة وينتقون من النصوص ما يحقق أهدافهم .

يقول الدكتور فؤاد سيزسكين : انهم يفترون على التاريخ الاسلامى ويظلمون الاسلام حقه ويقللون من أهميته وفعاليته ، وينكرون المنجزات العلمية العربية وينكرون تأثيرها المباشر عليهم ، وقد كشف هذا الباحث مؤامرتهم فى الصمت والتجاهل المصادر الاسلامية وبين أثر العلوم العربية مثل الفيزياء والكيمياء والفلك والطب على العلوم فى أوربا وانه لولا وجود العلوم العربية وحضارتها لتأخرت نشأة العلوم فى أوربا لبضعة قرون اذا كان هذا ممكنا فى الأصل . وعنده أن الغرب بدأ يأخذ ويتمثل العلوم العربية منذ القرن العاشر الميلادى واستمر حتى القرن الخامس عشر واستطاع خلال ذلك أخذ ما أنتجه العرب والمسلمون وبالتحديد عن أهم أربعة مراكز هى اسبانيا وصقلية والقسطنطينية وطرابزون على البحر الأسود ›› .

ويعنى اصرار الاستشراق الغربى على انكار دور المسلمين فى بناء الحضارة الحديثة هدفا واضحا هو أن يظل العرب والمسلمون يعتبرون انفسهم « أتباعا » للحضارة الغربية وينشأ ناشئهم ليتعلم أن الغرب هو الذى صنع علوم الطب والفلك والتجريب والرياضة والنفس والأخلاق والاجتماع بينما الحقيقة التى يحاولون اخفاءها عنه هو أن آباءه هم الذين انشئوا المنهج العلمى التجريبى الذى صنعت به أوربا هذه الحضارة المعاصرة ، وقد شهدت عشرات الأبحاث اليوم بهذه الحقيقة ، ولكن الاستشراق مايزال يخفى عن المسلمين حصيلة ضخمة من التراث الاسلامى مودعة فى مكتبات الغرب تزيد عن ربع مليون مؤلف تكشف عن الدور العظيم الذى اداه المسلمون فى بناء المناهج العلمية والاجتماعية والاقتصادية جميعا .

وحين يحجب الاستشراق هذا التراث كله ويابى الاعتراف بمقدمات الاسلام للعلوم الحديثة يهتم بالتراث الصوفى الفلسفى ، والفكر الباطنى للفلسفات اليونانية الأفلوطينية والغنوصية الشرقية وكل مايشير الى أن الفكر الاسلامى له صلة بالفكر اليونانى ويسرفون فى الاعجاب بالمعتزلة والتصوف الفلسفى لأنهم يرون دعاته من اتباعهم ويكرهون أهل السنة والجماعة الذين حرروا الفكر الاسلامى من التبعية امثال الغزالى وابن تيمية

انهم يحيون الاعتزال والتصوف الفلسفى الاباحى ويكرمون أبا نواس وابن عربى والحلاج واخوان الصفا وبشار بن بـــرد .

ولقد كان لإشراف اليهود على الدراسات العربية والاسلامية فى الجامعات الاوربية والامريكية أثره فى نوعية الانتاج والدراسة التى يقوم بها الطلاب العرب والمسلمون والموضوعات والمنهج وقد رفضوا رسائلهم التى حملت فكرهـم الخالص والزموهم بالاعتمـاد على مصـادر الاستشراق ومن لم يقبـل طـرد شر طـردة .

وهـم فى الجامعات العربية والاسلامية مازالوا يفرضون مراجعهم : دائرة المعارف الاسلامية ، المجلة الآسيوية ، مجلة الدراسات الشرقية ، مجلة العـالم الاسلامى ، المنجـد ، الموسوعة العربية (كولومبيا) .

وقد وضح تماما بأن كتابات الاستشراق تقوم على عناصر ثلاث :

اولا : تأثير الوجدان المسيحى على فهـم مسائل الاسلام واثـر الخصومات القديمة التاريخية .

ثانيا : طبيعة الاستعلاء الغربى على الأمم نتيجة ما يسمى صلف الجنس الأبيض صانع الحضارة .

ثالثا : (وهو اهمها) وهو العجز عن الاستيعاب وجهل البيان العربى والبلاغة القرآنية والنبوية .

وقد تكشفت فى السنوات الأخيرة حقائق كثيرة منها فسـاد الدراسـات الاستشراقية لافتقـارها الى كل خصائص المنهج العلمى والأمانة العلمية وذلك بسـبب تعصب الكتاب البارزين اليوم الذين جندتهم الصهيونية على الاسلام وافتراءاتهم على نبيه صلى الله عليه وسلم وانكارهم الوحى المنزل عليه وعجزهم عن ادراك اعجاز القرآن وجهلهم باللغة العربية وأسرار بلاغتها فضلا عن مواقفهم المعروفة فى تأييد اليهود والصهيونية ضد العرب والاسـلام .

بينما تتسم الدراسات الاسلامية عن المسيحية بالموضوعية من حيث الأمانة العلمية التى تسـتمد من القرآن الكريم الذى كـرم السيد المسيح عليه السلام وامـه تكريما عظيما ومع ذلك كفـر من قال بالوهيته وبالتثليث وكذب ادعاء اليهود قتله أو صلبه ، بل ان الدراسات العلمية الحديثة للتوراة والانجيل بصورتيهما المحرفة تثبت ان القرآن الكريم حق لا ريب فيـه وقد ظهرت فى الغرب اليوم دراسات تكشف عن زيف مصادر الكتب المقدسة الموجودة الآن بين ايدى اليهود والنصارى (بوكـاى) وقد تبين للباحثين أن الاستشراق لا يفقد الموضوعية الا فى دراسة الدين الاسلامى أما حين يتصل بالديانات الوضعية كالهندوسية وغيرها فانه يـكون موضوعيا الى أبعد حـد ، ويرجع ذلك الى أن الاسلام يختلف مع المسيحية فى مجالات النفوذ الغربى وحـرص الاستشراق على أن يخدم الاستعمار والحيلولة دون قيام الدولة الاسلامية القادرة على امتلاك ارادتهـا .

رابعا : سموم منثورة فى مجالات البحث :

واذا كان المستشرقون قد انطلقوا فى مخطط خطير قائم على الافتراء فى مختلف جوانب العلوم الاسلامية — فهـم يركزون سمومهم وأحقادهم على الاسلام وأهله بتحريف النصوص لبترها ولى أعناقها لتخدم أفكارهم ، فقد تصدى للرد عليهم عدد كبير من علماء المسلمين وكشف زيفهم ولم تترك مسألة واحدة مما أثاروه دون تعرية وهناك عشرات الكتب الدراسات فى هذا الشأن :

١ — الاستشراق والاسـلام :

وقد ركزوا على الاسلام فانكروا الرسالة الخاتمة كما انكروا الوحى والنبوة ونظروا اليه على انه مأخوذ من كتبهم ، ولو فهموا حقيقة الأمر لوجدوا ان اديـان السماء تتابعا يسلم بعضها الى بعض وأن دين موسى ودين عيسى من بعده حلقات من الحنيفية السمحة دين ابراهيم مسلمة الى الرسالة الخاتمة : رسالة محمد صلى الله عليه وسلم وهى متكاملة كالمراحل يسلم بعضها الى بعض حتى يكون الاسلام ختامها فالأصول العامة لدين الله فى العقيدة واحدة فـلا عجب يثـير المستشرقون الشبهات : شبهات مصدرها هذا الالتقاء فى الأصول وأن تبين بعد أن وجـه المقارنة مفقود من حيث أن القرآن كتاب سماوى وغيره من الكتب قـد أصابها التحريف وانقطعت عن السلسلة حين رأى رؤساؤها الاستقلال بها ونقلها من الدين الى القومية .

ويذهب المستشرقون الى فهم الاسلام فهما ماديا خالصا فهم ينكرون الوحى وينكرون النبـوة وينكرون المصـدر الربانى للقرآن وهـم فى ذلك يصدرون عن مفهومهم المحدود للأديان الأخرى حيث يوصف الانجيل بأنه من كـلام الرسل وحيث تختلط المفاهيم فى العلاقة بين الالوهية والنبـوة .

وفى عشرات المواضع التى شكك فيها المستشرقون حول الاسلام رد علماؤنا ودحضوا الأكاذيب على نحو واسع تستطيعون الالمـام به من عشرات المؤلفات .

٢ — الاستشراق والرسـول :

فاذا انتقلت الى شخصية الرسول محمد صـلى الله عليه وسلم نجد محـور المخطط المسموم الذى حمل الاستشراق لواءه فى مراحله المختلفة بهدف الوقوف عند نبوة سيدنا عيسى عليه السلام وانكار مابعد ذلك .

وجـرت محاولتهم فى نسبة ماقدمه الرسول عن طريق الوحى الى قومه على انه مأخوذ من هذا الأعجمى أو ذاك ، فى مماحكات كاذبة من أمثـال لقائه بالراهب بحيرا أو ورقة بن نوفل أو قس بن ساعدة وما تستطيع الأدلة الساطعة أن تقف أمام هذه النقولات وهم فى هذا المجال يتعرضون ، لتعدد زوجـات الرسول وللوحى ويحاولون تصويره بصورة الأمراض النفسية والعقلية .

٣ ــ الاستشراق والقــرآن :

أما موقفهم من القرآن فهو موقف زائف : يقوم على الخصومة والانكار وذلك طبيعى ازاء موقف القرآن من أضاليل اليهود والنصارى وتحريفات التوراة والانجيل ، وعندما نراجع ماكتبه المستشرقون عامة نجد أن هناك اجماعا على الوقوف فى وجـه القرآن وانكار مصدره الربانى والقول بأنه من عمل محمد صلى الله عليه وسلم ويجىء هذا الرأى تعصبا ضد القرآن ونبيه أو عجزا عن فهـم الوحى فى تقدير الباحثين الذين يعتمدون النظرية المادية أو فى التشابه مع موقف الفكر المسيحى الذى يرى أن الانجيل ليس كتابا من السماء وانما هو من عمـل الرسـل .

٤ ــ الاستشراق واللغــة العــربية :

ولمـا كانت اللغة العربية هى مدخـل القرآن الكريم فقـد تركزت الحملة عليها والدعوة الى نشر العامية واتخاذها لغة للكتابة والتعليم بديلا من الفصحى وجرى اتهامها بالقصور وعدم الكفاية العلمية وادعاء صعوبة نطقها وصعوبة كتابتها فى محاولات ماكـرة للفصل بين بيان القـرآن الكريم وبين أسلوب الكتابة العربية وقد جرت محاولاتهم الماكرة حيث استطاعوا فى كثير من البلاد التى دخلها الاسلام أن يحولوا دون انتشار العربية معها فتوقفت الفصحى ، عند مداخل كثير من الأقطار الاسلامية واستقلت عامياتها مع اللغات الأجنبية من أجـل حصار لغـة القرآن .

٥ ــ الاستشراق والتـراث :

كذلك وجه الاستشراق مدفعيته الثقيلة الى التراث الاسلامى فى موقفين متعارضين :

(الأول) التنكر لقيمة هذا التراث وتصويره بأنه متخلف وانه لا يستطيع أن يعطى العصر الحديث شيئا نافعا وينكر انه كان لهذا التراث فضل على الحضارة المعـاصرة .

(الثانى) بعث الجوانب الضعيفة والمختلف عليها ودعوات الباطنية والزنج والقرامطة وغيرها من الجوانب المضطربة والتى لا تتفق مع جوهـر الاسلام .

وفى الوقت نفســه عمدت حركة الاستشراق الى استخدام التراث الاسلامى استخداما سيئا فقد بدأت المؤامرة على التـراث منذ وقت بعيد وهى ترمى الى الاستيلاء عليه بأى ثمن ونقله الى دوائر الغـرب ثم كانت محاولة ابـراز الجـوانب الضعيفة والمضطربة والمتصلة بالخلاف والصراع بين الفرق الاسلامية وكل مايتصل بما يشكك فى العقيدة الاسلامية وخاصة دعوات الباطنية والقرامطة والحلاج وابن عربى والسهروردى .

٦ ــ الاستشراق والســنة :

ان موقف الاستشراق من السنة هو موقفها من القرآن ومن سيرة الرسول عامة فان السنة هى جـزء من حياة الرسول وهى تفسير للقرآن فلابد أن تنالها هجمة الشبهات وتصل اليها سموم التحريف ، وعوامل التزييف .

ويقول العالم الفرنسى المسلم (اتيان دينيه) أنه من العسير أن يتجـرد المستشرقون من عواطفهم ونزعاتهم عندما يؤرخون حياة الرسول أو يدرسون سنته ، ومن هنا نجدهم يرمون السنة بكل اتهام ويدعون أن تأخـر تدوين الحديث كان له اثره فى زيادة السنة ونقصها ، ويرمون بذلك الى اضعاف الثقة باستظهار السنة وحفظها فى الصدور ، وهو عمل يرمى الى وصم السنة كلهـا بالاختلاق والوضـع .

٧ ــ الاستشراق والحضارة الاسلامية :

كذلك وجهت حـركة الاستشراق الى الحضـارة الاسلامية كثيرا من الاتهامات والشكوك والشبهات فهم لا يطلقون اسم الحضارة الاسلامية عليها بل ينسبونها الى العرب حتى يثيروا الخلافات ويوقعوا بين المسلمين والعـرب .

ويدعـون أن الحضارة العربية حضارة سطحية ظـاهرية ويزعمون أن أصولها راجعـة الى المدنية الاغريقية، ويردها البعض الآخر الى الموالى المستعربين، وتجاهلوا أن الحضارة الاسلامية نبات جديد صـنعه القرآن وأن مصدرها هو المنهج العلمى التجريبى الذى بدأ بقوله تعالى (قل انظروا ماذا فى السموات والأرض) وهـم بهذا الادعاء يشوهون تاريخا امتد الف سـنه وينكرون أثـر الاسلام والقرآن على تقدمهم .

٨ ــ الاستشراق والشريعة :

ولمـا كانت الشريعة الاسلامية هى الغاية الكبرى من الاسلام فقد كان لابد للاستشراق من توجيه الشبهات اليها ومحاولة البحث عن تناقضات يستطيع من خلالها أن يصل الى بث أهوائه وأحقاده وقد حاولوا ايهـام المسلمين بأن الشريعة الاسلامية سبب تأخرهم وعائق

أمام تقدمهم ونهوضهم وقد أثاروا الشبهات حول نصوصها وعرضوا لما أسموه (تطوير الشريعة بتطور العصر) وغير ذلك من المحاولات الباطلة التى عرفت عن الشرائع الوضعية التى تحتاج فى كل عصر الى تغييرها بينما نجد الشريعة الاسلامية شريعة ربانية منزلة قد وضعها الشارع الأكبر محققة لقيام مجتمع الامن والسكينة وجعلها ذات أطر واسعة وافية وقادرة على تقبل تغيرات العصور والبيئات وهى من اجل ذلك لا تحتاج الى تطور لأن أسسها الثابتة راسخة البنيان ، ثم هى قادرة بعد ذلك على تقبل المتغيرات .

وقد وجهت عشرات الشبهات والاتهامات الى الشريعة الاسلامية بهدف الغض من قدرها وتشويهها فى نظر أهلها وفى نظر الناظرين اليها من خارج المجتمع الاسلامى وقد باءت شبهاتهم بالفشل .

٩ ــ الاستشراق والأدب :

حاول الاستشراق وضع الأدب العربى فى مجال الاحتواء الغربى بتطبيق نظريات الادب الفرنسى وهى نظريات مادية تقوم على أن الانسان خاضع للبيئة والعصر ، وأنه مجبور وليست له ارادة ، وأنه حيوان مادى يخضع للجنس أو لقمة العيش واهتموا من الأدب العربى بأعمال الاباحيين أمثال أبى نواس وبشار وألف ليلة وليلة وكليلة ودمنة ويتيمة الدهر فى محاسن أهل العصر وكتاب الزهرة لأبى بكر الأصفهانى (وقد طبعت هذه الكتب بمطابع الآباء اليسوعيين فى بيروت) بهدف اشاعة الفساد والاباحية فى المجتمع الاسلامى ، وهى اعمال لا تشى بطابع الادب العربى الحقيقى المستمد من القرآن والسنة ويحاولون وصف عصر الاسلام بأنه عصر التوسع بادعاء أن العصر الجاهلى هو العصر البطولى ، وفى محاولة لاثارة الشبهات بأن الاسلام لم يقم بأى تغيير حقيقى فى المجتمعات .

١٠ ــ الاستشراق والتاريخ ..

وقد جرت محاولات المستشرقين حول تزييف تفسير التاريخ الاسلامى واخضاعه لمناهج وافدة تفسره ماديا واقتصاديا أو تخرجه من منهجه الأصيل ومفهومه الاساسى ، وبذلك تبدو صورة التاريخ الاسلامى أمام المسلمين ممزقة مضطربة ، وبذلك يفقد الهدف الأصيل من دراسته ولما كان التاريخ عاملا هاما فى عوامل بناء الأمم وتربية الافراد فقد كان حرص المستشرقين على افساد هذه الغاية وذلك ببعث الجوانب المضطربة والروايات الخلافية من هذا التراث وخاصة ما يتعلق بالفرق السياسية وصور التناقض والخصومة وكلها صور لاقيمة حقيقية لها فى بحر التاريخ الاسلامى العريض الجياش الملىء بصور البطولة والحيوية والقوة والذى كان قادرا على العطاء الدائم للاجيال المتجددة وهم يركزون على دراسة الجاهليات والحضارات القديمة ودراسة الفتن الأهلية والخلافات المذهبية ومظاهر الانقسام القليلة التى هى من طبيعة الأمم الكبرى ويقوم عملهم على أساس دراسة الروايات المختلفة والنصوص المتعارضة وضرب بعضها ببعض لاثارة الشبهات ولاريب أن بعث دعوات الفينيقية والآشورية والفرعونية انما استهدفت تمزيق وحدة المسلمين والغض من شأن الاسلام .

وبالجملة فان عمل الاستشراق يستهدف (كما يقول الدكتور مصطفى السباعى) الى :

(١) اخضاع النصوص للفكرة التى يفرضونها حسب أهوائهم .

(٢) تحريف النصوص فى كثير من الأحيان تحريفا مقصودا .

(٣) اساءة فهم العبارات حين لا يجدون مجالا للتحريف .

(٤) تحكمهم فى المصادر التى ينقلون منها فهم ينقلون من كتب الأدب ما يحكمون به فى التاريخ الحديث ، ومن كتب التاريخ ما يحكمون به فى تاريخ الفقه ، فهم يصححون ما يقوله الدميرى فى كتاب الحيوان ويكذبون ما يرويه مالك فى الموطأ .

وأبرز أخطائهم :

(١) انكار الوحى والنبوة . (٢) التقليل من عظمة الحدث التاريخى الاسلامى . (٣) وصف الفتوح بالمطامع والاسترزاق . (٤) عدم القدرة على تقدير الجانب المعنوى للعقيدة الاسلامية وأثرها فى الأحداث والفتوح . (٥) عدم الاقتناع بأن الاسلام منهج حياة ونظام مجتمع . (٦) الاتفاق المسبق على ترويج الاكاذيب عن الاسلام واضفاء الصفة العلمية على هذه الاكاذيب مما يشغل المسلمون بموقف الدفاع انشغالا يمنعهم من اتخاذ موقف البناء والتفنيد لنواقص الكتب القديمة . (٧) الادعاء بأن الاسلام دين سيف وفتح (وأن الاسلام يتعدد بتعدد شعوبه ، وأن لكل عصر اسلام ، وأن الاسلام دين فردى شخصى . (٨) محاولة تشويه مكانة المرأة فى الاسلام . (٩) القومية العربية مصطلح استخدم بهدف ابعاد الشعوب المسلمة عن مبادئها الاسلامية بهدف غزو العالم الاسلامى وتمزيقه . (١٠) تطبيق المقاييس النصرانية على الدين الاسلامى

باطلاق كلمة (المذهب المحمدى) لاعطاء الانطباع بأن الاسلام دين بشرى من صنع محمدصلى الله عليه وسلم وليس من عند الله . (١١) يخلطون بين الاسلام كدين، وتين التاريخ كواقع ، أى بين الوضع القائم فى العـالم الاسلامى اليـوم ، وبين منهج الاسـلام الربانى . (١٢) محاولة تمسيح الاسلام فى مجال الاجتماع والتربية والأخلاق . وكل هذه أضاليل واكاذيب كشفنا زيفها فى دراستنا الجامعة (مقدمات العلوم والمناهج) .

وبعـد ""

فـاذا كان هدف الاستشراق هو محاولة صياغة العقل الاسلامى على اساس غير اسلامى فـان علينا فى مواجهة هذه المؤامرة الخطرة أن نعـرف مصادرنا الحقيقية ، وأن نتمسك بهـا والا ننخـدع بدعاوى المستشرقين .

وفى كلمة واحدة يجب أن نعمل ماوسعنا فى سبيل الحفاظ على الذاتية الاسلامية وعلى التميز الخاص وأن نعرف أبعاده ومعالمه حتى لا نسقط فى هوة الاحتواء والانصهار فى دائرة الأممية العالمية ولنعلم ان الاستشراق والتغريب والغزو الثقافى انما يستمد قوته من ضعفنا . وبقاء وجوده مشروط بعجزنا عن معرفة ذاتنا وحماية كياننـا .

ثم انه علينا أن نقف فى حذر أزاء المصطلحات التى يقدمها الاستشراق والتغريب ويرمى بها الى صهرنا فى بوتقة الغرب المعاصر المنهار الذى مر بمرحلة غروب حضارته وسقوطها . ويجب أن نفـرق بين التغريب والمعاصرة ، وبين التحديث والتغريب ، فالمعاصرة أن تعيش الأمة العصر ، وتتجاوب معـه بجوهر عقيدتها ومقوماتها وقد دفع الاستشراق فى أفق الفكر الاسلامى أطروحـات القومية والاقليمية والعلمانية والديمقراطية والاشتراكية وقد فشلت جميعها واحدة بعد واحدة ، ورفض الجسم الاسلامى الحى ، هذا العضو الغريب ونحن مطالبون اليوم برد كل أطروحة مضالة والعودة الى مفهوم الاسلام الجامع .

* * *

الباب الثالث

التبشير الغربى والتنصير العالمى

تمر قضية « الارساليات التبشيرية » بمرحلة جديدة أشد خطورة بعد أن علا صوت « الصحوة الاسلامية » تلك هى مرحلة الحرب غير المعلنة التي تظهر هذه السنوات من خلال المنظمات الجديدة التى تشكلت فى البلاد الغربية وتأسس لها فروع فى لبنان وغيرها . وأخذت نشراتها ومطبوعاتها تنتشر الآن بشكل واسع ومكثف ، فى مختلف أجزاء العالم الاسلامى ، وخاصة فى المغرب والسودان والعراق ومصر والأردن والكويت والسعودية .

ويمكن القول بأن مرحلة « التبشير الغربى » التى شاهدها العالم الاسلامى فى فترة سابقة خلال اكثر من مائة عام تقريبا قد تحولت الى « مرحلة التنصير » العالمية ، بعد أن تكشفت خيوط عريضة متعددة تتصل بهذا التطور ، ومن أبرز هذه العوامل :

١ — ظاهرة الحوار .

٢ — ظاهرة تنظيم الأسرة .

وقد رأينا فى السنوات الأخيرة كيف كانت رحلات البابا يوحنا بولس الثانى الى افريقيا والى جنوب شرق آسيا بهدف تكثيف تلك المحاولات التنصيرية ، أضف الى هذا : المحاولات التى جرت من أجل تبرئة اليهود من دم المسيح مخالفة بذلك عقيدة جميع النصارى ، ومن قبل رحلة البابا بولس السادس الى فلسطين ولقاؤه مع البطريرك اثناغورس على جبل الزيتون فى مدينة القدس ١٩٦٤ ، وفى ختام مجمع الفاتيكان الثانى (١٩٧٤) فى كنيسة القديس بطرس فى روما رفع الحرمان المتبادل بين الكنيستين الكاثوليكية والأرثوذكسية الصادر عام ١٠٥٤ م وفى عام ١٩٦٤ تنازل الفاتيكان عن عدد من الذخائر التى كانت فى رعايته وعهدته فى روما ، فنقلت ذخيرة القديس أندراوس الى كنيسة كريت ، وذخيرة مار سابا الى كنيسة القدس ، وذخيرة القديس مرقص الى كنيسة الاسكندرية ، وانشىء معهد طنطور المسكونى فى القدس ، وخصص للدراسات التى تدعو الى وحدة الكنائس النصرانية فى كنيسة واحدة ، ثم كانت رحلة البابا يوحنا بولس الثانى ١٩٧٩ الى تركيا ، والتقاؤه بالبطريرك المسكونى ديمتريوس الأول حيث صدر بيان مشترك لازالة جميع العقبات لتحقيق وحدة الكنيسة النصرانية .

التخطيط والعمل :

من خلال هذه الالتقاءات دبرت الخطط لمقاومة الاسلام، والعمل على كسر شوكته بهدف زعزعة عقيدة الشعوب الاسلامية بالتشكيك والتنصير ، وتركزت أعمالهم على الأقليات الاسلامية ومجمعات اللاجئين ، واستغلال أوساط البؤس والحرمان ، واستغلال الحاجات الناتجة عن عدم الاستقرار .

وقد ابتكرت طرق مستحدثة لهذا الغرض منها طبع الملايين من الكتب وتوزيع المنشورات المشحونة بالعداء والبغضاء والافتراء على الاسلام والمسلمين ، وتزييف الآيات القرآنية والأحاديث النبوية أو تفسيرها تفسيرا خاطئا يتفق وخططها وتحريفها واخراجها عن معانيها الصحيحة .

كما لجأت هذه المنظمات الى طبع أشرطة كاسيت تسجل عليها تلاوات شبيهة بتلاوة القرآن الكريم فى المضمون معادية له ناسخة لتعاليمه ، كما أنشئت اذاعات خاصة تروج هذه الافكار فى مونت كارلو وصوت الغفران ومركز النهضة .

وقد جرى عمل مسابقات عن طريق المراسلة مع رصد الجوائز المادية والفنية ولوحات مكتوب عليها عبارات منقولة من الأناجيل ، ونتائج حائط ، وحافظات نقود .

ومن أخطر هذه الأعمال القيام بمراسلة المسلمين عن طريق صناديق البريد وذلك بالحصول على عناوين المسلمين من أدلة الهاتف أو أدلة الشركات التجارية ، وازعاجهم بارسال نشرات مسمومة ، بل لقد تكشف أن هناك تسللا متصلا الى المجتمعات الاسلامية خفية حيث وجدت خلايا سرية لبث السموم والأفكار النصرانية فى بعض العواصم العربية .

وقد تكشف فى الفترة الأخيرة أن هناك مركزا لمنظمة دولية فى بازل بسويسرا وأن المنظمة فروعا فى المانيا والنمسا ولبنان ، هى منظمة الشبيبة النصرانية التى ظهرت الى حيز الوجود قبل السبعينات أسسها (فالتر فالشرمان) الألمانى الجنسية ، وتمكن فالتر من جمع الأموال من الأعضاء العاملين فى الارساليات ومن بعض المؤيدين فى سويسرا والنمسا والمانيا ، وقد قامت المنظمة

بانشـــاء مركز لطبع الكتب النصرانية المعادية للاسلام والمسلمين ولا يزال الفرع اللبناني يواصل نشاطه وعمله التخريبي بقيادة القسيس سليم يعقوب وزملائه في مدرسة تمبرلونا وقد جند الطبيب السويسري الذي ضبطت خليته بالعاصمة السودانية عام ١٩٧٩ وقد ضبطت عند مداهمة هـذا المركز ٢٠٠ الف كتـاب من الكتب المعـادية للاسلام والداعية الى الـردة ، كما ضبطت كميات من الأشرطة التي سجلت عليها أحاديث مناوئة للاسلام ، الى جانب أجهزة متقدمة للتسجيل والطباعة وقد حملت هذه الكتب المضبوطة كهجوما على النبي الكريم صلى الله عليه وسلم وتلاوات قرآنية محرفة ، وكانت المنظمة قد أودعت أموالا طائلة في البنـوك السودانية بالعملات الصعبة لخدمة هذه الأعمال .

وقد جاء هذا التحرك في اطـار المؤتمر الذي عقد في أمريكا (في ولاية كولورادو بأمريكا) تحت اسم « العمل على اكتشاف وتحديد المسئوليات (النصرانية) في أمريكا الشمالية تجاه تنصير المسلمين » وهو امتداد لمؤتمرات أخرى عقدت لهذا الغرض في لوزان عام ١٩٧٤ تحت اسم « تنصير شعوب العالم » وقد عمـد هذا المؤتمر الأمريكي الأخير الى تقديم استراتيجية جديدة للعمل في مواجهة المـد الاسلامي ، وذلك بأن يكون الهجوم على الاسلام مستمدا من القرآن نفسه ، كمـا اتفق على انهاء الجو المتشدد مع المسلمين وايجاد جـو ودي يمكن من النفوذ الى قلوب المسلمين .. وقد جـاء في توصيات المؤتمر تحت عنوان « التنصـيـر » .

« يجب بذل الاهتمام الكافي والتركيز بقوة على زرع جاليات نصرانية في قلب العـالم الاسلامي ، وهـم سيحاولون بدورهم تطوير وايجاد وسـائل منهجية جديدة أكثر ملائمة عند تقديم الانجيل للمسلمين ، ويجب الاهتمام الشـديد باستخدام الآيات القرآنية ذات الصـلة بهذه الموضوعات ، وخاصة في المراحل الأولى لعملية التنصير .

وقـالت التوصية : تزداد يوما بعد يوم فاعلية الدور الحيوي الذي تؤديه الاتصالات الفعالة الميسورة لنشر النصرانية وتدريسها ، وستكون مراكز الأبحاث مخولة لاعداد ابحاث موسعة من خـلال التركيز على شرائح وعينات من العالم الاسلامي ، وكذلك يكون من واجبها اعداد المـواد اللازمة الغرض نفسه ، على ان يكـون ذلك من خـلال قناتين :

(**الأولى**) **بالنسبة للمتعلمين** : وذلك يربط المشاعر بالانجيل والقصص التي وردت فيه تسهيلا لتداول تلك القصص وتيسيرا لنشر الانجيل .

(**الثانية**) **بالنسبة للنساء والأطفال** : وذلك بتوجيه العمل من خـلال النساء اللاتي يعملن كقيادات دينية أو قيادات في الجاليات وتقديم البدائل النصرانية لـكي تحل محل تلك التأثيرات التي تقتحم على المـرأة حريتها في المجتمع المسـلم .

كمـا اقترحت التوصيات : بنـاء وزرع الكنائس التي تهتم بالمتنصرين واعداد الترتيبات الخاصة بهـم والشعائر الدينية ، كمـا اشار المؤتمر الى ضرورة اقتحام تجمعات المسلمين في أمريكا الشمالية .

القيـادة العـامة :

ومن ناحية أخرى فـان الفاتيكان (وهو القـوة الأولى العاملة في مجـال التنصير في الوقت الحاضر) بالاشتراك مع الهيئات البروتستانتية والانجيلية وغيرها يشرف على اكثر من مليون من رجـال الدين الكاثوليك الموزعين على العالم كله بالاضافة الى مئات الألوف من دور الحضانة وريـاض الأطفـال والمدارس الابتدائية والثانوية والمعاهد العليـا والجامعات (سواء العلمانية منها أو الخاصة باعـداد المبشرين والرهبان) وتقدر ميزانية الفاتيكان السنوية بألف مليون دولار توضع تحت تصرف البابا مباشرة .

وليس الفاتيكان وحـده هو الذي يقـدم ملايين الجنيهات في انحاء افريقيا وجنوب شرق آسيا تحت اسم « **خطة اعادة هذه المجموعات الى الصليب** » خـلال عشرين عاما ، ولكن مختلف النحـل النصرانية تدرج مبالغ ضخمة في ميزانياتها لتحقيق هذا الهدف باسـم البحوث العلمية تارة والمساعدات الاجتماعية اخـرى وبالرغم من اختلاف جنسيات بعثات التنصير ، الا انها تتفق على الهدف والتنافس فيما بينها لتحويل اكبر عدد ممكن من المسلمين الى النصرانية ، وهذه الجماعات كلها مدعومة من المجلس العالمي للكنائس والبابوية في روما ، وتقـوم أعمالها — ظـاهرا — على التطبيب والتعليم ومساعدة الفقراء .

وهي تعتمد اساسـا على المساعدات الطبيـة والصحية في بنـاء المستشفيات والمستوصفات لمساعدة المرضى من المسلمين وصرف الدواء وعـلاج الأطفال والنساء ، ومن ثم تبدأ بالاندساس بين المسلمين في حالة الضعف والحاجة ، وفي مساعدات اجتماعية هدفها الظاهر انساني والحقيقي تنصيري .

وهنـاك مشروعات نوادي الشباب ورعايتهم ، وذلك عن طريق تقديم السـم على شكل قصص وكتب ونشرات تروج لأفكار التحلل من الولاء الاسلامي أولا ثم التشكيك في مبادىء الاسلام وقيمه ، ثم الترويج لأفكار

النصرانية والتنصر ، بالاضافة الى المدارس ورياض الأطفال ، وتدرجا الى المعاهد والجامعات ومراكز البحوث وقد أصدرت هيئة التنصير العالمية عددا من المؤلفات على كل مسلم ان يعرفها ويحمى منها شباب الاسلام ، ومنها ميزان الحق وتنوير الافهام فى مصادر الاسلام ، والباكورة الشهية فى الروايات الدينية ، ودعوة الحق ، وأصول الايمان ، وكتاب الصليب فى الانجيل والقرآن ، وكتاب دين المسيح لم ينسخ وكتاب شخصية المسيح فى الانجيل والقرآن .

وقد ترجمت هذه الكتب الى اللغات الأجنبية كالانجليزية ، ككتاب ميزان الحق الذى ألفه الدكتور فاندر أوصله بالفارسية وطبع عام ١٨٣٥ وقد تصدى الشيخ رحمة الله الهندى — رحمه الله — للرد على كتاب ميزان الحق فى كتاب اظهار الحق . الذى طبع فى الهند أولا ثم فى مكة المكرمة ، بعد مناظرات علنيه بينه وبين المؤلف فاندر لم يصمد فيها المبشر وهرب من الهند .

ولا ريب أن كتاب المسلمين مدعوون الى دحض الشبهات والأباطيل التى تقدمها هذه الكتب للناس .

ومازال تصدر فى البلاد العربية مؤلفات تبشيرية بين الحين والحين منها كتاب مبادىء الحرب الروحية تأليف يعقوب ويلسون وتعريب وليم غطاس ، وهو كتاب يطفح بالحقد والتعصب ، ليس ضد المسلمين العرب بل ضد كل ضمير حى فى العالم فهى دعوة الى تبليغ الانجيل بالقوة وتكشف الكتابات على ارتباط وثيق بالصهيونية من جهة والشيوعية من جهة أخرى .

* * *

واذا ألقينا نظرة فى خفية فاننا نجد أن مواقع كثيرة فى العالم الاسلامى اليوم تواجه هذه الحملات المنظمة فقد أشارت مجلة « ذا تشارش هرلد » الى مقال بقلم الأب الروحى جون بيوتن (١٩٧٩/٩/٢١) يتحدث عن التبشير فى منطقة الخليج العربى فيشير الى نشاط واسع فى عمان (مسقط ، مطرح ، روى) وفى الكويت وفى البحرين ، ويرجع الى التاريخ القديم منذ تسعين عاما عندما قدم المبشر « زويمر » الى هذه المنطقة فواجهته القوى الاسلامية بكل عنف فلم يجد مجالا لنشر دعوته .

وفى افريقيا نجد صورة أخرى فازاء انتشار الاسلام فى القارة ، واعتناق الوثنيين له باعتباره الدين المرتبط بالحرية والكرامة ، نجد المحاولات المبذولة فى سبيل التنصير ، وانفاق الملايين لبناء الكنائس الضخمة ، وهناك محاولة ايقاف انتشار الاسلام فى ربوع القارة السوداء حيث رسم الاستعمار خطا دفاعيا ضد الاسلام يمتد من البحر الأحمر الى المحيط الأطلسى حيث تبدأ بارتريا (الشعب المسلم الذى قدمته أمريكا هدية للحبشة) ثم الحبشة وجنوب السودان وأوغندا وتشاد والنيجر وينتهى فى نيجيريا التى خطط الاستعمار بشطرها الى شطرين بنيجريا وبيافرا وقد فشل مخطط الاستعمار وتصدع حتى قال أحدهم :

« ان عمامة بيضاء فى القارة السوداء أخطر علينا من الف قنبلة ذرية » وقد أشار الدكتور عمر فروخ الى ما تفعله البعثات التبشيرية فى افريقيا :

توقع البعثات التبشيرية فى السنغال (مثلا) مع عدد من الاسر السنغالية الفقيرة عقودا تقدم بموجبها تلك البعثات التبشيرية الى الأسر السنغالية مساعدات عينية ضئيلة ، من أرز مثلا فى كل شهر على أن يكون لها حق اختيار طفل من أطفال الأسرة تربيه على حسابها ، ويكون فى العقد مادة تنص على أن الأسرة مجبرة على رد ثمن المساعدات وعلى دفع نفقات ابنها ونفقات تعليمه اذا هى خالفت شروط العقد (بطلب استرداد ابنها مثلا) .

وتختار البعثة التبشيرية من أطفال تلك الأسرة صبيا دون الخامسة من العمر ترسله الى مدرسة تبشيرية طبعا وينقطع الصبى عن أهله وينشأ نشأة نصرانية ثم يرسل الى فرنسا لاتمام تعليمه العالى ، بعدئذ يعاد الى السنغال ليستخدم فى الأغراض التى توافق هوى فرنسا ، وحينما يعود الصبى السنغالى الذى أصبح رجلا نصرانيا فرنسيا الى السنغال يعطى حق المواطن الفرنسى فى المستعمرات من حيث المستوى الاجتماعى والوظائف .

مثال ذلك كلمة سانجور معناها سان جورج (القديس جورج) رئيس الجمهورية السابق نصرانى ولكن أبويه وأخوته مسلمون) .

وقد كثر المرتدون فى افريقيا وقد عملوا بارادة المستعمر فيهم وكانوا عيونا لهم وأيادى فى وطنهم .

وفى القسم الجنوبى من السودان ، وقد كان معظم أهله من الوثنيين البدائيين ، فقد ترك للمبشرين الكاثوليك أو البروتستانت يقومون فيه بالتعليم أو بالتبشير تحت ستار التعليم ومنذ عام ١٩٢٦ جعلت الحكومة الانجليزية المنتدبة على السودان تعطى المبشرين اعانة من ميزانية السودان مساعدة لهم على التعليم .

كذلك حمل ملوك الحبشة النصارى فى القرن التاسع عشر المسلمين الأحباش بالقوة على اعتناق النصرانية أو مغادرة الحبشة ، وفى آخر الأمر سمحت

الحكومة الحبشية للولايات المتحدة الامريكية بانشاء محطة اذاعة تبشيرية فى أديس أبابا اسمها صوت الانجيل . وأضاف الاستعمار الامريكى البريطانى أرتيريا الى الحبشة واخضعها للأسرة النصرانية الحاكمة. واتخذت الجمعيات التبشيرية فى (أوغندا والكونغو) قرارا بتنمية اللهجات المحلية واللغة الانجليزية واقامة كافة العراقيل فى وجه نشر اللغة العربية وعملت على عدم استخدام اللغـة العربية فى الجنوب السودانى اذ أنها ستفتح الباب أمام انتشار الاسلام وتعريب الجنوب كما منعت صنع الملابس العربية وارتدائهـا .

كما تقرر الحـد من هجرة التجار الشماليين ومنعهم من التواجد فى جنوب السودان وبعد خمسة عشر عاما من الصراع بين الحكومة والأقلية النصرانية ومن ورائها الدول المستعمرة والكنيسة تحقق الانتصار الكامل للقوى الكنيسة المدعومة حاليا بتوقيع اتفاقية جنـوب السـودان (اتفـاقية اديس ابابـا ١٩٧٣) التى تحظـر أى نشـاط اسـلامى الدعـاة المسلمين فى الاقليم الجنوبى وتعترف بالقوات المتمردة كقوات نظامية وأن تكون اللغة الانجليزية هى اللغة الرسمية الوحيدة فى الاقليم الجنوبى .

وفى العـام الماضى زار البابا يوحنا بولس الثانى أفريقيا « زار زائـير والكونغو وكينيا وغانا وفولتـا العليـا » على حـد تعبير المعلق على الزيارة ، « على قـرع الطبول ، وعـاد علىقـرع الصلبان » وقالت التعليقات أن سعى الفاتيكان كان الحـد من انقراض النصرانية فى افريقيا ، وان الخطـر الحقيقى يأتى من الاسـلام والدعـاة المسلمون يستغلون كل المعطيات (حقيقة أو مصطنعة) للوصول الى وجدان الشخص الافريقى ، وهـم يحاولون تصوير النصرانية على أنها دين الجبابرة الذن لا يأخذون المسحوقين بعين الاعتبار بل انهـم هـم انفسهم السبب الحقيقى فى وجـود هذا الانسحاق .

وتملك الكنيسة الكاثوليكية حسب احصائية ١٩٧٦ مليونا ونصف مليون كنيسة فى جنوب افريقيا ، وهناك من الفـرق كالادفنتست من تملك عشـر طـائرات ارسالية تنقل الأطباء والأدوية والممرضات لعلاج المرضى فى الأحراش ، كما انشئت ١٥ مستشفى بلغ عدد الأسرة فيها (١٧٧٦) و ١٠٩ عيادة ومخزن أدوية ، ونجد راديو اذاعات الانجيل فى الحبشة يغطى كافة افريقيا والسواحل المجـاورة بكل اللغات واللهجات التى تنطق بهـا هذه المناطق ، والظاهرة الخطـيرة أن وراء المبشرين تكمن ظاهرة التجسس وأن احـد الآباء (الأب سميث) رفع تقـريرا عن زيارته لافريقيا ذكر فيـه أن ١٥٠٠ من الجواسيس فى افريقيا الآن وان الثلث من هؤلاء السود الذين هم فى أطراد يتولون الأعمال المصيرية الهـامة .

ويشير تقرير سنوى أنه بعد ان تحررت افريقيا من قبضة المستعمرين الأوربيين فانها تحكم الآن بواسطة المثقفين المنتمين الى قبائل الأقلية الصغيرة الذين تلقـوا تعليمهم فى الغرب والذين هم من نتاج المدارس التبشيرية النصرانية والمدارس اللاهوتية هؤلاء هـم الحكام غير المسلمين للأراضى الاسلامية فى افريقيا .

وفى اطـار مخططات التنصير العالمية تأتى مؤامرة جنوب شرق آسيا ، حيث يوجد الآن عشرون الف مبشر يملكون امكانيات ضخمة فى الحركة والانتقال ، فضلا عن اهتمامهم البالغ بانشاء المدارس والمستشفيات لجـذب الأهـالى واغرائهم وهكذا يواجه المسلمون فى أرخبيل الملايو (١٢٠ مليون مسلم) أخطر عملية تنصير ويتسلل العمل التنصيرى الى صفوف المسلمين تحت شعار : (من الكنيسة الى المجتمعات) ، وقد وضع هذا المخطط ثلاثة آلاف قسيس وسبعة آلاف متطوع من جنسيات اوربية مختلفة من خـلال عشرة آلاف كنيسة ، حيث يسيطر القساوسة والمبشرون على ادارات بعض الجمعيـات والمعاهد الزراعية والمستشفيات الكبرى ودور الأيتام ، بالاضافة الى وسائل الاعلام وهـم يملكون أهم الصحف الكبرى وبعضها يوزع أكثر من مائة وخمسين الف نسخة يوميـا .

وتتخذ حركة التنصير فى اندونيسيا نفس الأساليب التى تتبع فى افريقيا ، وهى الاتصال بالأسر التى تضـم عددا كبيرا من الأطفال فيعرضون عليهم احتضان طفل أو طفلين ، بحجـة مساعدتهم ، وهم بدورهم يتولون تربية هؤلاء الأطفـال وتعليمهم والانفاق عليهم مع اعطـاء مساعدات مالية لهذه الأسر ويتركون للمدارس النصرانية احتضان هؤلاء الأطفال وحثهم على التنصر ليشبوا وقد تشبعوا بالنصرانية واعتنقوها دون ادنى مقـاومة أو اختيـار .

وفى أندونيسيا عدد كبير من المدارس والجامعات يشرف عليها ويديرها نصارى على مستوى كبـير من الثقافة ، ومن وراء ذلك كله قـوى التنصير العالمية التى تخطط لمحـو الاسلام من أرخبيل الملايـو .

والخطر الثانى الذى يتهدد المسلمين فى اندونيسيا انتشـار المذهب الباطنى الذى لا يؤمن بالقرآن ولا بالرسـول محمد صلى الله عليه وسلم وقد جرت محاولات لادراج الباطنية كدين بين الأديان لتقليل نسبة المسلمين فى أندونيسيا حيث يوجد اكثر من ٤٠ مليون مسـلم ليسوا على مستوى جيد فى فهـم الاسـلام ، ومن ثم

يكون من السهل جذبهم الى المذاهب الباطنية أو الى النصرانية (من بحث للاستاذ على مختار الأمين) .

الحـــوار

وفى كل موقع من أرض المسلمين تعمل حـركة التنصير العالمية وفق مخطط مدروس ، وقد كانت قصة الحوار بين النصرانية والاسلام من المداخل الخطيرة التى اخذت تتحرك من خلالها فى المنطقة العربية فى السنوات الأخيرة ، وقد قـــرر الدكتور عمر فروخ أن محاولة الحوار تقوم على جمع نفـــر من المثقفين ذوى الكلمة المسموعة فى قـــومهم ، على مناقشات علنية لا تمت بظاهرها الى (التبشير) وان كانت غايتها الحقيقية زعزعة العقـــائد بجـــر الناس الى القـــول والرد ثم النقاد من خـــلال الأخطاء والجمل المتشابهة الى التأثير على ذوى النفوس الضـــعيفة .

وقد بدأت دعوة « الحـــوار » ١٩٦٢ بناء على توجيـــه من الكنيسة الكاثوليكية بين النصارى وغـــير النصارى وغاية الحوار هى زعزعة العقائد على السنة اشخاص معروفين فى قومهم ، والحوار كالمعاهدات يظفر بالغنائم فيها من كان أقوى يدا وارفع صوتا وقد ادرك المخلصون أن الحـــوار هو وسيلة جـــديدة من وسائل التبشير الدينى والسياسى معـــا وكان المجمع المسكونى الثانى (١٩٦٦) قد قـــرر اعداد رجـــال دين عندهم استعداد للحوار ، رجـــال دين يعرفون كيف يصغون الى الآخرين وكيف يفتحون قلوبهم لجميع حاجات النفس الانسانية كما يسمونهم : « رجـــال دين من طبعهم ان يوقظوا الاهتمـــام فى النفوس ويكونوا معلمين للايمان النصرانى » .

أما ظاهرة تنظيم الأسرة فترمى الى تقليل الانجاب بحجة ان ذلك سيزيد عـــدد الجائعين والعـــراة والمرضى والفقراء ، بينما تعطى الجوائز السخية للأسر النصرانية الغربية والشرقية لتشجيع زيادة النســـل ومع ازدياد الهجرة اليهودية الى أرض فلسطين المحتلة ، كل هذا من باب التآمر على النســـل الاسلامى ، وقد كتبت أبحاث عديدة فى كشف زيف هاتين الدعويين وفساد وجهتهما .

ويمكن أن يضـــاف الى ذلك فى باب الدراســـة التحليلية لمؤامرة التنصير العالمية مجموعة من الحقائق :

أولا : ان الصهيونية العالمية من وراء خطط التنصير كما انهـــا من وراء خطط الماركسية بهدف تمزيق وجهة العالم الاسلامى والنيل منه ، والتأثير على مفهوم الاسلام ووجهته الحقيقية ، والمعروف أن الصهيونية قد احتوت مخططات النصرانية منذ وقت بعيـــد .

ثانيا : أن القوى النصرانية تعلم حق العـــلم أن مخططاتها كلها منهارة ولكنها تواصل عملها دون يأس ، ليس أمـــلا فى ادخال المسلمين فى النصرانية ولكن بهدف اخراجهم من الاســـلام .

ثالثا : ان الصحوة الاسلامية التى تواجه العالم الغربى اليوم بمحاذير مختلفة تجد من القوى الاستعمارية محاولات متعددة لاحتوائها ، ومن بينهـــا ذلك المخطط الجديد الذى يرمى الى تنصير المسلمين فى مختلف أنحاء العـــــالم .

ولمـــا كانت خطط التنصير لا تهتدى الى الحق ولا تريد وجـــه الله فانه لابد أن تواجه هزيمة تكشف زيفها ومن ذلك جماعة القساوسة الذين أسلموا فى السودان وكان اسلامهم مصدرا لدخول ٤٠ شخصا ـــ من الذين سبق ادخالهم الى المسيحية ـــ الى الاسلام بينما ينتظر مائتـــا شخص آخـــر لاشهار اسلامهم .

يقول القس جيمس (الذى أصبح نجيب سليمان) اننى من ابنـــاء قرية كدرو غرب مدينة كادو قلى باقليم كردفان أكملت تعليمى ثم توجهت الى الخـــرطوم حيث يعيش شقيقى الأكبر ، ولمـــا عجزت عن دفع مصروفات المدارس الحكومية هدانى تفكيرى للذهاب الى مدارس النصارى حيث اعتادت تلك المدارس تعليم ابناء المسلمين والنصارى على الســـواء ووفروا لى العـــلم والسكن والملبس ، وواصلت المسيرة ونلت شهادة اكسفورد فى الاقتصاد ، وفى نفس الوقت تعمقت فى دراسة اللاهوت واصبحت قسيسا ، وخـــلال الفترة التالية كنت أقـــوم بالتبشير حـــول الخرطوم لجذب الفقراء والمحتاجين الى النصرانية ، وكانت الحكومات والجماعات تغدق علينا المـــال للقيام بهذه الرسالة الى أن جـــاء يوم اختلفت فيه مع كبير القساوسة فى مسائل روحانية ومادية ، وكانت هناك بعثـــة من الكنيسة الرسولية من كنـــدا وأمريكا الشمالية علمت بالخلاف فاتصلوا بى واعلمونى بمبادئهم وسافرت معهم الى الولايات المتحدة وكندا وعدت لأكون كبير القسس للكنيسة الرسولية بالسودان وصرت أجذب اليها معظم الذين أدخلتهم الى الكنيسة الكاثوليكية واستطعت أن أدخـــل الى النصرانية حوالى ١٤ ألف شخص من المسلمين والنصارى واللادينيين .

وفى السنوات الأخـــيرة راودتنى بعض الشكوك والتساؤلات عن كينونة هذه النصرانية التى لهـــا أربعة أناجيل أو خمسة ، من أين جاءت هذه الأناجيل ، ولماذا تختلف كلها فى النقطة الواحدة ، وهـــل يعقل أن يكون المسيح عليه السلام قد قال كلاما متعارضا لمجموعات مختلفة وهو الرسول من عند الله ؟

وهكذا أصبحت حياتي هواجس وذهبت الى اخواني ونوابي الأحد عشر رؤساء المراكز التبشيرية حول العاصمة الخرطوم أبثهم مافي نفسي من شكوك وكانت النتيجة انهم دخلوا معي في تلك الشكوك ، ولم نجد لها حلا واخيرا قررنا قراءة القرآن الكريم لنرى ماهي رسالة محمد عليه الصلاة والسلام ، وقرأنا القرآن فوجدنا فيه خلاف ماهو عندنا في الأناجيل فزادت شكوكنا ، واخيرا قررنا التقدم بتسعة عشر سؤالا الى الملحق التعليمي السعودي بالخرطوم ، تتضمن عددا من القضايا في الاسلام والنصرانية لم تتضح صورتها في أذهاننا وتعارضت وتضاربت الأقوال بشأنها ، مثل صلب وموت وقيام السيد المسيح وما جاء في شأنها في الأناجيل الأربعة وفي القرآن الكريم وقضية العذراء والتثليث في النصرانية وكذلك أسباب تحريم لحم الخنزير وشرب الخمر وحياة محمد عليه الصلاة والسلام ونسخ الآيات القرآنية وتعدد المذاهب والطوائف .

واستمر الحوار على مدى ستة أيام وفي ختام الحوار اتضحت لنا الصورة أنا وزملائي القسس وتعرفنا على الحقيقة وهدانا الله الى نور الاسلام ، وغيرنا أسماءنا وعدنا الى السودان ربدأنا الدعوة اليه في مناطقنا السابقة ونحمد الله أن عاد الى الاسلام اربعون شخصا وينتظر آخرون اشهار اسلامهم واكثر من مائتين للحوار والمناقشة استعدادا للدخول في الدين وعند الله المزيد .

وهكذا يتكشف التآمر على الاسلام وتنطلق موجات جديدة من الضوء من هذه الدائرة المظلمة ، وصدق الله العظيم « **ان الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله ، فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون** » الأنفال : ٣٦ .

وسوف تتحطم هذه المؤامرة على صخرة الاسلام العاتية وسيكشف الحق تبارك وتعالى نوره للعالمين ، وسيظهر دينه على الدين كله ولو كره الكافرون .

١ — لم يمكن الله أعداءه من المسيح عليه السلام في محاولة قتله وصلبه ، « وما قتلوه وما صلبوه ، ولكن شبه لهم » النساء .

ولكن النصارى آمنوا بظاهر الحادث وهو صلب الشبيه ثم جاء هذا الجهاز الكنسي برئاسة يوحنا بولس الثاني ، ليمتص العداء المتبادل بين الكنائس والمذاهب النصرانية من جانب ثم ، بين النصارى واليهود من جانب آخر ، ليواجهوا حركة المد الاسلامي متعاونين . بينما تجرى محاولة تمويه هذه الحركات بما يسمى الحوار الاسلامي المسيحي .

٢ — الا أن هناك مخططا حديثا يهدف الى تفتيت المسلمين وابادتهم بالجملة عن طريق التجويع باستغلال مواسم الجفاف في مناطق مختلفة من القارة ، واستغلال عزلة الدول الاسلامية الغنية عن أبناء دينهم في القارة ، والاجهاز على أي حاكم يعارض المخطط الصليبي الاستعماري ، حيث يطيح به انقلاب دموي لا بأس من أن يبيد في وجهه الملايين المسلمة الفقيرة ، ثم يأتي الغوث باسم الامم المتحدة ، في ثوب معونة أطعمة واكسية ، يوزعها المبشرون ودعاة النصرانية الذين يلبسون ملابس الاطباء والباحثين الدوليين التابعين لوكالة الغوث التي يرأسها .. ؟؟ انما خان المسلم اسما ولا حول ولا قوة الا بالله .

٣ — طائفة مسيحية تؤمن بعودة المسيح في المستقبل ، ومعنى ادفنتست — مستقبلون ، وسبتيه لانهم يعتقدون العودة يوم السبت .

٤ — والاسلام واضح ليس قسمة بين باطن وظاهر ، وكل نحلة تخرج الاسلام عن حقيقته فهي باطلة كالقاديانية والأحمدية والبهائية والقرامطة .. الخ .

(٢)

حقائق جديدة عن التبشير

قدم الدكتور عبد الجليل شلبي حقائق جديدة عن التبشير فأشار الى انه عقد في الكويت مؤتمر ضم ١٥٠ من علماء المسلمين (في ٢٨ دولة) لمناقشة اوضاع المسلمين الفقراء في مختلف دول العالم ، وقد عرضت على المؤتمر تقارير تفيد أن أعدادا كبيرة من المسلمين في الدول الفقيرة يتركون دينهم ويتجهون الى ديانات أخرى تحت تأثير الاغراء المالي الذي تقدمه البعثات التبشيرية المختلفة وذكر أن هذه البعثات انفقت حوالي مليار دولار لهذا الغرض وذكر أن ٣ ملايين اندونيسي قد تحولوا عن الاسلام وأن ٢٥٠ الفا في دول افريقيا قد تحولوا كذلك .

كما ظهرت احصائيات تبين أن مليار دولار تنفقها بعثات التبشير لتحول فقراء المسلمين عن دينهم ، وان ١٥ جماعة مسيحية في الشرق غير الجماعات السرية تعمل على تنصير المسلمين في الدول الأوربية والدول

الاسلامية نفسها وقد قتل المبشرون فى يوم واحد (٤٥٠٠) شخص فى أندونيسيا لانهم رفضوا الدخول فى المسيحية .

وقد تطورت وسائل التبشير فنشأت جماعة الكرمل (ناجى الكرمل عمدة التبشير والاستشراق) وجمعيات الاخوة وبدأ المبشرون يدرسون اللغة العربية وأوضاع الدول وتقاليدها وعاداتها وجماعة النبى (دبكت) وهناك خمس عشرة جماعة فى الشرق الأوسط وقد اتخذ المبشرون عام ١٩٧٨ عدة قرارات من أخطرها العمل على تنصير المسلمين الموجودين فى الدول الأوربية والدول الاسلامية نفسها ويستخدم المبشرون وسائل عديدة للضغط على الأفراد ومع ذلك فانه فى مقابل واحد يدخل المسيحية يدخل خمسة أفراد الاسلام .

وتوجد فى اندونيسيا المسلمة ٩٨١٩ كنيسة بروتستانية و ٣٨٩٧ قسيس ، و ٨٥٠٤ مبشر ، وهناك أيضا ٧٢٥٠ كنيسة كاثوليكية (٢٦٣ قسيس) ٥٣٩٣ مبشر وتقدم الهيئات التبشيرية خدمات ميدانية لثلاثمائة الف اندونيسى : ٤٣ مدرسة بها ٤٣٠٠ طالب ، ٦٠ كتابا سنويا ، طبع مئات الآلاف من الاناجيل ، صحيفات ، مطار ، أسطول سفن وطائرات .. الخ .

وأشارت الصحف الى انه عقد فى ١٩٧٨/١٠/١٥ بولاية كولورادو بأمريكا الشمالية مؤتمرا لتنصير المسلمين حيث قدم المؤتمر اربعين بحثا تناولت جوانب نظرية ودراسات ميدانية حول جميع اجزاء العالم الاسلامى دون استثناء بما فى ذلك الأقليات المسلمة فى أوربا وأمريكا وحضر المؤتمر ١٥٠ مشتركا يمثلون انشط العناصر التبشيرية فى الجامعات والكنائس والمؤسسات البروتستانية الأمريكية الأخرى ، وكان مؤتمرا مغلقا لم يسمح لغير المشتركين فيه بحضور اى جلسة من جلساته وقد قام كل المشتركين بقراءة البحوث جميعا وكتابة تعليقاتهم عليها مسبقا .

وفى سبيل نشر مخطط التبشير الغربى تقوم هذه المؤسسات على :

(أولا) : توجيه اذاعات باللغة العربية الى بلدان المغرب من فرنسا وأسبانيا وسويسرا والمانيا وغيرها .

(ثانيا) توجيه آلاف الرسائل البريدية باللغة العربية والفرنسية .

(ثالثا) اصدار مجلات متعددة ترسل الى مختلف البلاد الاسلامية يتضمن دروسا وآيات من الانجيل وقصصا ومحاورات ودراسات حول الكتاب المقدس .

(رابعا) : توجيه دعوات للاشتراك فى دراسة الكتاب المقدس بالمراسلة لنيل شهادة فى معرفة الانجيل .

(خامسا) اهداء نسخ فاخرة فى حجم كتاب الجيب واصغر الاناجيل يوحنا بالعربية والفرنسية .

(سادسا) اهداء البومات من ورق مزوق مقوى فى احد واجهتها آيات من الانجيل واشادة بالمسيحية .

(سابعا) اهداء لوحات فنية تجسد عقيدة التثليث .

كذلك أصدرت المطابع فى الغرب عددا من الكتب فى التبشير والتنصير منها كتاب عنوانه **(أشرك مسلما فى عقيدتك)** نشرته مطبعة مودى فى شيكاغو بالولايات المتحدة عام ١٩٧٥ ، مؤلف الكتاب مبشر عريق : (تشارلز ر. مارس) قضى خمسة وأربعين عاما فى مجتمعات اسلامية واستخدم كافة الوسائل فى تحقيق اهدافه التبشيرية ، مسرح أعماله فى دولتين : افريقيين : الجزائر وتشاد ، ركز فى الجزائر على البربر ، كما ركز على الفئات العرقية الصغيرة لاثارة القلاقل داخل الوطن الواحد ، مضمون الكتاب : كيفية الدخول فى جدل مع المسلمين عبر اجراء مقارنات بين القرآن والانجيل وبين المسيحية والاسلام ، خاصة فى النقط المتشابهة بينهما وذلك من طريق دراسة مبادىء الاسلام واللغة العربية ومعرفة الواقع الاجتماعى والظروف وهو يقدم النصح للمبشرين بضرورة تعلم اللغة العربية بدرجة تمكنهم من التعرف على الكلمات والمصطلحات التى تتردد بين المسلمين ومنها : (الخبز والصلاة والايمان ، الشرك ، الزنا ، القتل) فى محاولة اظهار المفارقات فى المعنى بين الديانتين وتشكيك المسلم فى المعنى الاسلامى ، والهدف هو تشكيك المسلم فى عقيدته وملء قلبه بالحرج والشبهات .

ولقد أخبرنى الشيخ يوسف البدرى انه اكتشف اثناء تواجده سنة (١٩٧٠ م ، ١٣٩١ هـ) بالجزائر ، مركزا من مراكز التبشير بفرنسا .. ومركزه مرسيليا ، بمقاطعة بروفنس ، ويقوم هذا المركز بارسال كتيبات مسلسلة ؛ شعارها : صوت النبوة ، نور لهذه الأيام (فوا دى تروفيت) ، (لوليت بورست جور) .

وتتناول هذه الكتيبات قصص الأنبياء ومن خلالها يتم الهجوم على تعاليم الاسلام ، ومعطيات القرآن الكريم ، مؤكدين على أن التوراة والانجيل لم يحرفا لفظا ، وانما تم التحريف فى شروح بعض الآباء .. وترسل هذه الكتيبات مقروءة .. مطبوعة ، أو مسموعة مسجلة على اسطوانات ، على عناوين شباب لا يعلمون سر اختيارهم ، وينتهى الكتيب بأسئلة ، ويطلب من القارىء الاجابة عنها وارسالها على صندوق البريد الخاص بمرسيليا ، ليحصل على جائزة مع ضمان وصول الكتاب التالى من السلسلة اليه ، وفيهما ينكرون اسماعيل ، ويؤكدون أن الذبيح اسحاق .. الخ .

كما أخبرنى أيضا ان الأب غوركى بأفغانستان نشر كتابا بعنوان : (الخبز والملح) بالفرنسية والعربية معـــا ، قص فيه قصة الشاب غفار المسلم وكيف ان المسيح تلبس تدينه لمـــا شاركهم الخبز والملح ثم يقص قصة الشاب المسح ، وبعدها يدعو أسرته والأقارب الى النصرانية . . وكان الرهبان الذين يحملون الجنسية الجزائرية يوزعونه فى حفلاتهم على ضيوفهم المسلمين من شباب الجزائر الذين يستضيفونهم فى الأديرة .

* * *

وأشار الدكتور نجيب الكيلانى الى تسخير عــلم النفس والاجتمـــاع والسياسة والاقتصاد والمنـــاهج الفلسفية والعلمية بصفة عامة فى التـــأثير على الرأى العام الاسلامى وذلك من خـــلال مسرحيات ومقالات ونصوص سينمائية تحمل فى طياتها الدعوة الى اعتناق النصرانية والتنفير من الاسلام وغيره من الديانات ومن أهـم ما يعمدون اليه التركيز على مناهج التربية والتعليم والتقليل من شـــأن اللغـــة العربية والاشادة باللغات الأجنبية ونشر المصطلحات والمناهج الغربية وتشجيع تعلم اللغات وتقديم المنح الدراسية والمساعدة للوصول الى المناصب العالية وفتح الآفاق أمام المخدوعين من الكتاب والنقـــاد والفنانين .

ولقد كانت (القصة) هى المجال الخصب للدعوات التنصيرية وفى مقدمتها قصة (دراكولا مصاص الدماء) بعد أن أهيل عليه التراب يرفع يده بالصليب ، وتصوير القساوسة والرهبان بصورة ملائكية فريدة ، فهـــم يخوضون الأخطــــار دون خـــوف ويقتحمون المشكلات ويحرص أبطـــال القصة على تلمس مشكلات المجتمع والاحتياجات الملحة للناس ، وفى نفس الوقت النيل من مختلف العقائد والديانات المنافسة واظهارها بمظهـــر الانحراف والجمود والدجـــل .

بينما يرسمون صورة عـــالم الدين الاسلامى فى أدبنا العربى بصورة فردية ، بخلاف رجل الدين فى الغرب الذى يرسم على أنه منـــاط الأمل والرجـــاء فى الدول المتخلفة والمتقدمة .

ويرمى (الأدب التنصيرى) الذى يشجعون على ترجمته الى اللغة العربية على :

١ — توهين عـــرى الالتقاء بين المسلم وتراث العقيدة والســـلوك . ٢ — التمهيد لمفاهيم غربية أشـــد التصاقا بالاتجاه الدينى والنصرانى .

ومما يؤدى الى التماس السلوك الغربى المنافى لعقيدتنا فى السهرات والاختلاط وحفلات الرقص وتجاهل العمل بالفرائض وتقبيل أيدى النساء والاختلاط غـــير المشروع بهن ، واعتبــــار المشروبات الكحولية أمـــرا متقبلا والاستهانة بالحلال والحرام والسخرية من الطهارة والالتزام الدينى والخلقى .

وتمجد احدى الصحف شاعرا لأنه انتحر ويعتبر ذلك قمة الرفض والصمود والثبات على المبدأ ، هـــذه المفاهيم تسربت الى حيـــاة المسلمين عبر الآداب الغربية والفنون الوافدة فهدمت الكثير من قيم مجتمعاتنا وتقاليدها . وهذا ما يريده المنصرون المنشقون معهم من رجـــال السياســـة .

* * *

ولايتوقف التبشير عن الاشارة الى مايسميه خطر الاسلام واثارة الرعب فى الغرب ليتخذ موقفا متشددا مع صحوة المسلمين ونهضتهم . فيقول المبشر الكاثوليكى (جيردنر) أن الاسلام يقف على أبوابنا من ســـاحل الشمال الافريقى ، يواجه أوربا بل يلامسها حقيقة على طرف المتوسط عند هـــرقل وفى القسطنطينية ، هـــذه الكتلة الصلبة من المحمديين الممتدة من افريقيا الشمالية الى غرب ووسط آسيا ، انهم كخابور ثابت لا يتخلخل ، يفصل الغرب المسيحى عن الوثنية أو الشرق المتخلف ، ولو أمكننا أن نحـــل مشاكلنا فى اليابان أو كوريا أو الصين أو منشوريا والهند فان هذا الخابور الضـــخم المعادى والغريب وغير المتعاطف قد يمزق الشرق والغرب المسيحيين الى نصفين فاصلا الشقين تماما وعـــازلا اياهما عن بعض .

ويعلق على هذا الأستاذ / عبد الفتاح الفاوى أحد كتاب الاسلام فيقول :

ان ماتفعله منظمات التبشير ليس لـــه الا معنى واحد هو أنه خوف من الاسلام ، فهم يعرفون ما الاسلام وما دعوته وكيف يجذب الناس اليه بدون دعـــاة أو مبشرين ومن ثم فهم يقاومون الاسلام ، ويحاربون الاسلام بهذا التبشير ولذلك فانهم لا يعنيهم الدخول فى المسيحية بقدر ما يعنيهم صد الناس عن الاسلام ، وان تجرانا وأردنا أن نصوغ لهم مبدأ فليس الا : لا تدخل الاسلام وكن على أى دين شئت ، ولذلك فانهم أكبر ما يحاولون اخراجهم من دينهم الى المسيحية . أن الغرب يستخدم فى التبشير والدعوة الى المسيحية كل امكانياته المادية والتكنولوجية ورصد لهذا العمل الميزانيات ، فى الجانب الآخر نجد الاسلام يقاوم هذا العمل لا بأعمال الدعاة من الحكومة الاسلامية ولكن الاسلام يقاوم ذلك بمبادئه وهيكله وقـــوامه .

* * *

الباب الرابع

إحياء الفرق والدعوات الهدامة

(أ) كان من اكبر أهداف التغريب والغزو الثقافى عن طريق مؤسستيه (التبشير والاستشراق) احياء الدعوات الهدامة القديمة والفرق القديمة ومن ثم ظهرت البهائية ، القاديانية (الاحمدية) الباطنية ، والماسونية وجددت فى الباطنية ممثلة فى الاسماعيلية والنصيرية نشاطها .

وكذلك كانت محاولة احياء الماضى الفرعونى والاغريقى والجاهلى وتمجيده وبعث الأساطير واعادة صياغة الوثنيات والفلسفات السريانية والمجوسية والباطنية واحياء عشتروت وزيوس وباخوس ، بهدف :

١ — هدم التصورات الاسلامية واخراجها عن مفاهيمها الأصيلة .

٢ — التشكيك فى المقولات الاسلامية ومحاولة اخضاعها للمفهوم الوثنى الماسونى القديم والحديث الذى يختلف عن مفهوم التوحيد الاسلامى .

٣ — التزييف والتلفيق المتعمد لهذه البطولات والمواقف واخضاعها الى مقاييس ومفاهيم العلوم الاجتماعية والفلسفية المادية .

وقد كان من الضرورى العمل على كشف المخططات الوافدة التى تعمل للقضاء على الشخصية الاسلامية بنشر الالحاد والانحلال الخلقى ومن ذلك دعوة تحديد النسل والاختلاط بين الجنسين والدعوة الى العامية واستبدال الحروف اللاتينية بالحروف العربية .

واغلب هذه الفرق تقول بالحلول وتؤول القرآن ، وقد كانوا خير عون للمستعمرين وقد استغلوا فى القديم والحديث ضد الجماعة الاسلامية يكيدون لهم ويفتكون بهم وقد استغل الاستعمار هذه الفرق وأمدها بالقوة حتى رفعت الباطنية رأسها ورأس أحد قادتهم (أغاخان) جميع مسلمى الهند وتكلم باسمهم وترى روح الاستعمار واضحة فى البهائية والبابية والقاديانية .

كما عمد التغريب والغزو الثقافى الى احياء الشعوبية القديمة بهدف هدم الاسلام من خلال انتقاص العرب واللغة العربية والبيان العربى ونشأت مدرسة شعوبية جديدة تهاجم كل ما هو عربى أو اسلامى .

وتعمل سرا وعلانية على افساد تراث المسلمين العربى الثقافى ، وبما يختلفون فيه من آراء ويدسوا من معتقدات وما يحدثوا من شبهات وقد وصف الامام ابن الجوزى (الباطنية) : بأنهم قوم تستروا بالاسلام ومالوا الى الرفض وعقائدهم وأعمالهم تباين الاسلام بالمرة ، ومحصول قولهم تعطيل الصانع وابطال النبوة والعبادات وانكارهم البعث وان كانوا لا يظهرون ذلك فى أول أمرهم .

(ب) وكان أبرز هذه الدعوات الهدامة المنطلقة من ايران والهند : البهائية والقاديانية . فالبهائية ظهرت فى ايران ، بدأ البهاء دعوته بأنه المهدى ، ثم ادعى الالوهية . قال إن جميع الديانات جاءت مقدمات لظهوره وانها ناقصة لا يكملها الا دينه وأنه هو المتصف بصفات الله ، وهو مصدر أفعال الله وان اسم الله الأعظم هو اسم له وانه هو المعنى برب العالمين وكما نسخ الاسلام الأديان التى سبقته تنسخ البهائية الاسلام .

وقد قام البهاء بتأويلات لآيات القرآن العظيم غاية فى الغرابة — والباطنية بتنزيلها على ماوافق دعوته الخبيثة وان له السلطة على تغيير أحكام الشرائع الالهية وأتى بعبادات مبتدعة يعبده بها أتباعه .

وقد تبين لعلماء المسلمين بشهادة النصوص الثابتة فساد عقيدة البهائيين الهدامة ، ولاسيما قيامها على أساس الوثنية البشرية فى دعوى الوهية البهاء وسلطته على تغيير شريعة الاسلام وخروج البهائية والبابية عن شريعة الاسلام واعتبارها حربا عليه وكفر اتباعهما كفرا بواحا سافرا لا تأويل فيه .

وقد تأكدت علاقة البهائية باليهود فى احتضانها لها فى حيفا منذ ظهور عباس البهاء وترويجها لها فى فلسطين المحتلة ، كما عقد مؤتمر البهائيين العالميين فى فلسطين المحتلة منذ سنوات وقد تبين أن البهائية وهى الاحياء للافكار الوثنية واليهودية القديمة والفارسية المجوسية توضع فى قالب جديد .

(ج) واصطنعت القوى الاستعمارية فى الهند (القاديانية) وفق مخطط مدروس يرمى — كما يقول الدكتور أحمد خليل — الى تأسيس طائفة جديدة تدعمها

نبوة جديدة منافسة لنبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، مما تعتبر كفرا بنصوص القرآن الصريحة ، وقد كان من اعمالهم دعوتهم الى نحلتهم باسم الاسلام مع بقائهم فى مجتمع المسلمين كأنهم جـزء منه وفتح باب المجادلة والمناظرة لأحداث صراع عنيف فى وسط المسلمين وجعل هذا الجدل موجها لأحداث خـلاف بين المسلمين .

وقد أعلن القاديانيون ولاءهم للمستعمر البريطانى واعتبروا ذلك جـزءا من ايمانهم ، ومن هنا اعتبرهم المستشرقون من الحركات الاسلامية الاصلاحية مـع النحو الذى ذهب اليه براون فى كتابه (طوالع الاسلام) الذى تابعه فيه بعض كتاب الاسلام البارزين الذين لم تتبين لهم الأغراض المسمومة التى تخفى وراء الدعويين المبطلتين وان الحركتين قد نشأتا فى احضان النفـوذ الاجنبى واستهدفتا ضرب الاسلام فى اعظـم قيمـه الأساسية وهى فريضة الجهاد وحاولت هاتان الفرقتان بث الفتنة وزعزعة العقائد واثارة الشبهات والشكوك واضعاف شوكة المسلمين وتثبيط عزائمهم فى مقاومة النفوذ الأجنبى والحيلولة بينهم وبين الكشف عن حقيقة عقيدتهم .

وقد حاول الاستعمار اعداد هذه الدعوات لتحمل لواء الولاء له قبـل خروجه من البلاد المحتلة ، ولكى تكون عاملا من عوامل تمزيق وحدة المسلمين والحيلولة دون قيامها ، ومن ثم مكنت بريطانيا للقاديانية فى الهند وخصصت لهم امارة تسمى الربوة داخل باكستان ، ومكنتهم من تسلم المناصب السياسية العليا فى الدولة والجيش فأصبحوا عاملا خطيرا فى مواجهة اهل السنة والجماعة وضرب مفهوم التوحيد الخالص .

وقد اشار غلام احمد القاديانى فى ختـام كتابه (شهادة القرآن) الى حقيقة موقفه فقال : لقد قضيت معظـم عمرى فى تأييد الحكومة الانجليزية ومؤازرتها والفت فى مفهوم الجهـاد ووجوب طاعة اولى الامر وقدمت فى ذلك من الكتب والنشرات ، او ضم بعضه الى بعض لـملأ خمسين خزانة **وقد عشت حياتى اجاهد بلسـانى وقلمى لأصرف قلوب المسلمين الى الاخلاص للحكومة الانجليزية وانادى بالغـاء فكرة الجهاد التى يدين بهـا معظم رجالهم .**

ولـما رأى القاديانيون ومن وراءهم فساد الدعوة وسقوطها . حاولوا استنقادها بظهور الدعوة الأحمدية التى تتخفف كثيرا من دعاوى غلام القاديانى تخففا ظاهرا خادعا ، وآية ذلك ان الترجمة التى قام بها الاحمدية (محمد على اللاهورى) مليئة بسموم القاديانية ومليئة بالتحريف والتشويه لمعـانى كتاب الله مـع استغلال تفسـير القرآن فى خدمة اغراضها ونواياها وتنفيـذ مؤامراتها الحاقدة على الاسـلام ومحاولة تشـكيك المسلمين فى عقيدتهم السمحة وهى تستهدف اساسا :

١ ــ قطع صلة هذه الامة بماضيها وخير ايامها وافضل رجالها .

٢ ــ فتح الباب امام الأدعياء ومدعى النبوة .

٣ ــ الخروج على النبوة المحمدية على صاحبها افضل الصلاة والسـلام .

٤ ــ خـلق روح اليأس فى نفوس المسلمين من ناحية مستقبلهم بما يدفعهم الى الاستسلام أمام خطط الحصار والاحتواء التى يقوم بهـا القوى الثـلاث : الغربية والماركسية والصهيونية .

والمعروف ان القاديانية بعد هلاك غـلام احمد انقسمت فرقتين . فرقة قـالت بنبوته وفرقة قـالت بولايته وللفريقين مآرب سياسية خطيرة وليست من فرق المسلمين .

وقد اشـار الدكتور محمد اقبـال الى أن القاديانية مؤامرة مدروسة ترمى الى تأسيس طائفة جديدة تدعمها نبوة جديدة منافسة لنبوة محمد صلى الله عليه وسلم .

وقد امتـد خط القاديانية بطابعهـا اللاهـورى ، الذى خدع كثيرا من الناس واتسع نطاقها واستفحل خطرها وخاصة فى باكستان نفسها ففزعت الأحـزاب والهيئات تطالب الحكومة بجعلها اقلية غـير اسلامية واصدر القضاء اكثر من حـكم بأن القاديانيين غـير مسلمين مع بطلان التزوج بينهم وبين المسلمين ثم جاء قـرار (٧ سبتمبر ١٩٧٤) من البرلمان الباكستانى حاسما قاضيا باعتبار جميع الفئات القاديانية : اقليات غير اسلامية (واعتبار اتباع الميرزا غلام احمد سواء اكانوا من فئة القاديانية او من فئة اللاهورية اقلية غير مسلمة بموجب الدستور ، وان اى رجل لا يؤمن بالنبوة المطلقة لمحمد صلى الله عليه وسلم وعلى أنه آخر الرسل او اى شخص يدعى النبوة فى اى معنى او شكل للنبوة وبأى تفسير لكلمة النبوة ليس بمسلم وأن من يؤمن بادعاء اى مدع للنبوة او يعتبره مجدداً دينيا يكون غير مسلم بموجب الدستور (القـانون) .

وتنتشر القاديانية فى افريقيا فى ٩ دول بمفهوم اعداء الاسلام ، واكبر مراكز القاديانية فى غانا (٢٢ مركزا ــ ١٦٥ مسجدا) ونيجيريا (٢١ مركزا ــ ٢٢ مسجدا) وسيراليون (٩ مراكز ــ ٤٤ مسجدا) وكينيا (١٩ مركزا ــ ٤ مساجد) وتنزانيا (١١ مركـزا) واوغندا (٥ مراكز ــ ٩ مساجد) .

وقد تحددت اخطار الدعويين على الوجه الآتى :

أولا : انكار ختام النبوة والرسالات بمحمد صلى الله عليه وسلم .

ثانيا : انكار فريضة الجهاد .

ثالثا : تأويل آيات القرآن الكريم على نحو مخالف لطبيعة الاسلام ولخدمة دعواهم .

رابعا : التحالف بين اليهودية والبهائية والقاديانية فى درب الدعاة المخلصين على مستوى العالم الاسلامى وتداحتلوا كثيرا من كراسى الدراسات الاسلامية فى الجامعات الغربية لبث آرائهم الفاسدة .

خامسا : الاعتقاد بالتناسخ .

(د) ولم يتوقف التغريب والغزو الثقافى عن بث الدعوات من داخل المجتمع الاسلامى بل اثار دعوات أخرى خارجية كان فى مقدمتها « الماسونية » التى تبين انها منظمة سرية تخفى تنظيمها تارة وتعلنه تارة بحسب ظروف الزمان والمكان ، ولكن مبادئها الحقيقية التى تقوم عليها هى سرية فى جميع الأحوال محجوب علمها حتى على اعضائها الخواص الذى يصلون بالتجارب العديدة الى مراتب عليا فيها ، وانها تبنى صلة أعضائها بعضهم ببعض فى جميع بقاع الأرض على اساس ظاهرى للتمويه وهو الاخاء الانسانى المزعوم بين جميع الداخلين فى تنظيمها دون تمييز بين مختلف العقائد والمذاهب ، وانها تجتذب الأشخاص اليها من يهمها ضمهم الى تنظيمها بطريق الاغراء بالمنفعة الشخصية على اساس ان كل أخ ماسونى مجند فى عون كل أخ ماسونى آخر فى اى بقعة من بقاع الارض يعينه فى حاجاته واهدافه ومشكلاته ويؤيده فى الاهداف اذا كان من ذوى الطموح السياسى على اساس معاونته فى الحق والباطل ظالما أو مظلوما ، وهذا أعظم اغراء تصطاد به الناس من مختلف المراكز الاجتماعية وتأخذ منهم اشتراكات مالية ذات بال ويقوم الاحتفال بانتساب عضو جديد اليها تحت مراسم وأشكال رمزية ارهابية لارهاب العضو اذا خالف تعليماتها وأن الأعضاء يتركون احرارا فى ممارسة عباداتهم الدينية ويستفيد من توجيههم وتكليفهم فى الحدود التى يصلحون لها ويبقون فى مراتب دنيا ، اما الملاحدة أو المستعدون للالحاد فترتقى مراتبهم تدريجيا فى ضوء التجارب والامتحانات المتكررة للعضو على حسب استعدادهم لخدمة مخططاتهم ومبادئها الخطيرة .

وقد تبين انها فى أصلها وأساس **تنظيمها يهودية الجذور ويهودية الادارة العليا** العالمية السرية وصهيونية النشاط وانها ذات أهداف سياسية ولها فى معظم الانقلابات السياسية والعسكرية والتغييرات الخطيرة ضلع واصابع ظاهرة أو خفية فى العالم .

وانها فى اهدافها الحقيقية السرية ضد الأديان جميعا لتهدمها بصورة عامة ، وتهدم الاسلام فى نفوس أبنائه بصورة خاصة ، وانها تحرص على اختيار المنتسبين اليها من ذوى المكانة المالية أو السياسية أو الاجتماعية او العلمية أو اية مكانة يمكن أن تستغل نفوذا لأصحابها فى مجتمعاتهم ولا يهمها انتساب من ليس لهم مكانة يمكن استغلالها .

وانها ذات فروع تأخذ أسماء أخرى تمويها وتحويلا للانظار لكى تستطيع ممارسة نشاطاتها تحت مختلف الأسماء اذا لقيت مقاومة لاسم الماسونية فى محيط ما وتلك الفروع المستورة بأسماء مختلفة من ابرزها منظمة الأسود (الليونز) والروتارى الى غير ذلك من المبادىء والنشاطات الخبيثة التى تتنافى تماما مع قواعد الاسلام وتناقضه مناقضة كلية ، وقد تبين العلماء بصورة واضحة ــ العلاقة الوثيقة للماسونية باليهودية الصهيونية العالمية والتى بها استطاعت ان تسيطر على نشاطات كثير من المسئولين فى البلاد العربية وغيرها فى موضوع قضية فلسطين وتحول بينهم وبين كثير من واجباتهم ، ولذلك ولكثير من المعلومات الأخرى التفصيلية عن نشاط الماسونية وخطورتها العظمى وتلبيساتها الخبيثة واهدافها الماكرة قرر المجمع الفقهى (لرابطة العالم الاسلامى) فى قرار له (نشرته جريدة الندوة فى ٥ ذى القعدة ١٤٠٥ هـ) اعتبار الماسونية من اخطر المنظمات الهدامة على الاسلام والمسلمين وأن من ينتسب اليها على علم بحقيقتها واهدافها (معتقدا جواز ذلك) فهو كافر « وذلك فى ضوء حكم الشرع فى التمييز بين من يرتكب الكبيرة من المعاصى مستبيحا لها وبين من يرتكبها غير مستبيح فالأول كافر والثانى عاص فاسق » .

وقد اشارت أبحاث كثيرة جادة الى أن الماسونية تعمل على التشكيك فى العقائد والنيل من الاديان واشاعة الكفر والالحاد والارهاب ومن ناحية أخرى تدعو الى الاباحية والفساد والرجس والانحلال والتفسخ الخلقى ولذلك فقد اقاموا نوادى العراة فى فرنسا وهى نواد لا يدخلها العضو المنتسب رجلا كان أو امرأة الا عاريا كيوم ولدته أمه ، وكذلك قامت نواد لتبادل الزوجات ليس فى الرقص فحسب وانما فى ممارسة الجنس لكسر الرتابة والتنويع كما يدعون ، كما شجعوا اقامة البلاجات وأحواض السباحة المشتركة وصالات الرقص المختلط المغلقة ، وترى الماسونية فى هذا العمل خدمة للصهيونية العالمية التى ترى أن انهيار الاخلاق فى العالم وسيطرة الشهوات والغرائز الجنسية والانهماك فى لقمة العيش والحرص على جمع المال ، كل هذا

يمهد لهـا الطريق للسيطرة وبسط النفوذ على العالم .

ووسائل الحركة الصهيونية لتحقيق ذلك واضحة فى (بروتوكولات صهيون) عن طريق تقويض دعـائم الاسرة بالاباحية وعرض الافـلام الخليعة الماجنة ، والأزياء الفاحشة المتجددة ، والمجلات والكتب الجنسية المهيجة والقصص الغرامية المثيرة والصور العارية فى أوضاع شتى والهدف من هذه الكتب هو افساد الاخلاق وترويج الاباحيـة واستغلال الجنس لتحقيق الأربـاح الطائلة وفى نفس الوقت التمهيد لسيطرة امبراطورية الربـا .

ويقول مستر جورج روبنسن الانجليزى الماسونى كاتم اسرار اكاديمية (ايدنبرغ) فى كتابه عن الماسونية مايـلى :

« لقـد حصلت لى الوسائط التى مكنتنى منـذ خمسين سنة أن أتتبع الدسـائس التى دسها البعض على الدين بحجة مناهضة الخرافات وعلى السلطات بحجـة تحـرير الشعوب من العبودية فوجدت أن كل هـذه الدسـائس مرتبطة مع الماسونية التى ليس لهـا من غاية سوى دك أركان الديانات وتقويض أساس كل الدول ولو نجحت وسـائل الماسونية لجعلت الدنيـا مستنقعا من الدم وشعلة من النـار ، ولهذا القـول مصداقه فى كثير من البلاد التى تمت فيها السيطرة على الحـكم لماسونيين او صهيونيين أو شيوعيين او ذيول شيوعيين ، وليس ما يحدث فى فلسـطين ولبنـان وأفغانستان وغيرها ببعيد ، اذا اذاقوا الناس الأمرين فهـم يمثلون عملة نقدية ، فالماسونية تمثـل قيمتهـا المـادة التى صنعت منهـا العمـلة ، والصهيونية والشيوعية كلتاهما يمثلان وجهى العملـة » .

ويمكننا أن نجمـل ما خططته الماسونية للقضاء على الاسلام فى الماضى والحاضر فى الآتى :

أولا : الدعـوة الى الشعوبية والاقليمية والتى هى أول فصول المؤامرة على الاسـلام .

ثانيا : مهاجمة العرب حملة لواء الاسلام واصحاب الدولـة الاسلامية بمهاجمة تاريخهم وأسلوب حياتهم وطمس ذاتهم وكيانهم ومهاجمة فكـرة الشرف العربى ، والعـرض الاسلامى والطعن فى نظرتهم الى المـروءة ومهاجمة القيم العربية والفضائل الخلقية التى تتمثل فى مفهوم الشرف والكرامـة .

رابعا : مهاجمة التاريخ الاسلامى وتزييفه وطمسه والدس فيه والافتراء عليه .

خامسا : الطعن فى أصـول القيم الاسلامية وجذورها (عبد المنعم مبارك حسن) .

وتستهدف الماسونية الى اكـراه المسلمين على قبول (العلمانية) فى التربية والتعليم والتشريع واخيرا فى الأسرة والعلاقات بين الأفراد منها عن طريق مايسمى بتنظيم النسـل واقتباس شرع الناس بدلا من شرع الله فى علاقة الرجـل والمـرأة .

وتروج الماسونية لنقل المسلمين من محيط ايمانهم بالاسلام الى ذوبانهم فى عالمية يقودها رأس المـال فى الدول الصناعية والفكر الاشتراكى فى النظم المركسية .

ومن وراء الماسونية الزعمـاء أصحاب الصناعة والسيطرة ، وترمى النوادى المتنوعة ـــ الى احتواء اكبر عـدد من المثقفين الوطنيين وأصحاب النفوذ السياسى ورجـال القانون والفـكر والصحافة ليبشروا بروح الأممية والهيومنزم (المذهب الانسانى الماسونى) بين مواطنيهم لخدمة هذا الغرض البعيد المـدى .

ولقـد تردد القـول بأن الروتارى هى واجهة الماسونية وحاولت بعض الجهـات انكار ذلك والقول بأن الروتارى منظمة للخدمة الانسانية ولا صلة لهـا بالماسونية وذلك خطأ . فان اهداف المنظمة غامضة ، وانهـا ذات تنظـيم دقيق ومتكتم ويقـول مارون فى كتابه عن الروتارى ان المجموعة الأولى التى اشتركت فى تأسيس الروتارى كانوا اعضاء فى محافل ماسونية وقد كان من مقررات أول مؤتمر صهيونى فى بال ١٨٩٧ غزو المنظمات السرية واقامة ديانات جديدة من اخطرها واشدها انتشارا الماسونية ومسرها الأمين الليون كلوب وساعدها الايسر الروتارى كلوب وجمعية شهود يهوه والدرمون وغيرهـا .

(هـ) اليوجـا : ومن الدعوات الوافدة (اليوجا) وهى من الطقوس الهندية التى جرت محاولة نشرها واذاعتها فى البلاد الاسلامية والعربية وهى مستمدة من تعـاليم البوذية والنرفانا والافكار الغامضة ، ولهـا صـلات بالماسونية والتناسخ وتراث الغنوصية القديم بدعوى الوصول الى الصفاء العـام من خلال حركات جسدية معينـة .

وتأتى المهاريشى لتوسع نطـاق الدعـوة الى التناسخ ، وهى بمثابة دين جديد وقد وصفت بأنهـا بنت الصهيونية العالمية ، وأن نشاطها البارز الذى قامت وتقـوم به فى انحـاء مختلفة من العالم لترويج تعاليمها يتركز فى مخالفتها للشريعة الاسلامية وتحذير الدول والشعوب الاسلامية من خطورتها واصول هذه الحركة وجذورها وعناصرها ومراميها ونظمهـا الرامية الى حـكم العـالم هى وليدة الصهيونية العالمية وهى نظـم تهدف الى التحلل من كل علاقة روحية ويتزعمها

الهندوس (ماهيش يوغى) المهاريشى ، الذى يدعو الى تحقيق حلم الفلاسفة فى ايجاد المجتمع المثالى ، وأن زعيمها يمكنه التحكم بالظواهر الطبيعية حسبما يريد ، وقد أمضى وقتا طويلا فى الولايات المتحدة بعد الهند حيث ركز على مجموعات الهيبيين بصورة خاصة أسماه (التركيز الذهنى) عبر حلقات الجنس والحشيش وسائر أنواع المخدرات ثم انتقل الى سالزبورج فى النمسا والحركة حكومة تسمى الحكومة العالمية وتضم ١١ وزيرا منهم ٤ نساء وتسمى حكومة عصر التنوير العالمية وتضم كل الدساتير والأديان والثقافات ويحمل شخص (ماهيش يوغى) طابع الدجل والاستغلال والانحراف ويصفونه براسبوتين العصر ، ويحلم بأن يمسك زمام العالم عن طريق حكومة الحشاشين وهدفه العمل على تقويض المبادىء السماوية فى صفوف الشبان والشابات ونشر الاباحية والانحلال .

وقد أصبح اليوم شخصية عالمية بارزة ، بل أصبح قديسا ورسول سلام له أموال موزعة فى مؤسسات دولية وقد أقام معاهد علمية فى بعض عواصم العالم منها أكاديمية لعلوم الهندوس الدينية ومعهد القانون الطبيعى ويتبنى دعوته الفلسفة الهندوسية ويعتمد على قوة قانون الطبيعة .

وتعنى فلسفة المهاريشى الاعتماد على الذات والاستغناء عن الله (تبارك وتعالى) وعن الوحى والنبوة ، وهو يقدم مذهبه هذا كبديل للاسلام ، وتلك أضاليل الدعوات الهدامة ، وهى الاعتقاد بأن البشر يستطيعون أن يهدوا أنفسهم بأنفسهم .

ويمكن القول بأن المهاريشى يدعو الى دين جديد والى اعتناق عقيدة تجدد الفكر الباطنى والغنوصى والأساطير وهى جماع شذرات من علم النفس ومبادىء اليوجا والنظم الاكاديمية وشطحات التصوف الهندى ، جمع هذا الخليط وأخذوا يشوشون به عقول الناس السذج وقلوبهم .

وهى نحلة من نحل الوصول الى الحق عن طريق الباطل بالتأمل الذاتى وهى نظريات قديمة حاول الدعوة اليها كثيرون وفشلوا وقد استطاعت هذه الدعوة عن طريق المارجون والحشيش وحقن الهروين أن تسطر على عقول عشرات الألوف من الشبان الأمريكيين والاوربيين بدعوى التخلى عن الآلام ويكذب هذا الفكر حقيقة أساسية أن هداية الانسان لا تأتى مطلقا عن طريق الفكر التجاوزى المهاريشى ، وانما تأتى عن طريق الوحى والنبوة ، الوحى الذى يريهم بريق الحق والنبوة التى تقدم القدوة .

(قل ان هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذى جاءك من العلم مالك من الله من ولى ولا نصير)

(وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا وانك لتهدى الى صراط مستقيم ، صراط الله الذى له مافى السموات ومافى الأرض الا الى الله تصير الأمور) .

ان البشر بدون هدى الله لا يستطيعون حل مشكلاتهم وتتماثل مبادىء المهاريشى مع مبادىء الماسونية وتخدم أهداف اليهود فى الاجتماع والسياسة والاقتصاد .

الباب الخامس

التعليم والثقافة والتربية

ماهو الخنجر المسموم الذى طعن به المسلمون ؟.

ذلك هو السؤال الذى تلح الأحداث المتوالية فى العالم الاسلامى على القائه وتطلب الاجابة عنه ، وهو تساؤل مقدم اليوم على كل سؤال ، لقد تحدث المصلحون عن مقاتل متعددة اصيب المسلمون بها فى كيانهم وذكروها وأولوها اهتمامهم وبحثوا أمرها ، ولكنهم لم يركزوا كثيرا على « الخنجر » الذى طعنوا به فى هذه المقاتل ، وأولى لهم أن ينتزعوه من جسمهم أولا قبل أن يعالجوا مكانه النازف بالدم ، ذلك لأنهم اذا لم ينتزعوه فسوف يظل ينزف ولن يكون جدوى لشىء ما من اصلاح أو تصحيح أو تحرير أو علاج ، اذ لابد أن يبدأ العمل من نقطة أولية :

هى نقطة الخنجر ، ذلك الخنجر فى تقديرى وفيما وصل اليه اعتقادى واعتقاد الكثيرين من العاملين فى دراسات التغريب والغزو الثقافى هو « التعليم » وما يتصل به من شأن التربية والثقافة ، هذا هو الخنجر المغروس فى الجسد الاسلامى ، وما يزال ينزف دما ، ولقد كان المستعمرون غاية فى الدهاء عندما بدأوا معركتهم مع المسلمين والعرب من المدرسة وعن طريق برامج التعليم ومن خلال الارساليات والسيطرة على أجهزة المعارف والتخلص من المناهج والمقررات والكتب التى كانت تدرس فى مختلف أنحاء العالم الاسلامى والبلاد العربية ، الأزهر والزيتونة والقرويين ومعاهد الحديث ورجالها والعاملين بها ، واحلال مناهج جديدة ومقررات جديدة ، واذا كان يرمز الى هذا بدنلوب فى مصر فان البلاد الاسلامية قد عرفت عشرات من أمثاله وأنداده .

واذا كانت مفاهيم الثقافة الاسلامية القائمة على الكتاب والسنة قد انحسرت فى بيوتنا ومجتمعنا فانما مرد ذلك كله الى هذا الخنجر المدفون فى أعماق الجسم الاسلامى .

واذا كان المسلمون قد طعنوا فى شريعتهم فاقصيت عن مجال التطبيق فى مجتمعاتهم وحل محلها القانون الوضعى فانما مرد ذلك الى التعليم الذى خرج أجيالا تحتقر الشريعة وتؤمن بعظمة قانون نابليون .

واذا كان المسلمون قد طعنوا فى لغتهم وبرزت دعوى العاميات فى مختلف انحاء الوطن العربى وغيرت الأبجديات فى بعض الأقطار الاسلامية فانما مرد ذلك الى مناهج التعليم التى خدعت العرب والمسلمين بدعوى عظمة اللغات الأجنبية ودخول اللغة اللاتينية الى المتحف فلماذا تبقى العربية العجوز .

واذا كان المسلمون قد طعنوا فى مفهومهم الاسلامى للاقتصاد فانما يرجع ذلك الى أن المسلمين العرب درسوا فى مدارس الارساليات وفى المدارس الوطنية الموجودة فى العالم أن الربا هو القاسم المشترك الأعظم على كل الأنظمة والمشروعات .

واذا كان المسلمون قد طعنوا فى مفهومهم السياسى الاسلامى فانما يرجع ذلك الى تلك الصور الزاهية التى قدمت لهم فى مدارسهم وجامعاتهم عن الديموقراطية والليبرالية والجماعية وغيرها من أنظمة الغرب فخدعهم .

واذا كان المسلمون قد طعنوا فى مفهومهم للعلم فانما يرجع ذلك الى تلك المقررات المدرسية والجامعية التى ترد العلوم الحديثة من كيمياء وفيزياء وتاريخ طبيعى وتكنولوجيا الى علماء الغرب وحدهم متجاهلة ذلك الدور الخطير الذى قام به المسلمون والعرب فى بناء الطابق الأساسى من منشأة العلم وأنهم هم الذين قدموا المنهج العلمى التجريبى الى البشرية كلها .

واذا كان المسلمون قد طعنوا فى مفاهيمهم الاجتماعية فانما مرد ذلك الى مناهج التعليم الذى يدرس المجتمعات الغربية وفهم مدرسة العلوم الاجتماعية . الذى يقوم على انكار فطرية الأسرة واصالة الدين وثبات الأخلاق ويدعو الى التطور المطلق والى الجبرية الاجتماعية ، كل ذلك يدرسه أبناء المسلمين فى مدارسهم ومعاهدهم وجامعاتهم على أنه حقائق مقررة ، لا على أنه نظريات مؤقتة مرتبطة ببيئاتها وعصورها ، قابلة للخطأ والصواب لأنها من نتاج عقليات بشرية تخطىء وتصيب .

هذا هو الخطر الواضح من وراء الخنجر الذى طعن به المسلمون . ومفهوم هذا الخطر فراغ النفس الاسلامية فى العالم الاسلامى كله من حيث أنها قد

انحسرت عن بيوتها مفاهيم الثقافة الاسلامية القائمة على القرآن والسنة ، وضعفت القدرة التى تبنى الشباب ، فانها تسلم الى المدرسة شبابا غضا ، يحس بالفراغ فى مجال وجدانه وعاطفته وفكره ، فلا يجد الى مفاهيم الاسلام سبيلا ، ثم اذا به يلتقى بتلك المفاهيم التى تصور له فكر الغرب على صورة العقيدة ، وتملأ نفسه بحب تاريخ الغير ، وترفع فى نظره شأن لغة الغرب وتقدم له العلم والاقتصاد والقانون والاجتماع من نتائج مجتمعات أخرى على أنه هو الفكر الانسانى والثقافة البشرية .

وأين الفكر الاسلامى فى ذلك كله والمسلمون لهم منهج حياة كامل ولهم مفهوم جامع للحياة والمجتمع والسياسة والاقتصاد والتربية .

هذا كله ما لا يزال ضائعا ولا يزال ناقصا ولا يزال مهملا .

ومن هنا فان هذه النفس المسلمة التى عجزت عن أن تملأ فراغها الروحى والفكرى بمقدراتها وقيمها لا تلبث أن تملأه بأى شىء ، وبما يقدم اليها زاهيا براقا فى كتب ملونة مزخرفة ، بينما هى تعجز عن أن تجد من فكرها ما يرد عنها الخطر أو يصحح لها الخطأ أو يزيح عن نفسها الشبهات .

تلك هى القضية الأولى أيها السادة فى التحدى الخطير الذى يواجهه المسلمون اليوم فى كل مكان ، ومن هذه النقطة نصل الى كل قضية وكل أزمة ، وكل موقف ، ومن خلال الطريق الطويل استطاعت قوى الصهيونية والاستعمار والشيوعية أن تحقق ما وصلت اليه لأنها استطاعت أن تبث فكرها فى النفس الاسلامية وأن تحتويها وأن تنقلها من دائرة الاسلام المرنة الجامعة المتكاملة الوسطية الى دائرة الغرب المغلقة القاتلة .

ومن هذه النقطة نصل الى كل ما تطمعون فيه من وحدة وتقدم وقيام أمة الاسلام فى أرضها بدورها الربانى الانسانى العالمى الذى هو مفروض عليها والذى هو حق فى أعناقنا جميعا والذى يجب أن نلقى عليه (الله) تبارك وتعالى صادقين والا فنحن آثمون مأخوذون بجريرة الذنب لا سمح الله .

لكى نفهم هذه القضية الكبرى أعمق فهم لابد أن نبحث عن أبعادها الى أقصى مدى ولا نقع فى الأخطاء التى فرضها علينا نفوذ الدائرة المغلقة بأن نقصر البحث على ماهو أمامنا من واقع لأن كل واقع أمامنا لابد أن يكون متصلا بأبعاد أخرى غير منظورة فى المكان أو التاريخ ونحن فى الاسلام نؤمن بالتكامل والنظرة الجامعة ونرى كل العناصر مؤدية الى بناء عمل واحد فلا نفرق بين التربية أو الاخلاق أو الاقتصاد أو الاجتماع أو السياسة أو الفن .

كذلك فنحن فى واقعنا القائم يجب أن تكون نظرتنا ممتدة الى يوم أن بعث الله تبارك وتعالى رسوله بهذه الرسالة من ناحية والى اليوم الآخر الذى يقع فيه الجزاء حتما وأن نعرف أن روابطنا بالأمم ليست حديثة وانما هى قديمة جدا ، وليست اقتصادية أو سياسية أو دينية وانما هى كل هذا .

ولنعرف الحقيقة الكبرى التى رسمها القرآن وهى أن عالم الاسلام تكون من قلب عالم أهل الكتاب وهو منذ وجد صراع معه وسيظل كذلك الى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

هذا هو التحدى القائم الذى يجب أن يظاهر حياة المسلمين وحضارتهم ولا يغيب عنهم لحظة ، ذلك أن الأمم لا تموت الا اذا فقدت عنصر التحدى أو الطموح ولقد كانت أزمة المسلمين فى مرحلة ضعفهم وتخلفهم هى فقدان عنصر الطموح والاستنامة الى ما وصلوا اليه ، هنالك اندفع العدو الذى يرقبهم وينتظر منهم لحظة غفلة فنال منهم .

« ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة » فليأخذ المسلمون بالحذر ليجعلوا التحدى نصب أعينهم ، هذا التحدى الذى هو صورة مغايرة لهدف محدد يتكرر تحت أسماء مختلفة فى التاريخ من حروب صليبية فى المشرق الى حروب الفرنجة فى المغرب الى حروب التتار الى الاستعمار الحديث الى الصهيونية العالمية الى الدعوات الهدامة شيوعية واباحية والحادية ووثنية ومادية .

ونحن نعرف أن معركة حاسمة دارت بين الاسلام والغرب هى معركة الحروب الصليبية ، وقد عاشها المسلمون بالمقاومة والجهاد مائتى عام وانتهوا منها بالنصر ، ولكن هل كان هذا هو نهاية الشوط بالنسبة للغرب ، وهل توقف طموحه للسيطرة على أرض الاسلام وبلاد الاسلام ، ان شيئا من ذلك كله لم يحدث ، لقد استمرت المؤامرة واطردت وتبلورت فى مفهوم جديد .

كان ذلك المفهوم يتصور أن المسلمين قد غلبوا الغرب وهزموه لأنهم متقدمون حضاريا وعسكريا فلابد من هزيمتهم حضاريا وعسكريا ، فانقض الغرب على ميراث المسلمين ونقل منهج العلم التجريبى وانطلق وسبق به المسلمين حتى كانت معارك الدولة العثمانية مع الغرب فى آخرها تمنى دائما بهزيمة المسلمين لأمر

واحد هو أن الغرب استحدث أساليب فى الصناعة والحرب عجز عنها المسلمون .

غير أن الغرب لم يقف عند هذا فى صراعه ومؤامراته ولكنه وصل الى مقطع الأمر كله وذلك عندما قرر أن المسلمين مهما تخلفوا فى ميادين الصناعة والعلم فسوف تبقى لهم عقيدتهم الراسخة التى تحمل طابع الجهاد والتى تدفع بألوفهم الى ساحات الاستشهاد فى سبيل الدفاع عن الحق ، وعن الأرض ، وعن العرض ، اذن فالمعركة يجب أن تبدأ أولا من هذه النقطة الخطيرة ولابد من تزييف هذه العقيدة وامتصاص ما فيها من قوة وجهاد وايمان يفقد المسلمون هذا السر الخطير الكامن فى نفوسهم . وقد تصور الغرب أن المسلمين عندئذ يصبحون قطيعا من السائمة التى تنطوى وتقهر ومن هنا بدات معركة أطلق عليها أسماء كثيرة .

(التبشير ، الاستشراق ، التغريب ، الغزو الثقافى ، الاحتواء) .

***

الوثيقة الأولى :

لقد وضعت الخطة منذ وقت مبكر وان لم تكتشف الا بعد سنوات طويلة وكانت أولى علاماتها المستكشفة فى وصية لويس التاسع بعد هزيمته فى المنصورة بما يمكننا من القول بأن نهاية الحروب الصليبية كانت بداية المخطط الجديد للغزو الثقافى والفكرى ومحاولة دحر الاسلام كفكر بعد العجز عن دحر أمته .

وتعد وصية لويس التاسع أخطر وثيقة فى هذا الاتجاه فهى التى فتحت الباب واسعا أمام عملية التبشير والاستشراق .

وعلى أثرها مباشرة بدات حركة أوروبا المعروفة الى ترجمة القرآن والتعرف على الاسلام وبدات نواة التبشير والاستشراق فى المعاهد الاوروبية : دراسة اللغة العربية والاسلام والقرآن بمفهوم الرد عليه وانتقاصه واثارة الشبهات حوله .

وقد ظاهر هذه الحركة عملية « سرقة » التراث العربى الاسلامى من البلاد العربية والاسلامية بواسطة القناصل والتجار . واستسمحكم العذر فى أو أقول « سرقة » لأن عملية الاستيلاء على الفكر الاسلامى فى الأندلس أيضا كانت « سرقة » بالرغم من أن المسلمين كانوا يؤمنون بأن العلم للجميع حتى العلم التجريبى الذى هو الآن من أسرار الامم الحديثة والتى عجز المسلمون والعرب خلال قرن ونصف قرن فى الحصول على أصوله ومعادلاته .

أما المسلمون فكانوا يعلمونه فى جامعات الأندلس وجزيرة صقلية فى حرية تامة ، غير أن الغرب فى تناهى حقده لم يقف عند هذا الحد ، بل انه عزل الموقع الاسلامى كله وصادره بما فيه واخرج منه المسلمين اخراجا ، وكذلك فعل فى الأندلس حيث احرزت أوروبا كل ثمرات النتاج الاسلامى العلمى والفكرى بأرضه وسعامله ومعاهده وحوائطه ولم تبق للمسلمين حتى مجرد القدرة على استئناف تجاربهم وهم فى أرض أخرى هاجروا اليها .

لقد عكف لويس التاسع بعد هزيمته فى المنصورة خلال محبسه فى دار ابن لقمان يفكر ويستعرض هذه الحملات الصليبية المتوالية على بيت المقدس ودمشق ومصر وكيف هزمت هزيمة منكرة وكيف هزمت حملته فى دلتا النيل ، وسيق الى الاعتقال ، وكيف كان المصريون والعرب والمسلمون يقاتلون ببسالة عجيبة فى الدفاع عن بلادهم خلال سبع حملات متوالية ووصل الى نتيجة حاسمة : هى أن المسلمين لا يهزمون مادام فكرهم باقيا ومادامت عقيدتهم قائمة ، ذلك لأنها تدفعهم فى قوة الى الاستشهاد فى سبيل حماية الذمار ومقاومة الغاصب وتطهير الأرض من دنس الغزاة ، والاسلام يجعل القتال فى سبيل تحرير الأرض دينا وعقيدة ولذلك فان سبيل الغرب الى الانتصار على المسلمين والسيطرة على ارضهم يجب أن تبدا أولا من « حرب الكلمة » ولابد من أن تقوم فى الغرب قوى من الباحثين والدارسين يترجمون القرآن ويدرسون العربية ويعملون على القضاء على تلك المفاهيم القوية التى تتصل بالجهاد فى سبيل الله ، فاذا استطاع الغرب أن يفعل ذلك فقد استطاع أن يقضى على القوة الروحية والنفسية القائمة وراء تلك المقاومة الجبارة وعندئذ يمكن الغرب السيطرة على العالم الاسلامى ، ومن هذه النقطة بدأت حرب الكلمة بالتبشير والاستشراق والتغريب والغزو الثقافى والسيطرة على التعليم والتربية والثقافة والفكر والصحافة وقد استطاعت هذه الخطة أن تحقق للغرب انتصاراته التى يمكن أن يطلق عليها اسم (الاستعمار الغربى الحديث) ولا ريب أن وثيقة لويس التاسع تنصح بهذا الاتجاه الخطير وتدعو اليه .

ولقد بلغ لويس درجة القداسة فى نظر الغرب لأنه حمل الصليب وحارب به فى مصر ثم كانت حملته التاسعة المشهورة على تونس .

واذا كانت الحملات الصليبية قد توقفت منذ استعاد المسلمون عكا بقيادة الأشرف خليل عام ٦٩٠ هجرية ١٢٩١ ميلادية وعلى اثر ذلك قامت الدولة الاسلامية العثمانية الكبرى بعد تسع سنوات لا غير من

سقوط الحروب الصليبية وهزيمة أوروبا ، هذه الدولة التى استمرت حتى عام ١٣٣٧ هجرية الموازية لعام ١٩١٨ الميلادى أى انها استمرت تحمل لواء الاسلام خمسة قرون ونصف القرن .

نقول اذا كانت الحملات الصليبية قد توقفت منذ عام ٦٩٠ هجرية فان أوروبا لم تتوقف فقد استأنفت حركتها مرة أخرى بعد وقت قصير حين تدافعت بعد سقوط الأندلس على الطريق الافريقى من ناحية الغرب دون توقف : الأسبان والبرتغال ومن ورائهم الانجليز والفرنسيون والهولنديون .

أما فى أفق البلاد العربية فان عام ١٨٣٠ م كان هو علامة الخطر حين بدأت فرنسا فى غزو الجزائر وامتدت المعركة الى تونس فمصر والسودان . منذ ذلك اليوم بدأت طلائع التبشير تعمل وأخذت حركة الاستشراق تزدهر وكانت بؤرة العمل هى ساحل البحر الأبيض الشرقى : فى مواجهة الشام من الشرق واستانبول من الشمال ومصر من الجنوب .

وانتقلت المطابع وبدأت المدارس وتصارعت قوى البروتستانتية الأمريكية والكاثوليكية الفرنسية على تقديم مناهجها .

ثم جاءت حكومات الاستعمار فى كل البلاد العربية فأخذت مناهج مدارس الارساليات ونفذتها توا .

وفى عديد من مصادر تاريخ اللقاء بين الشرق والغرب نجد اشارة الى وصية لويس التاسع الذى كان أول من أشار الى تجنيد المبشرين الغربيين فى معركة سلمية لمحاربة تعاليم الاسلام ووقف انتشاره ثم القضاء عليه معنويا واعتبار هؤلاء المبشرين فى تلك المعركة جنودا للغرب .

واذا كانت الحروب الصليبية منذ بدأت ١٢٩٩ م وانتهت ١٤٩٩ فان انسحاب المسلمين من الأندلس انتهى ١٤٩٣ م وكان ذلك بعد أن استولى محمد الفاتح على القسطنطينية عام ١٣٥٤ م (٨٥٧ هجرية) فى ظل ذلك كله بدأ العمل توا على انشاء قاعدة للغرب فى قلب الشرق العربى يتخذها نقطة ارتكاز له ومعقلا لمعركته العقائدية الفكرية التى تستهدف حصار الاسلام والوثوب عليه .

ولقد اختيرت هذه الأراضى على شاطىء البحر الأبيض الشرقى مسرحا لهذا العمل منذ ذلك الوقت وتحرك العمل بين بيروت والقاهرة والقسطنطينية . فى نفس الوقت الذى كان فيه عمل مماثل يتحرك فى تونس والجزائر ومراكش ، وأعمال أخرى فى المناطق الاسلامية فى الهند وفى جاوة واندونيسيا والفيليبين .

* * *

الوثيقة الثانية :

أما الوثيقة الثانية فهى تقرير من أحد معاهد الارساليات بقلم الأستاذ نبيه أمين فارس يكتشف فيه أبعاد الخطة كلها وهى فى نظرنا وثيقة تطبيقية لمخطط لويس التاسع يقول : « بينما كان الشرق الأدنى مطمحا لأفكار بناة الامبراطوريات كان أيضا مطمح أنظار جماعة أخرى من الناس تنشد أن ينجز عن طريق (الكلمة) ما عجز أجدادها الصليبيون عن تحقيقه عن طريق السيف . وبعبارة أخرى تنشد احتلال مهد المسيحية واخضاع العالم كله للمسيح . ان هذا الحلم المسيحى قديم — قدم المسيحية ذاتها — وهو يستمد وحيه الدائم من الوصية العظمى كما سجلها أبو المبشرين ، القديس بولس » .

ولعل سبب سيطرة هذه الوصية كرة أخرى على عقول المسيحيين يعود الى اليقظة الدينية التى عمت انكلترا فى أواخر القرن الثامن عشر ، واليقظة الدينية المقابلة لها فى الولايات المتحدة التى تمثلت فيما سمى بروح انكلترا الجديدة وعلى ذلك فقد شهدت السنوات الأخيرة من القرن الثامن عشر والسنوات الأولى من القرن التاسع عشر ظهور كثير من الجمعيات التبشيرية التى كرست نفسها لحمل الانجيل الى جميع البشر ، ويمكن أن يضاف الى هذين العاملين عامل آخر هو ازدياد المطامع السياسية والاقتصادية فى ممتلكات رجل أوروبا المريض (يقصد الدولة العثمانية الاسلامية) ومن المحتمل أن يكون لهذا العامل الأخير علاقة باختيار الشرق الأدنى ميدانا مفضلا للنشاط التبشيرى .

ومن أهم هذه الجمعيات التبشيرية التى ظهرت فى هذه الفترة : الجمعية التبشيرية الكنسية التى أسست فى لندن عام ١٧٩٩ والمجلس الأمريكى لمندوبى البعثات التبشيرية . وقد أرسل المجلس الأمريكى بعد تسع سنين من تأسيسه أول مبشرية الى الشرق الأدنى وكانت المشكلة الاولى التى واجهت أولئك المبشرين هى اختيار مركز ملائم لهم . وقدم سوريا ١٨٢٣ مبشرون آخرون وانتقلوا الى بيروت وكان غرض البروتستانت أن يتمكنوا بالاشتراك مع كنائس الشرق الناهض من كسب الكفار (أى المسلمين) الى دين المسيح غير أنهم سرعان ما وجدوا أن الاسلام لم يكن قد فقد سيطرته على قلوب المؤمنين وصمم المبشرون منذ البداية على

استعمال سلاح الكلمة حيث فشل استعمال السيف وفى سبيل هذه الغاية أسسوا المطبعة الأمريكية أولا فى مالطة ١٨٢٢ثم فى بيروت ١٨٣٤ وأخذوا يفتحون مدارس للبنين والبنات بصورة منظمة حتى بلغ عـــدد هذه المدارس ثلاثا وثلاثين فى أقل من هذا العدد من السنين وعكفوا على انجـاز تلك المهمة العظيمة : مهمة اعداد ترجمة عربية صالحة مقروءة للتـــوراة .

وعدوا فوق ذلك حمل لواء الحرية الدينية بصورة خاصة والمطلقة بصورة عـــامة .

＊＊＊

الوثيقـــة الثالثـــة :

ومن الجزائر تقدم هذه الوثيقة : من قلم الدكتور محمد تقى الدين الهلالى نشرها فى الفتح عام ١٩٣١ .

« ان هؤلاء الأوروبيين الفاتحين المبعدين للأحرار المخربين للديار مازالوا يحرمون عبيدهم من كلمة الجهاد ويعدون ذكراه فضلا عن فعله من اعظم الذنوب وهو آية الهمجية والتعصب الدينى المقوت ، وبلغ ببعضهم الأمر ان حرموا على المسلمين تفسير آيات الجهـــاد فى كتب الفقه وبعينى شاهدت صحيفة الاذن التى حصل عليها شيخنا محمد بن حبيب الله الشنقيطى رحمه الله فى مدينة المشرية قســـم وهران من الجزائر وفيها أن الاذن بتدريس علوم الدين مقيد بأن المدرس لا يفسر اى آية أو حديث يدل على الجهـــاد والا يدرس شـــيئا من ابواب الجـــهاد فى كتب الفقه ولمـــا راجت دعاية هؤلاء فى الشرق صـــار المسلمون ينفرون من لفـــظ الجهـــاد » .

ويعـــد المبشرون ان اولى فرصهم جاءت بعـــد سقوط السلطان عبد الحميد عام ١٩٠٨ حيث أمكن منذ ذلك الوقت تفسيخ الدولة العثمانية وتوسع بعثات التبشير على النحـــو الذى حقق تنفيذ مناهج التعليم على النحـــو الذى رسمته مخططات الغـــزو حتى ليقول الدكتور زويمر زعيم المبشرين وكبيرهم فى الشرق فى مثل هذا التاريخ الذى نقلنا فيه وثيقة الجزائر تقريبا ماياتى :

ـــ ان السياسة الاستعمارية لما قضت من نصف قرن ـــ أى منذ عام ١٨٨٢ تقريبا ـــ على برامج التعليم فى المدارس الابتدائية اخرجت منها القـــرآن ثم تاريخ الاسلام وبذلك اخرجت ناشئة لا هى مسلمة ولا هى مسيحية ولا هى يهودية . ناشـــئة مضطربة مادية الأغراض لا تؤمن بعقيدة ولا تعرف حقـــا فـــلا للدين كرامة ولا للوطن حـــرمة .

الوثيقـــة الرابعـــة :

وهذه الوثيقة يقدمها عميـــد المبشرين فى البلاد العربية فى الثلاثينات (وهى أخطر مراحل تاريخ العالم الاسلامى الحديث فهى مرحلة تكوين الأسس والقواعد والخطط التى خرجت من بعد نتائجها الخطيرة) .

يقول صمويل زويمر فى تقريره فى مؤتمر المبشرين (سنة ١٩٢٤) : فى كل حقل من حقول العمل يجب أن يكون العمل موجهـــا **نحو النشء الصغير من المسلمين** وموزعا فيما بينهم ليحيط بهم وليكونوا منه على صـــلة مباشرة ، ويجب أن يقدم هذا على كل عمـــل سواه فى الأقطار الاسلامية فان تنور روح الاسلام فى الناشىء الحديث يبتدىء باكرا من عمره فيجب والحالة هذه ان يؤتى بالنشء الصغير من المسلمين قبل ان يتكامل نمو عقليتهم واخلاقهم وحينئذ يستعصى على المبشر ولم يزل التعـــليم التبشيرى هو افضـــل طريقة للوصول الى قلوب المســـلمين) .

ويعود فى المؤتمر التالى بعد عشر سنوات عـــام ١٩٣٣ فيصور ما تحقق من نتائج وما يجب التأكيد عليه فى المرحلة القادمة فى مؤتمر المبشرين فى القدس :

ان مهمـــة التبشير الذى ندبتكم دول المسيحية للقيام بها فى البلاد المحمدية ليست هى ادخال المسلمين فى المسيحية فـــان فى ذلك هداية لهم وتكريما . وانما مهمتكم ان تخرجوا المسلم من الاسلام ليصبح مخلوقا لا صلة له بالله ، وبالتالى لا صلة تربطه بالأخلاق التى تعتمد عليها الأمم فى حياتها وبذلك تكونون انتم بعملكم هذا طليعة الفتح الاستعمارى فى الممالك الاسلامية .

هذا ما قمتم به خـــلال الأعوام المائة السابقة خير قيـــام .

لقد قضينا فى هذه الحقبة من الدهـــر من ثلث القرن التاسع عشر الى يومنا هذا على جميع برامج التعليم فى الممالك الاسلامية ، ونشرنا فى تلك الربوع مكـــامن التبشـــير والكنائس والجمعيـــات والمدارس المسيحية تلـــك التى تهيمن عليهـــا الدول الأوروبية والأمريكية . ولذلك جـــاء النشء الاسلامى طبقا لمـــا أراده له الاستعمار المسيحى لا يهتم بالعظائم ويحب الراحة والكسل ولا يعرف اهمية فى دنيـــاه الا الشهوات فاذا تعلم فللشهوات واذا جمـــع فللشهوات واذا تبوا أسمى المراكز ففى سبيل المـــال يجـــود بكل شىء .

وفى الوقت نفسه تقول المبشرة (اناسليجان) :

« ليس ثمة طريق الى حصن الاســـلام اقصر مسافة من هذه المدرسة ، ان المدرسة اقوى قوة لجعل

الناشئين تحت تأثير الدين المسيحى ، هذا التأثير يستمر حتى يشمل أولئك الذين سيصبحون يوما قادة أوطانهم » .

* * *

الوثيقة الخامسة :

وهناك وثائق أخرى حية : تتمثل فى افراد واحداث أما فى عام ١٩٠٩ فقد ثار الطلاب المسلمون فى احدى المدارس الارساليات الكبرى لاجبارهم على الصلاة المسيحية يوميا فأصدرت هذه الكلية بيانا قالت فيه :

« ان هذه الكلية مسيحية اسست بأموال شعب مسيحى هم اشتروا الأرض وهم اقاموا الأبنية ولا يمكن للمؤسسة أن تستمر اذا لم يسندها هؤلاء ، وكل هذا قد فعله هؤلاء ليوجدوا تعليما يكون الانجيل من مواده فيعرض منافع الحقيقة المسيحية على كل تلميذ وكل طالب دخل مؤسستنا يجب أن يعرف سابقا ماذا يطلب منه .

ثم جاء النص الآتى : « ان الكلية لا تؤسس للتعليم العلمانى ولا لبث الأخلاق الحميدة ولكن من أولى غاياتها أن تعلم الحقائق الكبرى التى فى التوراة وان تكون مركزا للنور المسيحى » .

* * *

الوثيقة السادسة :

قد كشف ذلك طالب عربى معروف هو عبد القادر الحسينى (ابن كاظم باشا الحسينى وبطل معركة القسطل فيما بعد) الذى وقف فى حفل توزيع الدبلومات بالجامعة الأمريكية فى احدى العواصم العربية (القاهرة) على المنصة وفى يده الشهادة التى أخذها ثم اتجه الى الحاضرين وكانوا علية القوم وقال :

« ان هذه الجامعة تظهر أمام الناس فى مظهر المدرسة العلمية ولكنها فى الحقيقة بؤرة افساد للعقائد الدينية وهى تطعن فى الدين الاسلامى ولذلك لا يصح للمسلمين أن يبقوا أولادهم بها » .

كان ذلك يوم ٢٧ مايو عام ١٩٣٢ .

فاهتزت الدنيا للحدث وأسرع المبشرون الأساتذة يمزقون الدبلوم من يد الطالب وينهرونه ولم يلبث عبدالقادر ان نشر قصته فى الصحف وأعلن عن الكتب المقررة التى تهاجم الرسول والاسلام وحاولت الجامعة أن تتنصل وتقول ان هذه الكتب ليست مقررة .

وكان الدكتور وطسون مدير الجامعة قد أعلن قبل ذلك بقليل قائلا :

أن المعتقدات الاسلامية آخذة فى الانحلال وانها غير ملائمة للحالة الحاضرة وان الجيل الناشىء الذى نتصل به نراه مهتما كل الاهتمام لا بالاسلام ولكن بالمسائل المادية والالحاد ، ونحن نسر حين نستطيع أن نجعل فتى مسلما يقبل مبادىء المسيحية ووحى المسيح .

وقال الدكتور وطسون :

واننا نراقب سير القرآن فى المدارس الاسلامية ونجد فيه الخطر الداهم ، ذلك أن القرآن وتاريخ الاسلام هما الخطران العظيمان اللذان تخشاهما سياسة التبشير .

* * *

الوثيقة السابعة :

وهناك وثائق تشهد على أصحاب المخطط نفسه ، ذلك أنه عندما بدأت حركة التغريب التى تضم التبشير والاستشراق فى تقدم خمسة من المستشرقين لدراسة العالم الاسلامى كله وقدموا تقارير شاملة عن مختلف الأقطار نشرت تحت عنوان هوزر اسلام (الترجمة وجهة الاسلام) .

وفيها يتحدث كبيرهم هاملتون جب عن التعليم فيقول وهى وثيقة أخرى نقدمها للباحثين :

« ان ادخال طرائق جديدة فى البلاد الاسلامية كان سيطلب نظاما جديدا فى التربية من عهد الطفولة فى المدارس الابتدائية والثانوية قبل الانتقال للدراسات العالية ، وان اصلاح التعليم على هذا النحو لم يكن فى ذلك الوقت يخطر على بال السلطات الدنية الاسلامية ، ولكن هذا الفراغ ملأته هيئات أخرى فقد انتشرت فى منتصف القرن التاسع عشر شبكة واسعة من المدارس فى معظم البلاد الاسلامية ولا سيما فى تركيا وسوريا ومصر وذلك يرجع غالبا الى جهود جمعيات تبشيرية مسيحية مختلفة . وربما كان اكثرها عددا المدارس الفرنسية وقد كانت المدارس الانجليزية فى الامبراطورية العثمانية اقل منها فى الهند وكانت المدارس الهولندية قاصرة على جزر الهند الشرقية .

هذه المدارس صاغت أخلاق التلاميذ وكونت أذواقهم والأهم انها علمتهم اللغات الأوروبية التى جعلت التلاميذ قادرين على الاتصال المباشر بالفكر الأوروبى فصاروا فى سبيل حياتهم مستعدين للتأثر

بالمؤثرات التى فعلت فعلها أيام الطفولة (أى التعليم على الطريقة المسيحية) .

وفى أثناء الجزء الأخير من القرن التاسع عشر نفذت هذه الخطة الى أبعد حد من ذلك بانماء التعليم العلمانى تحت الاشراف الانجليزى فى مصر والهند ولعل هنـاك نصيبا من الحق فى التهم التى ترمى بهـا هذه المدارس الأجنبية من انهـا مفسدة لقومية التلاميذ وان كنا لا نستطيع القـول بأن التطورات السياسية التى اعتبت ذلك فى البلاد الاسلامية ايدت هذه التهمـة .

ولكن الذى فعلته بلا ريب انهـا ربت فى التلاميذ خروجا على الأنظمة الاجتماعية واضعفت من هذه الوجوه سلطان النزعة الاسلامية القديمة على التلاميذ واخلت فى بناء المجتمع الاسلامى أداة هامة وقطعت بعض الأواصر التى كانت تربطه وتحفظه » .

وقول (جب) راسما خطة المستقبل : « لقد استطاع نشاطنا التعليمى والثقافى عن طريق المدارس العصرية والصحافة ان يترك فى المسلمين ولو من غير وعى منهم اثرا يجعلهم فى مظهرهم العـام لا دينيين الى حـد بعيد ولا ريب أن ذلك خاصة هو اللب المثمر فى كل ما تركت محاولات الغرب لحمل العـالم الاسلامى على حضارته من آثـار » .

هذه صورة سريعة الخنجر الذى غرس فى جسم الأمة الاسلامية جاءت بعد خمسين عاما محققة للهدف مكونة للأجيال التى ارادهـا الاستعمار .

تحقق هـذا منذ أن دعـا اليه لويس التاسع وحدده غلادستون عندمـا وقف فى مجلس العمـوم البريطانى ومعه المصحف الشريف وقال : اننا لا نستطيع أن نحكم المسلمين مادام هذا الكتاب باقيا فى الأرض .

ثم جـاء كرومر وقال : جئت لأمحو ثلاثا : القرآن والكعبة والأزهر . وجاء تقرير لورد دوفرين الى اللورد جرانفيل وزير خارجية انجلترا بعد الاحتلال البريطانى لمصر محددا الخطة التى توقف نمو الأزهر وتركز على التعليم المدنى وترفع من شأن العامية وتخفض من شأن القرآن . قال دوفرين فى تقريره الذى نشرته المقتطف فى المجلد السابع ص ٦٦٨ : « اخال ان امل التقدم فى مصر ضعيف طالما أن العامة تتعلم اللغة الفصيحة العربية ، لغة القرآن ، كما فى الوقت الحاضر حالة كونها لا تتعلم اللغة العربية الدارجة لأن نسبة اللغة المصرية الدارجة الى لغـة القـرآن كنسـبة الايطاليانى الى اللاتينى والاغريقى القديم ، وعربية الفلاح لغـة قائمة بنفسها وقواعدها خاصة بها واذا لم توجد الاحتياطات الفردية للحصول على النتائج المقبلة فى المدارس العديدة التهذيبية التى أشرت اليها يستمر الجيل الجديد كسابقة وغـير صالح لخدمة وطنه سواء كان للقيادة العسكرية او فى الصنائع أو فى الخدمات وتبقى عبـارة مصر للمصريين كما كانت اسما بلا مسمى » .

ولقـد كانت مهمة كرومر واضحة ومستمرة فهو دائب فى كل عام أن يرددها :

« فى مصر جيل جديد يختلف عن أجداده فى اشياء كثيرة فيمكن أن تحدثه نفسه يوما بأن يمـد الى تلك الاركان القديمة يدا لا تعرف حرمة القديم فيكون اشـد عليها من يد حكومة تمدها اليوم طبقا لارشاد قـوم لا شأن لهـم فى الأمر (يعنى الانجليز) لانهم لا يدينون بالدين الاسلامى ، فاذا كان لهذا الحساب نصيب من الصواب فالأجدر بأبناء اليوم أن يشرعوا فى الاصلاح ويلافتوا الأمر قبـل حلوله » .

هـذا فى مصر ، والتاريخ يحفظ مثله فى تونس والمغرب والجزائر لكرومرها ودنلوبها : وفى كل بلـد اسلامى كرومر ودنلوب يجرى على نفس الخطة وينفذ نفس المخطط .

ويعلق اللورد لويد (المندوب السامى فى مصر) بعد كرومر بعشرين عاما فى كتاب له تحت عنوان (مصر منذ أيام كرومر) على خطة التعليم فيقـول :

« ان التعـليم الوطنى (فى مصر) عندما قـدم الانجليز كان فى قبضـة الجامعة الأزهرية الشـديدة التمسك بالدين والتى كانت أساليبها الجافة تقف حاجزا فى طريق أى اصلاح تعليمى وكان الطلبة الذين يتخرجون من هـذه الجامعة يحملون قـدرا عظيما من غـرور التعصب الدينى فلو أمكن تطوير الأزهر لكانت هذه خطوة جليلة الخطر فليس من اليسير أن يتصور لنا أى تقدم طالما ظـل الأزهر متمسكا بأساليبه هذه ولكن اذا بدا أن مثل هذه الخطوة غير متيسر تحقيقها فعندئذ يصبح الامل محصورا فى ايجاد التعليم اللادينى الذى ينافس الأزهر حتى يتاح له الانتشار والنجاح » ا.هـ.

وقد حقق الاستعمار هذا تماما حين فرق التعليم فى العالم الاسلامى الى دينى ومدنى فجمد الأول وحجب خريجيه عن مناصب القيادة ودفع الثانى دفعة قوية الى الصراع والتعارض والخصومة وأعـلاه فى خبث ومكر شديدين .

وجملة القول فى هذا أن الخنجـر الذى طعن به المسلمون قد وضع بذكاء فى موضع القلب وقصد به أن تكون المناهج كلها وخاصة فى العقيدة والتاريخ واللغـة

قائمة على أساس فلسفة الغرب ومفاهيمه واعلاء شخصيته وتاريخه ، وحتى يكون تاريخ المسلمين وعقيدتهم ولغتهم هى موضع احتقار شبابها ومثقفيها . احدثكم عن النتائج فأنتم تعلمونها وان كل ما يتصل بأزمة المسلمين والعرب اليوم انما مرده الى هذا الخنجر المغروس قريبا من القلب وهو ما يزال ينزف بغزارة . اناشدكم الله ان تبحثوا عن السبيل الذى يمكنكم من اقتلاعه وتضميد جراحه !!.

* * *

(اولا)

أسلمة التعليم

ان نقطة البدء فى تحرير المسلمين من التبعية الأجنبية ومن الفكر الوافد هو اسلمه مناهج التعليم حتى تنطلق من مفاهيم القرآن الكريم والسنة المطهرة ، وكل عمل فى مواجهة التغريب والغزو الثقافى ينطلق من غير هذا المنطلق لا يمكن ان يؤدى الى النتيجة الحاسمة ، ذلك أن المسلمين فى الأساس قد أحيط بهم من منطلق مناهج التعليم الذى قدمته لهم الارساليات التبشيرية تحت أسماء زاهية وخادعة : وهى مناهج علمانية مفرغة من الدين والأخلاق والمسئولية الفردية والجزاء الأخروى فأنتجت تلك الاجيال الحائرة التى تضطرب بها الحياة اليوم فى العالم الاسلامى من مشرقه الى مغربه وما جرت من ازدواجية فى الثقافة واللغة والنظرة العامة للحياة واختلاف النظامين التعليميين المتصارعين (النظام الاسلامى الأساسى والنظام الغربى الوافد) لاختلافهما فى الغاية والمنهج والتقاليد والظروف ودخول العقل الاسلامى تحت طائلة التبعية التى أخرجته فعلا عن اصالته فقد انطلقت مناهج التعليم التى تدرس بمقتضاها العلوم والآداب والفنون فى البلاد الاسلامية من منطلق العلمانية والمادية وانكار الغيبيات ونسبة الأمور الى الطبيعة بدلا من الله تبارك وتعالى واقرار نظرية دارون الباطلة ومفهوم التحليل النفسى لفرويد والتفسير المادى للتاريخ الذى هو قسمة الآن بين المنهجين الليبرالى والماركسى وكذلك انحراف الفكرة الأصيلة فى العلاقات بين الرجل والمرأة ، أما وزوجة ومحاولات أخضاع الفنون والآداب لمناهج التجريب والنظرية المادية مع اختلاف النظرة الى العلوم الانسانية التى لا تخضع لهذه المناهج . ومن هنا فقد تزايدت الأخطار وارتفعت الاصوات الى اعادة بناء نظام التعليم الاسلامى ، لاعادة تكوين الشباب المسلم ، ولما كان المسلمون الآن قد عقدوا العزم على الخروج من دائرة الاحتواء والتبعية والحصار فلابد من العمل على بناء نظام تربوى أصيل يقوم على مفهوم الاسلام لنفسه : ١ — ربانيا . ٢ — ثابت الأسس . ٣ — موافقا للفطرة . ٤ — شاملا لكل جوانب الحياة ٥ — موحدا للطاقات البشرية . ٦ — عالميا ايجابيا متفائلا فعالا.

ان كل ما يمر بنا فى المجتمع الاسلامى من أزمات انما يعود الى أننا مازلنا محاصرون بمنهج الغرب التعليمى المفرغ من قيم الاسلام الحقيقية : القائمة على الايمان بالله وكتبه ورسله واليوم الآخر .

ولذلك فاننا مطالبون أن نستكمل هذه الفجوة بالدراسة الاسلامية التكميلية التى يفرضها علينا ديننا وهى اثراء وجداننا الاسلامى وعقلنا بنتاج القرآن والسنة وما كتبه علماء المسلمين مما يحقق لنا الغنى والسعة فى مجال معرفة ربنا وديننا والأخطار المحيطة بنا والمؤامرات التى تدبر لنا حتى نتجنبها وأن نقف من الفكر الوافد المترجم والمقرر فى المدارس والجامعات موقف الحذر واليقظة فنعرضه دائما على مقررات الاسلام وفى ضوئها نرفض منه ونقبل وفى مجال الكتاب الاسلامى اليوم ثروة ضخمة معروضه للمسلم تنمى ثقافته الاسلامية وتقدم له المؤشرات الحقيقية والاصيلة للمفهوم الاسلامى الجامع .

وهدف التعليم الاسلامى هو بناء الشخصية الاسلامية المؤمنة بالله العارفة لدورها وهدفها فى الحياة: تعمير الأرض وفق شريعة الله واقامة المجتمع الربانى فى وفق منهج الله . ودفع الحياة كلها على طريق عبادة الله ، احلالا لحلاله وتحريما لحرامه ، وفى مقدمة ذلك التعرف على سنن الله فى الكون والعلم بخواص المادة وطرق الاستفادة منها فى خدمة العقيدة ونشر حقائق الاسلام وتحقيق الخير والفلاح للناس ، وتوجه عمليات البحث والاكتشاف كلها لخير الناس ومنفعتهم .

وهكذا تلتقى علوم الشريعة مع علوم التجريب (الطب والهندسة والرياضيات والتربية وعلم النفس) فى مفهوم الاسلام لانها تتحرك داخل اطار الاسلام ومفاهيمه مقترنة بأحكامه وتعاليمه سواء على المستوى العام أم على مستوى التخصص لفقهاء الأمة .

أسس المنهج الإسلامي للتربية والتعليم

ويقرر الباحثون : أن كل نظام تعليمي يحمل فى طياته فلسفة منبثقة من تصور معين ولا يمكن فصل أى نظام تعليمى عن فلسفته المعاصرة له ومن ثم فانه لايجوز أن تتخذ فلسفة أو سياسة تعليمية . أو تربوية مبنية على تصور مغاير للتصور الاسلامى وهو ما يحدث الآن حين الأخذ بالنظم غير الاسلامية لأنهـا فى النهاية تصادم التصور الاسلامى وتناقضه وفى الوقت ذاته فان للاسلام تصورا عاما شاملا ينبثق من أسس تعليمية وتربوية قائمة بذاتها ومتميزة عن غيرها ولذا فان نظام التعليم الاسلامى يجب أن يقوم على أساس هذا التصور الخاص المتميز ، أما الوسائل فلا ضير من الاستفادة منهـا فى التجارب البشرية الناجحة مادامت لا تصادم هذا التصور ولا تناقضه . ومصادر المعرفة فى التصـور الاسلامى نوعـان :

(أولهما) : الوحى فى الجوانب التى يعـلم الله سبحانه أن الانسان لا يهتدى فيها الى الحق من تلقاء نفســه والتى لا تستقيم فيها الحياة على وجههـا الا بمقررات ثابتة عند الله المحيط بكل شىء علمـا .

(ثانيهما) : العقل البشرى وأدواته فى تفاعله مع الكون المادى ، نظرا وتأملا وتجربة وتطبيقا فى الأمور التى تركها الله العليم الحكيم لاجتهاد هذا العقل وتجاربه بشرط واحد هو (الالتزام) القائم فيهـا على الأصول العامة الواردة فى شريعة الله المنزلة بحيث لا تحل حراما ولا تحرم حلالا ولا تؤدى الى الشر والضرر والفســاد فى الأرض من أجـل أن تحقق التربية غايتها وأهدافها بتوجيه ضرورة التوسع فى قراءة القرآن وحفظه ابتداء من المرحلة الابتدائية مع التوسع التدريجى فى التفسير والفـهم والاكثار من مدارس تحفيظ القرآن والاهتمام بالعلوم الاسلامية وزيادة دروسها ، وأن يكون دراسة الفقـه الاسلامى موصولة بالواقع الحاضر ومشكلاته وقضاياه ، مع التوكيد على حقيقة هامة هى أن الحلول الاسلامية واجبـة التطبيق بشـكل متكامل فى المجتمع الاسلامى كمـا تكون دراسة الشريعة بكل فروعها هى الدراسة الأساسية فى كليات الحقوق مع عقد مقارنة بين الشريعة الاسلامية والقوانين الوضعية عند الحـاجة وعلى أيدى نخبة من المتخصصين الذين يجمعون بين الايمان العميق والتخصص الدقيق والقدرة على ابراز مافى الشريعة من شمول وتكامل وسمو ، وقدرة على تحقيق مصالح الأمة وتلبية حاجات الجماعة دون الوقوع فى الانحراف والنتائج الضارة التى نشـأت من تطبيق القـوانين الوضعية بشهادة المجتمعات المعـاصرة : الراسمالية والشيوعية على السواء والعناية بدراسة الثقافة الاسلامية فى جميع مراحل الدراسة والدراسة الجامعية بصفة خاصة ، والكليات العسكرية بما يبين عظمة الاسلام وشموله وسمو قيمه ومبادئه ونظمـه واصلاحه لأحوال البشر فى كل زمان ومكان ، وعرض أمجاد التاريخ الاسلامى فى شتى المجالات وما قامت به الأمة الاسلامية من انجازات انسانية مادية وسياسية وعسكرية وحضارية ، استحقت بهـا أن تكون (خير أمـة أخرجت للناس) وبيان فضل النظم الاسلامية على النظم البشرية الجائرة المنحرفة فى القديم والحديث سواء كانت نظما سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية مع العناية بعرض الانحرافات القائمة فى الحضارة المعاصرة بشقيها الراسمالى والشيوعى مع ما يقابلها من نظـم قويمة فى الاسلام ، مع ضرورة تصنيف العلوم الى نوعين :

١ ـــ العلوم القائمة على الوحى المتمثلة فى علوم القرآن والسنة وما يستنبط منها مع ملاحظة اللغـة العربية التى هى مفتاح فهم القرآن والسنة .

٢ ـــ العلوم الأخرى كالعلوم الكونية القائمة على التجريب وعلوم الآداب والاجتماع والتربية ، وما الى ذلك من العلوم المكتسبة مع اتخاذ الخطوات الكفيلة بتعريب التعليم فى كل المراحل وخاصة فى البلاد العربية وتكوين مدرسة اسلامية لهـا معايير خاصة بهـا حتى تستطيع القيـام بنقـد الآداب الدخيلة على الفـكر الاسـلامى ، وتحقيق نوادر المخطوطـات واستنباط مجموعة جديدة من العلوم الاجتماعية يتفق منهاجهـا والاسـلام لاحلالها محـل العلوم الاجتماعية الغربية ورفض فكرة ترقيع وتلقيح العلوم الاجتماعية بالصبغة والافكار الاسلامية ، وتدرس تاريخ العلوم والمعرفة لدى المسلمين ودورهم فى تطوير هذه العلوم علميا واجتماعيا ومنجزاتها وتوكيد الحقيقة التاريخية من أن المسلمين هم الذين قدموا للبشرية المنهج التجريبى فى البحث العلمى الذى قامت عليه النهضة العلمية الأوروبية المعاصرة .

(المؤتمر العالمى للتعليم الاسلامى ـــ ١٣٩٧)

فى مواجهة أزمة التعليم :

تتركز أزمة التعليم المعاصر فى العالم الاسلامى فى انها وافدة وليست أصيلة الجذور وقائمة على مفهوم تقبل فساد المجتمع واضطرابه وزيفه ويرجع ذلك الى خلو التعليم المعاصر من الأخلاق والقيم ، فقد أصبحت النظم التربوية المعاصرة على قدر من الجمود والتحجرمما يدعو الى الغائها من أساسها واحلالها بنظم تربوية حديثة ، واختصار نظم التعليم المعاصر على نقل المعلومات ومقدار دورها التربوى ، واختصار هدف الطلاب من التعليم على الحصول على جواز مرور الى العمل ، وفشل نظام المناهج المحددة فى ترتية النشء وفشل نظام الامتحانات كأسلوب للتقييم ، وخطر الفصل بين المواد الانسانية والعلمية ، وانقطاع النظم التعليمية المعاصرة عن الحياة والمجتمع ، وافتقارها الى النظرة الانسانية الشاملة . وفقدان القدوة الحسنة والعجز عن فهم طبيعة النفس البشرية وضعف النية الأخلاقية والتربية الدينية : ويتطلب هذا :

أولا : اعادة صياغة المعارف الانسانية كلها من جديد من خلال تصور اسلامى صحيح .

ثانيا : عدم الفصل بين المعارف الدينية والدنيوية والاهتمام بالتربية قبل المدرسة وجعل الانسان هو المحور الحقيقى للتربية .

ثالثا الفصل بين الجنسين فى مراحل التعليم واحياء رسالة المسجد والدعوة الى تخصيص جزء من زكاة الأموال للانفاق على مراكز التربية الاسلامية واعادة نظام الموقف الاسلامى والوقف على التربية الاسلامية .

رابعا : العمل على وقف جميع المدارس التبشيرية والنشاط التبشيرى فى العالم الاسلامى وكل ما يتصل بذلك من أثر التبشير والاستشراق .

خامسا : أن يكون التعليم بمختلف مراحله فى الدول العربية بلغة القرآن الكريم .

سادسا : الاهتمام بالتدريب العسكرى فى تربية البنين والتمريض المنزلى فى تربية الاناث .

د. زغلول النجار

* * *

(ثانيا)

اسلمه التربية

دخلت أساليب التربية القرن الوافدة (ديوى) وغيره الى أفق التعلم المعاصر فى البلاد الاسلامية بمفاهيم علمانية ومادية ، ترمى الى خلق أجيال مفرغة تفريغا تاما من الصلة بالله والتماس أخلاقية الاسلام فى التعامل الاجتماعى ، ومن ثم خرجت الأجيال المعاصرة كلها غير ذات هوية واضحة فى علاقاتها بالله تبارك وتعالى والناس والمجتمعات وبالرغم من أن العالم الغربى يعلم أبناءه الديانة المسيحية ويقيم منهجه الاجتماعى من داخلها فاننا لا ندرس الاسلام الا على أنه دين عبادى يقصر العلاقة على الانسان مع الله تبارك وتعالى وتحجب مفهوم العلاقة بين الانسان والمجتمع . ومن هنا فقدت التربية القومية فى بلادنا عنصرا هاما من عناصر التربية الاسلامية .

والاسلام فى مجال التربية يتعامل مع الانسان فى كيانه الجامع : عقلا وروحا وجسدا وهو بهذا يمتاز عن النظريات الحديثة من ناحية المضمون ومن ناحية التكامل الجامع .

ولقد حرص النفوذ الأجنبى على فصل التعليم عن التربية ومن ثم سقطت هذه الأجيال المتوالية فى أزمات التمزق النفسى والانفصال الشبكى .

ويتميز الفكر التربوى الاسلامى بخصائص أساسية دفعت المسلمين الى طرق أبواب المعرفة بأنواعها ولم يقتصر على علم دون آخر .

ويقوم الفكر التربوى الاسلامى على خصائص خمس :

١ ــ الأصالة . ٢ ــ الفاعلية والايمان .
٣ ــ الشمولية والتعامل . ٤ ــ التوازن .
٥ ــ الأخلاقية .

وتستمد أصالة المنهج الاسلامى قوتها من نظرته الخاصة الى الانسان وماهيته وعلاقاته مع العالم المادى والمجتمع ، من خلال النظرية الجامعة للكائن البشرى على أنه كريم على الله استخلف فى هذه الأرض ، ومن

هنا كان التلازم الوثيق بين النظرة الخاصة الى الانسان وبين طبيعة النظام الاجتماعى الذى ينبثق فيه ، وعدم التوقف عن الايمان بالجـانب المحسوس من الانسان والحياة ، وهذا هو الفارق العميق بين النظم التى بنيت على أساس الاهتمام ، بالمحسوس ، واغفال الجـانب الروحى ، ومن ثم أهملت التوحيد والعقيدة والأخـلاق وهذه هى سمة الشمولية أما (الأخلاقية) فانها تجعل أعمال المسلم ليست غاية فى ذاتهـا وانما هى طريق للوصول الى الله وكل عمل لا يراد به الوصول الى الله جـل شأنه عمل باطـل .

أما (التوازن) فهو الذى يجلب السعادة والطمأنينة والطريق الصحيح والشريف والحمـاية من الفســاد والانحـلال والاباحية .

أما النظم الوافدة القائمة على الانشطارية وانكار الاخلاقية فقد جرت على المسلمين الويلات والمحن ومن ثم فقد المجمع الاسلامى معالمه ولم يعـد اسلاميا ولا غربيا لان الغرب لا يسمح له الا بالقشور وسىء الاخلاق

ومن ثم تعرضت الهوية الاسلامية للخطر ، ومن ثم كان لابد من اعـادة صياغة المسلم وبنـاء عقيدته على أساس منهج الله من جديد .

ومما امتاز به نظـام التربية الاسلامية مفهـوم الثـواب والعقاب التى تتجاهلها النظريات المطروحة فتدفع الناس الى السقوط فى الموبقات دون خشـية المسئولية والجـزاء الاخروى .

ولقد كشف الباحثون وجـوه التقصير فى منهج التربية الوافـد القائم على اساس (تعليم بلا تربية) وأبانوا كيف كان من منهجها استشراء الجرائم التى تنتشر اليوم بين الشباب الجامعى وخريجى الكليات . لقد أصبح طلبة الجامعات رؤساء عصابات تقتحم البيوت وتفتح الخزائن ، لقد أدى الخضوع لانظمة الغرب فى جميع مجالات الحياة عامة وفى المجال التربوى بشكل خاص الى فقدان « هوية الامة » اذ لم تعد لها هوية خاصة تميزها عن غيرها من الامم ، بل لم تبق أمة واحدة كما كانت فى ظـل الاسلام بل أصبحت أمما وشعوبا مختلفة متناحرة ومتحـاربة .

واذا كانت المدرسة لا تؤدى واجبها فى التوجيه الأخلاقى كما اعترف به عـدد من المسئولين عن التعليم فذلك لان فاقد الشىء لا يعطيه واننا فى حاجة الى (تربية المربين) الذين هم القدوة والمثل الاعلى للطلاب والذين يجب أن يختاروا على نحو دقيق بحيث يكونون نماذج فى الخلق والسماحة وتوجيه أبنائهم الى الصلاة ومعرفة الله وحسن التعامل مع الناس ، بعد أن طغى سباق الدرجات وبعد أن تضاعفت المواد المعقدة التى لا يستفيد منها الطالب شـيئا بعد مغادرة المدرسة ، وما تزال مدارسنا قاصرة على تربية الشـباب تربية تمكنهم من حسن التعامل مع المجتمعات وبالنسبة للفتاة فلابد من تعليم خاص بهـا تختلف اختلافا واسعا وعميقا عن تعليم الفتيان لان المهمة تختلف .

ولابد أن تحقق المدرسة هذه المهمة التربوية التى هى العلاقة بين الكل والجـزء ، فالتربية هى الاطـار الذى تتحرك فيه وسائل التعليم وترسم لهـا وجهتها ، ولمـا كانت التربية الاسلامية قائمة على بناء الشخصية القادرة على فهم مسئوليتها ازاء المجتمع والامة والحياة وهى أداة لبناء الارادة التى هى عماد الكيان الانسانى القادر على حمل المسئولية بالصدق والاستقامة والعدل، فان التربية تعنى خلق الوعاء القادر على تلقى التعليم فى الانسان والمسلم يتعلم ليكون علمه نافعا لبناء مجتمعه وحياته ولتربية كيانه النفسى والاجتماعى فالعلم النافع هو وحده الذى يقيم كيان الفرد والأسرة والامة كلها .

وفى ضـوء هذا الايمان يتلقى المسلم العلـوم الرياضية والطبيعية ويأخذ من آخـر معطيات البشر فيها دون تحـرز لانه مطالب بأن يكون قويا وقادرا ومتقدما . ومن العجز أن يكون متخلفا ومتأخرا وهو فى مجـال العلوم السياسية والاقتصادية والاجتماعية وما يتعلق بالقانون والتربية وما يتصل بالاخلاق والنفس فانه يستمد أصول هذه المفاهيم الاساسية من ثقافته الاسلامية الاصيلة التى تشكلت منذ اربعة عشر قرنا ذلك لان هذه العلوم الانسانية مما لا ينقل من وطن الى وطن ولا من أمة الى أمة فلكل أمة ثقافتها الخاصة والذاتية ولها طوابعها النفسية والاجتماعية التى شكلت عليها أصول آدابهـا وثقافتها .

ومن هنا فلابد أن نعتمد مفهوم الاسلام فى الفارق بين التربية والتعليم ، فمصطلح التعليم مصطلح ضيق وأقل شمولا وأضيق مدلولا ، أما التربية فهى تشمل جميع جوانب الشخصية الانسانية حيث يتناول السلوك والعاطفة والاتجاهات الاخـلاقية وايقـاظ المشـاعر السامية والخلق الجميل .

واذا كان هـدف نظريات التربية الغربية هـو كسب الرزق وتحقيق الذات وايجاد المواطن الصالح فان هدف التربية الاسلامية أكبر من ذلك وأبعد من أنه « تحقيق العبودية لله تبارك وتعالى » فان قضية الايمان هى القضية الاولى للمسلم والعبودية لله تحررنا من العبودية كلهـا .

ويؤكد الدكتور خورشيد أحمد فى منهجه الذى

أعلنه لبناء نظام تربوى جديد للعالم الاسلامى على عـدة نقاط هـامة :

أولها : الا تقتصر التربية الاسلامية على نقـل المعارف والعلوم التى حصلها السلف وانما واجبها أن تمد الاجيال الجديدة بالمهارات اللازمة لكسب معارف وعلوم جديدة واكتشاف حقـائق عن طريق السـمع والبصر والفـؤاد .

ثانيا : ان المفهوم الاسلامى للذين يرتكز على الايمان بأن الله تبارك وتعالى هو المصدر الحقيقى للمعرفة لانه العالم بكل فـرد وهو الذى منح الانسان معرفة الاشياء ، وأن اصطناع الحاجات فى الحيـاة لاهداف الحياة هو المفهـوم الذى يشكل الايدلوجية لنظامنا التربوى والتعليمى ، فواجب النظام التربوى التعليمى أن يخـرج رجالا ونساء وفق الاهداف التى حددها الله تبارك وتعالى فى كتابه الكريم وهى معرفة الله وصفاته وأركان الاسلام والايمان .

ثالثا : ارتباط التعليم والاخلاق : ودورهما فى تكوين الشخصية الاسلامية أن كلا من التعليم وتنشئة الاخـلاق عملية مرتبطة بالاخرى فالتعليم من الكتب وتحصيل الحكمة العملية والقيم الاخلاقية عملية واحدة متصلة الحلقات فى تكوين الشخصية الاسلامية .

فالتعليم والاخلاق وجهان لحقيقة واحدة

وقد ركز القرآن على أن من وظائف النبى تعليم الكتـاب والحـكمة وتزكية النفوس وتكامل هـاتين الوظيفتين فى التربية معنـاه ترابط التعليم وعملية التزكية فى عملية واحدة تتم فى آن واحـد .

رابعا : الأسلوب الاسلامى فى التربية هو الاسلوب الذى يسد حاجة المجتمع الاسلامى الايديولوجية والمادية والتكنولوجية بطريقة تجعل المسلمين يصبحون قـادة العالم الاسلامى ليس لان للمسلمين حقا طبيعيا فى أن يكونوا قادة للبشر وانما لان الاسلام ينشر النور ويهدف لاعادة تركيب نسيج الحياة البشرية على أساس تقوى الله ومساواة البشر واخوتهم بالعدل وهذا يخالف بنية النظام العالمى اليوم التى تركز على الالحاد ومصالح الصفوة المختارة واستغلال الانسان للانسان .

خامسا : أن تكون التكنولوجيا فى خدمة المثل العليـا .

ولابـد من استحداث نظـام جديد يختلف عن المفهوم الالحادى ومصالح الصفوة واستغلال الانسان للانسان ، فهذه هى المهمة التى وكل الله تعالى بهـا المسلمين لتحقيقها ويترتب على ذلك اعادة بناء الفكر الانسانى بناء جديدا وان يسبقوا الآخرين الى اكتشاف المعـارف والعلوم وأن يكبحـوا جمـاح التكنولوجيا ويخضعونها لخدمة المثل العليا .

ومن هنا فان العالم الاسلامى فى حاجة الى نظام تربوى جديد وليس أمامنا طريق آخـر لبقائنا كمجتمع متميز عن باقى المجتمعات سوى تحقيق هذا الهدف ، لابد أن تلتزم جميع الدول الاسلامية بتنفيذ استراتيجية التربية والتعليم الاسلامى بأن يبـدأ التعليم فى المنزل ويستمر فى المسجد والمدرسة والكلية وينبغى تدريب الوالدين وخاصة الامهات على تربية الابنـاء تربية أخلاقية أولية فى المنزل حتى تتشرب عقـول الاطفال حب القيم الخلقية .

ولابد من اعطاء اهمية كبرى لتلاوة القرآن وسيرة الرسول واتمام دراسة جميع تعاليم الاسلام الاساسية فى المرحلة الثانوية وتنمية روح محبة الرسول والصحابة وان يكـون المجتمع المدرسى مشـبعا بروح الفضائل الاسلامية وأن تدرس جميع المواد بطريقة يمكن معها شرح وجهة النظر الاسلامية ، وأن ننمى روح البحث عن المشكلات الاكاديمية وغيرها من وجهة نظر اسلامية وبالجملة فان هدف التربية الاسلامية :

١ — المحافظة على فطرة الناشىء ورعايتها .

٢ — تنمية مواهبه واستعداداته كلهـا .

٣ — توجيه هذه الفطرة وهذه المواهب نحـو صلاحها وكمالها .

٤ — التدرج فى هذه العملية على خطط متدرجة.
ان التربية الاسلامية لابـد أن تستضىء بنـور الشريعة الاسلامية وتسير وفق أحكامها .
أبـرز : خصـاص التربية الاسلامية هى التكامل والاخلاقية والايمان بالله تبارك وتعـالى .
أولا : فهى تربية عقليه روحية جسدية بحيث تشـمل الانسان بكل جوانبه وهى توجـه العقـل والوجدان الى التعرف على وجـود الخالق المبدع ، وغايتها أخلاقية فيها يكون الانسان حيرا يستخدم علمه وحياته فى سبيل العطاء للغير والمجتمع وأن يكون العلم للحياة والتركيز على أخلاق التربية : التى ترمى الى تطهر النفس من الرذائل وتنمية روح العطاء والبـر (مقداد يالجن)

ثانيا : تكوين عقيلة علمية مؤمنة يعتزون لعقله اسلامية وتنظرون بمنظار الاسلام الى الكون والحياة ، تقوم على البصر والبصيرة معـا والبصيرة هى اسـم الادراك التام الحاصل فى القلب وتكوين روح الالتزام بالعلم والمسئولية العلمية أمام الله تبارك وتعالى .

(ثالثــا)

أسلمـــة الثقافـــة

ثقافة أى أمة هى خلاصة عقيدتها وجوهر فكرها وقيمها ومن ثم فــان الثقافة العربية لابد أن تكــون اسلامية الانتماء والتوجه ، وأن يكون هنــاك اتصال موصول بين العصور حتى لا ينفصل العصر الحديث فى قضاياه ولا تحدياته . وهو الخطر الذى تواجهه الثقافة العربية الاسلامية اليوم فى ضوء التحديات الوافدة فنحن مطالبون بأن نضع مناهج تعبر عن ارادتنا ومن ثم يجب أن تسترد الجامعة والصحافة أمانة الالتزام الاسلامى فقد بدأها المستعمر على انها مؤسسات بلا هــوية ودراسة فكر الاغريق والرومان وغيرهم دون أن ندرس فكر الاسلام وحضارته أو درسها درسا مشوها فى معالمه سلبيا بالدس المقصود لكى يكون المواطن المسلم خصما عنيدا لثقافة دينــه .

ولابد من اعادة النظر فى مناهج الثقافة وان يكون منطلقها العقيدة الاسلامية والالتزام بالدفاع عن قيــم الاسلام فتصبح الثقافة العربية (نسبة الى اللغــة) تستمد وجودها الراهن من التعاليم الاسلامية وترتبط بالاسلام ارتباطا لازما وشاملا ، فالبلاد العربية تمثل وحدة ثقافية تقــوم على وحدة الدين ووحدة التراث ووحدة اللغة هذه الوحدة هى الدرع المتين الذى حفظ للعرب سماتهم العامة التى استمدوها من القرآن وحفظ لهــم كرامتهم ، كما كانت المرتكز الاساسى للتحــرر والانطلاق وهى التى مهدت وتمهد لوحدة شاملة وتعنى الوحدة الثقافية ـــ كما يقول دكتور ابراهيم حسان ـــ اذابة الفوارق (التصورية والحسية والسلوكية) بين المجتمعات والاستفادة من ضرورة الترابط الوجدانى الذى تبنيه العقيدة الاسلامية فى خلق ترابط وتعاطف .

واذا كان العلم لا وطن له فان الثقافة لها وطن . ومعنى هــذا أن ثقافتنا مستمدة من عقيدتنا وقيمنا وكيفية تناولنا للامــور .

وتكون الثقــافة فى جوهرها هى ما تؤدى الى تكوين رؤية خاصة يرى بهــا الكون والانسان وتدخل فى خصائصها اللغة العربية وآدابها ضمن العناصر التى تكون ثقافة الانسان المســلم .

ويكون دور العلوم والمعرفة تغذية هذا الوجدان بما يقدمه ويدعمه دون أن يقضى على تميزها الخاص القائم على عقيدتها وأخلاقها ونظرتها للحياة وانتمائها ، وحالاتها الروحية والمعنوية والوجدانية .

ومن هنــا فنحن مطالبون بأســلمة الثقــافة وتحريرها من التبعية الغربية والوافدة التى تحاول أن تقضى على تميزنا الخاص الذى يشكله الاسلام فى الدرجة الاولى وبأكبر قدر من التميز .

ولا يحــول هذا دون التوسع فى مجال العلوم والتكنولوجيا على أن تحــول هذه المــادة لتنصهر فى مفهوم الاسلام نفسه وتتحرك فى دائرته دون أن تطغى فتغير طابعه أو تقصر عن العطاء بما يصل به المسلم الى أرقى درجات التقدم العلمى .

ولا ريبأن هذا التوازن بين الحفاظ على القيم الذاتية وعلى التقــدم العلمى يحقق التوازن الحقيقى الذى تتسم به الثقافة الاسلامية اذ لابد من تدعيم المعنى الروحى وتكامل القيم حماية للامة من الغزو الثقافى .

اما دعاوى التغريبيين من أن هناك تناقض بين حمــاية الشخصية الاسلامية من الغزو الفكرى وبين قبول التليفزيون والاذاعة والطائرة والكمبيوتر . فان هذا لا يجــاب عليه بغير ابتسامة السخرية ، اذ أن المسلمين يعلمون أن الأدوات لا تحارب وأن المســلم يقبل كل تقدم علمى وكل انجاز حضارى شريطة أن يستعمل فى مضمون اسلامى فليست الآلة هى الغــزو الفكرى ولكن ما يدخل اليها من مفاهيم مغربة .

ليست الادوات الحضارية المستحدثة من الغزو الثقافى وانما هى معطيات مشاعة بين الأمــم تملؤها بثقافاتها وقيمهــا .

وليس فى هذا الفهم من عيب وليس فى حماية شخصية أمتنا من الاحتواء فى دائرة التغريب والغزو الثقافى من بأس ولكن البأس كل البأس هو الاستسلام له وليس الذين يحافظون على شخصية الامة وثقافتها اناس مغالقون يخشون على حياتهم من العــلم ونوره ولكنهم هــم الغيورون الواسعى النظرة والأفق .

ومن هنــا فنحن فى دعوتنا الى اسلمة الثقافة نطالب أجهــزة الاتصال بالتحرر من دورها السلبى والتغريبى فقد أصبحت برامج التليفزيون والموضوعات

المنشورة فى الصحف والمجلات التى تستهلك أجهـزة الاتصال مواد وافدة يصدرها الينا من العالم الخارجى ولا تشارك فى استنباتها فى بيئتنا العربية وأصبح الاتجاه الجماهيرى يخضع لصناعة ضخمة تملكها شركات غير وطنية وهى صناعة تسيطر عليها التكنولوجيا المتقدمة التى لا نملك منها الا القليـل .

***

(٢)

لابد من مراعاة هذه القواعد :

أولا : الطـابع المميز الثابت لهـذه الثقـافة والخصائص الجوهرية .

ثانيا : القرآن هو المصدر الأول لمقومات الاصالة فى الثقافة الاسلامية مشروحا بقول وفعل وحال النبى الكريم صلى الله عليه وسلم .

ثالثا : ان تحديد المنابع الاصيلة للثقافة يوفـر الضمانات الموضوعية لتحقيق الأصالة وتثبتها عن طريق استيعاب وسائل التربية الثقافية ..

رابعا : يربط القرآن دائما بين المعرفة أو الثقافة والنتائج العملية المترتبة عليها من حيث النفع أو الضر .

خامسا : يربى القرآن العقـل والبصيرة على الكفاءة وفى رؤية الوحدة من خلال الكثرة وتلمس الرباط الموحد الذى ينظم ما يبدو متنافرا متباينا .

سادسا : يربى القرآن فى المسلمين ملكة النقد النزيه مع الدقة والامانة فى نقل أو رواية اقوال الغير وضرورة التفرقة الحاسمة بين العلم والظن .

سابعا : الربط بين جانبى الفكر والوجدان مع تأكيد أهمية الربط بين النظرية والتطبيق .

ثامنا : ان العقيـدة الاسلامية النقية لم تـكن يوما حجر عثرة فى سبيل تطور الحياة الاسلامية وأن عقيدة القضاء والقدر لا تؤدى الى الجمود أو الموقف السلبى .

(محمد كمال جعفر)

***

الباب السادس

فى مواجهة المؤامرة

علم تصحيح المفاهيم ودحض الشبهات

على طريق مسيرة الفكر الاسلامى الجادة عبر القرون الطويلة بالاحتكاك مع الثقافات المختلفة التى حاولت أن تحتويه أو تنحرف به عن مفاهيمه وقيمه عمل رجال الاسلام على الوقوف فى وجه هذا الخطر مدى العصور بتحرير مفهوم الاسلام الأصيل الجامع من كل المفاهيم الباطلة وتصحيح مساره ، وقد امتدت هذه المعركة زمنا طويلا وجاهد فى سبيلها أعلام كثيرون فى مقدمتهم الشافعى وابن حنبل والغزالى وابن تيمية وابن القيم وكثيرون . وفى العصر الحديث وبعد أن سقط العالم الاسلامى فى براثن النفوذ الاجنبى الا اجزاء قليلة منه ، عمد النفوذ الاجنبى الى احتواء الفكر الاسلامى باثارة هذا «الفكر البشرى الوثنى والباطنى» مرة أخرى واعادة طرحه فى أفق الفكر الاسلامى فأعاد مجددا كل السموم والتحديات والافتراءات التى بثتها الباطنية والمجوسية والفلسفات الوثنية ودعوات التحلل والانحراف والزندقة والاباحية التى عرفت فى عصور ماقبل الاسلام .

وقد اجتمع هذا الركام فى العصر الحديث تحت اسم « التغريب والغزو الثقافى » وعملت قوى الاستشراق والتبشير على اذاعة هذا الفكر المسموم عن طريق : المدرسة والجامعة والصحافة ودوائر الثقافة .

وجندت له الكثير من أصحاب الاسماء اللامعة والضمائر الخربة .

ولقد عملت حركة اليقظة الاسلامية خلال القرن الرابع عشر الهجرى المنطوى على مواجهة هذه الشبهات .

وقامت فى ذلك بدور كبير واستطاعت أن تدحض زيفها وأن تقدم المفهوم الاصيل ولذلك فقد حق على أهل الدعوة الاسلامية فى مشرق القرن الخامس عشر أن يقيموا « منهج المواجهة مع الفكر الوافد » على أن يصبح علما كاملا له أصوله ومناهجه وأن يدرس فى الجامعات والمعاهد كاشفا هذه الحقائق التى وصل اليها المخلصون الابرار فى مختلف المجالات .

وهذا ما دعوت المفكرين الى اقراره والعمل به حتى يكون هذا القرن الخامس عشر هو الذى يحمل راية الحسم فى هذه القضية باخراج المسلمين من ظلمات شبهات التغريب والغزو الثقافى وادخالهم فى عصر « الرشد الفكرى » والمواجهة الحاسمة لهذا الركام الضخم الذى طرحته المحاولات الخطيرة التى نسقتها الاستشراق والتبشير تحت ظلال النفوذ الغربى والماركسية والصهيونية لافساد جوهر الاسلام وتمييعه ومحاصرة مفاهيمه القائمة على التوحيد والعدل والاخاء الانسانى والجهاد واحتوائه وصهره فى بوتقة الفكر الاممى العالمى بهدف القضاء على « روح الاصالة الاسلامية » وعلى ازاحة تلك « الذاتية الاسلامية » ذات الطابع الخاص الذى يتميز به المسلمون وفكرهم « صبغة الله ومن أصدق من الله صبغه ونحن له عابدون » .

ذلك لان دعاة النفوذ الاجنبى الغربى بقواه المختلفة : ماركسية وصهيونية دائما موقنون بأن المسلم لا يمكن أن يهزم الا بعد اخراجه من قيمه وذاتيته وكيانه الخاص الذى صنعه به الاسلام . ولذلك فان محاولة « التغريب » نفسها واضحة من اسمها وهى : العمل على تغريب المسلمين فى عقائدهم وأخلاقهم وقيمهم . وهم يؤمنون بأنهم اذا استطاعوا ذلك ، فقد المسلمين خاصيتهم التى حققت لهم الثبات مع الزمن والاستمرار فى الوجود والقدرة على مقاومة كل عدو باغ فاذا خرج المسلمون من ذاتيتهم ذابوا فى الأممية وانتهى أمرهم وأصبحوا صورة مكررة رديئة للبشرية الضالة .

وصدق الله تبارك وتعالى حين قال :

« ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم » ..

هذا الخطر الخطير الذى يتجمع كل قوى أعداء الاسلام على العمل له هو اقتلاع هذه الذاتية ومحو هذه الخاصية التى اختصوا بها والتى صنعها لهم الاسلام

والتى هى مصـــدر قوتهم فى حياتهم وفى قدرتهم على مقاومة كل عدوان وأداتهم فى أداء رسالتهم المرتجـــاة للبشرية بتبليغ كلمة الله تعالى الى العالمين .

هذا الخطر اهم كثيرا فى نظر القوى المختلفة عن امتلاك ثروات المسلمين لان هذا العمل « التغريب » سيمكنهم من امتـــلاك نفـــوس المسلمين وارواحـــهم فيقودونهم كيفما شاءوا واذا تمكنوا منها فلن تصبح ثروات المسلمين وحدها ملكا لهم بل سيصبح المسلمون انفسهم عبيدا للقوى الأممية المسيطرة الآن .

ولذلك فان هذا المنهج الذى دعوت الى اقراره ليكون علما قائما بذاته انما يستهدف هذه الأمور :

أولا : كشف زيف هذه النظريات والايدلوجيات المثارة والمطروحة فى افق الفكر الاسلامى على أنهـــا « علم » والتى تدرس فى بعض الجامعات والمعاهد على أنهـــا « حقائق مقررة » ، بينما هى لم تصل بعد الى درجة العلم من حيث أنهـــا « فروض » افترضها عقل بشرى يخطىء ويصيب ، وقد جاءت ردا على تحديات مجتمعاتها وعصورها ، ولذلك فهى ليســـت صالحة لتكون منهج حياة لغير عصرها أو بيئتها وهى لن تصلح لتصدر الى امم اخرى تختلف من حيث العقيدة والشريعة والاخـــلاق .

وعلينا أن نكشف تلك الحقائق التى واجهت كل هذه الايدلوجيات من حيث عجزها عن تحقيق المجتمع الامثل من ناحية ومن حيث أنها لم تلبث الا قليـــلا من الزمن حتى احتاجت الى كثير من الاضافة والحـــذف وعلينا أن نبين مدى الفرق بينها وبين المنهج الربانى الخالد الذى لا يعتوره النقص مهمـــا مرت الدهور أو اختلفت البيئات لانه من صنع العـــالم القدير العليم بالبشر فى أعماق نفوسهم ومطامحهم واهوائهم وقد جاءت رسالة السماء وحدها القادرة على العطاء الدائم الذى لا يتوقف .

ثانيا : كشف محاذير هذه الحضارة الغربية فى مرحلة التدهور والأفول : والابانة عن انحرافها الخطير عن منهج الله تبارك وتعالى والتعريف بالآثار الخطيرة التى احدثتها من حيث أوقعت البشرية فى « الازمة » والنفس الانسانية فى التمـــزق والانحراف والتحلـــل باندفاعها وراء شهوتى البطن والفـــرج التى يمثلهما منهج الرأسمالية والفرويدية والماركسية جميعا .

وكيف جاءت الحضارة الاسلامية للبشرية محررة اياها من عبودية العقيدة الوثنية وعبودية الانسان للانسان وكيف سقطت حضارات المـــادية والاباحية والالحاد التى عرفت بالفرعونية والرومانية والفارسية .

وادخل الاسلام البشرية فى عصر التحرر من الظلم والعبودية والرق . وفتح لهم القرآن باب البحث العلمى وصولا الى « المنهج التجريبى » الذى قام به المسلمون والذى هو عماد الحضارة المادية المعاصرة .

وعلينـــا أن نعلن بدون مواربة أفول الحضارة الغربية لانها خرجت عن منهج الله وان البشر تتطلع الى شروق الحضارة الاسلامية مجددة بعد أن توقفت عن العطـــاء .

ثالثا : تعميق المفاهيم الجديدة التى بدات تشق طريقها فى عالم الغرب كاشفة عن فساد التفسيرات الدينية التى قام بها الاحبار والرهبان خارجين برسالات الله عن طريقهـــا الحقيقى وعن تسلسلها الطبيعى ، واعطائها حجما أكبر من حجمها الحقيقى وخاصة ماكتبه فى العصر الحديث علمـــاء اللاهوت والدكتور موريس بوكاى عن التحليل العلمى للكتب المقدسة التى فى أيدى الناس ومدى اضطرابها وبشريتها ومعارضتها للحقائق التى كشف عنها العلم بينما يلقى القرآن بهذه الحقائق فيثبت أنه من عند الله .

رابعا : تأصيل المفاهيم التى أصبحت الآن بمثابة الحقائق والتى تقرر أن العلم لا يستطيع ان يقول الكلمة الاخيرة لا فى مسئولية الانسان ولا فى حقيقة الكون وانه ليس الا اداة من أدوات التعرف على مجموعة متواضعة من الحقائق تفسر « ظاهر الاشياء » وأن نظرية داروين التى كانت منطلقا للفكر المـــادى قد تكشف زيفها واثبت العلم وكشفت الارض عن الجماجم والعظام التى دحضت فرضية الصلة بين الانسان والقـــرد فقد عبرت هذه الجماجم عن استقلالية كل عنصر منذ خلقه الله جل وعلا وان الانسان منذ خلقـــه الله ومشى على الأرض كانت قامته مثلما هى اليوم قائمة ممنونة وبذلك تساقطت كل ما رتبته هذه النظرية الضالة وتبين فساد نظرية التطور الدائم كما تبين فساد نظرية الثبات الدائم ، واقـــر العلم بأن هناك ثوابت وأن هناك متغيرات كان الاسلام قد سبق فأعلن عنها منذ خمسة عشر قرنـــا .

وكيف أن القرآن حمل مفاهيم واضحة عن أول الخلق والحياة على وجـــه الارض وقد جاءت الابحاث العلمية لتصدقها وتؤكدها .

خامسا : تعميق الوثائق التى قدمها علماء الغرب فى الكشف عن عظمة الشريعة الاسلامية وخصوبة الفقه الاسلامى وعمق عطائه فى مختلف مجالات الحياة فقد انهت المؤتمرات القانونية والفقهية أبحاثها منذ قرابة خمسين عـــاما بقرارات واضحة الدلالة فى ســـلامة الشريعة الاسلامية وكمالها وقد تبين لعلماء الغرب من كنوزها ما اذهلهم وجعلهم يعترفون راغمين بأصالة هذه

الشريعة ، بل أنهم لم يتوقفوا عن أن ينقلوا منهـا الكثير ويطبقوها تحت أسماء مختلفة وقد اعترفوا بفضل الاسلام أساسا على القانون المعاصر الذى نقل أغلبه من فقه مالك حين نقلـه علماء نابليون الى الغرب لاول مـرة .

وكيف أن الغرب الذى يعترف بفضل هذه الشريعة الغـراء مازال يحـول بين المسلمين وبين تطبيقها فى مجتمعاتهم ويفرض عليهم القانون الوضعى وهم مازالوا عاجزين عن التحرر من ربقة هذا القيد الأسيف .

ولقد تبين للغربيين اليوم عن طريق أعـلام من مفكريهم بما لا يدع مجالا للشك انه لا يصح للانسان أن يشرع لنفسه ولمجتمعه وانه لابد من « جهة أعلى » هى التى تشرع له ، وانه حين يخضع الانسان لقانون بشرى فانما يكون قد خضع للاهـواء وللظن وهو ما يؤدى الى تدمير المجتمعات وهم يرون دمار حضارتهم اليوم نتيجـة ذلك ومع انهم يكتشفون هذه الحقيقة فانهم مازالوا سادرين وراء مناهج وايدلوجيات لم تستطع أن تحقق لهـم مطامح الروح ولا سعادة المجتمع ، هـذه الأيدلوجيات التى يتراوحون فيها يمينـا وشـمالا بين الديمقـراطية والراسمالية والاشتراكية وبين الفـردية والجماعية ، وقد تبين لهم فساد هذه الايدلوجيات وعجزه من الاستجابة الحقيقية .

سادسا : علينا أن نستأنف البحث الذى بـدأ فى العالم اليوم بحثا عن منهج اقتصاد جديد بعد أن أعلن فشل وهزيمة المناهج الاقتصادية المعاصرة وعجزها عن العطاء فالعالم اليوم حين يطالب بمنهج يجد فيه الرحمة والمسـاواة ويتخلص به من أرستقراطية الراسمالية ودكتاتورية الماركسية لن يجد الا الاسـلام فهو الذى يستطيع أن يعطيه ماهـو فى حاجة اليـه .

وكمـا تبين لهـم فساد منهج الاقتصاد العالمى فقد تبين لهم فساد نظريات فرويد ودوركايم وفريزر التى أوصلتهم الى اضطراب الأسرة وانتشار الجريمة وحوادث الاجهاض واستشراء الاباحية وامتهان كل القيم بما ظهر من حركات الوجودية والهيبية والعرى الجماعى ، ومع ذلك فهم سادرون فى غيهم ، يحاولون الانتقال من المادية الاباحية الى نظريات الروحية الاباحية فى مفاهيم البوذية والثيوصوفية واليوجا والغنوصية الشرقية .

ولو كانوا يبحثون عن الحق لمـا عدوا الاسلام الذى يجدونه واضحا أمامهم وفى طريقهم قبل أن ينتقلوا من أقصى الغرب الى أقصى الشرق .

ولقد تبين لهـم فساد نظرية فرويد فى الجنس وكشفت الابحاث العلمية عن انه ليس الجنس وحده مصدر التصرفات البشرية ، وتبين لهم فساد التفسير المادى للتاريخ وكشفت الابحاث العلمية عن أن التاريخ بمصادر متعددة وأن الاقتصاد هو فى الدرجة الثالثة أو الرابعة ومـع ذلك فالبشرية الضالة مازالت متشبثة بضلالها وتجر وراءها عالم الاسـلام .

سابعا : علينا ان نصحح مفهوم قدرة الله عز وجل واحيائه فى مختلف العلوم والثقافات بعد أن عمد الفكر الغربى الى انكار الله تبارك وتعالى صانع كل شىء وانكار النبوة والبعث والجزاء ومسئولية الفرد فى الحياة والتزامه الخلقى وعمد الى تصوير الحياة بصورة مادية خالصة وتجاهل جانب الروح والمعنويات والغيبيات وعالم ماوراء المـادة وقد تبين له فساد ذلك كله وجـاء تفجير الذرة محطما لكل هذه النظريات المادية التى تخالف الآن مايقرره العلم التجريبى الذى أخذ يؤمن بعالم الغيب ويؤمن بوجود الله تبارك وتعالى الخالق القادر القائم وراء هذا الكون كله يديره ويدبره لحظة بعد لحظة ويعرف علماء الفلسفة المادية هذه الحقائق العلمية التجريبية ولكنهم سادرون فى غيهم يضللون الناس ويسخرون من الأصالة والفطرة ولقد أدخلت الفلسفة المادية البشرية فى حيرة شديدة بانكارها لعالم ما وراء المـادة ولا يخرج لها الا بالايمان بالله الواحد الأحـد ، ذلك هو منطلق الفطرة الذى يهدى الى مسئولية الفرد فى بناء المجتمع الربانى على هدى من الالتزام الخلقى .

ثانيا : علينا أن نكشف فسـاد مفهوم القوميات الوافد الذى طرح فى أفق الفكر الاسلامى للقضاء على مفهوم الوحـدة الاسلامية والوحـدة الفكرية الجامعة القائمة على أساس لا اله الا الله والمستمدة من مفهوم القرآن الاصيل ، هذا المفهوم الضال المظلم الذى فتح الباب واسـعا أمـام الفرعونية والفينيقية والاشورية والبابلية والبربرية والذى يستهدف فى العصر الحديث انبعاث أفكـار بائدة قضى عليها الاسـلام الذى أعلن **الانقطاع الحضارى** فى مختلف أجزاء عالم الاسـلام عن كل ما سبقه من دعوات سواء كورش فى فارس أم طوران فى تركيا أم وثنية العرب أم قيصرية الروم . لقد كانت نظرية القومية العربية بمثابة مؤامرة استهدفت تمزيق الوحدة الاسلامية السياسية والاجتماعية والفكرية التى كانت مترابطة تحت كلمة التوحيد ولقد تجاوز المسلمون اليـوم مرحلة الوطنية والقومية وكشفوا زيف هـذه الاطروحة الفاسدة ، التى قصد بها دعاتها الى القضاء على رابطة التجمع الاسلامى فى مواجهة النفوذ الغربى الزاحف .

تاسعا : يجب أن يكشف علم تصحيح المفاهيم عن نتيجة التجربة التى خاضها العالم الاسلامى فى مواجهة

التبعية للنظام الديمقراطى الليبرالى الرأسمالى الغربى وفى مواجهة التبعية للنظام الماركسى الاشتراكى البلشفى وكيف أن المجتمع الاسلامى قد لفظ كلتا التجربتين بعد أن جرى شوطا فى اصطناعهما واحدة وأثر واحدة كمحاولة للعصرية والتقدمية وكيف أن هذه التجربة حملت معها الهزيمة والنكبة للبلاد التى أجرت هذه التجربة وكانت نهايتها تلك النكسة المروعة التى أودت بثروات الاسم ومقدراتها وكادت أن تحصدها حصدا لولا أن علت صيحة الاصـالة والتماس المنـابع التى دعت المسلمين الى استخلاص التجربة الغربية بشقيها والايمان بأنه لاسبيل أمام الأمة الاسلامية الا طريق واحد هو طريق الله بالحق الذى دعـا اليه الاسـلام .

« وان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به » .

هذا كله هو منطلق ذلك العلم الذى يطلق عليه علم تصحيح المفاهيم وتحرير القيم فى مواجهة شبهات التغريب والغزو الثقافى . فان علينا نحن المسلمين أن نكشف زيف هذا الاتجاه المضلل الذى تتردى فيه البشرية وان نحـرر أنفسنا أولا من اصر هـذه الفلسفات التى تحاول احتواء الفكر الاسلامى . هذا واجبنا أولا ، أن نقدم هذه الحقائق الى قومنا المسلمين وقد طرحت هذه النظريات كلها فى أفق فكرهم ، وتسألهم : هل يسيرون وراء ضلال الغرب وهواه ؟ وهـل يؤمنون بالحضارة الغربية وهى فى مرحلة الانهيار ؟ وهل يخضعون لهذه الأيدلوجيات المتصارعة المتهالكة ؟ ان هناك قوى ضالة مضلة ماتزال توقد النار لتغرى الناس بهذه الاهـواء المضلة وتدفعهم دفعا الى اتون الشهوات الصاخبة ، وهناك اقلام مسمومة تحاول أن تحطم كل القيم ، وأن تزيف حضارة الاسـلام وتثير الشبهات حول القرآن والسنة وسيرة الرسول وتاريخ الاسـلام وهى تروج لمفاهيم زائفة وأفكار باطنية ، وتحيى من التاريخ تلك الشخصيات الشاذة الغريبة الضالة والمنحرفة أمثـال الحلاج والسهروردى وابن عربى وابى نواس وبشار وهنـاك من تخصص فى تشـويه الشريعة الاسلامية والادعاء بأنها موقوتة أو من يحاول مهاجمة اللغة العربية ويدعو الى العامية والكتابة بالحروف اللاتينية وماتزال هذه المخططات تجرى مجرى الدم فى فكرنا الاسلامى عن طـريق الجـامعة والصحيفة والثقافة ويحـاول الاستشراق والتبشير من خلال هذه المراكز وعن طريق مخططات متجددة متغيرة اخضاع ثقافة الاسلام وفكره وتاريخه ولغته الى ما يسمى باسم « التقـارب » أو « الحوار » ولا ريب انه ليس هناك تقارب حر ولا حوار أصيل ، وانما هناك هدف بعيد من وراء ذلك هو تجريد الاسلام من ذاتيته الخاصة وميزته المفردة .. وذلك فى محاولة لتضليل المتطلعين اليه كمنقذ للبشرية من وهدتها الحانقة وازمتها العسيرة ، والراغبين فى التماس الاسلام كمنهج حيـاة بعد أن عجزت الايدلوجيات الغربية عن العطـاء .

(٢)

وبعـــد :

فاذا تقرر هذا المعنى فيحق لنا أن نضع خطوطا عامة لمنهج هذا العلم :

« علم تصحيح المفاهيم ودحض الشبهات عن طريق الاصالة الاسلامية » وقد سبقنا الى ذلك علماء أجلاء فى مثل هذه الازمة التى نمر بها واجهوها بكل قوة ويقظة ووضعوا أصول المقاومة والمواجهة لكل حملات التشكيك وشبهات التغريب وعلينا أن نقتفى طريقهم تحريرا للفكر الاسلامى من دخـائل التبشير والشعوبية وكشفا عن الاخطاء الشائعة التى بلغت من كثرة ترددها أن أصبحت كالمسلمات وتصحيح المفـاهيم وتطبيق عـلم الجـرح والتعديل على الكتاب الذين خدعوا الكثيرين من حيث بريق الشهرة وضجيج الدعاوى والاعلان ، هؤلاء الذين يكنون خصومة عميقة لفكر المسلمين وان كانوا يخدعون بالدعوة الى التقدم والعصرية وهم لا يتركون فرصة تمر دون النيل من قيم فكرنا وذاتية أمتنا ويهدمون كياننا ومن قبل رد ابن تيمية على المناطقة ورد الغزالى على الباطنية والفلاسفة ورد ابن حزم على الفرق وقدم ابن الجوزى كتاب تلبيس ابليس كمنهج فى هذا المجال كما كتب القاضى ابن العربى كتاب العواصم من القواصم ، وفى العصر الحديث ظهرت كتابات كثيرة فى هذا المجال فقد رد جمال الدين الأفغانى على الدهريين وكشف محمد عبده فساد تفسيرات النصرانية وجلى رشيد رضا شبهات النصارى ودحض ولى الله الدهلوى فى كتابه حجة الله البالغة كثيرا من شبهات اليهود والنصارى .

ومن الحق أن يقال انه قد أصبحت هناك ضرورة قائمة لهذه المواجهة وكشف الشبهات وتصحيح المفاهيم يقـوم على أساس تحـرير قضايا الفـكر ودراسة المصطلحات السارية المتداولة وكشف وجهة نظر الفكر الاسلامى فيها وابراز مفهوم الاسلام القيم المختلفة وهو مفهوم يختلف قطعا عن مفاهيم الفكر الغربى والفـكر الشرقى جميعا لهذه القيم .

ولا شـك أن الدعوة الى تصحيح المفاهيم هو عمـل كبير الاهمية فى مطالع القـرن الخامس عشر الهجرى : هذه المرحلة الخطيرة الحاسمة فى حياة أمتنا بوصفها انتقالا من اليقظة الى النهضة ومن التبعية الى الرشد الفكرى ، وذلك يتطلب القـاء نظرة واسعة على

الاخطاء الكثيرة التى ترددت فى العصر الحديث وتضمنتها الابحاث والمؤلفات والكتب الدراسية المقررة والمفاهيم التعليمية المختلفة التى حاول النفوذ الاجنبى والاستعمار الفكرى فرضها ودعمهـا وتعميمها وصقلها وتجديدها كلما بليت واعطائها صورة الحقائق الاساسية التى لا تقبل الشـك بينما هى زائفة ليس لها أصل علمى تعتمد عليه أو سند تاريخى يضمن الثقة بها وقد شجع على ذيوعها سقوط فكرنا فى مرحلة التقليد والترديد الببغائى دون وعى حصيف أو تقليب واع او محاذرة يقظة لكلمات وخصوم هذه الأمة وهذا الفكر .

ونحن لا ندعو الى حرب أو خصومة ازاء ما يقال ولكن نطالب بالنظرة الحذرة اليقظة حتى لا نخدع ولا يدلس علينا بالزائف من القول أن ينقص حقنا وحقائقنا.

علينـا أن نواجـه فى وضوح :

- شبهات التبشير والاستشراق ..
- شبهات بروتوكولات صهيون والاسرائيليات الجديدة.
- شبهات المذاهب والدعوات المادية والاباحية الوثنية التى صيغت فى قوالب علمية براقة خادعة وان كانت لا تستطيع أن تصمد أمام ضـوء الحقائق الاسلامية الكاشف الذى يعربها ويفضح خبيئتها ..

ولقد كان الفكر الاسلامى ولا يزال — استمدادا من مصادره الاسلامية القرآنية — على المحجة البيضاء ولكنه أصيب بالانحراف والاضطراب حين انصرف أهله عن أصوله القائمة على التوحيد والحق والعدل وترابط المعنوى والمـادى معـا .

ولقد واجه الفكر الاسلامى عملية الغزو الفكرى والثقافى منذ قديم واستطاع بعـد معركته الاولى التى أمتدت قرنين كاملين فى مواجهة الباطنية والمجوسية واخوان الصفا والفلاسفة أن يتحرر من كل هذه الزيوف وأن يستعيد طابعه الأصيل وذاتيته الحقة بعد حرب عنيفة مـع الوثنيات اليونانية والمجوسية والهندية القديمـة واستطاع أن يحطم مفاهيم الاعتزال والفلسفة الالهية والجبرية الفلسفية وأن يقيم مفهوم التوحيد الخالص مفهوم أهـل السنة والجماعة .

وهو اليوم يواجه نفس الموقف ويحتاج الى تجمع واع أصيل لاداء هذه الرسالة ، وهو قادر على ذلك ويقظ لكل المؤامرات التى تراد به ، متفتح الآفاق لكل الثقافات والمفاهيم يأخذ منهـا ويرفض على قاعدته الأساسية العميقة الجذور ، وهو بقوته الذاتية المستمدة من القرآن قادر على كشف الزيف ورفض الخطأ ودحض الشـبهة .

(٣)

لقد كان هـدف حـركة التغريب (الاستشراق والتبشير) هو العمـل على الحط من شـأن العرب والمسلمين فى انفسهم وتشجيع العاميات جريـا وراء تفكيك عروة وحدة الفكر الجامع ، ولقد جرت محاولات كثيرة لفصـل الادب العربى المعاصر والفـكر العربى المعاصر عن أصولهما الاسلامية ومصادرهما الاصيلة ثم تبين أن هذا العمل كان عسيرا بل ومستحيلا .

كما جرت المحاولات لتدمير الشخصيات البالغة فى تاريخنا وفكرنا وخاصة أولئك الذين حرروا الاسلام من التبعية كما جرت لاعلاء شأن أبى نواس وبشار والحلاج وعمدت الى اتهـام الفكر الاسلامى بانتقاص الحرية وعرضت حياة ابن رشد والسهروردى أمثلة على ذلك ، واتصلت الشـبهات بمختلف ميادين الفـكر سياسية واجتماعية كما ظهرت عشرات الكتب تحاول أن تفرض مفهوما زائفا وخاطئا فى سبيل خدمة هدف تدمير الذاتية الاسلامية المتميـزة ، وتمييعها واحتوائها وصهرها فى أتون الفكر العالمى والاممى .

وجـرى البحث لاعلاء شأن كتب المحاضرات والنـوادر والأساطير التى يرددهـا الرواة الكذابون المزيفون ، وجرت المحاولات لان تكون هذه الكتب مصادر علمية يعتمد عليها فى استخراج صورة للمجتمع الاسلامى وقد شدد الدكتور طه حسين وصحبه على الأغانى وألف ليلة وغيرها من الكتب الفاسدة لتكون مصدرا لتصوير الحياة الاجتماعية الاسلامية .

كما نسقت الشبهات المضادة للاسلام واقـوال خصومه فى موسوعات أهمها دائرة المعارف الاسلامية والموسوعة الميسرة والمنجد وقد وضعت فى أيدى الباحثين فهم يلجأون اليها فى كل وقت دون معاناه ، غير ابهين بمدى الخطر الذى يحيط بها والهدف البعيد الذى يراد من وراء نشر هذه الشبهات الزائفة ووضعها فى قالب علمى خطـير .

وقد وجهت هـذه الموسوعات من اجـل خدمة السـموم التى قدمتهـا اليهودية العالمية والصهيونية والتلمودية من أجـل دعواها الزائفة ولذلك فانها فى سـواد القدس وفلسطين وابرهيم واسماعيل واسحق تقدم تحريفات خطيرة تختلف عن مفهوم الاسلام الاصيل المستمد من القرآن الكريم .

ولقد تبين بما لا يدع مجالا للشك أن هذه الشبهات والاخطاء انمـا يراد بها القضـاء على ذاتية الاسلام والمسلمين واخراجهم من قيمهم ومزاجهم النفسى واثارة

اليأس فى قلوبهم وتشكيكهم فى مقدراتهم وتشويه معالم فكرهم وأدبهم ، وما تزال هذه الحمــلات مستمرة لم تتوقف بصورها المتعددة ومصادرها الكثيرة .

والهدف هو محاولة التأثير على النفس الاسلامية وافساد ثقتها اتعميمها ودفعها الى طريق اليأس والشك والنظر بعين الانتقاص الى مقوماتها التى هى مصدر قوتها والتى هى الطريق الوحيد الذى يجب أن تسلكه فى سبيل دحــر عدوها ورد عدوانه فى مختلف مجالات الفكر والسياسة والحرب وهى المنطلق الحقيقى للقوة والنصر والحرية وافتقاد المسلمين مكانهم الحقيقى فوق هذا الكوكب من أجــل هذا كله أدعو الى الاعلان عن علم جديد نجند له كفاياتنا ومقدراتنا وليكون معلوما لنا جميعا بأن هناك اكثر من مائة مؤلف أجنبى ملىء بالخطأ والســموم وهى متداولة فى جامعاتنا ومكتباتنا وهى معارضة تماما لمفهومنا الاسلامى الاصيل وان هنــاك علومــا تدرس فى جامعاتنا ومعاهدنا عن علوم النفس والاجتماع والأخــلاق والسياسة والاقتصــاد ، فكل ما تدرسه جامعاتنا معارض تماما لمفهوم النظرة الاسلامية الحقة وهو ليس علمــا ولكنه فروض فلسفية بشرية تخطىء وتصيب فعلينا أن تقوم هذه القوة القادرة على كشف هذا الزيف كله وتحطيم هذا البناء الزاحف ، وهدم هذه الدائرة المظلمة التى حاوات أن تحتوى شبابنا وأمتنا وتردها عن الاصالة الاسلامية ..

هذا والله ولى التوفيق ،،

* * *

البـــاب الســـابع

أسلمـــة القوانيـــن

(١)

تختلف منطلقات القانون الوضعى الغربى الوافد عن الشريعة الاسلامية فى مصادر كثيرة أساسية أبرزها

١ — ان الشريعة الاسلامية من عند الله تبارك وتعالى

٢ — وأنها تؤسس مجتمعـــا من نقطـــة البـــدأ .

٣ — وأنها تقرر أن بنى الانسان جميعا من أصل واحد لا فضل لجنس على جنس وان التفاضل يكون بالتقوى والعمل الصالح وأن القانون يسوى بين الناس جميعا .

وهـــذه العناصر فى مفهوم القـــانون الاسلامى (الشريعة) تختلف اختلافا واضحا عن مفهوم القانون الغربى الوافد المستمد من مفاهيم الحضارة الرومانية القديمة والتى تعلى شأن طبقة السادة والامراء على طبقات الشعب الاخرى والتى تقر الرق أساسا للمجتمع والتى تجعل القانون حكرا على طبقة السادة وحدهم وليس على سائر المواطنين .

فضلا عن أن الشريعة الاسلامية هى مقررات ثابتة لا تتغير ولا تتبدل مع الزمن (مع وجود المسائل النوعية والمتغيرات) باختلاف القانون الوضعى الخاضع دائما للتطور حسب متغيرات البيئات والعصور .

وقد أرسى القرآن العظيم قواعد الاسلام على وحدة الخـــالق ووحدة الخلق ووحدة النفس البشرية ووحدة الدين الحنيف ووحدة الانسانية ووحدة الكـــون ووحدة التشريع وأن المـــال كله لله والناس مستخلفون فيه .

ولمـــا كان المسلمون قد خضعـــوا خـــلال فترة الاستعمار والنفوذ الاجنبى للقانون الغربى الوافد بعد أن حجبت أحكام الشريعة الاسلامية فان التجربة التى تمت فى المجتمـــع الاسلامى قد اثبتت عجـــز القانون الوضعى عن اقامة المجتمع السليم ، وكانت عاملا هاما فى تدمير الاسرة وتحطيم عوامل وحدة المجتمع ولذلك فان المسلمين مطالبون اليوم بتحرير انفسهم من قيود القانون الوضعى والعـــودة الى أسلمة القانون ليس بتنقيـــة القانون السائد من مخالفاته الصريحة للشريعة ولكن بالعودة الى أصل الشريعة نفسه الذى يتقدم القانون

ويكشف عن مدى الفوارق العميقة بين متطلعات القانون الوافد وبين متطلعات الاســـلام .

وقد تبين لرجال القانون الغربيين من خلال عدد من المؤتمرات التى عقدت خلال نصف القرن الاخير تميز الشريعة الاسلامية بطابع مختلف عن القانون الغربى والتى تقوم أساسا على الايمان بالله وعلى المسئولية الفردية وعلى الايمان بالجزاء الاخروى والبعث . وأبرز ما تمثل فى الاحكام الاسلامية التى تنفرد بها عن باقى الشرائع هى الايمان بحق الله ورقابته . فعقد البيـــع مثلا اذا استكمل أركانه وشرائطه فقد يكون عقدا قانونيا صحيحا يترتب عليه آثـــاره بين المتعاقدين بشرط أن يكون التنفيذ مراعيا فيه رقابة الله تبارك وتعالى فاذا لم تراع فيه تعاليم الله فهو نافذ دنيويا ومستحق لمؤاخذة الله أخرويا وهكذا كل حكم من أحكام الشريعة الاسلامية يوجد فيه المعنيان معا : الدنيوى والدينى ويكون الوازع الدينى أعظـــم وازع يكفل اطاعة القوانين وتنفيذها سرا وعلانية وهذا هو أبرز الاصول التى تنفرد بها الشريعة الاسلامية .

ثانيا : تميز القانون الاسلامى : ١ — بالعدل بين القريبوالبعيد (كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والاقربين ان يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهمـــا) .

٢ — العدل بين العدو والصديق (ولا يجرمنكم شنآن قوم على الا تعدلوا : اعدلوا هو أقرب للتقوى) .

ثالثا : كذلك يقوم القانون الاسلامى على أساس فكرة متقدمة وتوية تهدف الى تقويم الاخلاق ، واذا كان كل نظام قانونى ينطوى على عنصر خلقى فان فـــكرة تهذيب الاخلاق التى ينطوى عليها النظام الاسلامى لم تكن نتيجة تطور بطىء بل انها شرعت مع المبـــادىء الجوهرية للنظام القانونى فهى تشكل جـــزءا مكمـــلا لكيـــانه .

رابعا : فقد جاءت أحكام الحدود والقصاص رادعة تحول دون وقوع الجريمة أساسا وليست عقوبة لهـــا

بعد وقوعها وهذا ما تتميز به الشريعة الاسلامية على شرائع الأرض وقوانينها قاطبة .

خامسا : ان القصاص لا يقف عند حد من وقع منه الاعتداء مباشرة بل يتعداه الى من كان لنفوذه وسلطانه دخل فى هذا الاعتداء .

سادسا : العدل يجب أن يصل الى الناس بلا تمييز وقبل أن يطلبوه واعفاء صاحب الشكوى حتى من اثمان الورق الذى يكتب عليه شكواه .

سابعا : ان اقامة الحدود هى عبادة الحاكم فاقامة الحدود عبادة وكل من لم يقم الحدود فقد تخلى عن هذه العبادة (ولكم فى القصاص حياة) والاسلام يجعل العقوبة فى جرائم الدماء لشفاء غيظ المجنى عليه . فقد أعطاه الله حق القصاص وحق العفو بخلاف القوانين الوضعية فانها لا تعطى المجنى عليه حق العفو عن الجانى .

ثامنا : الجمع بين المصالح المادية والحاجات الروحية ، والجمع بين المصلحة الخاصة والمصلحة العامة والتوفيق بين المصالح المتضاربة والجمع بين الثبات والتطور .

تاسعا : تغطية الشريعة الاسلامية لكل جوانب حياتنا : تربويا وقانونيا وثقافيا واقتصاديا وسلوكيا وقد جاء الاسلام حاكما على الناس والمدنيات ولم يجىء محكوما بهم فليس الاسلام مطية ذلولا لانحرافات الحضارة والمجتمعات الحديثة .

عاشرا : وحدة جميع المجالات التى يشملها التشريع (الدولة — الاسرة — الاقتصاد — العلاقات الاجتماعية) فى مجال الاخلاق ترتبط هذه الوحدة بتربية المسلمين وفقا لمبادىء وأسس اخلاقية ثابتة موحدة فى الاخوة والرحمة والسخاء والكرم وغيرها من أمهات الفضائل والقيم الاسلامية وذلك ليجد المسلمون انفسهم على طريق واحد وعلى مسيرة واحدة لان تحكيم شريعة الله فى كل الشئون هو مصدر الوحدة الاسلامية الحقيقية لان الوحدة الاسلامية وحدة فكر وعقيدة ودين .

(ثانيا)

الشريعة الاسلامية والفقه الاسلامى

الشريعة الاسلامية هى الاصول الثابتة التى لا تتغير من الاسلام وهى ملزمة لانها من صنع الله تبارك وتعالى ، أما الفقه الاسلامى فهو التفسير الذى قدمه المسلمون بما يحقق مطابقة الشريعة الاسلامية لمجتمعاتهم وعصورهم وقد احتوى القرآن على متن أحكام الاسلام كلها فى الجملة ثم جاءت السنة النبوية والسيرة النبوية فأوضحت كل ذلك وشرحته وبينته للناس :

(وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم) .

وقد بذل الفقهاء الجهد والطاقة فى سبيل الوصول الى الحق والصواب والعدل والمصلحة ، واتفقت كلمة المشرعين على أن أصول الاحكام : الكتاب والسنة والاجماع والقياس . ولما كانت الاحكام الواردة فى القرآن والسنة أكثرها أحكام كلية فقد واجه الائمة بعد الفتح حالات كثيرة جديدة لم تكن معروفة فى جزيرة العرب فوضعوا لها الاحكام ، ومن ذلك فى العراق مسائل الرى الناشئة عن نهرى دجلة والفرات(واجهها أبو حنيفة وتلميذاه أبو يوسف ومحمد) .

وفى مصر واجه الشافعى مشاكل الرى الناشئة عن النيل فضلا عن مشاكل المعاملات والحيازات ، وبالنسبة للأمم التى دخلت تحت حكم الاسلام كالفرس والروم فقد كانت لهم عادات خاصة فاذا دخلها الاسلام كان لابد أن يعرضوها على الأئمة ليقوموها هؤلاء بدورهم على أساس الأصول الكلية للاسلام ويقروها أو يحكموا ببطلانها وقد عرفت الشريعة الاسلامية بخصائص أساسيا : أهمها ..

١ — السعة والدقة فى بناء الأحكام .

٢ — الحرص على التوازن فى الحكومة بين الفرد والجماعة .

٣ — تجريد الاحكام من كل عصبية وعاطفة فكرة العدل والحق المطلق .

٤ — مرونة المصادر والاصول .

وكل هذا قد اكسب الشريعة صفة الخلود وقابلية الاستجابة لتغطية جميع الحاجات التشريعية تبعا لمصلحة الامة فى مختلف مراحل نموها ، وعلى اساس المحافظة على اصالتها وروحها فى تطورها وتطور الانسان الشامل .

* * *

(٢)

أصول الشريعة الاسلامية جاء بها القرآن وفصلتها السنة النبوية ثم جاء دور الفقه ، وهو العمل الذى قام به الفقهاء الذين فصلوا هذه الشريعة وقننوها واستنبطوا الاحكام الاسلامية العملية من القرآن والسنة وقد مضى هذا العمل فى نماء حتى جاء الامام الشافعى

فوضع قانونا للاحكام اطلق عليه بعد ذلك (علم اصول الفقه) أصبح من بعد بمثابة المنهج الذى تسير عليه أعمال الفقه الاسلامى ، وهو العلم الذى يبحث فى الادلة الشرعية وفى طرق استنباط الأحكام منهـا .

وقد نشـأ الفقـه الاسلامى بعيدا عن المؤثرات الاجنبية التى تخالف روح الاسلام اذ نشأ فى كنف الجـو الاسلامى العام ، وهو يعبر عن أبرع محاولات العقول تعاليم الاسلام وحياة المسلمين فى الأقطار المختلفة ، لذا نرى الخلافات بين الفقهاء كانت تدور حـول تفسير الايات القرآنية أو صحة الاحاديث النبوية أو مواضعات المجتمعات المختلفة بين مجتمع كالمدينة ومجتمع كالعراق والشـام ومصر وتدل كثرة مذاهب الفقـه الاسلامى على سـعة المحاولة لتكيف الأحداث من وجهة نظـر الاسلام وقد جـاء الخلاف بينهم نتيجة رغبة الفقهاء فى ضرورة الحرص على بقـاء الجماعة الاسلامية آخـذة بالاسلام فى منهاج حياتها اليومى .

* * *

قضـــايا الشريعـــة

(١)

نظرية النسبية الأخلاقية وقضية تطوير الشريعة

ارتفعت الصيحة عن طـريق كتابات العلمانيين والتغريبيين حـول دعوى تطوير الشريعة فى جملـة دعواهم الى تطوير الدين وتطوير اللغة وغيرها وهى قضايا غربية متصلة بالفكر الغربى الذى اثار كثيرا من القضايا المرتبطة بمفهـوم المسيحية الغربية وعلاقتها بالمجتمعات الاوروبية وصلة الكنيسة بدوائر العـلم والحكم فيها وهى قضية يقف منها الاسلام موقفا حاسما فالاسلام دين ربانى عالمى خـالد قام على أسس واسعة قادرة على متابعة متغيرات المجتمعات والعصور ومن ثم فانها تستطيع استيعاب مختلف الظروف والاوضاع دون أن تخرج عن أصولها الاصيلة وثوابتها القائمة فعـلا ، وانما تجرى الحركة دائما فى اطـار الثبـات .

وعـلاقة الشريعة الاسلامية بفلسفة التطـوير بمفهومها الشامل ـ كما يقول الدكتور احمد عبد الرحيم ابرهيم ـ هى علاقة تضاد ، ذلك أن الشريعة جاءت لتبقى والى الابد فى حين تصر فلسفة التطور الشامل على نبذ كل ما يمت الى الماضى والغـاء كل الحقائق الثابتة كما جـاء فى المانفستو الشيوعى ١٨٤٨ .

لقـد كشف لنـا المنهج الاسلامى عن طابعين : (الأول) هو التشريع وجوهره العدل (خذ ثمرة جهدك وتحمل تبعة اخطائك) .

(الثانى) الأخلاق وجوهره الايثار وشعاره أعط غيرك من ثمرة جهدك . (من عمل صالحا فلنفسه) ، (الا تزر وازرة وزر أخرى وأن ليس للانسان الا ما سعى) .

ويقول ابن القيم : ان الاصل فى العقود كلها انما هو العدل الذى بعثت به الرسل والشارع جل شأنه نهى عن الربا لما فيه من الظلم ، وعن الميسر لما فيه من الظلم ، وكلاهما أكل أموال الناس بالباطل ، وكل معاملة نهى عنها الاسلام فهى ظلم ، واغتصاب لثمرة جهود الآخرين وكل معاملة اجازها فهى عدل . هذا هو المبدأ الذى يراد تطويره لكى يوافق الفلسفة النسبية ، ثم (الايثار) كيف يمكن تطويره فالاسلام يقدم مناهج اجتماعية متكاملة تضمن لجماعته حياة انسانية كريمة ، وخاصة حقوق الشيوخ والمقعدين وجميع الفئات التى لا تستطيع ان تعمل ، يوجب على الحاكم المسلم أن يأخذ لهم حقوقهم من أصحابها اذا لم يبادروا الى تقديمها طواعية واختياريا ولا يقف الاسلام عند حدود ذلك بل يدعو الى مزيد من البذل والعطـاء ، الى حيث البذل مع الخصاصة أو العطاء مع الحاجة ، هذا هو المبدأ المطلوب تطويره بغية افساح المجال للاخلاق النفعية الفردية الانانية التى تسـود اليوم المجتمعات الاوربية ، هذه هى دعـوة المذعورين من تطبيق الشريعة والداعين الى استيراد منهج الحياة الاوربية .

« ان صيحة تطوير الشريعة ، تغيير الأخلاق ، تطـوير العقائد ، الغـاء الثوابت ، صيحات ترددت أصداؤها فى العالم الاسلامى ، وهى ليست بالفلسفة الحديثة أو المعاصرة فقد كانت تمثل لبـاب الفلسفة السوفسطانية التى ظهرت قبل سقراط والتى أنكرت وجود الحقيقة العلمية كما أنكرت القيم الخلقية الثابتة الدائمة المطلقة .

ومعنى ذلك أن كل شيء ينبغي أن يتغير بل يجب أن يتغير تبعا لتفسير القوى الحاكمة والمؤثرة في المجتمع ، والنظم والتشريعات ليست استثناء من هذه القاعدة فالتغيير والتبديل والالغاء والتطوير بعض منها ، ثم ماتت الفلسفة السوفسطائية النسبية واقيمت على أنقاضها مذاهب اخرى شيدها سقراط وافلاطون وارسطو تعترف بثبات الحقائق العلمية والقيم الاخلاقية ، وفي العصر الحديث بعثت الفلسفة النسبية في ثوب جديد على يد (تشارلس داروين — ١٨٨٢) وتحت اسم جديد وفي مجال جديد هو علم الحياة (البيولوجي) قال داروين : ان الانسان شكل متطور عن القردة والقردة شكل متطور عن حيوانات ارقى وهي بدورها شكل متطور عن كائنات ارقى وبتسلسل التطورحتى ينتهي الى أدنى اشكال الحياة ومع الحملة على الأخلاق ، ويعتبر المناهضون للحقائق الثابتة والقيم المطلقة كما توهم أعداء الدين في الغرب والشرق ان نظرية التطور هي السلاح الذرى الذى يمكن أن يسبق أعداءهم ويفتح الباب على مصراعيه لفلسفتهم النسبية التي تنادى بتطور كل شيء ، وتدين بالعداء والمقت لكل ثابت وللدين على وجه الخصوص ، واذا كان العلم يقول ان كل شيء يجب أن يتغير ويتطور فان على الدين ان يستجيب لنداء العلم ، هذه الاستجابة تبدأ بتقطيع الاجزاء التالية من الدين وهي : التشريع الديني والأخلاق الدينية واحلال الشريعة الوضعية والاخلاق الوضعية محلها واذا اقتنع المتدينون بهذه الخطوة الاولية تيسر اقتناعهم بالخطوة النهائية وهي نبذ الايمان بالله وبالكتب السماوية ، ونيتشة ابرز ممثل للفلسفة النسبية في مجال الاخلاق واعدى أعداء الدين . واخلاقيات الدين ، وقد اتسمت فلسفة التطور بالطابع الحماسي الانفعالي حتى وجدنا (ارنست هيكل) العالم البيولوجي يزور الأجنة ليثبت وجود تشابه بينها وتبعا لذلك يثبت وجود تشابه بين انواع الحيوانات في الماضي السحيق ، وبذلك تنتصر فلسفة التطور وقد كشف زيف هيكل ، ولم تجد الفلسفة النسبية في الاخلاق (وفلسفة نيتشة احد مذاهبها) رواجا كبيرا لدى فلاسفة الاخلاق ، وقد أرسى عمانوئيل كانت (١٨٠٢) قواعد الأخلاق الثابتة المطلقة قبل ظهور داروين ورفض فكرة نسبية القيم وتطورها رفضا مطلقا فالأخلاق عند كانت لا يمكن ان تلزم احدا الا اذا كانت مبادئها ثابتة لا تتغير .

« ومن هنا فان تطوير الشريعة فكرة غريبة ثبت افلاسها » .

« فقد انتهت الفلسفة الأخلاقية الاوربية المعاصرة الى الرفض القاطع السببية واكدت على ثبات القيم وقال (ماكس سيلر ويلكورى هاريمن) ان القيم الأخلاقية مثل القيم الرياضية في ثباتها ورسوخها اما في الشرق الاسلامي فقد شكلت فلسفة التطور تيارا قويا استمد الطاقة من فلسفة داروين وفلسفة أوجست كونت (الوضعية المنطقية) والفلسفة الماركسية وحركة الاستشراق المعادية للاسلام ، وفي الوقت نفسه أدار انصار التطور ظهورهم لكل المذاهب الأوربية التي تقول بثبات الاخلاق واطلاقها وثبات القيم الانسانية الأساسية وثبات التشريع تبعا لذلك وتجاهلوها تجاهلا تاما ، ولقد كان واضحا منذ البداية وحتى اليوم ان انصار التطور في الشرق الاسلامي لا هدف لهم سوى احلال الافكار والنظم والقيم والتشريعات الاوربية محل الافكار والنظم والقيم والتشريعات الاسلامية وقد أدركوا أن هذا الهدف لايمكن أن يتحقق الا اذا نجحوا في اقتناع الناس بأن التطور الذى جاء به (داروين) مبدأ كوني شامل وليس خاصا بعلم الحياة وبأنه ليس سوى مجرد نظرية ظنية بل حقيقة تجريبية ، معملية ، وعلى هذا يجب أن يخضع له الفكر والاعتقاد والتشريع والأخلاق ، وأن يطبق على كل علم وادب وفن بما في ذلك تفسير القرآن وعلوم الحديث فيؤخذ من كل شيء ويترك بميزان التطور الكوني الشامل ولم يذكر انصار التطور حيوانا واحدا تحول من نوع الى نوع ، بفضل الانتخاب الطبيعي ، ولم ير الناس اى تطور من أى نوع كان في الاحياء الموجودة على ظهر البسيطة من آلاف السنين ، والسؤال : (كيف ظهر الانسان عقب ظهور القردة) لا يزال يتردد حائرا على السنة العلماء وبالرغم من كل هذه الحقائق اندفع نفر من ادبائنا وكتابنا اندفاعا حماسيا الى تبني (فلسفة التطور) الشامل وجرى في اثرهم عدد من علماء الدين استهوته العبارة السهلة التي تقول ان الاسلام صالح لكل زمان ومكان ، وجرت اقلام عديدة بعبارات مثلها او قريبة منها ، فقال قائل : ان الاسلام دين لين يستطيع ان يوفق بين روحه وبين كل مظاهر الحياة وأن نجد في نصوصه ما يساير الأطوار المختلفة التي تخطاها البشرية في عصورها المختلفة ، وقال القائلون ايضا : ان من الممكن أن نوفق بين الاسلام وبين حضارة الغرب وثقافته على اختلاف الأصول والوصول على أساس أن التطور هو روح الشريعة الاسلامية ومن هؤلاء ضياء كوك الب (تركيا) اسماعيل مظهر (مصر) والغالبية الساحقة من اساتذة الفلسفة وعلماء الاجتماع ، وجميع من اعتنقوا الفلسفة الشيوعية التي أعلنت الغاء الدين وكل الحقائق الثابتة مع الغاء الملكية الفردية في المانفستو الشيوعي ١٩٤٨ ولكن الحقيقة لم تعدم من يعرفها ويتبناها ويدافع عنها .

وقف في المواجهة : جمال الدين الأفغاني ، محمد رضا آل العلامة الأصفهاني ، الدكتور بشارة زلزل ،

ابراهيم الحورانى وغيرهم من النصارى والمسلمين وكانت معارك شرسة لا يزال نقعها عاليا فى حياتنا الثقافية ، ويحاول أيضا التطور اشعالها من جديد كلما الحت الأمة فى المطالبة بتطبيق الشريعة الاسلامية وتفتح لها مجلاتنا وصحفنا صدرها وقد كشف أكاذيبها حجب الرأى المعارض فآفة الرأى الهوى ، وعلى الصحف ألا تحمى الرأى الواحـــد » ا . هـ .

من بحث الدكتور أحمد عبد الرحمن

(٢)

ان تجربة أتاتورك فى الغاء الأحكام الشرعية (حتى فى الزواج والطلاق والميراث) انطلقت من محور أساسى مغلوط هـــو أن القوانين الشرعية أساسها الدين وأن الدين ثابت لا يتغير ، وكان عدم التغير فيه ضرورة من ضروراته وليس الأمر كذلك بالنسبة للحياة فهى معرضة لتحولات مستمرة ولهذا فى رأيهم أن يبقى الدين (وجدانيا) أى علاقة بين ضمير المرء وربه ولاصلة له بالحياة والمجتمع والدولة ، وأن تكون نظم الحياة مستلهمة من مقتضياتها فى التحول والتطور ، وليست قائمة على أسس دينية جامدة تحول دون ترقى الأمة وتطورها وتمشيا مع مقتضيات المدنية المعاصرة ، فهل هذا التبرير صحيح من جهة نظر العقل والعلم المحض ؟ ويجيب على هذا التساؤل الخطير الدكتور يوسف القرضاوى فيقول :

هذا التبرير من جهة نظر العقل والعلم المحض يقول لا ، ومنطق العقل والعلم والواقع يؤيدنا ، لقد افترض التقرير أن أحكام الدين كلها ثابتة لا مجال فيها لتغير أو تطور بحال من الأحوال ، كما افترض أن الحياة كلها متغيرة متحولة لا مجال فيها للثبات بوجه من الوجوه وكلا الافتراضين مردود .

(أولا) فليس صحيحا ان كل أحكام الدين ثابتة وغير قابلة لدخول الاجتهاد فيها وطروء التغيير عليها فمن أحكام الدين ما يتعلق بالتعاقد التى تحـــدد نظرة الدين الى الله (جل شأنه) والكون والحياة والانسان ، وهذه حقائق ثابتة لا تتغير ، ومنها ما يتعلق بشعائر العبادات الرئيسية التى تحدد صلة الانسان العملية بربه ، وهى التى تعتبر أركان الاسلام ومبانيه العظام وهذه فى أسسها العامة ثابتة وان كان الاجتهاد يدخل عليها فى كثير من التفاصيل .

ومنها ما يتعلق بالقيم الخلقية ترغيبا فى الفضائل وترهيبا من الرذائل وهذه تتميز بالثبات أيضا فى مجموعها وهذه الثلاثة لا يحتاج الناس الى تغييرها بل الى ثباتها واستقرارها لتستقر معهـــا الحياة وتطمئن العقـــول والقلوب ..

بقى أمر نظم الحياة الاجتماعية مثل نظام الأسرة والمواريث ونحوها ، ونظام المعاملات والمبادلات المالية ونظام الجرائم والعقوبات والأنظمة الدستورية والادارية والدولية ونحـــوها ، وهى التى يفصل أحكامها الفقه الاسلامى بمختلف مدارسه ومذاهبه .

وهذه ذات مستويين :

١ — مستوى يمثل الثبات والدوام وهو ما يتعلق بالأسس والمبادىء والاحكام التى لها صفة العموم وهو ما جاءت به النصوص القطعية الثبـــوت ، القطعية الدلالة التى لا تختلف فيها الافهام ولا تتعدد الاجتهادات ولا يؤثر فيها تغير الزمان والمكان والحال .

٢ — ومستوى يمثل المرونة والتغيير وهو مايتعلق بتفصيل الاحكام فى شئون الحياة المختلفة وخصوصا ما يتصل بالكيفيات والاجراءات ونحوها وهذه قلما تأتى منها نصوص قطعية بل أما أن تكون فيها نصوص محتملة أو تكون متروكة للاجتهاد رحمة من الله تعالى من غير نسيـــــان .

ومن الناس من يتوجس خيفة من المناداة بالرجوع الى الفقه الاسلامى واتخاذه أساسا تشريعيا وقضائيا ، ومصدر الارتياب والتوجس هو الأساس الربانى والصفة الدينية للفقه الاسلامى فمن المتفق عليه أن المصدرين الأساسيين لهذا الفقه هما كتاب الله وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم وهذا يقتضى أن يتسم هذا الفقه بالثبات أو الجمـــود ، وأن تقف العقول البشرية أمامـــه موقف التسليم والاتباع لا وقفة الابتكار والابداع اذ لا مكان للعقل أمام الوحى ولا مجال للاجتهاد فى تقرير النص ، وهذا ما يجعل أسباب المرونة وقابلية التطور معدومة أو ضعيفة .

والعارفون يعلمون تمام العلم أن من يقول هـــذا الكلام لا علم له بالفقه الاسلامى وخصائصه ومميزاته ، التى هى ثمرة خصائص الاسلام نفسه ، فان من أبرز هذه الخصائص انه يجمع بين الثبات والمرونة معـــا فى تناسق محكم وتوازن فريد ، فلم يمل مع القائلين بالثبات المطلق الذين جمدوا الحياة والانسان ولم يجنح الى العاملـــين بالتغـــير المطلـــــق .. كذلك الذين لـــم يجعلـــوا لقيمـــة ولا لمبـــدأ ولا لشىء مـــا ثباتا أو خلودا بل كان وسطا عدلا بين هؤلاء وهؤلاء ، فالاصول الكلية ثابتة خالدة شأنها شأن القوانين الكونية التى تمسك السموات والأرض أن تزولا والفروع الجزئية مرنة معبرة فيها قابلية التطور شأن ما فى الكون والحياة من متغيرات لازمة لحركة الانسان والحيـــاة وما ينطلق الفكر الى الحركة والتطور والتجديد ومعنى هذا أن فى الفقه منطقة مغلقة لا يدخلها التغير أو التطـــور هى منطقة الاحكام القطعية وهذه هى التى تحفظ على الامة وحدتها الفكرية والسلوكية . ومنطقـــة مفتوحة هى منطقة الاحكام الظنية ثبوتا ودلالة وهى معظم احـــكام الفقه ، وهى مجال الاجتهاد .

(٣)

فساد نظريـــــة علـــم الجريمــــــة

نظرية العقوبة فى الشريعة الاسلامية تقـــوم على الاعتقاد بأن الانسان مخلوق يتمتع بالخيار الكـــامل فى أفعاله وهو يقترف الجرائم بارادته وسبق قصده ولذلك لابد من انزال العقوبة التى تكون عبرة ونكالا للاخرين فيخافون من مصير المجرم ويجتنبون الاتيان بمثل ما أتى به وطبقا لهذا التصور قررت الشريعة الاسلامية قتل قاتل العمد وهذا ما يكذب النظرية التى ظهرت فى أوربا فى نهاية العقد الثامن عشر باسم (علم الجريمة) وادعت أن الجريمة ليست عملا متعمدا بل هو عمل اضطرارى وأن سبب الجريمة يكمن فى أحوال الحيـــاة والامراض العقلية والعسر المادى والاحوال الاجتماعية وطـــالبت باعتبار المجرم مريضا ومعالجته بدلا من معاقبته ، ولقد حظيت هذه النظرية بقبول عـــام فى الغـــرب والغيت العقوبات الرادعة للجرائم الاخلاقية . ولقد أوضحت البحوث والتجارب العملية خطـأ هذه النظرية التى تعتبر الجرائم عملا اضطراريا فقد اتضح أن الناس فى المجتمعات المزدهرة والصحية أكثـــر ميـــلا الى اقتراف الجرائم منهم فى المجتمعات الفقيرة وغير الصحية واخفقت التدابير العلاجية فى الحيلولة دون الجرائم بل لقد ارتفع معدل الجـــرائم فى الدول التى سلكت طـــريق تخفيف العقوبات وقد أجمع الباحثون على أن (الحـــدود) لم تشرع لاقامة المجتمع المسلم ولكن لحماية المجتمع المسلم ووقايته ، ذلك لان المطالبة بتطبيق الشريعة الاسلامية تعنى أول ما تعنى بالتربية الاسلامية للفرد والشورى فى الحكم والطاعة من غير معصية للحاكم ورفض الاستبداد الســـياسى .

(٤)

قضيـــــــة الإسلام والسيـــــــــاسة

تواجه الشريعة الاسلامية حملة ضارية فى الوقت الذى تتفتح فيه العقول والقلوب لفهـــم الحقيقة التى اصبحت حتمية فى وجـــه الاعصار الشديد الذى يواجه المجتمعات الاسلامية اليـــوم والذى يجعـــل القوانين الوضعية عاجزة عن تأمين هذه المجتمعات وحياتها بعد أن انتشرت تيارات العلمانية والمادية والاباحية عن طريق وسائل التسلية والترفيه التى حملت سموم الجنس والجريمة على نحو خطير .

هذه الحملة يقودها بعض رجـــال القانون الذين كانت بينهم وبين الدعوة الاسلامية فى وقت من الاوقات مواقف ناتجة عن الغرض الشخصى او الحسد أو الخلاف الذى يقع دائما بين الهيئات والاحزاب وقد تأتى هذه الخصومة وهذا الخلاف نتيجة عدم الاحاطة بأبعاد القضية ولكن الدعوة الاسلامية مازالت قادرة على مواجهة هذه الحمـــلة المسعورة برجالها الذين يؤمنون بأن الشريعة الاسلامية ليست هى أمل المسلمين وحدهم ولكنها أمل البشرية كلها اليـــوم .

ولعل أخطر القضايا التى تثار اليوم هى مسألة ترابط الاسلام والسياسة وهى قضية يستمد الخـــلاف فيها مفاهيمه من العلاقة بين المسيحية والسياسة على النحو الذى جرى فى الغرب وانتهى الى الفصل بينهما .

والمعـــروف أن المسيحية انسلخت من الشريعـــة اليهودية التى هى جـــزء منها ومن ثم لم يعد لها منهج حياة خاص ، أما الاسلام فقد جـــاء دينا شاملا منظما لكل جوانب الحياة والحكم جزء منه ، وقد نظم الاسلام أمور الحكم سواء فى الولاية العامة أم فى القضاء ، وقدم نظاما للحاكم لادارة شئون الرعية دون أن يسمى ذلك اقحام للسياسة فى الدين وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم حاكما ورئيس دولة ، وقد عقد المعاهدات وارسل الجيوش وكتب علماء المسلمين عشرات الكتب فى السياسة الشرعية .

وقد جاء احياء هذه السنة بعد أن حجبها النفـــوذ الغربى على أن أيدى الاخوان المسلمين دليلا على صدق الدعوة وعلى أن الاسلام دين ودولة ومصحف وســـيف وعبادة وجهاد وحكم وقضاء وتجارة وأخلاق ولم يكونوا بذلك مبتدعين كما ادعى بعض كبار المحامين ولقد حجب النفوذ الغربى سلطة الحكم وشئون السياسة ونظـــام الشريعة الاسلامية فى القضاء والحكم والاقتصاد جميعا حتى يفرض نظام وافد على هذه الأمة وكان لابد أن يحيى الله تبارك وتعالى على يد دعاته هذه السنة من جديد فيتنامى أمرها حتى تصبح بعد أكثر من خمسين عاما مطلبا شعبيا اسلاميا عاما لا يستطيع أحد تجاهله او الابتعاد عنـــه .

ولقد حاول البعض بعد فتنة كتاب (الاســـلام واصول الحكم) الذى نقله الشيخ على عبد الرازق عن المستشرق مرجليوث اليهودى كما ثبت من النصوص أن يدعى أن هناك مذهبين فى الاسلام : احدهما يقول بأن الاسلام دين ودولة والاخر يقول بأن الاسلام دين عقيدة فحســـب .

وقد أخذ بهذا الرأى بعض رجال القانون أمثال عبد الحميد لطفى وعمر سرعى عن نظرة عجلى غير مستوعبة أو عن هدف نفسى خفى ، وقول من يدعى أن الديمقراطية هى الشورى وأن الاشتراكية هى العدل الاجتماعى قول لا يرقى الى درجة المناقشة فيه لانه يسوى بين شريعة الله الخالدة وبين مناهج البشر ، وهو خداع ساذج ضال ، فان الاسلام منهج جامع متكامل يختلف تماما عن الديمقراطية والاشتراكية وان جاء فيهما ما يشبه مافى الاسلام بحكم انهما ظهرا بعد الاسلام بعدد من القرون ولكن ما أبعد الشبه وما أعجب المقارنة .

وربما انطلقت هذه المحاورات نتيجة للتجربة الايرانية أو رغبة فى التخفيف على القضاة العلمانيين الذين يخشون من أن تطبيق الشريعة الاسلامية سيعيدهم مرة أخرى الى دراستها ومن هنا تنطلق دعوات مسمومة تتول باعادة النظر فى القوانين القائمة وحذف ما يخالف الاسلام منها وهى محاولة ظالمة لان منطلقات القانون الربانى تختلف اختلافا واسعا وعميقا عن منطلق القانون الوضعى الذى صنعته عقول البشر وفيه أهواؤهم ومطامعهم وشهواتهم .

كذلك فان الاسلام لا يقر الحكومة الدينية ولم يعرفها فى تاريخه كله .

(٥)

مقارنة الشريعة والقانون الوضعى

يحاول أعداء الشريعة الاسلامية اثارة الشبهات حول الحدود وفى مقدمتها قطع يد السارق وبدعو البعض الى أن العقوبة الجسدية (الحدود والقصاص) يمكن أن تستبدل بأنواع أخرى من العقوبات يتفق مع المقاييس المعاصرة على النحو الذى قال به (هانز نسيك رئيس الجمعية الدولية لقانون العقوبات) وهى دعوة الى احكام الشريعة الاسلامية وتطويعها لمجاراة القانون الوضعى وقد كشفت هذه التصريحات عن المطامع الخفية فى الغرب نحو احتواء الشريعة الاسلامية بل أن القرار الذى اتخذته الجمعية العمومية لمحكمة النقض باستبقاء مالا يتعارض من القوانين الوضعية مع الشريعة الاسلامية أيضا هو محاولة لتغريب الشريعة الاسلامية وهو تيار بدأه الدكتور السنهورى منذ وقت بعيد وما يزال الغرب بقواه المسيطرة على المجتمعات الاسلامية يرمى الى انقاذه واستمراره .

والمعروف أن هذه البدائل أو غيرها ليست ممكنة لان أحكام الحدود والقصاص مقررة اما بالقرآن او السنة ومن الواجب أن يذكر أن هذه الاحكام محددة بجواز العفو حيث حبب الاسلام للمجنى عليه أن يعفو عن الجانى وعندما يتسع نطاق العفو يضيق مجال القصاص .

ولقد جاء التشريع الاسلامى بخصائصه وأهدافه المنفردة عن التشريعات الاخرى لانه من صنع الله خالق البشر والعالم بما يصلح أحوالهم ويحفظ استقرارهم من احكام وقواعد وانه لا جريمة ولا عقوبة فى الشريعة الاسلامية الا بنص ولقد أحصى التشريع الاسلامى ذلك ولم يترك للقاضى حرية اختيار العقوبة . فلا يجوز للحاكم على سبيل المثال ان يعفو عن جرائم الحدود أو القصاص أما اذا تصرف القاضى فى عدم القصاص فاننا بذلك نكون قد أعطينا الفرصة لظهور جريمة الثأر لماذا ننسى المعتدى عليه وننادى بالرحمة للقاتل ، ان الشريعة قد أعطت للقاضى حرية تقدير العقوبة وذلك فى الجرائم التى لم تقرر لها عقوبة محددة ، انه ليس لأى انسان كائنا من كان أن يشفع فى جرائم الحدود والقصاص أو يشرع عقابا لهذه الجرائم أو يقول باستبدال عقاب بعقاب لان الله سبحانه وتعالى قد أراد بهذه الاحكام أن يسد الطريق أمام الاهواء الشخصية والمنازعات العاطفية والاسلام لم يفرق بين شخص وآخر فى توقيع العقوبة فلا فرق بين حاكم ومحكوم ولا بين مالك وأجير ، وبالنسبة للمسئولية الشخصية تجاه الفعل الاجرامى فالانسان مسئول عن فعله فقط (الا تزر وازرة وزر اخرى) باستثناء الدية التى تتحملها أسرة القاتل فى حال العفو عن القصاص (عن بحث للدكتور بخيت حسنى وعبد الفتاح الشيخ) ويقرر الدكتور احمد فتحى سرور بأن هناك اختلافا جذريا بين الشريعة والقانون الوضعى ، فالشريعة تنتمى لنظام قانونى مختلف كل الاختلاف عن القانون الوضعى ويبدو هذا واضحا فى مصدر كل منهما فمصدر الشريعة دينى هو الله والرسول صلى الله عليه وسلم مفوض عنه .

أما القانون الوضعى فمصدره وضعى : هو الانسان .

واختلاف الشريعة عن القانون الوضعى ناتج عن أنه اختلاف بين نظامين ، فنظام الشريعة نظام الهى أما نظام القانون الوضعى فنظام بشرى . ان الذين يتكلمون عن السياسة الجنائية يلاحظون أن أهم مظاهر التغيرات الاجتماعية هو اعتناق القيم المادية وهبوط القيم الروحية والشريعة تريد مواجهة هذا الأمر حينما تجعل القيم الروحية والانسانية ذات الاولوية فى الحماية

ويرى الدكتور يوسف قاسم أن الله سبحانه وتعالى قد أنزل الشريعة لتحكم كل ما يطرأ على وجه الكرة

الارضية حتى تقوم الساعة وهو سبحانه وتعالى يعلم أن هناك أفعالا لا تتغير ولا تتبدل فالنفس الانسانية واحدة فى كل زمان وفى أى مكان وهناك جرائم كثيرة تقع للاعتداء على النفس كجريمة القتل والاعتداء على الاعراض ولذلك فقد وضع الحدود لامهات الجرائم التى لا يطرأ عليها تغيير ولا تبديل وهذه العقوبات من حدود وقصاص قد فرضت لمواجهة ما يستجد من أعمال اجرامية فى المستقبل فقانون الله مفتوح يستوعب كل ما يجد من أمور ، هذا هو المنهج الالهى فى التجريم والعقاب أما المنهج النبوى فى تطبيق المنهج الالهى فقد أوضحه الرسول صلى الله عليه وسلم فى قوله : (أيها الناس من ارتكب شيئا من هذه القاذورات فليستتر بستر الله . اما من يبين لنا صفحته اقمنا عليه كتاب الله) وبذلك يحذر المستهتر وكل من يخترق الحياء العام للمجتمع . أما من يستتر بستر الله فأمره الى الله . ومن هنا فتطبيق الحدود جاء لردع المجرمين الذين يعكرون صفو المجتمع والشريعة لا تهدف الى العقوبة فى حد ذاتها وانما وضعت الحدود لتحذير من تسول له نفسه بانتهاك حرمة الناس أو الاعتداء على المجتمع بجريمته ، لذلك فتطبيق الحدود رحمة بأهل الارض جميعا . والفقه الاسلامى نظام كونى متكامل لا ينقص شيئا من النظم الفقهية الى يعاصرها » .

وقد أشار مؤتمر جامعة عين شمس للقانونيين : أن القانون المدنى الحالى لا يمثل الشريعة الاسلامية وهو مأخوذ من القوانين الفرنسية واللاتينية وقد جعل الشريعة فى المرتبة الثالثة ، والدور الذى تركه القانون لمبادىء الشريعة الاسلامية دور ضئيل كما أنه لا يجوز الاخذ بحكم فى الفقه الاسلامى يتعارض مع مبدأ من المبادىء العامة التى يقوم عليها التشريع المدنى فى حملته حتى لا يفقد التقنين المدنى تجانسه وانسجامه ، وليس القانون المدنى فقط هو الذى لا يمثل الشريعة الاسلامية بل كل قوانينها لا تمثل الشريعة الاسلامية .

أما قواعد الشريعة الاسلامية فهى مرنة وهناك نوعان من أصولها :

النوع الاول : يحكم المسائل الثابتة التى لا تتغير بتغير الزمان والمكان وهنا قواعد تفصيلية كالتزام أحكام الأسرة والحدود والمواريث .

النوع الثانى : تتغير بتغير الزمان والمكان منها ما فصله الرسول (صلى الله عليه وسلم) كالعبادات ومنها ما ترك لكل زمان ومكان ومصادر الشريعة الاسلامية مصادر قطعية لا يمكن مخالفتها وهى الكتاب والسنة وما اجمع عليه المسلمون .

ومصادر غير قطعية يجوز الاجتهاد فيها ، ويجوز الحكم فى المسائل غير المنصوص عليها فى الكتاب والسنة بنص قطعى أو اجماع عليها وقد جرى حصر أوجه التعارض والاختلاف بين النصوص القائمة فى القانون الوضعى وبين نصوص قطعية فى الشريعة الاسلامية وحصرت أوجه المعارضة فى موضوعات معدودات هما :
١ — بيع التركة . ٢ — بيع الحقوق المتنازع عليها .
٣ — التقادم . ٤ — نظام الفائدة .

وأوجه التعارض بين القانون المدنى والشريعة الاسلامية ، تركزت فى مسائل الحدود وخاصة حد السرقة والزنا والقذف .

(دكتور محمد عمران)

(٦)

فى مواجهة تيارات العلمانية والقومية يتطلب الامر منا أن نكشف الحقائق الصحيحة فى هذا المجال لتكون مخرجا للامة الاسلامية من الاحتواء والحصار الذى وقعت فيه نتيجة سيطرة مفاهيم الليبرالية والقومية عليها :

أولا : كان فصل الدين عن الدولة فى الغرب ختام الجولة الساخنة بين الكنيسة والدولة بالنسبة للانسان الاوربى ، أما فى النظرة الاسلامية فان الدين والدولة لم ينفصلا فى حقيقة التعبير الاسلامى فهما حقيقة واحدة وليستا حقيقتين وهنا يكشف بوضوح أن فكرة الدولة فى الاسلام تختلف بصفة أساسية عن فكرة الدولة القومية الحديثة وأن كلا من هذين النوعين مختلف عن الآخر ، ففى حين أن الاسلام ينشىء الدولة كأداة لتحقيق الهدف الربانى فان الدولة القومية تصدر فى الوجود لسبب مغاير تماما ، أى لاستبعاد الله والاستعانة عنه (بالمصلحة القومية) بل أن الحقيقة الرصينة تقول أن جميع الدول القومية تعد نتاجا للمدنية الغربية وفترة السيطرة الاستعمارية .

(كليم صديقى)

ثانيا : ان الاسلام كنظام شامل للحياة لا يمكن ان يسود لو لم يكن هناك وجود سياسى يكون فيه معظم المسلمين مصممين على تطبيق الشريعة أو القوانين الاسلامية .

ان هدف الحكم الاسلامى هو تطبيق العقيدة (أى أوامر الله) وان الشورى هى أساس النظام السياسى فى الاسلام وان حقوق والتزامات المواطنين فى الدولة الاسلامية يتم تقريرها بواسطة الشريعة .

الباب الثامن

أسلمة الاجتماع

(أ - ج) الاجتماع الإسلامي

قدم القرآن الكريم الاسس الرئيسية لعلم الاجتماع الاسلامى ..

١ — تقرير كرامة الانسان وفرديته . ٢ — قيام الأسرة وأصالتها . ٣ — الناس جميعا لآدم وآدم من تراب لا فضل لعربى على عجمى الا بالتقوى. ٣ — المسئولية الفردية والالتزام الاخلاقى . ٥ — الايمان بالبعث والحساب والجزاء . ٦ — السعى فى الارض وبناء الحياة . ٧ — تحرى الحلال والبعد عن الحرام . ٨ — تكامل القيم الروحية والمادية التى تشكل السلوك والاحاسيس والتصرفات . ٩ — الايمان بالله الواحد الاحد خالق كل شىء .

هذه هى القاعدة الاساسية لعلم الاجتماع الاسلامى الذى حجبته مفاهيم العلوم الاجتماعية الغربية الوافدة ، والذى بدأ كتاب الاجتماع المسلمون يعيدون صياغته من جديد استمدادا من القرآن الكريم ومتابعة لما قدمه ابن خلدون على ايمان راسخ :

أولا : بأن المجتمع الاسلامى يقوم على مفاهيم وعقائد وقيم يختلف عن المجتمع الغربى حيث يقوم المجتمع الاسلامى اساسا على وحدة الفكر وفق مفهوم عقلى وروحى مشترك وقد حقق الاسلام صهر جميع أفراد المجتمع فى بوتقة واحدة بالرغم من تباين اصولهم واختلاف جنسياتهم وتمكن من صهر مفاهيمهم وثقافاتهم فى اطار التوحيد الخالص . ثم تكونت وفق هذا حضارة لها طابعها الذى يتسم بالتكامل والوسطية والتوازن .

كما قدم القرآن منهجا جامعا لمفهوم التقدم وجعله هدف الحركة فى المجتمع الاسلامى نماء وعمرانا وسعيا الى الكسب الحلال وبناء الحضارة .

ثانيا : يقوم بناء المجتمع على اساس الحب ، التكافل ، الاخاء ويتمثل تكوين الفرد ليكون بنية صالحة فى بناء المجتمع .

فالانسان هو أعظم الاحياء وهو سيد الكون تحت حكم الله ، ولذلك فهو موضع الاعداد السليم الكريم ليكون نموذجا حيا : رجلا أو امراة كتكوين أول وحدة من وحدات المجتمع ، هما وحدة الاسرة .

فبناء الانسان هو هدف كبير : اساس هذا البناء يقوم على أن يصبح الانسان شخصية سوية ويكون فى نفس الوقت لبنة فى بناء المجتمع ويتحقق هذا البناء فى مجالات ثلاث : هى الجسم والعقل والروح ويقوم ذلك اساسا على مبدأ التوافق بين الفردية والجماعية ، فالمجتمع فى خدمة الفرد والفرد فى خدمة المجتمع وهما يتكاملان .

ثالثا : يقوم منهج الحياة فى المجتمع على التقاء عاملى (الروح والمادة) فلابد من جهد حيوى قوامه الحركة والعمل مرتبط فى نفس الوقت بايمان راسخ بالله ، ومن هنا يجرى العمل على أساس القيم الاخلاقية .

رابعا : أقر الاسلام قوانين دورة المجتمع البشرى : فابن خلدون يقرر أن المجتمع البشرى تطور من البداوة الى الملك الى الحضارة ثم الى الاضمحلال والفناء ويشبه حياة المجتمع بالجسم الحى ، الذى ينمو على مراحل ثم يضمحل ، وينحل حين تبلغ الغاية مداها ثم يعود المجتمع الى التكون مرة أخرى مارا بنفس المراحل .

خامسا : جاء الاسلام باعظم عقيدة توازن موازنة سوية بين الفرد والجماعة اذا قام التكافل الاجتماعى على أساس الاخوة الاسلامية وهو طراز فريد من التعاطف الانسانى كان له اثره فى القضاء على العنصرية الطبقية . كما حرر العقيدة من التعصب المقيت ، وكفل للمرأة حقوقها الاجتماعية والاقتصادية وعالج توزيع الثروة معالجة عادلة تحول دون تكديسها فى يد فرد أو أفراد قلائل ، وهو نظام لا يقضى على نشاط الفرد وميله الغريزى للمبادرة والابداع كما يقيم التنافس على أساس القدرة والعدالة معا .

وقد حققت تجربة الحكم الاسلامى فى صدر الاسلام نجاحا باهرا فى خلق مجتمع متوازن تتكيف فيه ارادة الفرد مع صالح الجماعة حيث تكفل الجماعة للفرد حقوقه وتفرض عليهما معا واجبا يقوم فى الدرجة الاولى

على نقاء الضمير وقانون الاخـــلاق اللذين تحتمها عقيدة الوحدانية وشريعة الاسلام هذا التوازن بين الفـــرد والجماعة هو الذى شقيت الانسانية دون الوصول اليه . فأما فردية مغرقة فى ذاتهـــا أو جماعية جامدة تصب الافراد فى قالب واحد من الميول والاهـــواء .

سادسا : ويقوم مفهوم المجتمع فى الاســـلام على والجماعة ويقيم التكافل الاجتماعى على أساس الاخوة وهى طراز من التعاطف الانسانى من شأنه أن يقضى على العنصرية والتفرقة الطبقية ويحرر العقيدة من التعصب. ويعالج توزيع الثروة معالجة عادلة تحول دون تكديسها فى يد فرد ، وهو فى نفس الوقت لا يقضى على نشاط الفرد وسيله للابداع بل يقيم التنافس على أساس القدرة والعدالة معـــا .

وقد حقق هذا المنهج خلق مجتمع متوازن تتكيف فيه ارادة الفرد مع صالح الجماعة فبينما تكفل الجماعة الفرد حقوقه وتفرض عليهما معا واجبا يقوم فى الدرجة الاولى على سلطان الضمير وقانون الاخـــلاق اللذين يحتمهما هذا التوازن بين الفـــرد والجماعة .

سابعا : وفى دائرة المجتمع وعلاقة الفرد بالفرد نقد أمرين ١ ــ التعادل بين ثنائية الفرد نفسه وبين الفرد والفرد من ناحية أخرى . ٢ ــ التوازن بين الفـــرد والمجتمع كما يقر الاسلام طبيعة الانسان على حقيقتها : مادية وروحية ، واقعية ومثالية ، وبذا لا يحول بينه وبين متـــاع الحياة المادى ، ولكنه يحوط هذا الاعتدال ودون أن ينتج عنه عدوان على حق الاخرين ودون أن يتخذ الانسان ما يحصل عليه من جـــاه ومكانة وسيلة للظلم أو العدوان أو الافساد فى المجتمع .

ثامنا : وفى دائرة المجتمع وعلاقة الفرد بالفرد فقد أقر الاسلام نظام الاسرة وهى أصغر وحدات المجتمع حيث تقوم على أساس الزواج باشراك فردين ذكر وأنثى فى حياة واحدة ، وهو نظام لا يقضى على فردية الرجل أو المرأة ولا يطلب صهر أحدهما فى الاخر بل يستبقى الخصائص الفردية لكلّ منهمـــا دون أن تذوب أو تفنى .

الواقـــع القائــــــم

ولا ريب ان المجتمع الاسلامى القائم اليوم مختلف تمام الاختلاف عن هذا النموذج الذى أقامه الاسلام نتيجة التغيرات التى أحدثها النفوذ الغربى عن طريق فرض مفاهيمه وقيمه عن طريق التعليم المغـــرب وعن طريق حجب الشريعة الاسلامية عن التطبيق وعن طريق دخول أدوات التغير الاجتماعى الخطيرة فى مجـــال المعاملات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية .

وقد جـــاءت هذه الغزوة عن طريق تقليد مناهج الغرب سواء الراسمالية أو الماركسية ، وارتباط أساليب السلوك والعيش فى المجتمع الاسلامى بهـــذه التقاليد الوافـــدة .

ان المجتمع المسلم اليوم يضطرب اضطرابا شديدا بتيارات عديدة من الانحلال والانحراف الذى يجـــرى جريا مضطردا نحو الجريمة والاباحة فقد ضعفت زواجر الدين وحدوده ، وخفتت عوامل الخوف من الحساب والعقاب وانطلقت فى النفوس رغبات وأهواء ، وجـــاء ذلك نتيجة تقبل أسلوب العيش الغربى ومفاهيمه دون تقدير لمـــا يصلح لمجتمعنا وما يجب أن نتجنبه . ولقد تذفت المعاملات أموالا كثيرة من الحرام وتخاطف الناس هذا المـــال دون تقدير لمصادره ، واحتالوا على امتلاكه ، وكان لوسائل التسلية والنشر من صحافة واذاعة وتلفاز ومسرح اثرها البعيد فى تحويلات المجتمع نحو الخروج من آداب الاسلام والتخفف من التقوى والخوف من الله تبـــارك وتعالى ، وكـــان لهـــذا ارتباطات بمؤامرات الصهيونية الزاحفة الى مجتمعنا ، وفق تخطيط مرتب النفوذ الاجنبى منذ توقف النفوذ العسكرى والسياسى الغربى وخفيت الوسائل والادوات من وراء الصحافة والمسرح والثقافة ، ومن خـــلال مؤسسات جـــديدة ، وخاصة المخطط الذى رسمه الغرب جملة للسيطرة على بلاد الاســـلام وما قام به الامريكيون من سيطرة على البلاد العربية والاسلامية بعد انسحاب فرنسا وانجلترا من المنطقة وقد رتبوا ذلك من خلال مؤسسات تبشيرية خفية وراء مشاريع الامم المتحدة وعن طريق المعونات الخارجية وقد تنامى ذلك وارتبط مع الصهيونية العالمية ومع نفوذ الشيوعية الذى سيطر على بعض البـــلاد العربية سنوات الستينات وما بعدها وما يتصل بفرض المفاهيم المـــادية ، ثم كان التحول من الماركسية الى الانفتاح الاقتصادى الذى أعطى طريقا للتدافع نحـــو الحـــرام والانفـــاق على المحرمات .. اننا ننظـــر الى مجتمعنا الاسلامى فنجد عـــدة تيارات خطيرة ..

- تيار المخدرات وله قصة طويلة .
- تيار القمار وله قصص مذهلة .
- علب الليل التى دخلت القضـــاء وكشفت عن فنانات وقوادات .
- تسجيلات الفيديو التى حملت اليـــوم أفـــلام الجنس الخطير الى البيوت والى مخادع النوم.
- رحلات السياحة .
- أفلام الجنس والجريمة التى بلغت غايتها فى الهبـــوط .

وتمر المجتمعات الاسلامية اليوم بحالة من القلق الاجتماعى والفكرى تغمر كل جوانب المجتمع ويبلغ هذا القلق ذروته عند الشباب طلاب العلم ومساوىء العصر تنكشف الآن أمام الجيل الجديد حين يرى أن هذا الجيل ليس موضع تقدير الأجيال من حيث المثل الاعلى ، وهناك البيت الاسلامى وفساده واضطراب علاقات الرجل والمراة واضطراب القدوة فى الأب والقدوة فى الأم ، وأثر التعليم (العلمانى) واخطار وسائط الاعلام والسينما والمسرح والاذاعة والتليفزيون والصحافة .

ولا شك أن المجتمع الاسلامى يعانى من أزمة اخلاقية كانت نتيجة لعهد من التسلط والاستبداد أهدرت فيه القيم وامتهنت الحريات وديست الكرامات وكانت كلمة الحق تهوى بصاحبها الى جحيم الضياع والحرمان والعذاب والهلاك فكان من الطبيعى أن تقوم حياة المجتمع على النفاق والخداع والاحتيال والتدليس .

واننا لنجد عشرات الاتجاهات والمذاهب والمدارس التى ظهرت فى المسرح والسينما والفنون التشكيلية والعلوم الانسانية كذلك فان صراعات الدول الكبرى تتمثل فى مذاهب فلسفية وتيارات فنية فى الرواية والقصة والقصيدة والشعر والنقد ومدارس جديدة فى المسرح والسينما والتصوير والنحت تتدفق على المجتمعات الاسلامية الأفلام الاجنبية (فى الجريمة والجنس) وحيث تستورد البلاد ٨٤٪ من الأفلام ، وأغلب الافلام من أمريكا ، ويتجه مضمون الافلام المستوردة الى الترفيه وتقديم الجريمة والمغامرات البوليسية ويجسد التليفزيون العنف على شاشاته تجسيدا يغرى النشء بصفة خاصة لممارسته ، ويوسع دائرة الجريمة لما يكشف من أساليبها وخفاياها كشفا له أبعد الأثر وخاصة عند ضعاف النفوس وهو مما يشيع الخمول بين الصغار والكبار ويولد حالة من السلبية وينشىء جيلا من الأميين لادمانهم على المشاهدة ويقضى على عادة الاطلاع والقراءة وقد استطاعت القوى الأجنبية أن تستخدم هذه الوسائل فى افساد المجتمعات وترمى بعض الجهات أن تجعل من هذه الوسائل ملهاة تلهى النفس عن واقع الأمور الجارية .

* * *

المؤامرة على المراة المسلمة

لقد تبينت للمراة المسلمة فى السنوات الاخيرة مجموعة من الحقائق كشفت لها وجه الحق فى تلك المؤامرة الضخمة التى اطلق عليها (حركة تحرير المراة) وأثبتت الوقائع والاحداث والوثائق الخطة التى دبرها النفوذ الغربى لهدم الاسرة المسلمة ودفع المراة المسلمة الى ميدان الغواية تحت اسم الحرية وهو بذلك يرمى الى تدميرها وجعلها اداة من أدوات المتعة بينما يرقى بها الاسلام الى أعلى الذرى .

أولا : حرر الاسلام المراة من الرق البشرى الذى اتسمت به مفاهيم العلاقة بها فى الاديان الاخرى وفى الغرب حتى العصر الحديث .

فقد قامت الحضارة الغربية على قاعدة أن (المراة متعة) وهو مفهوم رومانى قديم يستمد جذوره من الحضارة الاغريقية القائمة على الفحش والشهوات ومن هنا فقد كان الاتجاه الغربى كله ولا يزال قائما على تحسين هذه المتعة وبهرجتها فى ملابسها وحركاتها وكلماتها وقد زينوها وأقاموا لها كل ما يتصل بما يريده الرجل فى متعته منها وفى نفس الوقت حرموها من الحقوق الحقيقية ، فالقانون لا يخصها حق امتلاك ارادتها وحتى الآن لا تأخذ القدر الذى يأخذه الرجل وان كانا يعملان عملا واحدا ولا تستطيع أن تأخذ شيئا الا باذن زوجها أو والدها .

ثانيا : تبين أن المقصود من (تحرير المراة) فى نفوس دعاة التغريب من المسلمين هو تحريرها من دينها وخلقها وعادتها وعندما تكشف زيف هذه الدعوى استطاعت المراة المسلمة أن تعرف وجهتها الحقيقية ، وأن تتمسك بالحدود والضوابط التى أقرها الاسلام راضية مطمئنة ايمانا بقوله تعالى (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم) .

ثالثا : ان المراة الغربية لما عرفت الاسلام خالفت نساء قومها اللاتى لا يحترمن أجسادهن ويظهرن مفاتنها للناس جميعا ، حيث تقول احداهن وهى تسأل عن ضيق ملابس المراة المسلمة : تقول :

لابد أن أكون تماما كالاسلام مادمت قد اعتنقته عن ارادة واختبار والا أكون كاذبة ولماذا اكذب ، ان احدا لم يجبرنى على الاسلام ان جهادى فى الاسلام هو التصدى لتصحيح سوء الفهم عن حسن نية أو عن سوء نية الذى وقع فيه بنو موطنى من علماء الاستشراق .

رابعا : آمنت المراة المسلمة بأن التضحية بتحديد الابناء فى سبيل العمل لزيادة الموارد جريمة كبرى ، وقد كشفت الابحاث صحة ذلك وفى مقدمة ذلك بحث الدكتورة ابدا الين (جربه ايفننج استاند) الذى بنيت فيه أن سبب الازمات القاتلة فى أمريكا وسر كثرة الجرائم فى المجتمع أن الزوجة تركت بيتها لتضاعف دخل الاسرة فزاد الدخل وانخفض مستوى الاخلاق ، مما يستدعى

عـودة الامهات فورا الى البيت حتى يعـود للاخلاق حرمتها وللابناء الرعاية التى حرمتهم منها رغبة الأم فى أن ترفع مستواهم الاقتصادى .

خامسا : أثبتت الابحـاث التى أجراها المركـز القومى للبحوث الجنائية ، أن التقصير فى رعاية الابناء هى المشكلة رقم واحد فى حياة ٨٣ فى المائة من النساء العاملات فضلا عن المشاكل الاخرى وهى :

١ ـ عدم رعاية الزوج . ٢ ـ التعرض للاختلاط .
٣ ـ الجمع بين العمل واعباء المنزل . كما اظهر البحث أن ٥٢ فى المائة يؤيدون عودة المراة العاملة الى المنزل خلال فترة تربية الاطفال ، ذلك أن اكبر قدر من اجرها يضـيع على استخدام وسـائل النقـل والاستعانة بالشغالات .

وتقـول الدكتورة ناهد رمزى أن المجتمع مازال يلعب دورا خطـيرا وسلبيا فى علاقة المراة بالعمـل فى مفاهيمنا وقيمنا الثقافية التى مازالت ترى أن العمـل قيمة (ذكرية) .

سادسا : تبين أن المناهج الدراسية تعامل المراة معاملة الرجل ولا تقدم لها مناهج خاصة تربى فيهـا وجدانها وكيانها الانثوى ولا تعنى بمهمتها الحقيقية وما يتعلق بالزوج والطفل والاسرة .

سابعا : ان قضية المساواة بين اجنسين قضية باطلة اساسا من ناحية محاولة تصور الرجل والمراة وكأنهما جنس واحد ، دون مراعاة التركيب البيولوجى والمهمة الاساسية لكل منهما على النحو الذى نظمـه القرآن الكريم (الذى قـرر القوامة للرجل وجعل لـه درجة تمكنه من قيـادة السفينة ، فالالتزام الاسلامى يؤكد على تبادلية الاعتماد داخل الكيان الاجتماعى ، والتمايز فى الادوار ، هذا التمايز القائم على نوع الجنس باعتباره تكاملا داخل النسق الاسرى وليس باعتباره للتفضيل بين جنس وآخر على اساس أن التفرقة بناء على الأفضلية أمر مرتبط بتقاليد الغربى فى العصـور الوسطى ولا يتوافق مع مبادىء العـدل والمساواة فى الرؤية الاسلامية ، (على حد تعبير السيدة لويز لميـاء الفاروقى) .

ثامنا : أن تعدد الزوجات فى الأسلام ليس تجنبا ولا انتهاكا للاحترام الواجب لوضع المراة ، بل هـو تشريع يمتاز بالتيسير على خلق الله واستخدامه ، من حيث أساسه تقـوى الله ، وهو بعيد كل البعد عن التصور الغربى لـه .

الأسـرة المسلمـة

قدر الاسلام اهمية الدور الذى تقوم به الاسرة ونظامها فى البناء الاجتماعى .. فالاسلام يرى فى الاسرة منطقة انطلاق اساسية لاى اصلاح اجتماعى وعلى أى مستوى وتعامل هذا بما انتهى اليه الغرب من أضفاء الشرعية على النزعـات الجنسية والمتمردين مما قضى تدريجيا على الدور البنائى القيمى للاسرة (جيب أ. منتى)

فوضع المراة المسلمة فى المجتمع الاسلامى مدخول نتيجة سيطرة المفاهيم والقيم والثقافات عند الاسلام الوافدة على المجتمع ، وما تزال البلاد الاسلامية تعانى وتناضل من أجـل التحرر من تأثيرات القوى العلمانية وان كانت قد استسلمت لانماط السلوك والعادات .

ولابد للباحث المسلم من تحذير واع للخطر الذى يتهدد الاسرة المسلمة التى أصابها كثير من الاضطراب نتيجة الانحراف عن قيمها ومفاهيمها الاصيلة ، ولابد من العودة الى الالتزام بتشريعات الاسلام للاسرة .

١ ـ تيسير الزواج بين الشباب والشابات .
٢ ـ غرس قيمة الايمان بالله فى نفوس أفـراد الاسرة .
٣ ـ قيام الوالدين بمسئوليتهما فى حماية ابنائهم من الانحراف وتنقيتهم وتقديم الأسوة الحسنة والقدوة الطيبـة .

بنـاء الطفل المسلـم

فى طريق أسلمه المناهج تجدنا فى حاجة شديدة الى بناء الفرد المسلم منطلقا الى بناء الاسرة المسلمة فالمجتمع المسلم ، وتجرى عملية الغزو فى مجال الطفل المسلم على نحـو اشـد قوة وابعد مـدى ذلك لان بروتوكولات صهيون (أساس عملية التغريب والغـزو الثقافى) قد اشارت الى ضرورة الاهتمام بالاطفال ونقلهم من محاضن الأسلام الى مجالات الاغراء والتدمير ومن هنا ظهرت هذه القصص المنحرفة التى تلقن للاطفال سواء عن طريق المسرح أو السينما أو أدوات الاذاعة أو القصص المكتوبة حيث نجد سيلا عارما من هـذه الادوات الغازية تحاصر أطفالنا وتقدم اليهم السموم فى اوعية خلابة براقة تخطف ابصارهم فيقبلون عليها فى نهم شديد فى غياب البديل عن الساحة التى تحميهم من خطر الثقافات الوافدة على حسهم ونظرتهم وذوقهم ، ومن شـأن الاستسلام لهذه التيارات ـ كما يقـول الاستاذ عبد الرحيم محمد ابرهيم فى رسالته (الغـزو الفكرى للطفل المسلم وكيف نواجهه) أن تحيلهم الى نسـخ محشوة من الأفكار والعادات والتقاليد الاوربية التى تناسبهم فينشئون وقد اهدرت شخصياتهم واصبحوا غرباء عن ثقافتهم ومجتمعهم فتنقطع صلتهم بجذورهم ويصبحون قابلين للصياغة فى قوالب جديدة وفق المخطط الاستعمارى المعد بذكاء ودهاء ومكـر .

وحتى يمكن انفاذ هذه الغاية الخطيرة فقد رصدت الاموال الطائلة وامتلأت أسواقنا بالعديد من مجلات وكتب وصحف الاطفال المترجمة عن اللغات الاوربية ، ولا يكفى خطر تيار الترجمة العميق فان كتاب التغريب فى بلادنا يقدمون (أدبا عربيا) زائف يستلهم النموذج الغربى ويركز على غايتى الامتاع والتسلية ويسرف فى أمرين : ١ — فى قصص المغامرة والخيال والخوارق والاساطير . ٢ — وفى أحيـاء العادات البالية التى يغرق فيها مجتمعنا والتى لا تمثل قيم الاسلام بقدر ما تمثل عادات موروثة من عصور قديمة كشم النسيم وحفلات الزار وتقاليد الموتى والافراح وغيرها . فـان التركيز على هذه التقاليد التى يحاربها الاسلام والتى تعيش فى البيئة وهى خارجة عليه ومستمدة من مفاهيم وثنية قديمة ، من شأن أحيائها وتلقينها للاطفال أن تشب نفوسهم وهى تعتقد أنها من أصـول القيم والعادات الطبيعية . ولعل هذا العمل الذين يقوم به كتاب عرب أشد خطرا من القصة المترجمة ، ونحن نهدف الى تربية جيل جديد من الاطفال يكون أشد تمسكا بدينه عارفـا بوجوه الخـير والشر وما أمر الله به وما حرمه حتى تطمأن على أنه يكون قـادرا على مواجهة التحديات والسموم التى بينهـا الاستشراق والتبشير ودعـاة الشعوبية والتغـريب .

وهنا يجب أن نركز على مسئولية الآباء والأسرة (١) فى حماية الأطفال من هذا السيل الوافد وحسـن اختيار ، ما يصلح(٢) وفى تثقيف الطفل اسلاميا واشاعة روح الايمان فيه ولو قصر فى ذلك الكتاب المدرسى ويأتى بعد دور الآباء فى القدوة والتوجيه المدرسى وأمام المسجد ولا يكفى فى رعاية الطفـل تزويده بالثقافة الاسلامية فحسب بل يجب حثه الى أداء الشعائر وأن تعمـل الاسرة على ربط أفرادها بالفروض وقت الاذان .

ويتحتم على رجال الدعوة الاسلامية العمل على بنـاء أدب الطفل الاسلامى فى مواجهة أخطـار الفكر الوافد المنثور الان فى طول البلاد الاسلامية وعرضها وأن تقوم صحافة اسلامية لحماية الطفل المسلم وتوجيهه واختبار المادة الملائمة للسن ، وتبسيطها بالطريقة التى يستوعبها عقله وأن يقدم بأسلوب مشوق للمتابعة ، وخاصة فى مجال الاحداث التأثيرية والبطولات الفردية والشخصيات الاسلامية فى مجال الشجاعة والبنـاء ، ويقوم الادب الاسلامى للطفل على أساس حماية هذا الطفل من الاخطار التى تواجهه فى مطالع حياته وفى بدء اتصاله بالمجتمع على تدرج وببساطة وبعيدا عن الحشو والتعقيد وتخويف الأطفال بالنار وأن تقدم لهم صورة بأسلوب بسيط يرمى الى كسب الثواب واجتناب الاخطار والحث على السلوكيات الجيدة ، وأن تكون الوجهـة مستمدة من الاسلوب القرآنى الذى يجمع بين الترغيب والتحبيب فى الثواب كما يجب حمايتهم من الاراء المثيرة للجدل والاستغراب ، ومن أسلوب الانفعال .

وأخطـر ما نحمى منـه الطفـل تلك القصص الاسطورية الغربية التى تشوه مزاج الطفل المسـلم وترسم فى عقله الباطن صورة بطولية زائفة لبطل غربى خيالى أمثال طرزان وغيره مما تمتلىء به مجلات ميكى وسيكى جيب وسوبر ميكى وسوبرمان وهى كلها تصدر وفق خطة مشبوهة .

وفى كتب التراث الاسلامى صور ومواقف رائعة تفتح الذهن وتنمى الخيال وتعطى الطفل المسلم مناعة ضد الثقافة الوافدة المرتبطة بالفكر الادبى . . ولنعلم أن شبابنا المسلم اليوم يعيش فى فراغ ثقافى واسع ، وهناك اغراءات كثيرة يجب حمايته منها بتقديم البديل ، الذى يبرز القيم الاسلامية الرشيدة ويعكس معالم النفوس النقية المتعطشة الى حب الخير والاسوة الحسنة .

* * *

الباب التاسع

القرآن الكريم : مدخل إلى صياغة إسلامية للعلوم

(١)

دعا قادة اليقظة الاسلامية الى صياغة اسلامية للعلوم : الاجتماع والاخلاق والنفس والى صياغة لمنهج اسلامى فى الادب ، بعد أن تبين عجز معطيات المناهج الغربية عن العطاء فى مجال الاسلام وتعارض مفاهيمها فى مجال التطبيق فى المجتمعات الاسلامية ومن هنا قدم العلماء المسلمون تصورا اسلاميا تنطلق منه الصياغة الاسلامية للعلوم ، على النحو الذى قدمه الدكتور محمد المبارك الذى يرى أن التصور الغربى للوجود منحصر كله فى الانسان والطبيعة ، والعقل عندهم طريق معرفة الحقائق وليس ثمة طريق آخر ، وأن الانسان سيد نفسه وهو فى نفس الوقت حيوان اجتماعى مفكر فحسب وليست النفس الانسانية الا مجموعة من الغرائز ، وفى مقابل هذا التصور القاصر يقدم الاسلام تصورا مختلفا ، فالتصور الاسلامى يعتبر الانسان والكون ليسا وحدهما فى الوجود بل كلاهما يبتدىء من الله وينتهى الى الله سبحانه وتعالى وأن الطبيعة أوجدها الله وهى تسير على سنن مطردة ، وان العقل ليس وحده أداة الوصول الى الحقيقة ، بل هناك طريق آخر هو الوحى وان الانسان ليس حيوانا مفكرا فحسب وان الله هو المشرع للانسان والنبوات منذ بداية الخلق هى الصلة بين الانسان والله (تبارك وتعالى) .

ولكى يقوم تصور اسلامى لعلم اجتماع اسلامى لابد من خطوات خمس تعتمد بصفة أساسية على ماورد فى القرآن الكريم والسنة الشريفة :

أولا : اشارة القرآن الكريم الى الطبيعة الاجتماعية الانسانية .

ثانيا : اشارته الى الحوادث والظواهر الاجتماعية والطبيعية .

ثالثا : ارتباط حوادث الطبيعة بعضها ببعض .

رابعا : اشارة القرآن الكريم الى قوانين الظواهر الاجتماعية او سنن الله تعالى فى المجتمع الانسانى .

خامسا : التغير والتغيير وكثرة تحدث القرآن عن تبدل الاجيال وهلاك الامم .. ومن هنا ينبغى أن تكون بيننا ميتافيزيك علم الاجتماع منطلقا من مصدر الاسلام نفسه وان دراسة القضايا الاجتماعية لابد أن تتم كما حددها الاسلام وان يكون المنظور الاسلامى واضحا ونحن نجرى البحوث الميدانية فى المجتمع الاسلامى .

(٢)

ويرى الباحثون فى علم الاجتماع الاسلامى أن يجرى التحرك فى مجالين مختلفين معا : الاول أن تكون نقطة البدء — بعد القرآن الكريم هى القواعد التى ارساها ابن خلدون وهى منطلقة فعلا من فهمه العميق القرآن الكريم ، ثانيا : مراجعة وتقييم النظريات العربية فى علم الاجتماع على ضوء التفسير الاسلامى لها وليس العكس عن طريق مجموعة من علماء الاسلام واساتذة علم الاجتماع لوضع اسس هذا العلم بعيدا عن هؤلاء الذين تشبعوا بعلم الاجتماع الغربى ونسوا انتماءهم الاسلامى .

وقد كتبت فى السنوات الأخيرة ابحاثا كثيرة حول بناء قواعد المدرسة الاسلامية لعلم الاجتماع .

(٣)

صياغة المسلم صياغة تمتزج فيها الدينى بالدنيوى على انهما وجهين لعملة واحدة بحيث يصبح الاحساس الداخلى الفردى اجتماعيا ينتقل حثيثا من الانانية الى الغيرية ، ويجعل طاقاته الكاملة وقدراته الظاهرة منطلقة لخدمة المجتمع والعطاء الخير وفق مفهوم الدنيا مزرعة للاخرة .

وعندما بزغ الاسلام انشأ رابطة اجتماعية جديدة قامت مقام رابطة الدم والعرق والنسب هى رابطة الأخوة المتميزة بالتضحية والبذل وحماية الضعفاء بالزكاة التى هى حق الله وحق المجتمع ، واخراج الجماعة من الفساد والظلم الاجتماعى .

(٤)

ان الاسلام فى قرآنه وسنته سنة محمد عليه الصلاة والسلام يطرح قواعد عامة وخطوطا عريضة يريد بها أن يشكل الارضية الصلبة التى تتحرك عليها

العلاقات الاجتماعية فالقرآن يحدد موقف الانسان من العلم وطبيعة دوره فيه والغاية التى خلق لها والمصير الذى يسعى اليه من خلال ممارساته الواقعية .

ويدعو القرآن الكريم الى مجتمع متوازن يحصل فيه الاغنياء والفقراء على قدر كامل من العدل والتراحم ، ويعارض ظاهرتى الترف والغنى الفاحش لأنهما يناقضان فكرة العدل الاجتماعى ، وفى مقابل هاتين الظاهرتين يقدم القرآن دعوة البذل والاحسان والغيرية والعفو ويدعو الى توزيع الفرد على جميع الفئات المحتاجة فى المجتمع .

أسلمة العلوم

نشأ العلم التجريبى فى رحاب الاسلام ، وكان مصدره القرآن ، ثم تلقفته أيدى الاوربيين فصاغته صياغة مادية وثنية أخرجته من مفهومه الاسلامى الاصيل

أولا : نسبوه الى الانسان والطبيعة وتجاهلوا الخالق الاعظم ..

ثانيا : فرقوا بين المادى والنفسى .

ثالثا : فرقوا بين النظرية والتطبيق .

رابعا : أعلوا شأن الجنس والعنصر والدم وهضموا حق الامم الملونة .

خامسا : أسرفوا فى جهة الصناعة الاستهلاكية .

سادسا : وضعوا البشرية على حافة الدمار بصناعة الأسلحة الذرية والصواريخ العابرة للقارات .

سابعا : هضموا حق الامم مالكى الخامات وأعلوا شأن الامم القائمة على الصناعة العالمية .

ثامنا : فرضوا النظام الربوى وسيطروا به على العالم الثالث .

ونتيجة للاخطار التى حاقت بالامة الاسلامية نتيجة هذا التحول الخطير فان المسلمين مطالبون بأسلمة العلوم واعادتها الى أحضان الاسلام مرة أخرى .

وذلك يكشف عن حقائق :

١ — الاعتراف بفضل المسلمين على الحضارة المعاصرة .

وان المسلمين هم أول من وضع الاسس الصحيحة للبحث العلمى ، يظهر ذلك جليا فى أبحاث الحسن بن الهيثم والبيرونى وأن الفضل الرئيسى هو الاسلام الذى أثار الابصار وحث على النظر والتفكير فى المحسوسات وعلى البحث عن الدليل والبرهان فى الاراء والافكار .

والاسلام هو الذى بين ان ظواهر الكون تخضع لقوانين النسبية وأكد على عالمية العلم سواء فى الاخذ أو العطاء (دكتور يوسف محمود) .

والواقع ان عطاء الاسلام للبشرية ، للحضارة ، للعلم هو صفحة من أروع الصفحات التى سجلها تاريخ الانسانية ، ومع ذلك فانه مازالت سحب كثيفة تسيطر على آفاق البحث ، مرجعها الى أحقاد الاستشراق والتبشير التى تعمد الى تزييف الحقائق والتقليل من حجم الاحداث والتى تهدف بهذا الى الغض من الدور الضخم العميق ، الذى قامت به الحضارة الاسلامية خلال الف سنة كاملة قبل أن تدخل مرحلة التوقف عن العطاء .

ولقد سبق مفكرو الاسلام علماء الغرب على تقنين مختلف للعلوم الطبيعية الطبية والكيماوية ، التى نمت بعد ذلك نموا حجب مع الاسف مصادرها الاولى ، ولقد عاد بعض المنصفين فى السنوات الأخيرة ليؤكدوا ان أعمال : ابن سينا — الزهراوى — ابن النفيس — ابن الهيثم ، الخوارزمى ، جابر بن حيان ، البوزجانى ، البيرونى ، الصولى ، ابن يونس (فى الرياضيات والفلك والطبيعة) كانت بمثابة المصابيح التى أضاءت منها أوربا قناديلها والمصادر التى استقت منها نظرياتها وقد قدم العلماء المسلمون نظريات الجاذبية وسرعة الضوء والراصدات الفلكية وتحضير المركبات ووصف النباتات والحيوانات والادوية الفردية والمركبة مما كان بمثابة الزاد الذى اعتمدت عليه النهضة الاوربية وانتشرت فى جامعات باريس واكسفورد وكمبردج وغيرها .

وقد أشار المؤرخ الغربى (هوتشر) الى أن العرب والمسلمين هم الذين أنشأوا علم (نقد الاخبار) اذ كان أساس ضبطها هو التوقيت الدقيق لها بالسنين والشهور والايام ، وهو ضابط انفردوا به عن نظرائهم عند اليونان والرومان وأوربا فى العصور الوسطى ، وقال المؤرخ (بكل) : أن التوقيت على هذا النحو لم يعرف فى أوربا قبل عام ١٥٩٧ وأن طريقة النقد التى انصبت على الرواة ضمنت الى حد كبير صحة الاخبار المتصلة بالقسم التاريخى من السيرة وبحوادث الدولة الاسلامية ومن ناحية أخرى نرى أن (بيكون) رفض الاساس الذى قامت عليه الفلسفة طوال عصورها الوسطى ، ايمانا منه بأن هذا الاساس لا يمكن أن يؤدى الى علم جديد ، وهذا الاساس هو المنطق أن القياس المنطقى ، وأعلن بيكون : أن القياس المنطقى وسيلة عقيمة لان عليك أن تسلم بمقدماته تسليما لا يجوز فيه الشك ، أما الاساس الذى وضعه بيكون للبحث هو (الملاحظة والتجربة) وكان فى ذلك متابعا للنموذج الاسلامى ، فقد سبقه الى هذا الحسن بن الهيثم الذى ماتزال اراؤه تحتل مكان الصدارة

فى الرياضة والبصريات ، وهكذا حدث ذلك التحـول الخطـير ، فى الفكر الغربى من القياس المنطقى وفق المنطق الارسطاليسى الى المنهـج الاستقرائى ، الذى وضعه علماء المسلمين ، وقد لجأ هذا الفكر الى التجربة التى أطلق عليها اسم (الاختبـار) بل أن الفضل الاكبر فى نجاح الرحلات البحرية الاستكشافية يرجع الى ما كتبه أحمد بن ماجد وما قدمه المسلمون من المراجع الجغرافية التى ترجمت ، ومدرسة الخرائط التى قامت فى جزيرة ميورقة ، معتمدة على جهود العرب السابقة وقد كان الفضل الاكبر فى نجاح فاسكودى جاما هو مصاحبة ابن ماجد له ، وهو الذى قاده من شرق أفريقيا وأوصله الى الهنـد .

٢ — ان المسلمين حين اخذوا علـوم السابقين قـوموا أخطاءها ، فنقدوا كتب ارسـطو وبطليموس وغيرهما وعلقوا واضافوا عليها ولم يقبلوا من التراث القديم الا ما كان متفقا مع مفهومهم الاصيل القائم على التوحيد والاخاء البشرى وكان أبرز عمل قام به المسلمون هو انهم انشأوا (علم سنن الكائنات) عن طريق التجريب الذى كانوا يسمونه الاختبار .

● فى مجـال الفلك والطبيعة جـاءت جداول الخوارزمى والتبانى وابن يونس عمـلا رائدا وصفه الباحثون الاوربيون المحدثون : بأنهم توصلوا فى نهـاية القرن العاشر الى أقصى ما يمكن أن يصل اليه الانسان فى رصد الكواكب والنجوم بالعين المجردة .

● فى مجال علم النجوم والحركات الفضائية (ابو العباس أحمـد الفرغانى) صاحب كتـاب الكامل فى الاسطر وجوامع علم النجوم وقد قام بقياسات طـول خـط الارض المستقيم وكان أول من أدرك أن مدار الشمس والكواكب يجرى على مر الزمن فى اتجاه خلفى وتتلمذ عليه أبناء شاكر وثابت بن قـرة .

● فى مجال الضـوء جاء العملاق (ابن الهيثم) بكتابه عـلم المناظر الذى يعتمد عليه روجـر بيكون (— ١٢٩٤) وليونارد دى فنشى — ١٥١٩ وجاليليو — ١٦٤٢ وهم مؤسسو البحث العلمى الحديث .

وقد أجرى ابن الهيثم التجريب بواسطة الخزانة ذات الثقب التى هى فى الواقع صورة لآلة التصوير ، وتمكن من وضع نظريته حول مسيرة الضوء وسيطرت نظرياته فى الفيزياء والبصريات على علوم الغرب حتى يومنا هذا .

ومن ناحيـة أخـرى دحض الفلكيون المسلمون النظريات القديمة التى قـالت بأن الظواهر الطبيعية ثابتـة وغير متغيرة فبفضل تدقيق الفلكيين العـرب وتجريبهم وحساباتهم الدقيقة اثبتوا أن انحراف سمت الشمس يأخذ تدريجيا فى النقصان وكان الفرغانى هو أول من اكتشفه ، كما كان المسلمون أول من راقبـوا تغير أوج الشمس الذى وصفه اليونان بأنه طول واحد ، وانتصر تجـريب المسلمين وانهزمت نظريات أرسـطو وبطليموس .

(عبد المقصود حبيب)

وعلينا أن نضيف الى ذلك أن الغرب حين أخـذ ما أخذ من التجريب الاسلامى قد باعد بين نفسه وبين المفهوم الاصيل لهذه القيم والاساس العميق الذى قامت عليه الحضارة الاسلامية فلم يقبـل فى مجال العلـوم تحركها فى اطـار الرحمة ولم يقبل فى مجال الاقتصاد دفعها فى اطـار الاخاء البشرى ولم يقبل فى مجال القانون جعلها واحدة للبشرية كلها كما غيب عنها أن تكون الوجهة خالصة لبناء المجتمع الربانى وانما اقامها على أساس الاستعلاء بالعنصر وسيطرة القوى على الضعفاء وسحق الصغار واعتبار الغربيين وغيرهم سادة وكل ماحولهم عبيد ولمـا احتل بلادهم استولى على مقررات الشعوب من الطاقة ومذخور الأرض ووجهه فى سبيل بناء حضارة استهلاكية قائمة على الخمـر والربا والاباحية والترف وبذلك ادخل البشرية كلها فى عالم الازمة الخانقة .

٣ — وقد أشار كثير من الباحثين المسلمين الى الدور الخطير الذى قام به (القرآن الكريم) فى بنـاء العلوم الاسلامية ، حيث أنه من منطـلق المصطلحات القرآنية تحددت علاقة الانسان بالكون :

فالتفكير الذى الح عليه القرآن فى عدد من الآيات هو الذى يؤدى الى الاكتشاف .

ومن التسخير الذى أورده القرآن فى مواضع عديدة هو الذى علم الانسان سيادته على الكون .

يقول الدكتور عماد الدين خليل : أنه بعد مائة عام من نزول الايات القـرآنية التى تمت على (التفكـير والتسخير) استوعب المسلمون علوم ذلك الزمن واضافوا اليها وظلوا سادة العالم مدة ستمائة عام سطعت منهـا أسماء الرازى وابن حيان والخوارزمى والبيرونى وابن النفيس وغيرهم ولم يظهر اسم أوربى واحد فى مجـال العلوم الا بعد عـام ١١٠٠ م ولكن علمـاء المسلمين استمروا فى عطائهم مدة ٥٠ سـنة بعد ذاك الى ان توقف العطـاء .

والسؤال هو : لماذا بحث علماء المسلمين وطوروا تلك العلوم فى القرون ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١١ للميلاد .

هناك ثلاثة أجوبة محتملة :

١ — ان السبب وراء ذلك هو أوامر القرآن الكريم بالبحث والتفكير .

٢ — مكانة العلماء ورجال المعرفة فى الاسلام : (قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون)

٣ — اعتراف الاسلام بالطابع العلمى للعلم فهو لم يحجر على أتباعه تلقى العلم من أى مكان كان فالحكمة ضالة المؤمن .

والمجتمع الاسلامى نفسه مجتمع انسانى لا يعطى اعتبارا للون أو العنصر أو الاقليم الجغرافى وأول مجتمع اسلامى فى عهد الرسول جسد هذا المفهوم وقد بدأ العطاء العلمى فى المجتمع الاسلامى بالتراجع بعد عام ١١٠٠ م وتوقف نهائيا عام ١٣٥٠ م ، لماذا لا أحد يعرف بالتحديد!

هناك عوامل خارجية تمثلت فى غزو المغول وتدمير بغداد .. ولكن العوامل الداخلية هى الاهم وتمثل فى لجوء المسلمين الى (التعليق) بدلا من (التفكير) وكذلك فى انعزالهم عما كان يجرى فى العالم وخاصة فى أوربا ، وعندما بدأ المسلمون يحسون خطر التفوق التقنى الاوربى فى القرن ١٨ حاولوا الحصول على المنتجات التكنولوجية وخاصة العسكرية منها ، وهذا الاتجاه لا يزال سائدا حتى الآن ، اتجاه الحصول على المنتجات قبل استيعاب المفاهيم العلمية التى قامت عليها وهذا يدل على جهل العلاقة الرئيسية بين العلم والتكنولوجيا .

علينا أن نعترف أولا بأنه ليس هناك طرق قصيرة للتكنولوجيا فأولا : يجب أن تصبح العلوم الاساسية جزءا من ثقافتنا ، وهذا هو الطريق للسيطرة على العلوم الطبيعية ، وعلى التكنولوجيا وعلى الذين يدعون الى (نقل التكنولوجيا) أن يدعو أولا الى (نقل العلوم البحتة) وعلينا فى الطريق الى استعادة أمجاد ماضينا العلمى وأن نركز على « التدريب » العلمى القاسى لننمى طاقتنا البشرية العاملة ونسعى لاكتساب العلوم الاساسية والطبيعية ونخصص مالا يقل عن ١ — ٢٪ من الدخل القومى للبحث والتطوير العلمى وتخصيص ربع هذه النسبة للعلوم البحتة ، فما هو بحث الآن فهو تطبيقى غدا (النسبة المذكورة تعادل ٨/٤ مليون دولار) وحبذا لو أسس اتحاد للعلماء المسلمين على هيئة مؤتمر علمى اسلامى بحيث يتمتع العالم المسلم بحرية التنقل والاقامة والبحث فى أى بلد أو مفهوم علمى كما كان مطبقا أمام ابن الهيثم وابن سينا وغيرهما دون أن يكون للانتماءات السياسية أثر على ذلك .

أن الاسلوب الحالى فى نقل التكنولوجيا للبلاد الاسلامية غير مثمر ، لقد اتفق العالم العربى وحده (٤٠٠ بليون دولار) فى عام ١٩٧٨ على عقود تكنولوجية بطريقة تسليم المفتاح وهذا الاسلوب لا يفيد علماءنا ولا مهندسينا بشىء وهذا يجعلنا مستهلكين لا مبدعين للتكنولوجيا » .

(١)

أعادة كتابة العلوم الاسلامية

ومن هنا نشأت فكرة اعادة كتابة العلوم الاسلامية على النحو الذى حدده دكتور زغلول النجار على هذا النحو :

اولا : ان المسلمين حين تربوا على الاسلام أدركوا ان قضية الاهتمام بالناحية العلمية هى قضية تعبدية بالدرجة الاولى وليست مجرد الحصول على شىء من القوة أو الغلبة أو التسلط فى هذه الدنيا ، فحين يتعرف المسلم على بديع صنع الله تبارك وتعالى فى هذا الكون فهو يتعرف على خالقه ، ولقد أحصيت عدد الآيات القرآنية التى تحض الانسان على النظر فى الكون فوجدتها تفوق (٧٥٠ آية) الى جانب أن القضية لابد منها للقيام بأعباء الاستخلاف الانسانى وتسخير الكون لما أراد الله (تبارك وتعالى) .

ثانيا : لم يفرق الجيل الاول من المسلمين (وهو الجيل القدوة) بين العلم التجريبى وبين العلوم الشرعية من الفقه والتفسير ، فكان المسلم فلكيا ومفسرا وطبيعيا وفقيها . ان أهم ما يشكو منه العلماء الآن قضية التفتيت فى المعارف ، فالتخصيص الدقيق جعل الناس ينحصرون فى دوائر ضيقة فجاءت نظرتهم للحياة نظرة جزئية جدا ، نظرة غير انسانية لانها غير متكاملة ، ان النظرة الكاملة هى التى يستطيع الانسان من خلالها التعرف على قوانين الله (تبارك وتعالى) فى الكون والقيام بواجبات الخلافة فى الارض على أحسن وجه ، فكلما تعرف على قوانين أكثر كانت قضية عمران الحياة على الارض أيسر ولا يمكن أن تتحقق وظيفة الانسان الشرعية على الارض مالم يحصل على العلم التقنى والمجتمع الاسلامى يحتوى على كل التخصصات ، وتبقى العلوم الشرعية (وهى ما يفهم من الدين بالضرورة) فرض عين على كل مسلم ، أما فيما وراء ذلك من التخصصات فيتبقى فروض كفاية .

ثالثا : التصور الاسلامى لقضية العلم ، تختلف عن التصور الغربى الاوربى حيث يتلقى العلم اليوم من خلال فلسفة ، حمل العالم الاسلامى تراث البشرية من المعارف فى الحضارات السابقة والمعاصرة لبعثة محمد (صلى الله عليه وسلم) حضارة الفرس والروم والهند والصين ومصر القديمة ، جمع كل ذلك وصفاه بمنطق النظرة الاسلامية الصحيحة وأضاف اليه اضافات أصيلة ،

وحين أخذته عنه أوربا بعد ذلك عن طريق المدارس الاسلامية فى الاندلس وجنوبى أوربا بصفة عامة (صقلية وجنوبى ايطاليا) ظهر الفارق واضحا ، فالمسلمون لم يجدوا فى تعاليم الاسلام وأصوله ما يمكن أن يقف حائلا دون نشاطهم العلمى بل وجدوا فى القرآن أحاديث الرسول (صلى الله عليه وسلم) ما يدفعهم الى ذلك دفعا ، بينما كان الموقف مختلفا تماما فى عصر النهضة ، منذ ما بدأت أوربا تأخذ بالاسباب انطلاقا من القاعدة التى علمتها لهم الامة الاسلامية ومدارسها فى شمالى أفريقيا وجنوبى أوربا .

رابعا : قدم المسلمون الدليل الذى حطم الاسطورة الوافدة عن ضرورة الفصل بين العلم والدين ليحصل التقدم ، فقدموا نماذج على أعلى درجات من التخصص العلمى والتفوق ، وفى نفس الوقت تمثل أعلى مراتب التصور والفهم الاسلامى والثقافة الاسلامية .

خامسا : النظام العلمى الغربى بالرغم من تفوقه الملحوظ فى بناء قواعد تعليمه وتقنية جديدة ، فهو ينهار من ناحية بناء الانسان ، والمشكلة ليست فى العلم فحسب ولكن فى خلق العلم وهدفه المفقود فى الفلسفة الغربية وليست فى المعرفة بقدر ما هما فى أخلاق المعرفة .

سادسا : لقد كتب الغرب العلوم من منطلق الحادى صرف ، ثم نقل ذلك الى العالم الاسلامى فلما انتهت الى المسلمين نفروا منها ورفضوها .

سابعا : رؤية الاسلام الوسطية جعلت الاسلام قادرا على أن يقدم للبشرية الحل الامثل لانه منهج وسط لا يميل الى أى جانب من الجوانب المتطرفة ، وانه النظام الروحى الوحيد الذى يستطيع ايقاظ ضمير الانسان ويجعل من نفسه على نفسه رقيبا ذلك أن فهم المسلم لطبيعة مهمته فى الحياة (عبادة الله والاستخلاف فى الأرض) مهمة أساسية لان كلا الجانبين فى مهمته مكمل للاخر ، ان فهم رسالة الانسان فى هذا النطاق يحقق مفهوم الاسلام فى التعبد لله سبحانه وتعالى والسعى وراء الرزق فى نطاق الايمان بالله والسعى فى كسب العلم فى اطار من الايمان .

(٢)

صياغة العلوم الاجتماعية صياغة إسلامية

وفى نطاق أسلمة العلوم تعالت الصيحة الى صياغة العلوم الاجتماعية صياغة اسلامية وقد كتب الاستاذ اسماعيل الفاروقى عن ضرورة التفرقة بين العلوم الطبيعية والعلوم الانسانية ، حيث أن العلوم الطبيعية هى المفتاح لتحقيق السيطرة على الكون وقد اطلقت الرؤية العلمية طاقات هائلة لاستكشاف الطبيعة واستغلالها ولكن يجب التفرقة بينها وبين العلوم الاجتماعية والانسانية لمفهوم التجريب وقوانين العلم

الاجتماعية والانسانية لمفهوم التجريب وقوانين العلم

المادى ، وخطأ العلماء الاجتماعيين فى أن استنتاجاتهم غير مكتملة ، ومن هنا فان العلوم الاجتماعية تعد ناقصة ومن ثم فهى غير ذات جدوى بالنسبة لطالب العلم المسلم .

ان الاسلام يؤكد أن وصايا الله أو الامر الاخلاقى يعد بالضرورة خاصا بالمجتمع ، انه بالضرورة يتصل بالنظام الاجتماعى فى الامة ولا يمكن أن يسود الا بها فقد تجاوز الاسلام حدود الفضيلة المسيحية ، فى حين أن المسيحية عرفت (الخلاص) فى اطار النية اى الشعور الشخصى فى لحظة معينة فان الاسلام قد عرفه عن طريق العمل (الحياة العامة فى اطار الزمان والمكان) فقد صاغ الاسلام الايمان بالاخرويات من اجل تدعيم ذلك الصرح التاريخى من الافكار والقيم والقوانين والمؤسسات وجعل القيم الدينية والاخلاقية ليست قيمة فردية ولكن فى اطار الامة .

أما المجتمع الغربى فقد فصل بين العلوم والقيم الجوهرية تحت اسم مبدأ (الواقعية) مما أدى الى التدهور الاخلاقى الحتمى للمجتمع ، لقد كان من نتيجة البحث الجنسى المحرر الذى أجراه (كينزى) هو تحول الانتباه عن الزنا وتركيزه على منع الحمل .

والغرب يقيم فكره على الفصل بين القيم ، الفصل بين النظرية والتطبيق ، الفصل بين العلوم والاخلاقية ، الفصل بين العلم وبين الالتزام الفردى .

ومن هنا فلابد من اضفاء الصفة الاسلامية على العلوم الاجتماعية سواء كانت تتصل بالفرد أو الجماعة ، بالانسان أو الطبيعة ، بالدين أو العلم ، حتى تعيد تنظيم نفسها تحت لواء مبدأ التوحيد :

(الله تبارك وتعالى الخالق سبب الأسباب وهدف وغاية لكل شىء فى الوجود)

وأن توجه المعرفة للالتزام بأمره بالنمط الالهى الذى أوحى به حتى تجلب السعادة والهناء للبشر .

أما العلوم التاريخية الانسانية ، فيجب أن تعنى بخلافة الله على الارض اى خلافة الانسان والدراسة الاسلامية ترفض الاعتراف بتشعب العلوم الانسانية والعلوم الاجتماعية بل انها تتطلب اعادة تصنيف فروع الدراسة وتقسيمها الى العلوم الطبيعية (التى تتناول الطبيعة) والعلوم الخاصة بالامة التى تتناول الانسان

والمجتمع فالعلوم الطبيعية تعمل على استكشاف النمط الالهى فى نطاق الاشياء المادية والمعرفة الانسانية فى نطاق الشئون البشرية .

ولاريب أن اضفاء الصفة الاسلامية على العلوم الاجتماعية يجب ان تعمل على اظهار علاقة الحقيقة مع النمط الالهى المتصلة به ، النمط الالهى بعد المعيار الذى يجب أن تعمل الحقيقة على احلاله فان تحليل الأمر الواقع يجب الا يغفل ما يجب ان تكون عليه الأشياء

اضفاء الصفة الاسلامية على العلوم الاجتماعية يحقق :

- رسم النمط الالهى فى الشئون الانسانية .
- تحقيق ارادة الله فى المجتمع .
- تقام اخلاقية العمل الانسانى .

(٣)

هناك حقيقة يجب ان نعرفها فى دائرة البحث عن اسلمة العلوم ..

هل العلوم فى الغرب محايدة أم منحازة

لقد ترددت كثيرا دعوى باطلة بأن العلوم فى الغرب محايدة واننا يجب ان نأخذها على طبيعتها الغربية ، والحقيقة وكل الدلائل تكشف عن أن العلوم فى الغرب منحازة .

فالعلوم الاجتماعية وعلم النفس (صناعة اليهود) هى علوم منحازة ذلك ان كلا العلميين يخدم (الايدلوجية) وترى الماركسيين يهاجمون العلوم الاجتماعية وعلم النفس الراسمالى والعكس يحدث ايضا .

وقد تبين أن كلا المنهجين لا يقوم على عمل مستقل بل هو فى خدمة هدف ، وكذلك منهج العلوم التجريبية نفسه فهو فى الدول الراسمالية يخدم هدفها وفى الدول الشيوعية يخدم هدف الشيوعية وبذلك يثبت أن العلم منحاز ؛ ولقد مضى الوقت الذى كان يطلق على نظريات الفلسفة أنها علم وعلى ما يتعلق بالانسان على أنه علم ، بمعنى انه يخضع للمادة وتكشف بكل دليل اليوم أن العلوم الانسانية لا يمكن أن تخضع لمناهج المادة .

وقد قدم بعض الباحثين ادلة اخرى فى هذا المجال .

١ — ففى مجال العلم الاجتماعى المعروف باسم علم (الانثربولوجيا) او علم الانسان كان لبعض خبراء الاجانب دور تاريخى فى عهد الاستعمار التقليدى ، وقد بدأ بعضهم تحت شعار (التنمية) دورا جديدا فى استقلال شعوب العالم الاسلامى (العالم الثالث) فى ظل الاستعمار الجديد ونفذ هذا الدور تحت شعار (التقدمية) ويتبنى قضايا الانسان المقهور .

٢ — من ناحية اخرى فالحقيقة العلمية هل هى حقيقة مطلقة ؟ لقد ثبت انها حقيقة قائمة على افتراضات متغيرة ، ومعلومات متجددة ، هذه الافتراضات العلمية نفسها لها ارتباطاتها بأوليات اجتماعية منهجية ، وبأوليات مبعثرة ، ففى غضون الحرب العالمية الثانية تبرز الوظيفة الاجتماعية للعلم فنجد علماء الفيزياء (العلوم الطبيعية) مرتبطون بشكل مباشر ببحوث التسليح ، فمشروع القنبلة الذرية فى أمريكا وتفجيرها فى هيروشيما ونجازاكى ، يبرهن على عدم حياد العلم وعلى انحيازه .

ومن الثابت ارتباط البحوث العلمية فى الدول الغربية بالمؤسسات الصناعية وأن أولويات البحث العلمى نفسه تحددها الى حد كبير المؤسسات الصناعية الشىء الذى يجعلنا نؤكد أن العلم منحاز .

ان حاجة المجتمع هى التى تتحكم فى توظيف العلم وهى التى تفرض أوليات البحث ، واذا كان هذا فى الغرب فان فى روسيا نجد أن العلم اكثر تبعية للمذهب الماركسى وخدمة له .

(٤)

نظرية النفس الغربية ليست علما وإنما هى فروض ثبت ان أغلبها فاسد

يختلف علم النفس الغربى عن مفهوم الاسلام فى عدة عناصر :

اولا : ينكر وجود الروح فى جوهرها وصفاتها واعمالها منفصلة عن الجسد وتبقى حية بعد فنائه لان هذه الروح لا يمكن ملاحقتها او اخضاعها للتجريب ، وبالتالى فهو ينكر وجود الله تبارك وتعالى وينكر الوجدان الدينى كما ينكر العقل الذى يسيطر على الغرائز ويعتبر الانسان حيوانا .

ثانيا : يرى أن كل المعتقدات الدينية يمكن دحضها باستخدام تفسيرات منبثقة من علم النفس .

ثالثا : الهجوم على مصداقية العقيدة الدينية .

وكانت أول ضربة جاءت من خلال فلسفة ماركس ولبنين بأن الايمان بالله والخلود والنظام الاخلاقى هو ضرب من ضروب الزيف والخرافة .

رابعا : من أخطائه أنه يعتبر الغريزة الجنسية هى المهيمنة على كل تصرفات الانسان فيضع البشر فى مرتبة اقل من مرتبة الحيوان ومن هذا التفسير الخاطىء يجعل الحياة كلها خلافا حول الجنس الى درجة انه يجعل غاية الانسان فى الحياة هى اشباع الغريزة الجنسية وربما كانت الحروب بين الدول بسبب النساء والجنس .

ومن المسلم أن الصحة الجنسية هى فى العفة والسيطرة على النفس بعكس ما قال فرويد أن الصحة فى الابلحة وأن الامراض النفسية فى العفة حيث تسبب ما يسميه الكبت .

وأن يكبت الانسان شهواته ويلجمها أحكم واشد حزما من الاباحية والامتناع عن العملية الجنسية يزيد قوة المخ والادراك ويزيد قوة البدن أيضا ومقدرته على مقاومة الامراض بعكس الحال عند المسرفين فى العلاقة الجنسية .

خامسا : من أخطائه أنه يجعل الانسان عبدا للدنيا والمال وتسيره غريزة التملك فيكون سعيدا وصحيحا نفسيا اذا كان غنيا ومريضا نفسيا اذا كان فقيرا وهذا مخالف للواقع والعقل فان الفقراء يملكون فضيلة الصبر وفضيلة القناعة وفضيلة الايمان بالله ، وصحتهم النفسية والبدنية احسن من صحة الاغنياء باجماع الآراء والمؤمن سيد للدنيا والكافر عبد لها .

سادسا : من أخطائه انه يعتبر الانسان خاضعا للمجتمع وحده ويجعل غاية السعادة والصحة ارضاء الناس ، وهذا المذهب يشجع على الرياء والنفاق فان القوة والطاعة فى المجتمع هى فى ارضاء الله ولو باغضاب الناس لان قلوب العباد بين اصبعين من أصابع الرحمن .

سابعا : من أخطائه انه يعتبر الايمان مسألة خاصة ونسبية فهو ينكر وجود الله (تبارك وتعالى) ويقول أن الانسان لو اعتقد فى أى شىء فانه يتأثر به وعلى هذا فيكون الدين وهما لا حقيقة وهذا عكس كلام الله تبارك وتعالى من أن الاعتقاد فيما سوى الله لا ينفع وأن الحجارة لا تسمع ولا ترى وأن النافع والضار هو الله وحده .

الفقرات (من ٤ — ٧) سعد حسن لطفى

ثامنا : ان علم النفس ليس علما بالمعنى المتعارف عليه للعلم ، بل لا ينطبق عليه شروط العلم الواجبة وأهمها اليقين والموضوعية وهى شروط العلوم الطبيعية

تاسعا : لغلبة الاتجاه المادى فى علم النفس جعله يتصور النفس الانسانية تصورا ماديا فهى عنده مجموعة غرائز تتطلب الاشباع المادى والمباشر ، والانسان فى اطار هذه النظرة المادية مدفوع دائما بقوى لا معقولة ومغلوب على أمره تصدر عنه أعمال قهرية وكل ما يملكه العقل من « حيل » هى تبرير هذه الافعال أو البحث عن وسائل مقبولة لاشباعها أو التسامى بها ليزاولها بصورة أجمل .

عاشرا : معظم النتائج التى توصل اليها أصحاب الاهتمامات النظرية فى علم النفس وعلى راسهم (فرويد) استخلصت من الحالات المرضية ثم عممت على حالات الاسوياء وتبنت نماذج نظرية كاملة فى هذا الاطار الزائف .

حادى عشر : قوبلت آراء فرويد وأصحاب مدرسة التحليل النفسى عامة بالنقد العنيف داخل الاطار السيكولوجى ذاته وتتسع دائرة هذا النقد ابتداء من فرويد شخصا وشخصية حتى التحليل النفسى مدرسة ، ومنهجا وفلسفة حياة .

(سعد حسن لطفى)

ويرى العلماء انه يجب رفض هذه المذاهب النفسية جملة وتفصيلا بسبب تضاربها ولا يجوز التوفيق بينها وايجاد مذهب وسط ، ذلك أن الحقيقة ليستوسطا بين خطأين ومن وجهة نظر الطب النفسى يرى أن الاستقامة هى أساس الصحة البدنية والنفسية وأن الفساد هو أساس الأمراض النفسية وأن الايمان بالله هو العزة والقوة والصحة وعدم الايمان أساس كل الامراض .

ولا يوجد فى علم النفس التربوى أو خلافه هذا الباعث الذى يجعل الناس يتسابقون وينساقون فى أعمال الخير ولا ذلك الديدبان اليقظ الذى يسمونه (الضمير)

حقائق عن العلوم وأثر النظرية المادية عليها :

١ — غلبة المادية على علم النفس ، وغلبة المادية على جميع العلوم الانسانية .

٢ — لا يوجد فرع من فروع العلم التجريبى — ومنه العلوم الفيزيائية — يؤدى الى المعرفة اليقينة .

٣ — المادية فلسفة حياة وجراثيمها مضمرة فى العلوم الطبيعية وأهمها الصراع بين الدين والعلم .

٤ — أحد مصادر التحدى الحضارى الذى يتعرض له المسلمون اليوم وما يحمله تيار العلم — الوافد الينا من الغرب ومن الشرق من خلفية المادية واضحة فى طياته جعلت من الكفر بكل ماهو غير عادى مادى سمة هذا العصر .

٥ — سيطرة المادية على العلوم الطبيعية ومضمونها الالحادى مثل مبدأ (أزلية المادة) والطافية ونسبة كل شىء فى الكون الى الطبيعة وقوانينها ومحاولة تفسير التدرج فى عمران الأرض على أنها عملية مادية تلقائية بحتة .

٦ — ضرورة استخدام منهج دراسة الكـون فى دراسة النفس ، لان دراسة الكون والانسان واكتشاف سنن الله وتأمل آياته فيهما من أعظم الادلة على ابداعه سبحانه وتعالى وقدرته فى خلقه .

ان (الملاحظة) باعتبارها جوهـر العلم التجريبى الذى يحض عليه الاسلام هى (عملية تحليلية) فالاشخاص كالاشياء لا تعرف الا بخصائصها وسماتها كما أنها لا تميز الا بأضدادها فنحن نصف الشىء بأنه مستدير او حـاد او ثقيل ، أو بهذه الصفات جميعا ، وبالمثل فاننا نصف الشخص بأنه يستجيب بسرعة أو بعنف أو بدقة أو بغير ذلك من الطرق والخصائص : هى تجريدات نصل اليها بتحليل الكليات وتجريد احدى السمات من كلية معنية لا يؤثر فيها لانها تظل ثابتة محتفظة بكيانها الكلى الذى هو عليه قبل التحليل .

(فـؤاد ابو حطب)

* * *

الباب العاشر

أسلمة المعرفة

(قدم الاسلام منهج المعرفة ذا الجناحين للبشرية لاول مرة : مادة وروحا معا) بعد ان تردى فى المنهج المادى تارة والروحى تارة اخرى .

أسلمة المعرفة هى تقديم التصور الاسلامى للمعرفة الانسانية : والمعرفة مصطلح أوسع من مصطلح العلم (الذى يقصر على العلم التجريبى) أو التربية أو الثقافة فهى ترمى الى اسلمة نحو عشرين علما من العلوم الحديثة التى تضطرب بها ساحة الفكر الاسلامى وهى مترجمة عن المعرفة الغربية وقائمة على عقيدة الغرب وخصائص مجتمعه وهى فى مجموعها تختلف عن التصور الاسلامى اختلافا عميقا واسعا ، نتيجة اختلاف المفاهيم الروحية والاجتماعية والعقلية وصدور التصور الغربى من مصادر وثنية اغريقية ورومانية ومسيحية غربية تختلف عن الدين المنزل ، ومن هنا فان استمرار تدريس هذه المواد فى مدارسنا وجامعاتنا دون تحريرها من عنصر التبعية هو خطر بالغ على تكوين الشخصية الاسلامية لانه يدفعها مرحلة بعد أخرى الى الذوبان فى أتون الفكرة الغربية وتبخر التصور الاسلامى الحقيقى وفى عشرات من العلوم التى بين ايدى المسلمين الآن تصور غربى وثنى مسيحى يختلف اختلافا عميقا عن التصور الاسلامى سواء فى مجال الدين أو النفس أو الاخلاق أو الحضارة أو التاريخ .

ولذلك فان أسلمة المعرفة تعنى اعادة صياغة الامة الاسلامية وصيغها بصيغة الاسلام روحا وفكرا ومنهجا ، هذه الصياغة الاسلامية من شأنها أن تقضى على الثنائية أو الازدواجية القائمة الآن فى مناهج التعليم ومعاهده ، ويأتى هذا ايمانا بأنه لا خبرة الغرب ولا خبرة المستغربين من المسلمين بقادرة على حل مشاكل المسلمين وان الحاجة ماسة الى تحريك عقول الملتزمين بالاسلام من أهل التخصصات الحديثة فى الامة وتكليفها بحل هذه المشكلات وان اسلمة المعرفة هى الطريق الوحيد لانقاذ الامة .

وعلى المسلمين ان يتأملوا فى فعل الشيوعيين عندما تسلموا السلطة فى روسيا لقد رفضوا كل العلوم الغربية واستبعدوها بوصفها علوم بورجوازيه وشعروا بالحاجة الى اعادة بناء كافة العلوم فى ضوء المفاهيم الماركسية اللاتينية ، وأن على العالم الاسلامى الا يتردد فى ان ينحو نحو المثال الشيوعى ، وانه لابد من اتباع طريقة (اسلامية المعرفة) التى يجب أن تمر بثلاث مراحل :

١ — الاعادة والبحث والدراسة لكافة العلوم الاجتماعية والانسانية وتوضيح أوجه نقصها والعناصر التى تتلاءم مع مفاهيمنا . ٢ — اعادة تعيين ما تبقى منها بحيث تتمشى مع تراثنا الأدبى والفنى والفكرى . ٣ — الانتفاع الكامل بالتجارب الفكرية والمكتشفات التى حققها العالم المتحضر وفى نفس الوقت بعث الحياة فى علومها التقليدية .

وقد قرر الاسلام مفهوما واضحا للعلم والمعرفة ومناهجها المتنوعة للعلوم على الاسس الآتية :

أولا : أن الايمان بالله هو البداية الصحيحة لمعرفة حقيقة الكون والحياة ، والصلة بين الله سبحانه وتعالى ومخلوقاته ضرورة منطقية تفرضها حقائق الكون والحياة وقد أرسل الله تبارك وتعالى الرسل رحمة منه وفضلا لتبلغهم رسالة السماء ولتهديهم الصراط المستقيم .

وانه لابد من الايمان بوجود الله تبارك وتعالى لأن الايمان يجده الانسان عميقا فى نظرته وفى حسه ويعرفه العقل حتما ، ولان من الايمان بالغيب ، حتى العلم وان كان قائما على التجربة والحقائق المحسوسة الا انه فى نهاية المطاف يقف عاجزا أمام بعض الظواهر ولابد من الايمان باليوم الآخر لان الوجود الحقيقى اكبر من ظاهرة الوجود ، انه الدنيا والآخرة لا الدنيا فحسب ، والوقوف عند الحس فى التعرف على الكون موقف بدائى سطحى لا يليق أن يصطدم مع الواقع حين يتسع أفق المعرفة وتعمق الخطط العلمية لابعاد الوجود .

ثانيا : ان العلم الكامل هو لله تبارك وتعالى وقد اذن الله سبحانه للناس بالتعلم والتماس العلم منه سبحانه وهذا فضل كبير منه على عباده ولقد حدد الله تبارك وتعالى مصادر العلم وفروعه (العلم التلقائى — العلم التلقينى — العلم اللدنى) . ومن العلوم ماهو فرض

عين ومنها ماهو فرض كفاية .. ويقرر الاسلام ترابط العلوم شرعية وتجريبية وتكاملها ولا يعسر انفصالها .

ثالثا : قرر الاسلام حتمية ارتباط العلم بالدين وجريمة الفصل بينهما ، فالعلم يدعو الى الايمان كما أن الايمان يدعو الى العلم ، وقد ترددت الجذور الثلاثية في القرآن جذر (آمن) ومشتقاته ٧٧٩ مرة ، وجذر (علم) ٨٥٤ مرة وهذا يدل على أن الايمان يسبق العلم وأن هنك ترابطا وثيقا بين العلم والايمان .

وأن أسلمة المعارف الحديثة يقتضي النظرة العميقة للمشكلة في العالم الاسلامي من حيث أن العلوم الحديثة شيدت بطريق الخطأ على قاعدة الفصل بين الدين والدنيا ففقدت بذلك أساسها الاخلاقي .

ومن هنا يجب وضع مبادىء لاسلمة المعرفة تتلخص في الآتي :

١ — اعتبار طلب العلم فريضة على المسلمين من المهد الى اللحد .

٢ — اعتبار العلم المفروض هو الذي يدخل في اطار وحدانية الله عز وجل وصالح الانسانية جمعاء وتحريم البحث الذي يفقد الهدف أولا يستحق العناء .

٣ — التوحيد بين الانسان وبين معارفه .

٤ — استحالة استيعاب الفلسفات الغربية (الرأسمالية والشيوعية) داخل الهيكل الاسلامي للمعرفة والعمل لغرابتها عليه .

٥ — على الانسان أن يكون مؤمنا برسالته قبل أن يقدم على المساهمة في برامج الاسلمة .

٦ — علوم الوحي لها مكانة متفوقة ويجب أن تنبثق منها كل الارشادات والتعاليم .

٧ — ضرورة التقارب بين العلماء الشرعيين والعلماء الطبيعيين .

٨ — اعادة صياغة الكتب المدرسية في العلوم بحيث تعكس وجهة نظر العالم الاسلامي في العلوم .

٩ — ابراز المساهمة الفذة التي قام بها علماء المسلمين في هذه العلوم .

ويقرر المفهوم الاسلامي للمعرفة : أن للمعرفة مصدرين أساسيين :

هما العقل والوحي ويختص كل واحد منهما بنوع من الحقائق . أما العقل فهو الطريق لاثبات نبوة النبي الصادق ورد نبوءة المتنبىء الكاذب ، وليس من شأن العقل وضع ماجاء به الوحي موضع الشك والتحقيق في صحته لخروج ذلك عن اختصاصه ، ولان الوحي هو مصدر مباشر للحقائق في مصدرها ، وهو الله سبحانه وتعالى فدرجة اليقين فيه أعلى من اليقين الحاصل عن طريق العقل ، أما الوحي فهو التعليم أو الاخبار الالهي المباشر للاستيفاء من الله سبحانه والاصل في اختصاص الوحي : الاخبار عن حقائق عالم الغيب مما يريد الله تبارك وتعالى تبليغه الى البشر . ومن اختصاصه معرفة القيم المطلقة في الخير والشر سواء أكان ذلك مما يستطيع العقل ادراكه أم لا ، ويدخل في اختصاص الوحي تحديد العبادات التي أمر الله عباده بها .

* * *

مما يكشف تباين النظرة بين المعرفة الاسلامية والمعرفة الغربية موقف كل منهما من الدين والكون والانسان ذلك أن مختلف المعتقدات تحتوي على أقوال خاطئة فيما يتعلق بالكون وأصله ومصير الانسان .

ونقطة الخطأ في هذا النقد من وجهة النظر الاسلامية هي التعميم لأنه يسوي بين التراث الديني للانسان بكل أساطيره وشطحاته وبين الاسلام باعتباره الدين الالهي الخاتم ، ولن يدهشنا نحن المسلمين دحض ماهو نتاج الحدس الانساني بواسطة الاكتشافات العلمية .

ان المسلم يدرك أنه يؤمن بالاسلام لان الاسلام هو الحقيقة التي تنبع من الخالق ذاته ، الذي هو مصدر جميع الحقائق ، وليس كنتيجة لرد فعله العاطفي أو الواقعي لوضعه في الكون أو كنتيجة لكون التقوى قيمة مستحبة ، أن النظريات الاجتماعية التي تتحدث عن أصل الاديان مثل الخوف البدائي والرهبة من قوى الطبيعة الغامضة وتجسيد تلك القوى أو نظريات علم النفس المتعلقة بالدين ، مثل صورة الاب التي يتم تجسيدها في الله لا تنطبق على المسلمين ، أن المسلم لا يبحث عن شيء مهدىء ليقلل من مخاوفه أو يشرح الأشياء ولكنه يؤمن ايمانا قويا بالحقيقة العظمى : حقيقة الله والتوحيد به . لقد انهار الدين في الغرب عندما اصطدم بالعلم لاسباب تتعلق بالدين الغربي ، وبالظروف التاريخية لنهضته العلمية ، واذا حدث ذلك في البلدان المسلمة فلن يكون بسبب وجود صراع أساسي بين الاسلام والعالم فلا يوجد أساسا ذلك الصراع ولكن بسبب وقوع القيادة الفكرية الاسلامية في المائة عام الماضية بأيدي الغربيين .

ان الاسلام فقط هو الذي يستطيع أن يغير الافتراضات السابقة للعلم وأن يقدم أساسا صلبا للنشاط العلمي ، ان الاسلام فقط هو الذي يقدر على تنسيق

جميع الأنشطة الانسانية بما فى ذلك الانشطة العلمية والفلسفية والفنية والاقتصادية والسياسية ، وفى الحقيقة فان كل نشاط فى الاسلام يعتبر عبادة لله لو أنه كان يتم اداؤه لتحقيق الهدف الذى خلق الانسان من أجله ، وهو أن يكون خليفة الله فى الارض وهذا المفهوم للعمل لا يوجد فى الواقع اى مبرر لاصدام بين العلم والاسلام ، ان العلم هو تنظيم للمعرفة الانسانية وليس تنظيما للعالم ، وبذلك فهو لا يفرض علينا اية رؤية معينة للكون ، ان المادية والحتمية المثالية وغير ذلك من المذاهب تعد فلسفات فيما وراء العلم ولا تنبع من العلم بطريقة منطقية . واذا كان العـلم يستطيع تنظيم المعرفة الانسانية عن طريق تجزئتها الى موضوعات محل بحث والى افتراضات محل اثبات فان (قضية الالوهية) بعيدة عن متناوله ، ان الحقيقة البسيطة هى أن الانسان اذا توصـل الى اثبات وجود الله ، فانه يكون قد عبر عن الله من خلال تصوره هو ، وان الدرس الذى يجب أن نتعلمه جيدا هو اننا يجب الا نحاول السعى وراء اثباتات لوجود الله فى نطاق المعرفة الانسانية ، اليست آيات الله كافية للبشر ؟!

ان الرؤية الاسلامية للعلم تعطيه القـدرة على تصنيف المعرفة الانسانية تفاريق وأجزاء ، اما الرؤية الكاملة للعام فانها خارج نطاقه ، والعقل المسلم ينبغى ان يلتزم بأساسيات فاذا كان العقل بصفة عامة يستطيع ان يناقش صـفة محمد كرسول أو يرفض دعـواه فى الرسالة قبل أن يدخل الى الاسلام فانه عندما يسلم لا يملك مطلقا الحق فى هذه المناقشة وعندما لا يكون الشىء قابلا للملاحظة فانه يكون موضوعا لا شأن للعلم به ، وكل ماهو فى عالم الغيب يمثل حقيقة اسلامية مؤكدة ، ولكن ليس عن طريق العقل والعلم دائما عن طريق الوحى والايمـان .

اما الرؤية الاسلامية لعالم الغيب والشهادة فـان القرآن يعلمنا اياها على النحو التـالى :

١ ـ ان الله الخالق مريد فاعـل ليس كمثله شىء .

٢ ـ ان الخلق ليس أثرا ضروريا لتجلى قدرة الله ولكن الله يخلق ما يشاء .

٣ ـ ان الكون بكل ما فيه حقيقة وليس وهمـا .

٤ ـ ان كل شىء خلقه الله منحه تركيبا وشـكلا وحجما معينا ثم زيد بالهداية .

٥ ـ ان خلق الله يتسم بالكمال ويوجـد توازن وانسجام من العمليات المختلفة وسوف يستمر ذلك الى ما شاء الله . (محمد معين صديقى)

هذا هو الفـارق العميق بين المعرفة الاسلامية والمعرفة الغربية .

(أبحاث سعيد محمود عرفة ، محمود غازى ، كارم السيد غنيم ، أسماعيل راجى الفاروقى) ..

ولقد رسم الدكتور اسماعيل راجى الفاروقى خطة العمل المؤدية الى أسلمة المعرفة على هذا النحو :

أولا : أهداف خطـة العمل هى :

١ ـ اتقان العلوم الحديثة . ٢ ـ التمكن من التراث الاسلامى . ٣ ـ اقامة العلاقات المناسبة بين الاسلام وكل مجالات المعرفة الحديثة . ٤ ـ البحث عن وسائل الربط الخلاقة بين التراث والمعرفة الحديثة . ٥ ـ الانطلاق بالفكر الاسلامى فى المسار الذى يقـوده الى تحقيق سنن الله تبارك وتعـالى .

ويجب أن تتم عملية مسح شامل لكل عـلم من العلوم ، نشأته وتطوره التاريخى ونمو مناهجه واتساع ميدان رؤيته ، حتى يمكن ان يقف المسلمون على أساسه وان يتفقوا على الجهود التى سيبذلونها فى أسلمته من حيث طبيعته وتاريخه وخصائصه وحدوده ويجب ان يظـل تراث الاسلام هو نقطة الانطلاق فيمـا يتعلق بأسلمة اى علم من العلوم ، ان اسلمتنا للعلم ستكون ضحلة جدا اذا لم تأخذ تراثنا فى الحسبان ولم ننفـع بنظرات اسلافنا الثاقبة . وان العالم المسلم الذى تدرب فى الغرب كثيرا ما ينهزم أمام استغلاق التراث الامر الذى يدفعه بقوة الى الاعراض واليأس والحكم بأن ليس فى التراث شىء حول موضوع البحث مع أن الحقيقة انه هو الذى لا خبرة له بتصنيفات التراث التى تدرج تحتها مثل تلك المـادة الملائمة لموضوعه وعلينا فى سبيل اسـلمة المعرفة الاجابة عن ثلاثة اسئلة ..

الاول : ماهى مساهم التراث الاسلامى ابتداء من القرآن وانتهاء بالمجددين المحدثين فى حملة القضايا التى يثيرها هذا العـلم ؟

الثانى : كيف تتطـابق او تتعارض مسـاهمات التراث الاسلامى مع ما أنجزه العلم واين وصل التراث الى مستوى رؤية هذا العلم وآفاقه واين قصر عنهـا او تخطاهـا ؟

الثالث : ما مدى معرفة المجالات والقضايا التى يجب أن تبذل جهود المسلمين مستغلا لسد النقص فيها ؟

تتم خطة اسلمة المعرفة بمنهج متكامل كما يلى :

الأول : اسلمة التعليم والغاء ثنائيته التى قسمته الى نظامين اسلامى وعلمانى ويجب ان يندمج النظامان ويتكاملان فى نظام واحد وأن يشبع بروح الاسلام ليصبح

جزءا وظيفيا لا يتجزأ من برنامجه الفكرى ، ويجب الا يسمح لهذا النظام الجديد أن يظل تقليدا للغرب ولا ان يترك حـرا يخط لنفسه اى طريق بل يجب ان ينـاط بالنظام التعليمى رسالة ، محددة ، هذه الرسالة هى نقل الرؤية الاسلامية وتربية الارادة لتحقيقها فى الزمان والمكان .

ويتم تقييد ذلك عن طريق ما يلى :

أولا : فرض دراسة الحضارة الاسلامية ..

ان دراسة الحضارة هى الطريق الوحيد لتنمية معنى الشخصية فى الفرد وكيف يكون على وعى بذاته من لا يعرف أسلافه ؟ اعنى من لا يعرف الروح الذى بعث فيهم الحيـاة .

ثانيا : أسلمة المعارف الحديثة ..

على المتخصصين من علماء المسلمين أن يتقنوا كافة العلوم الحديثة وان يفهموها حق الفهـم وأن يصبح فى حوزتهم وطوع أمرهم كل ما يمكن أن تقدمه من فوائد وعليهم أن يدمجوا هذه المعارف الجديدة فى بناء التراث الاسلامى عن طريق الحذف والتعديل واعادة التفسير والتكييف لكل مكوناته طبقا لمـا تمليه قيم الاسلام ونظرته الى العالم ومن الواجب ان تحدد بوضوح جهة التلاقى والملاءمة بين الاسلام وفلسفته كل عـلم .

ثالثا : القضاء على الانشطارية والثنائية ..

١ ـ القضاء عى الفصل بين الوحى والعقل . ذلك أن هذا الفصل أمر مناف لروح الاسلام كله ومعارض لما فى القرآن من دعوة اساسية للعقل أن يزن كل الامور بميزان العقل وأن يفضل الامور الاكثر معقولية والمنهج المتسم بالوسيطة . ان دعوة الاسلام عقلية وانتقادية ، خلافا لتلك الأديان التى تحاول أن تجرف عقل الانسان وتسيطر على ضميره بغية أن يسلم راغما بمـا ليس بمعقول ، بل بما هو سخيف .

ان الاسلام يهيب بالناس دائمـا أن يستخدموا ذكاءهم والا يقول أحدهم الا الحق الذى هو على يقين منه والا ينعزلوا بحال عن الواقع ، ولا تخلو صفحة من صفحات القرآن من مثل هذا الحث والالزام وبدون العقل لا يمكن أن تدرك حقائق الوحى ادراكا كاملا او تنكشف طبيعتها السماوية او يعترف بها وبدونه تستوى دعاوى الوحى مع غيرها من الدعاوى الباطلة ، واذا قبل الوحى على غير اساس من العقل فانه يكون قبـولا شخصيا اعتباطيا قابلا للتبدل وليس لأى أطروحة دينية قائمة على أساس المزاج الشخصى أن تزعم أنها مستحقة القبول لدى البشر جميعا أو لدى نسبة معتبرة منهـم لفترة طويلة وحين بالغ المسلمون فى التاكيد على الحدس على حساب العقل أدى ذلك الى فتح الابواب لفساد العقيدة ، ان عدم فصلها عقليا عن اللغو يعطى الفرصة لخرافات وحكايات العجائز أن تتزيى بزى الحقيقة وتتسرب الى العقيدة ، ومثل ذلك تماما ، أن المبالغة فى التاكيد على (العقل) على حساب العقيدة الحدسية قد افسدت حياة العقل اذ حجمته فى المادية والنفعية والآلية والخواء .

٢ ـ الفصل بين الفكر والفعـل ..

عندما انقسمت الرابطة بين الفـكر والعقـل فى المجتمع الاسلامى حتى بدا كل منهما يتدهور فأصحاب القيادة السياسية ومن بيدهم القوة ينتقلون من أزمة الى ازمـة محرومين من الانتفاع بفـكر العلماء ومشورتهم وحكمتهم ، كانت النتيجـة تخبطا فى العمل ينفـر من الموضوعات الجيدة ويضع القادة فى مزيد من العزلة ، أما المفكرون فقد اصبحوا غرباء ومبعدين عن المشاركة الفعالة فى شئون الامة .

منهج اسلامية المعرفة :

ان أسلمة المعرفة أساس ضرورى لازالة الثنائية الموجودة فى النظام التعليمى وهى بدورها أساس لازالة الثنائية من الحياة وعلاج انحراف الامة وتقوم المبادىء الاساسية لذلك على عـدة قواعد :

وهى وجدانية الله (تبارك وتعالى) ووحدة الخلق ووحدة الحقيقة ووحدة المعرفة ووحدة الحيـاة ووحدة الانسانية .

والمعرفة الاسلامية تعتبر أن كل شىء فى نطـاق المعرفة انما يحقق غاية أرادها الله تبارك وتعالى أو يخدم غاية اخرى مرادة الله تعالى ايضـا .

وأن الامانة الالهية حملها الانسان . وان الانسان وجـد لحمل الامانة وأن الارادة الالهية على ضربين : الأول : السنن الالهية التى يجرى الكون على أساسها وهى قوانين الطبيعة وهذه السنن ثابتة ومتحققة على مستوى الكون كله . وتفهم عن طريق الوحى او العقل . الثانى: مايحققه عن طريق الحرية والاختيار وهى القوانين الخلقية أن حمل الانسان للامانة الالهية يجعله فى مقام الخـلافة أو النيابة وتتمثل خلافته فى انفـاذ القوانين الاخلاقية .

والاسلام لا يفصل الدين عن الدنيا ، ومنهجه لبناء الثقافة والحضارة منهج شامل .

الباب الحادى عشر

أسلمة الفن

(١)

لقد قدم الاسلام مفهوما للفن يقوم على اساس التوحيد الخالص . فالجمال فى الاسلام هو منطلق للتعرف على عظمة الخالق ، فى منظر السماء الزرقاء ، او البحر الغوار ، او الوردة الجميلة ، او الجبال المجللة بالثلوج، وما من منظر من مناظر الجمال الا وهو مصدر للتعرف على عظمة الله تبارك وتعالى والاقرار بجلاله ، ولقد عبر القرآن الكريم عن هذا المعنى فى قوله تبارك وتعالى :

(الذى خلق سبع سماوات طباقا ما ترى فى خلق الرحمن تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور ، ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير)

ومن هنا كان الفن مصدرا للايمان فان النفس المؤمنة المخبتة لله تبارك وتعالى تنتقل بمجرد النظر الى الجمال والفن من الكون الى المكون وتذكر جلال الله وقدرته على هذا الصنيع الباهر الذى يرتد الطرف امامه حسيرا .

وهو الخالق العظيم الذى صنع دوائر الفن جميعا فى الورود والازهار بالوانها العديدة واحجامها العجيبة المتعددة وربط بين زرقة السماء وبياض الغيوم وخضرة الزرع وجعل الفاكهة اصنافا ومذاقات ، ومن هذا العطاء الالهى كله نشأت الفنون والاشكال اما الآداب والفنون التى تتفنن الطبيعة فى جمالها الذاتى دون أن توصل الى الله تبارك وتعالى فهى فنون ضالة لا قيمة لها .

فالفن فى الاسلام يقوم على الارتباط بالله اساسا ولا تعارض التوحيد باحياء الوثنية ، ولا تخلد الفانى ، ويقدم الاخلاقى على الجمالى وكان أبرز معالم القيد الاسلامى هو (التجريد)

ولقد احسنت دكتورة لوى لمياء الفاروقى حين قالت : ان عنصر الجمال الهام فى الفن عند المسلم ليس التمثيل الجمالى للجسم البشرى ، ولا فى الرمز لحقائق الطبيعة بل ان الفنون الاسلامية اينما وجدت سواء اكان ذلك فى افريقيا او جنوب شرق آسيا او فى اى جزء من اجزاء العالم : هى فنون تجريدية كلها ، ومن اجل ذلك فليس هناك مما يصور الطبيعة او الانسان ما يمكن أن يثير فى عقل المشاهد او وجدانه هذه المعانى العميقة التى تحركها هذه الجملة التى تبدو بسيطة فى ظاهرها وهى جملة (لا اله الا الله) .

فالتجريد يستمد من فكرة التوحيد التى تقول بأن لا اله الا الله الواحد العالم المسيطر الرحمن الرحيم وخالق هذا الكون كله . ذلك أن صفات الله فى الاسلام تجعله لا نظير له وهو عز وجل منزه عن كل شيء وليس كمثله شيء فى الارض ولا فى السماء . . وعلى ذلك فليس هناك ما يمكن أن يستخدم كرمز للذات الالهية او ما يقوم مقامها ويعنى هذا أنها ترفض تمثيل الأشخاص أو اتخاذ هذا التمثيل مجالا لها ومن اجل هذا ابتكر الفنان المسلم وطور واتقن مجموعة من المواضيع المجردة التى تثبت صلاحيتها للتعبير عن النواحى الجمالية فى رسالته الدينية وفى مقدمة ذلك الخط العربى والشكل الهندسى والاشكال النباتية .

وقد حرص الفنان المسلم على البعد عن محاكاة الطبيعة وعالم الطبيعة الواقعى بشكل مباشر وتوجه الى العالم العلوى المجرد وكان مبدأ محاكاة الطبيعة من خلال التجريد الذى يتطلبه فكر التوحيد ، ويرمى البعد عن الواقعية الى تحرير الانسان المسلم من انشغاله بذاته ومن انشغاله بالطبيعة ايضا حتى يتفتح عقله تماما لتأمل العالم العلوى .

(٢)

يحدد الدكتور محمد كمال جعفر تمييز المفهوم الاسلامى للفن فى خمس نقاط :

اولا : ينفرد الاسلام بتماسك نظرته الجمالية والفنية وتكاملها وتناسقها وتلاقيها فى نظرته الى الحق والخير وبهذا يكون النمط الفريد وذلك فى مقابل التباين والانفصام بين اجزاء النظرة الغربية الحديثة للجمال .

ثانيا : تسمح النظرة الاسلامية بالحقيقة الموضوعية للجمال الموجود فى الطبيعة والمصنوع بين الانسان وذلك يعنى ان اعجابنا بالجمال وتقديرنا له ليس تغييرا ذاتيا محضا لا اساس له من الواقع كما يدعى

ذلك بعض المحدثين الذين يرون أن الطبيعة خرساء مالم ينطقها الانسان .

ثالثا : تفى النظرة الاسلامية بالنوعين المشهورين للمتعة الجمالية ..

أولهما : هذه المتعة العابرة التى يصاحبها استرواح النفس والاسترخاء بعد العمل المضنى وهدوء الاعصاب وثانيهما : المتعة التى تنعش الذهن وتوقظ الحواس وهذه المتعة الحقيقية الكاملة التى يحققها مصدر جمالى قيم وهى : المتعة التى يحرص الاسلام على تغذيتها وانمائها

رابعا : تشد النظرة الاسلامية انتباهنا دائما الى ما وراء حواسنا حفزا للهمم واتاحة التمتع بأرقى مجالى المطبوع والمصنوع ومعنى ذلك أن الاسلام لا يرضى لمعتنقه أن يكون سطحيا أو شكليا .

خامسا : تحرص النظرة الاسلامية على رعاية كافة الملكات والطاقات الانسانية ولا ترضى مطلقا أن تعطل ملكة أو تهمل طاقة أو تركن جارحة أو عضوا لأن فى ذلك تعويقا لسير الحياة .

وتعتبر النظرة الاسلامية فى مجال الجمال والفن الطاقات النفسية ثروة تفوق قيمتها أية ثروة أخرى عند ذوى البصيرة والعقل المستنير .

فى ضوء هذا المفهوم الاسلامى للفن ، يتبين أن هناك خلافا واسعا وعميقا بينه وبين مفهوم الفن الغربى ومن هنا كان على المسلمين ألا يقبلوا مفهوما وافدا ولا يحكموا هذا الفكر الوافد فى تفسير الفن الاسلامى ، وقد تبين أن الدارسين الغربيين فشلوا فى تفهم روح الفن الاسلامى وادراك اسلاميته حينما طبقوا عليه معايير الفن الغربى وأصدروا أحكاما جائرة مصدرها العجز عن تقدير ذاتية هذا الفن وارتباطه بروح الاسلام البعيدة عن الوثنية والاستعلاء على الطبيعة وتخليد الجوانب الفانية منها ..

ويمكن أن يوضع مفهوم الفن الاسلامى فى عدة نقاط أساسية :

أولا : ليس العمل الفنى الاسلامى تقليدا للطبيعة .

ثانيا : رفض كل ماليس بحقيقة ممثلة فى « لا اله الا الله » .

ثالثا : تنزيه الخالق وحده وفناء العالم المخلوق .

رابعا : أن تؤخذ الكلمات والتصورات والأفكار التى تعبر عن الذات الالهية بلا كيف حيث لا يمكن التعبير عنها بشىء .

(٣)

يرى كثير من الباحثين أن القرآن الكريم تمثيل النموذج المثالى لكل الاعمال الفنية سواء أكانت من فنون القول أو من غيرها .

أولا : انه الكتاب الذى لم يهتم برواية القصص كسلسلة من الأحداث ولم يحاول وصف الناس أو الافراد أو الاشياء كذوات طبيعية محددة ، ان للقرآن الكريم هدفا آخر خلاف وصف الافراد عند البشر او الاشياء فى عالم الطبيعة وعندما قص القرآن القصص لم يرو القصة مرة واحدة وبشكل نهائى لما هو فى الاعمال الدرامية أو الملحمية المعروفة بل أن القصة الواحدة تروى أكثر من مرة وبغرض الدرس أو المغزى المقصود منها بشكل يختلف فى كل مرة عن المرات الاخرى بشكل طفيف وهو بهذا يقدم نموذجا رائعا للمبادىء الاساسية للفن : (التجريد — التحوير) ومحاولة البعد عن الطبيعة فى المعالجة الفنية ، وكما أن القرآن رفض أن تكون القصة التقليدية والوصف التفصيلى للحوادث والبشر هو محور موضوعاته فان الفن الاسلامى قد فعل نفس الشىء وعندما تعرض القرآن لبعض الامور فقد عالجها بطريقة التحوير ولم يحاول أن يؤكد هويتها المادية الطبيعية .

ومن هنا وضع القرآن الاساس الاول للفن الاسلامى وهو الابتعاد عن التشبه بالطبيعة وتجسيمها .

ثانيا : ان التركيب اللغوى للقرآن جاء مصدر ايحاء للفنان المسلم وكل آية فيه يمكن أن تعتبر وحدة فنية كما أن كل آية يمكن أن تعتبر عنصرا قائما بذاته وليس لاى آية اهمية أو اسبقية على آية غيرها ، كما أنه لا توجد آية بعينها تحوى معنى النهاية أو الخاتمة لسلسلة ما قبلها من الآيات .

ان طبيعة هذا الكلام القرآنى المحكم توحى وتؤكد فكرة تكرارية النموذج بشكل لانهائى ومستمر .

ثالثا : ان الاسلام (عقيدة التوحيد) قد اثر تأثيرا قويا وعميقا فى الفن الاسلامى ، وهو فن فرضته طبيعة الرسالة الدينية التى سادت هذه المنطقة وشكلت ظاهره وباطنه .

فالفن الاسلامى لا ينتج الا من التزام عميق بالمبادىء الاساسية التى يقوم عليها .

رابعا : الفن التجريدى الغربى لا علاقة له بالتجريد فى الفن الاسلامى .. ففى الفن الاسلامى ينشأ التجريد عن مبدأ دينى فنى بغرض الابتعاد عن وصف الطبيعة وذلك لجذب انتباه المشاهد الى فكرة السمو الاسلامى أما التجريد فى الفن الغربى فى القرن العشرين فهو رد

فعل للمغالاة الواقعية المبالغ فيها فى فنون القرن ١٩ فقد وجد الفنانون بعد أن اتخموا بوصف الطبيعة أنهم فى حاجة الى من يجاوز هذه المرحلة الى احساس اعمق من مجرد السطح القريب وقد أدى ذلك الى تشويه الواقع والثورة عليه ، الا أنهـم لم يفقدوا ارتباطهم الكـامل بالشخصية الانسانية أو واقع الطبيعة .

خامسا : وجه كثير من الباحثين الغربيين المتعصبين اتهامات كثيرة للفن الاسلامى من باب الحقد والكراهية على النحو الذى عرف فى كتابات كريزول وهرتزفيلد ، أما كريزول فقد حاول انتقاص الحضارة الاسلامية وابراز تفوق الحضارة المسيحية عليها ووصف العمارة بأنهـا عمارة المسلمين وليس العمارة الاسلامية وغـض من عمل عبد الملك والوليد فى بناء قبة الصخرة .

أما هرتزفيلد فقد انتقد استخدام الكتابة الدينية فى الفن الاسلامى وقال أنه لا شك تعبير عن التعصب أدى المسلمين أن يكتبوا على اى عمل من الاعمال الفنية أنه من القرآن أو الشهادتين أو عدد كبير من عبارات التهانى وطلب البركة يشكل لهـا معنى ..

(دكتورة لوى لمياء الفاروقى)

* * *

الباب الثانى عشر

أسلمة مفهوم الحضارة

(١)

يجب أن ننطلق فى فهم الحضارة « اسلاميا » من منطلق القرآن الكريم والسنة النبوية وان نحدد اولا الاطار الاسلامى لهذا الفهم ايمانا بأن للاسلام مفهوما للحضارة يختلف اختلافا واسعا وعميقا عن مفهوم الغرب وانه وان طرح فى افق الفكر الاسلامى عشرات الابحاث التى حاولت أن تصور للمسلمين الحضارة بمفهوم غربى او بدعوى ان الحضارة غربية اساسا وان الاسلام ليس الا مرحلة فيها بين حضارة اليونان وحضارة الغرب القائمة ، فان هذا التصور غير مقبول اطلاقا لانه لاتعتمد على حقيقة علمية صحيحة وانما هو من أهواء الاستعلاء الغربى الذى يتصور أن الجنس الابيض هو الجنس الاعلى والممتاز الذى صنع الحضارة وهو استعلاء لن يطول أمره .

والواقع أن الحضارة الغربية المعاصرة هى عصارة حضارات عديدة أغلبها نشأ فى المشرق ، وكان الاسلام هو ابرز هذه الحضارات عطاء من أجل قيام المنهج العلمى التجريبى ركيزة هذه الحضارات والذى هو من صنع المسلمين وان كان الغربيون قد تجاهلوا هذه الحقيقة أو أخفوها فالى أمد .

وقد أكدت أبحاث العلماء المنصفين بأن الاسلام قدم مفهوما للحضارة كان ولا يزال جديدا على البشرية قوامه التوحيد الخالص على أساس الرحمة والعدل والاخاء البشرى مسقطا أهواء الحضارات القديمة وخاصة عبادة الاوثان ، وعبودية الانسان للانسان من خلال فلسفات قامت على الاجناس العليا من السادة والدنيا من العبيد فقد حطم الاسلام هذا المفهوم وكما حرر الانسان فقد حرر المرأة وكرمها وأزال وأد البنات والرق وبذلك حرر العبيد والاماء وفتح لهم باب المكاتبة والعتق ، وهكذا قدم الاسلام مفهوما للحضارة تختلف اختلافا جذريا عن حضارات ما قبل الاسلام : الرومانية والفرعونية والفارسية وكذلك بالنسبة للحضارة الغربية المعاصرة .ر

وحين يقرر الاسلام مفهوما متميزا للحضارة فاننا مطالبون بأن ننظر من خلاله الى الحضارة المعاصرة التى قامت بمفاهيم المنهج العلمى التجريبى الاسلامى ولكنها انحرفت عنه وتجاهلت البعد الربانى وأوغلت فى الاعتداد بالانسان وغلت فى رعاية الذات الانسانية على نحو تأكيدها وجعلها وحدها الحقيقة ، فأصبح اشباع رغباتها هو معيار الخير والشر .

وعلى حد تعبير الدكتور اسماعيل الفاروقى : لقد غلا الغرب فى استغلاله للطبيعة واستثمرها وطوعها لاشباع رغباته دون وازع اخلاقى مما أدى الى قلب توازن الطبيعة فى كثير من الحقول ، ومضى فى تألية الرغبات واحترام الذات وكانت فريستهم هى الطبيعة فتمكنوا منها وتفجرت لديهم ينابيع المعرفة الطبيعية فنشأت العلوم وترعرعت . ولقد أسرفت حضارة الغرب فى استنزاف ثروات الطبيعة وتوجيهها نحو الترف والفساد والانحلال وهى بذلك « تقف على طريق معارض للهدف الربانى معارضة للتسليم بكلمة الله والتساوق والانسجام مع خلائقه ونظمه وسننه فى العالم فالانسان الغربى منشق على نواميس الكون متنافر معها بدءا ومصيرا » .

ويمكن القول فى تبسيط شديد أن الحضارة الغربية خالفت منهج الله وخرجت عليه ومن أجل ذلك فهى تتلقى الضربات المتوالية فى مختلف مجالاتها السياسية والاجتماعية والاقتصادية لانها عجزت عن ان تتواءم مع الفطرة أو توازن بين قيم الروح وقيم المادة .

فغلت فى القيم المادية وتنكرت تماما لقيم الروح .

ولذلك فاننا يجب أن نكون لنا نظرتنا المستقلة الى الحضارة الغربية وان نزنها بميزان الاسلام وان نقضى قضاء تاما على ظاهرة الانبهار والموالاة الخادعة التى تعنى فى الحقيقة تنكرنا لمفهومنا الحقيقى للحضارة ودورها فى المجتمعات الانسانية .

ويجب أن نفهم ان أزمة الحضارة الغربية اليوم هى نتيجة انحرافها عن طريق الله واستعلائها على قوانين

الامم ونواميس المجتمعات فليس وصول الحضارة الى كشف أسرار العلم هو بذاته مصدرا من مصادر النجاح الحقيقى ، الا اذا وجهت العلم وجهته الربانية الصحيحة واذا كانت الحضارة الغربية قد وصلت عن طريق العلم الى انكـار الخالق والى الخروج عن منهجـه والى الاستعلاء على دين الله الحق ، فانها بذلك تمهد لنهايتها المحتومة وهى نفس النهاية التى وصلت اليها الحضارات السـابقة .

لقد عجزت الحضارة بعد أن يسر (الله تبـارك وتعالى) لها الكشف عن بعض قوانين العلم والتكنولوجيا أن تتجه الى الهدم والتدمير وان تضع كلمة (الطبيعة) مكان كلمة الله ، وأن تندفع فى الطريق المادى الخالص متنكرة للروح والتوازن بين مقدرات الانسان نفسه حتى تحـطم ذلك الانسان على صخرة الشهوات والادمان والخمر والأمراض الزهرية والدعارة والغلمة وتبادل الزوجات وتقنين الشذوذ الجنسى .

يقول مارتن بولى فى كتابه (انسان المستقبل). لقد بدأ الانهيار فعلا فى المجتمع الصناعى بانهيار بنيان الأسرة وسلطة الاب بعد ضعف وانقطاع الصلة بين الاصول والفروع والجدود والاعمام والعمات .. بل ان الاطفال انفسهم ينزعون اليوم الى مغادرة البيت فـور انتهائهم من الدراسة ، بل أن الزوجة نفسها التى تعتبر آخـر حجر فى بنيان سلطة رب الاسرة بـدأ وضعها يتغير ، أولا بالتمرد على الالتزامات التى توثقها الاسرة وثانيا باخراج عدد كبير من الزوجات فى العمل خارج المنزل ثم تزايد معدل الطلاق ، حتى العلاقة بين الآباء والابناء أصبحت تعصف بها الشكوك بعد سيل الدراسات والنظريات التى تبين العلاقة الوثيقة بين الشذوذ العقلى والعلاقة الاسرية فى الغرب وساهم التليفزيون كعامل اساسى فى القضاء على الحياة العامة وسياسات الجماعة فقد خلط تصورات العالم الحقيقى بتصوراته الخاصة وخلق حقائق جديدة ، لقد دمرت العرف الافكار العظيمة وقضت على الأسرة وأطاحت بنظام الزواج وسفهت الحب الرومانى وقلصت الديمقراطية التقليدية الى أسطوانات دعائية مسجلة » .

ويشير والتر شوبارت : الى جانب آخـر فيقول :

ان الروح الغربية يتفشى فيها الخوف والقلق ، وهى شديدة الأثرة نزاعة الى الفردية محبة للتنافس ، ان الغرب قد جعل الانسانية ذات تراث واسع بتفوقه فى الصناعة ولكنه جـرد الانسان من الروح .

ان الفرد من خلال هذا النموذج الثقافى ، لا يعنى بخلاص روحه وانما يهمه فرض سلطانه وتوسيع دائرة نفـوذه .

ويقول الفيلسوف بيريج سوركن :

ان كل جانب من حيـاة المجتمع الغربى ونظامه وثقافته ، انما هو فى أزمة طاحنة ..

ان جسد المجتمع الاوربى مريض وعقله مريض ، لاتوجد نقطة ضعف واحدة على جسده الا ويعتورها الالم، وقد أضطرب جهازه العصبى بجميع اليافه العصبية فلم يعد قادرا على أداء عمله على النحو السديد .

فالمجتمع الغربى فى أزمة شاملة والمرض تفشى فى جسده وعقله وفى حضارته وثقافته وفى سلوكه وفكره ، ان ثقافته الحسية تحتضر وتموت والامل يراود سوركين بزوغ فجر ثقافة مثالية جديدة وتعيش أوربا اليوم فى عتمة وتضطرب خطواتها ويحل عليها الليل فترة انتقال بظلامه وكوابيسه المزعجة .

ثمة خطر جسيم فى بناء الثقافة الاوربية الا وهو نظرتها الى الانسان وحياته ومكانته فى العالم ، والاحداث الواقعية فى الحياة الاوربية والامريكية تبرهن على وجود هذا الخطأ المميت ، فقوة العلم تستخدم لابادة البشر (٦٠ مليون قتيل فى الحرب العالمية الثانية) وتدمـير المدن والتقدم العلمى الصناعى لم يقرب الاوربيين من مثلهم الاعلى وهو السـعادة .

صفوة القول : اذن ، ان قوة العلم قد سخرت لابادة الانسان نفسـه ومعرفته المتنامية أبعدته عن السعادة وعن فهم نفسه وحياته وهذا هـو التناقض بعينـه .

(٢)

فاذا كانت هذه شهادة أهل الغرب فى حضارتهم فما هو موقفنا نحن ؟ لقد حـاول الغرب ان يحتوينا بحضارته ، حين فرض نموذجه على المجتمعات الاسلامية وحجب عنها شريعتها وسيطر على اقتصادها وقوانينها.

وكانت دعوة التغريب والغزو الثقافى ترمى الى فرض المنهج الغربى وتبنى طريقة معيشة الغرب الحديثة بدعوى انها الوسيلة الوحيدة التى ترفع المسلمين الى مستوى البلاد المتمدينة وبالرغم من أن هذا الاسلوب قد فرض على المسلمين وساروا فيه شوطا طويلا الا انهم لم يستطيعوا عن طريقه أن يحققوا أى تقدم حقيقى على النحو الذى حققته اليابان حين استطاعت أن تستوعب أسلوب الغـرب التكنولوجى وتحافظ فى نفس الوقت على شخصيتها الخاصة بقيمها وعقائدها ، أما بالنسبة لعالم الاسلام فقد حرص الغرب على ان يدمر قواعد الذاتية الاسلامية وفى نفس الوقت لا يمـكن المسلمين من امتلاك الاسلوب العلمى ، وكان أسلوبه فى التعليم

موجها أساسا الى تخريج مغربين يؤمنون بالتفسير الغربى لتاريخهم وتقاليدهم ويرغبون فى الانصهار كلية فى حضارة الغرب ومن ثم فان الريادة الفكرية الآن فى العالم الاسلامى هى ريادة مغربة مدخولة لا تفهم ولا تؤمن بالفوارق العميقة بين الحضارتين الاسلامية والغربية .

بل انها تعادى الفكرة الاسلامية عداء شديدا لانها منحازة الى المنهج الغربى أو المنهج الماركسى ، تركز على الدفاع عن وجودها وترى فى البناء الاسلامى خطرا عليها .

ان جميع النظريات الوافدة التى حملها الغرب الى البلاد الاسلامية هى مجموعة من النقائض حاولت أن تشكل بالمزج أو التركيب نظرية ملفقة واضح فيها التمحل والصناعة ولذلك فهى لم تستطع أن تقدم شيئا نافعا لانها ضد طبائع الاشياء وضد الفطرة ، فهى جماع مختلط غامض من القومية والماركسية والاشتراكية والثورة والاسلام على بعض الوجوه ، ولقد فشلت كل هذه المحاولات فى أن تقدم شيئا ايجابيا نافعا .

(٣)

ومن هنا فان هناك مجموعة من الحقائق يجب أن تكون واضحة أمامنا . ونحن بسبيل عرض المفهوم الاسلامى للحضارة :

أولا : ليس النمط الراسمالى الذى عرفته أوربا هو النمط الأرقى .

ثانيا : المشروعات المستقبلية التى تقوم على اساس هذا تخطاها الواقع .

ثالثا : المجتمعات التى تكونت بعد سيطرة الراسمالية الاوربية على اغلب بلاد العالم ليست مجتمعات اصيلة بل تابعة هجينة انقطعت عن مسارها التاريخى ولم تأخذ مسار أوربا .

رابعا : ان الحضارة الاوربية وضعت لنفسها هدف السيطرة على العالم واخضاعه لسلطانها ، كما وضعت لنفسها هدف خدمة الاقلية المتسلطة دائما لا لخدمة المجموع الانسانى العام بل الى ركض مسعور لتطوير البضائع الاستهلاكية باتجاهات حكمتها عمليات المنافسة والربح ، لتحقيق أعلى درجات السيطرة على الآخرين واستنزاف جهودهم وثرواتهم .

خامسا : ان التطور العلمى والفنى فى الحضارة المعاصرة اتجه نحو التضاد مع الطبيعة والبيئة والحاجات الفطرية للانسان .

سادسا : ان الدوافع التى امتلات بها صدور الاوربيين مع اوائل القرن السادس عشر تكشف عن شره شديد للسيطرة على العالم ونهبه حتى الحدود القصوى بقصد التمتع بأكبر قدر ممكن من الترف .

سابعا : استخدام كل الاساليب البراقة السلع الاستهلاكية والعمل على ما يثير الغرائز من اشاعة الجنس والمخدرات .

ثامنا : فرضت الحضارة الاوربية المسيطرة بالاستعمار على المدرسة والجامعة واجهزة الاعلام مناهج الغرب بكل ما تستند اليه من فلسفات وما تحمله من مبادىء ومعايير ومقولات ، الامر الذى ابعد أعدادا متزايدة من المثقفين فى بلادنا عن سياقهم التدريجى وزرع فى عقولهم التغريب وعددا لا يحصى من المقولات المشوهة حول الاسلام والتراث والتاريخ والنمط المجتمعى الاسلامى . (منير شفيق)

(٤)

ومن هنا فان علينا أن نحدد موقفنا تماما من هذه التبعية وأن نعمل على الخروج منها بأسلمة مفهوم الحضارة أساسا وأن من حق الاسلام علينا أن نحدد موقفنا تماما تجاه الحضارة الغربية .

يقول محمد أسد (ليوبولدفايس) ان تقليد المسلمين فرادى وجماعات بطريقة الحياة الغربية يعد من أعظم الاخطار التى تستهدف لها الحضارة الاسلامية هذا التقليد نشأ بسبب قنوط المسلمين الذين راوا القوة المادية فى الغرب ثم وازنوا بينها وبين الحالة المؤسفة فى بيئتهم الحاضرة ، اذ قد نشأ عند بعضهم اعتقاد خاطىء مؤداه أن النظام الاسلامى فى الاجتماع والاقتصاد لا يتفق مع مقتضيات التقدم ، فيجب من اجل ذلك أن يحور حسب الأسس الغربية .

خطأ الاعتقاد بأن تقليد المدنية الغربية هو المخرج الوحيد من واقع التفكك الاسلامى ، ان مكمن الخطر فى تقليد الغرب لا يكمن فى الاشياء التى تقلد فحسب ، بل انه يكمن كذلك فى اقتباس الآراء والمثل العليا الغربية التى تقطع بالتدريج تلك الصلات التى تربط العالم الاسلامى بماضيه ، ومن هنا فانه يفقد شخصيته الثقافية الى جانب أنه ينتهى الى أن يفقد أساسه الروحى اذا ظل سائرا فى طريق التقليد .

ان المشكلة اليوم هى مشكلة مسافر وصل الى مفترق طرق ، انه لا يستطيع أن يظل واقفا فى مكانه ، فلابد أن يتجه نحو المدنية الغربية أو حقيقة الاسلام .

* * *

(٥)

نعم : نحن مطالبون اليوم بتحديد موقفنا ، وهو التحرر من نقائص الحضارة الاوربية الحديثة (الفلسفة الفكرية والسلوك العملى) مع استيفاء ماكان صالحا من خبرتها فكرا وعملا ، يقول العلامة محمد المبارك : ان التحرر من غزو الحضارة الغربية لا ينبغى أن يفهم منـه اعراضنا عن الاخذ بمكاسبها العلمية فى ميدان الطبيعة والصناعة فذلك واجب فورى ، كما أنه لا يتنافى مع التعاون فى اطـار المصلحة المتبادلة ، مع أصحاب هذه الحضارة بل التعاون الانسانى العالمى فى نطاق عقيدتنا وقيمنا الاخلاقية الانسانية ، وانما التحرر من فلسفتها العقائدية البتراء الناقصة التى هى سبب بلائها والتحرر أيضا من القواعد السلوكية المنبثقة عنها ومن الذوبان الخطر فى فلسفتها هذه وثقافتها ومن التبعية لها فى مجال السياسة .

« وأهم العمليات وأخطرها وأشدها صعوبة هى احلال الاسلام باعتباره نظاما عقائديا كاملا ، أى بعقيدته ونظمه المتفرعة عنها محـل الثقافتين : ثقافة العصور الوسطى المتجمدة والمشتملة على انحرافات ، وثقافة الغرب القائمة على الفلسفة المادية سواء فى قطاعها الشيوعى أو الرأسمالى .

« ان احلال الاسلام أو عودته ـ لا تعنى مجرد اقامة شعائر الاسلام التعبدية ، بل هى عملية جذرية تستطيع المواجهة فى معركة العقـائد السائدة والتى ينبغى أن يكون البديل الاسلامى لهـا نظاما عقائديا اسلاميا ينطلق من المضمون الاساسى للنظرة القرآنية ومن المشكلات المعاصرة ومن الازمات الماثلة بعد حلها على ضوء هذه النظـرة » ..

وفى هذا الصدد ينبغى أن نفصـل بين المضمون القرآنى المشتمل على نظرة الانسان الى الانسان والكون والحيـاة والله المهيمن عليهم جميعـا وبين الاساليب والاجتهادات التى تمثل الجهد البشرى المشكور الذى قام به اعلام المسلمين فى العصور الماضية ، فمن المضمون القرآنى المؤيد والمبين بالسنة الصحيحة تكون الانطلاقة وتكون صياغة نظرتنا الذاتية الجديدة بأسلوب زماننا ومن خلال مفهومنا واجتهاداتنا التى لا تتجاوز الاصل الثابت فى ضوء المشكلات المطروحة ..

(٦)

ويسلمنا هذا الى التعرف على مفهوم الاسـلام للحضارة ، هذا المفهوم المتميز حيث تتلاقى الأمم فى النظريات الرياضية والتجريبية وحقائق المعرفة والعلم وتختلف فى الثقافات والنظريات السلوكية والأخلاقية ، وهذا التمايز كما يقول دكتور محمد محمد حسين مقصود لذاته لانه هو الاصل فى تمايز الامم ودفع بعضها ببعض وهو من سنن الله الكبرى (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض) ، (ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم) ويتميز المسلمون بالمقدار الذى يعتمدون فيه على قيمهم وعقيدتهم ، التى تجعل منهم جسدا واحدا اذا اشتكى منه عضو تداعى له سـائر الجسد بالحمى والسهر ، ومن طريق المخالفة لغيرهم فهو الذى يصونهم من الذوبان والفناء فى غيرهم وهذا واضح من قـوله تعـالى :

(وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله) ..

فالآية تدعـو المسلمين الى الاجتماع على طريق الاسلام من ناحية وتنهاهم من ناحية أخرى عن اتباع طرق غير المسلمين لانها تؤدى الى تفرق جماعتهم .

« ولقد لفت نظرى المخطط الاستعمارى الصهيونى الذى يدبر لتمييع الطابع المميز لشخصية الامة الاسلامية تمهيدا لامتصاصها » .

وهنا يأتى مفهوم الاسلام للتجديد والاصلاح ..

فالتجديد صـفة لحركة اسلامية يمكن أن تـرد للاسلام جدته ليعود الى صورته الصحيحة كما بدأ أو لينفى عنه ما شابه وما خالطه مما انحرف به عن الجادة والاصلاح هو تخليص المجتمع الاسلامى مما اغراه من تحـلل ادى الى تخلف المسلمين ، والخطر هو تطويع الاسلام لاشكال الحضارة الغربية ومفاهيمها وتطـوير المجتمع لتكون فى نهاية المطاف صورة من صور المجتمعات الغربية ، ان النظم الجمهورية والديمقراطية التى تبدو فى ظاهرها تأييدا لسلطة الشعوب فى اختيـار قادتها وزعاماتها كانت تستهدف فى حقيقتها سيطرة اليهـود بالتحـكم فى اختيار أوليائهم لهذه القيادات والزعامات واستبعاد أعدائهم وخصومهم منها بسيطرتها على الرأى العـام والانتخابات عن طريق السيطرة على رءوس الاموال ووسـائل الاعـلام ..

(٧)

ويحلل بعض الباحثين ارتباط الحضارات بالاديان ، فيقول : تختلف الأديان الثلاثة فى الروح ومنهج الوصول الى المعرفة والى الامان أيضا عن طريق الاعتماد على العقل والعلم ، ولكل من الاديان اليهودية أو النصرانية مميزات رغم اشتراك الديانات الثلاث فى أمور جوهرية

مثل الايمان بالخالق الواحد الذى ابدع هذا العالم وبالرغم من اشتراك الديانات الثلاثة فى الناحية العامة فى أمور جوهرية فان هناك انفراد الاسلام بأمور كثيرة مميزة قد يكون أولها مفهوم التسمية التى تسمى بهـــا .

فالاسلام هو اسلام الوجه لله ، اسلام التراث من وجوه شتى اختبارا مع الصدق والاخلاص فى ذلك وتبرئة العقل والقلب من كل شوائب الشرك ومع منتهى التعظيم والاجلال والمحبة لله بحيث يكون للاسلام فى الظاهر سلوك وفى الباطن حالا وطبيعة ؟؟

فالاسلام هــو الموقف الفكرى والنفسى للانسان وهو موقف جميع المخلوقات فالكون كله بسمواته وأرضه مسلم لله والمخلوقات كلهـــا ساجدة لله وهى مسبحة بجلاله وبحمده بلسان واحــد .

ولمـــا كان كل بناء حضارى يحتاج الى اساس من فكر وايمان وهو روح الحضارة والى مؤمن بالفكر يحمل روح الحضارة ويشرع فى البناء او على الاقل يهيىء له الظروف ، فالاسلام نفســـه بجميع جوانبه أساس للحضارة الاسلامية والمؤمن بروحها الذى شرع فى البناء هم العرب والمنقذ هو الامـــة الاسلامية ومن اندمج فيها من أهل الديانات والمذاهب الاخرى والمناسبة هى خروج العرب ومعهم الاسلام واللغة العربية وميراث الحنيفية الابراهيمية الى مسرح التاريخ العالمى الكبير ولقاؤها مع الحضارات الاخـــرى .

وقد انبثق العلم من القرآن ســـواء من حيث المنهج ، وهو منهج حسى عقلى لأن الله أمر باستعمال الحواس والعقل معـــا .

وقد غرس الاسلام حب المعرفة بفضل ماجاء فى الكتاب الحكيم من اشادة بالعلم ورفع شـــأن العلماء وتعظيم للحكمة ومن أوتيها ، ومن حث على النظر فى الكون وفى آيات الله وفى النفس الانسانية واسرارها مع ترك التقليد للموروث وتجنب الحكم بالظن والهوى ومع الاهتمام بطلب العلم اليقين والمطالبة بالدليل والبرهان .

(٨)

ويكاد يجمع الباحثون فى الحضارة الاسلامية عن أن ميزتها ومكانتها بين الحضارات العالمية أنها تقـــوم باسم الله تعالى وعلى يد الانسان وانها متفتحة تقبل كل الثمرات الروحية والعقلية والمـــادية لعناصر الحضارة الصحيحة وهذا هـــو سر تجددها المستمر ونصوص القرآن صريحة فى ان الله تبارك وتعالى قد استخلف البشر فى الأرض واستعمرهم فيها أى طـــلب عمارتها على حـــد تعبير الدكتور محمد عبد الهادى أبو ريدة الذى يقول ان الحضارة الاسلامية تتميز بأنها تكـــون الانسان المؤمن المجاهد ، تكوينا شاملا لحياة الدين ولحياة الدنيـــا .

وهذه الحضارة قادرة على النقد والاختيار وتتغلب كمـــا يتغلب الجسم القـــوى على كثير من العوارض والازمات التى واجهتها ومرجع قدرتها على البقاء انها حضارة روحية ، عقلية ، اخروية ، دنيوية ، مادية ، علمية فلسفية ، بحيث تتمثل كل شىء وتحوله الى ذاتها العميقة ، ولا يمكن استئصالها الا بازالة من يحملهـــا وينفذها ويتمثلها وقـــد يجمع المسلم فى ذاته كل هـــذه العنـــاصر .

وهى حضارة تنتشر انتشارا تلقائيا وتجد طريقها بوسائل بسيطة لان روحها وأسسها الفكرية والاخلاقية تنجلى فى المسلم البسيط ، تنكشف روحه الاسلامية فى عبادته وسلوكه ومعاملته فى أى مكان كان وهى حضارة عالمية انسانية شأنها شأن الاسلام نفســـه ، وابرع مظاهرها الوحدة رغم تنوع مظاهرها لانها مبنية على التوحيد وقد تعرضت لازمـــات ومعوقات ، وهجمات مدمرة وعداوات قاسية ولكنها استطاعت البقاء ، كما انها تعرضت للركود والانكماش ولكنها كالكائن الحى الذى تكمن قوته فى داخله تسكن تحت مجارى الاقدار وتصبر حتى اذا تهيأت لهـــا الظروف المؤاتية تفتحت وازدهرت من جـــديد .

(٩)

ويقـــرر عدد من الباحثين ان جوهـــر الحضارة الاسلامة هـــو التوحيد ، فالتوحيد هـــو الذى يعطى الحضارة الاسلامية هويتها وهو الذى يصبغ كل مايدخل اليها من عناصر فيؤسلمها ويظهرها فتخرج من عبورها الى التوحيد متجانسة مع كل ما حولها ، ومن ابـــرز ما تتسم به امتزاج الايمان بالأخلاق بالقانون فقد جاءت حضارة الاسلام خاتمة لرسالات السماء لمعالجة هذا الانفصام القديم فى كيان الانسان أصلا بين روح وجسد وبين عقلـــه وعاطفته وبين تطـــوره المادى وسلوكه الاجتماعى وبين دينه ودنياه ، جاء الاسلام تخليصا لكل جهاد الانسان الروحى ليقيم ميزان التعادل فى ضمير الانسان وفى حياته . والجمع بين العنصرين ، والترابط بين الفرد والجماعة فقد ركز الاسلام منذ البداية على ان الفرد فرد فى جماعة (ومن شذ شذ فى النـــار) وسمى النبى صلى الله عليه وسلم أول مجتمع اقامه فى أول أيام الهجـــرة بالامـــة .

وفى ضوء هذه المفاهيم تبين أن مفاهيم الحضارة الاسلامية تختلف اختلافا عميقا فهى كما يصورها (منير شفيق) ..

أولا : ترمى الى التوحيد الاجتماعى فى الاسلام الموجب لتحقيق توازن دقيق بين مختلف حاجات الانسان ومتطلباته ومختلف حاجات المجموعات البشرية ومتطلباتها الحاجات المادية والروحية والنفسية والمعرفة .

ثانيا : الاسلام يشكل منظومة متكاملة تتماسك أجزاؤها وتتفاعل فيما بينها لتشكل وحدة عضوية متحركة حيوية لا تجعل من الممكن أن يفهم أى جزء على حدة وانما ضمن وضعه فى الاطار العام أو من خلال علاقته بالوحدة الكلية والاجزاء الاخرى مجتمعة وفى آن واحد .

ثالثا : توحيد البشر والشعوب والقبائل ، مع عدم التنكر لسنة الله التى جعلت الناس شعوبا وقبائل ليتعارفوا فى ظل رابطة الاسلام التى تضبط وتهذب وتطور الروابط بين الافراد والجماعات .

* * *

(١٠)

ونصل من هذا العرض كله الى حقيقة واحدة هى :

ان المفهوم الاسلامى يقوم على : التكامل بين المنهج والتطبيق وبين الفكر والأخلاق ، وبين الروح والمادة وبين الدنيا والآخرة وبين الالهى والبشرى وبين الفرد والمجتمع .

هذا المفهوم الذى لا يستطيع الفكر الغربى أن يفهمه أو يؤمن به والذى أدى تخلفه هناك الى انحدار الحضارة الغربية وهزيمة الفكر الغربى ودخول المجتمعات الغربية الى مرحلة الازمة ، فقد وصلت الحضارة الغربية الى القمة فى انجازاتها المادية ولكنها كما يقول الدكتور أسحق فرحان — تصل الى التخصيص فى مجال استعباد الشعوب النامية من أجل سعادة الانسان الغربى المذهل الذى يستمتع بتراث الحضارة الغربية المادية .

ويقول : لقد أسرفت الحضارة الغربية اليوم فى تطويع التكنولوجيا لخدمة الانسان الغربى كما أفلست فى الاهتمام بالقيم الروحية والخلقية والانسانية التى تعطى الحضارة توازنا وتجعل الانسان أخا للانسان اينما كان وها نحن نرى ما ينتج من بعض آثار الحضارة الغربية اليوم من اسراف فى المتعة المادية وتدمير الثروات العالمية على حساب الاجيال القادمة وكثير من شعوب العالم الثالث ، وانتاج لاسلحة الدمار التى تكفى اليوم لدمار الكرة الارضية فيما لو وصل مجنون الى قمة السلطة فى المعسكر الغربى أو الشرقى وتلويث البيئة الطبيعية من تراب وبخار وهواء حتى يمكن القول بأن عناصر هلاك البشرية وجراثيم القضاء على الانسان تتسارع بنفس المعدل الذى تنتشر به مظاهر الحضارة الغربية .

* * *

ويقول الدكتور أسحق فرحان أن الحضارات لها مظاهر متشابهة من حيث الشكل فى مجالات الآداب والفنون والعمارة والعادات وأنماط الحياة ، ولكن الحضارة الاسلامية تميزت بعدة ميزات جعلتها نموذجا منفردا فى سلسلة حلقات الحضارة الانسانية ومن هذه الميزات .

أولا : ان الحضارة الاسلامية حضارة هادفة تقوم على الايمان بالله والارتقاء بالروح وتنمية القيم الاخلاقية والانسانية لدى الانسان والمجتمعات البشرية .

ثانيا : ان الحضارة الاسلامية حضارة شاملة لجميع ميادين الحياة من لغة وآداب وعلوم وفنون مما يعود بالنفع على الانسان فى حياته الخاصة والاجتماعية والعالمية وقد كان المقياس فى كل مجالات الحياة ذلك الاطار الاسلامى فى العقيدة والخلق وكان التقدم فى العلوم الكونية موازيا للتقدم فى العلوم الشرعية .

ثالثا : ان الحضارة الاسلامية حضارة متوازية فيما يتعلق بالنواحى الروحية والمادية وفيما يتعلق بما يخص الفرد وما يخص المجتمع وفيما يتعلق بالأمة الاسلامية من جهة وسائر شعوب الارض بصورة عامة

وبالجملة فان الحضارة الغربية اليوم مهددة بالتدهور والانحلال لتركيزها على النواحى المادية على حساب النواحى الروحية .

وأن الاسلام مؤهل اليوم أكثر من أى وقت مضى لان يعلن للحضارة الاسلامية توازنها وينقذ البشرية من دمار قد يكون شاملا وعلى علماء المسلمين بلورة المنظور الاسلامى لسائر التخصصات العلمية فى سائر حقول المعرفة والنهوض باللغة العربية كوعاء للحضارة الاسلامية وايجاد جيل اسلامى معاصر يؤمن بربه قادر على العطاء والبناء .

* * *

الباب الثالث عشر

أسلمة كتابة التاريخ

(١)

تعرض تاريخ الاسلام لمحاولة خطيرة ترمى الى تفريغه من مقوماته وتفسيره تفسيرا ماديا عن طريق جماعة الاستشراق وتابعيهم من التغريبيين وذلك بهدف خطير هو القضاء على روحه القوية النفاذة القادرة على اعطاء الاجيال الجديدة من الشباب المسلم دفعة من الايمان والثقة فى سلامة منهجهم وصدق عقيدتهم وهو الهدف الحقيقى من الاساليب الوافدة التى ادخلت على كتابة تاريخ الرسول وصحابته والاسلام ومنهاجه على أساس المنطلق الذى عمد النفوذ الاجنبى على رسمه اساسا وهو تفريغ التاريخ الاسلامى من آثاره العميقة القادرة على انبعاث هذه الامة من جديد وهى جزء من المحاولة الكبرى التى ترمى الى تزييف الاسلام عقيدة ومنهجا ، ثم ضربه فى مراحل التطبيق على ايدى خلفاء الرسول صلى الله عليه وسلم والدول الاموية والعباسية والعثمانية وغيرها .

وقد وضح ذلك تماما فى الكتابات العصرية للسيرة النبوية التى قامت على اساس انكار المعجزات والجوانب الغيبية والخوارق التى اثبتتها الوثائق الصادقة التى حفظتها الاجيال والتى حققها علم تحقيق السنة النبوية ولقد تبين اعراض الكتابة العصرية للسيرة (العقاد ، طه حسين ، هيكل) عن الجوانب ذات الصلة بالايمان والعقيدة واليقين والتقوى وقوانين الاسلام فى النصر (كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين) هذا الاعراض يرمى الى : اطفاء نور العطاء الالهى فى السيرة النبوية وتاريخ الاسلام فلا شك ان كفاءة السيرة والتاريخ بالطريقة العلمانية من شانه ان يخفف هذا الوهج العظيم الذى يجب أن يملا قلوب المؤمنين فيعرض السيرة خاوا من يقين الايمان تحت اسم العلم الذى لا يعترف بغير المحسوس والذى لا يستطيع فهم الوحى والنبوة ومدد السماء .

وليس معنى هذا أننا نطالب بكتابة السيرة وتاريخ الاسلام باسلوب عاطفى وجدانى خالص على نحو قصائد المديح والمبالغة وانما ندعو الى أسلوب اسلامى الوجهة جامع بين عطاء العقل وعطاء الوجدان وان يكون تفسير التاريخ الاسلامى قائما على منهج الاسلام الجامع بين الروح والمادة ، وتوجهه الى كل ما يملك الانسان من قوى الوجدان والروح والعقل والفكر .

وعلينا أن نثق أن محاولة تفسير التاريخ الاسلامى بمفاهيم علمانية أو قومية أو مادية هى محاولة قاصرة لا تستطيع أن ترقى الى مفهوم الاسلام الجامع والذى لا يقف عند حدود الجوانب المادية أو المحسوسة أو يحكم بها على الامور ، وانما هو أوسع دائرة وارحب افقا حيث يجمع بين عاملى الروح والمادة فى النظر الى مختلف الوقائع والاحداث وفى تقرير القضايا الاساسية كقضية التقدم والحرية والعدل الاجتماعى والشورى ومن هنا فان محاولة كتابة تاريخ الاسلام بأسلوب العلمانية أو القومية أو المادية هو بمثابة محاولة فاشلة مردودة على أصحابها ، ولن يقبلها الروح الاسلامى الذى تشكل منذ خمسة عشر قرنا على التكامل الجامع بين القيم والذى يربط حركته فى المجتمع والنفس بالله تبارك وتعالى ويجعل الاخلاقية عاملا أساسيا فى هذه الحركة .

كذلك فان دعوى كتاب التغريب من ان أسلوب الغرب هو المنطلق الذى يستطيع به المسلمون أن يحققوا كيانهم ووجودهم ومجتمعهم ، هذه المحاولة خدعت المسلمين والعرب سنوات طويلة (منذ اثارها طه حسين ومحمود عزمى وغيرهم) وقد تكشف بطلانها منذ انتزعت (القدس) من ايدى المسلمين وثبت فشل المنهج الليبرالى الغربى بعد الحرب العالمية الاولى كما ثبت فشل المنهج الماركسى والاشتراكى بعد الحرب العالمية الثانية فقد تبين أن ما ظنوا أنه عامل موصل للنهضة هو عامل عازل يسام المسلمين والعرب الى الاحتواء الكامل والانصهار فى بوتقة الامم العالمية .

* * *

(٢)

ان منهج التفسير الاسلامى للتاريخ يقوم على أسس واضحة وقاعدة كلية وهو بذلك يختلف عن منهج الغرب الليبرالى القائم على اعلاء شأن الفرد وعظمته وسيادته ، أو النظرية الماركسية القائمة على اعلاء شأن المجتمع وكلاهما نظرية انشطارية تقوم على جانب واحد وتعتمد المفهوم المادى وحده فى كليهما .

ويتقرر منهج التفسير الاسلامى للتاريخ (أولا) فى ان الأمم التى تخرج على منهج الله لابد أن تدمر ، وأن سنة الله تبارك وتعالى فى زوال الأمم وانقراضها ماضية الى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

وقد أشار القرآن الكريم الى هذا القانون فى عديد من الآيات الكريمة :

(وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً) .. الاسراء .

٢ — ان تاريخ البشرية كله انما هو صراع بين الاسلام والفكر البشرى ، بين الحق والباطل ، بين منهج الله تبارك وتعالى ومنهج البشر .

٣ — ان البشرية كلها وحدة جامعة ، الناس لآدم وآدم من تراب لا فضل لعربى على عجمى ، ولا لعجمى على عربى الا بالتقوى) فلا تمييز لأمة أو عرق أو جنس أو شعب .

وان دين الله واحد وأن تاريخ الاسلام لا يبدأ من محمد صلى الله عليه وسلم ولكنه يبدأ من آدم عليه السلام .

٤ — ان تاريخ البشرية الحقيقى هو تاريخ الأنبياء الى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

وقد دعا القرآن الكريم الى أهمية دراسة التاريخ وعبرة الأمم ونواميس الأمم وسنن الحضارات وغير ذلك كله فى قوله تبارك وتعالى :

(قد خلت من قبلكم سنن فسيروا فى الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين) .

٥ — ان الدين بمفهوم الاسلام الجامع هو العامل الاكبر والاساس فى بناء التاريخ والحضارة والمجتمع الاسلاميين ، وأن الدين بمفهوم الاسلام عامل مؤثر على الاقتصاد والسياسة والتربية والاجتماع وليس ظاهرة عرضية كما يحاول الماركسيون تصورهم الذى يقوم على مفهوم المسيحية الغربية ويقرر الباحثون أن الدين هو العامل المؤثر على انشاء الحضارات واقامة المدنيات على مدى التاريخ ، وأن الاسلام يتميز بمفهوم اسلام النفس لله ، واخلاقية الحياة والمجتمع ، والمسئولية الفردية والجزاء الاخروى .

(٣)

تتمثل ميزة التاريخ الاسلامى عن تواريخ الامم الاخرى فى ميادين كثيرة :

الأولى : انه نشأ فى رحاب الدين الاسلامى بمعنى انه بدأ بجمع الاحاديث النبوية التى تتعلق بسيرة النبى صلى الله عليه وسلم وبعد جمع الاحاديث وثبوتها ظهر باب يتعلق بحياة الرسول وكان هو النواة التى نشأت عنها وترعرعت الدراسات فى علم التاريخ ، وهذا جعل علم التاريخ يبدأ بداية ترتبط بجمع الاحاديث ، وتحرى الدقة الكاملة ، فى سلسلة الاسناد وان التاريخ بنشأته حول سيرة الرسول يتميز بالصدق والدقة فى التدوين وهى ميزة لم تتوفر لاى تاريخ آخر .

الثانية : ان الذين تصدوا لكتابة التاريخ الاسلامى وتدوينه لم يكونوا من رجال الدولة الرسميين وانما كانوا علماء اجلاء وهبوا أنفسهم للعلم ابتغاء مرضاة الله .

الثالث : الهدف من التدوين هو خدمة المجتمع الاسلامى .. بمعنى أن التاريخ الاسلامى كانت له وظيفة هامة ومحددة ، وهو أمر اكسبه طابعا فريدا لا تجده أيضا فى تواريخ الامم السابقة واللاحقة ، فقد كان يقوم بتدوين تاريخ تلك الأمم غالبا نفر من رجال الدولة الرسميين بقصد اضفاء التمجيد على الدولة ، تدوين التاريخ الاسلامى فقد كان المقصود من واضعه عملية تقدم للمجتمع الاسلامى النماذج التى تجنبه الخطأ وتهديه سواء السبيل .

وقد وجدت الدراسات فى التاريخ الاسلامى مادة خصبة فى حركة الفتوح الاسلامية وما ترتب عليها من اتساع رقعة الدولة الاسلامية ودخول شعوب جديدة فى ظل الاسلام ، وهناك جانب هام ظهر التاريخ الاسلامى مع امتداد الدولة الاسلامية هو استخدام التربية فكان الخلفاء وكبار رجال الدولة يحرصون كل الحرص على ان تكون دراسة التاريخ الاسلامى عنصرا حيويا فى تربية ابنائهم وكثيرا ما كانوا يوجهون المؤدبين والمشرفين على تربية ابنائهم بالاعتماد على التاريخ فى توسيع مداركهم وثقافاتهم .

الرابع : رجال التاريخ الاسلامى هم الذين تصدوا لمحاولات دس أحاديث مكذوبة عن الرسول ، فمثلا اذا جاء فى سلسلة الاسناد لحديث من الأحاديث شخصية

يكشف عنها المؤرخ أنها كانت بعيدة عن مجريات الاحداث فهنا يتهم الحديث بالكذب .

وفى الفتـــرة التى شهدت الخلافات بين الفـــرق الاسلامية وعمد فيها أصحاب تلك المذاهب الى ترويج أفكارهم بأحاديث مدسوسة .. قام المؤرخون بتصحيح الموقف قال سفيان الثورى : عندما لجأ الرواة الى الكذب لجأنا الى التاريخ .

ويزودنا التاريخ الاسلامى بتجربة المسلمين الرائعة والفريدة فى ميدان التعليم وهى ما يجب أن نضعـــها موضع العناية كأسلوب لحـــل مشاكلنا التعليمية .

(دكتور ابراهيم الغدوى)

(٤)

ومن هنـــا فنحن مطالبون بالكشف عن دسائس المستشرقين فى كتابة تاريخ الاسلام واعادة كتابة التاريخ الاسلامى لتنقيته من سموم المستشرقين والتغريبيين حيث أن فى بعـــض الكتب التى فى أيدينـــا افتـــراءات على الشخصيات الاسلامية .

ولقد تقدم المسلمون أول منهج علمى لتحقيق الحديث النبوى وطبقوا هذا المنهج فيما بعد على وقائع التاريخ ولكن التجربة التى وصلت الى ذروة القوة والسلامة فى مجال الحديث النبوى لم تستطع مد رواتها الى كتابة التاريخ الاسلامى فدخلت الى الساحة عناصر كثيرة من الرواة والشعوبيين وأهل الأهواء والمذاهب السياسية .

يقول المستشار سالم البهنساوى : لقـــد ظلت عصور التاريخ الاسلامى مرتعا خصيبا للدس والوضع والتجنى والجهل بالاسلام فاستمسك بها أعداء الاسلام وأهل الملل الأخرى يأخذون منها نصالا مسمومة لتشويه تاريخ الاسلام ، لقد وقـــع التاريخ الاسلامى ضحية مؤامرات كبرى استهدفت الافتراء على أصول الاسلام والباس الباطل ثوب الحق والطعن فى رجال الاسلام وقادته واضعاف عقائد المسلمين لاثبات أن الاسلام كان قولا وعملا وأن المسلمين لم يثبتوا على دينهم الا فترات قليلة من تاريخهم الاول ثم ضلوا السبيل وركبوا موجة الاهواء كغيرهم من أهل الملل والنحـــل .

« ثم ان المؤامرات امتدت الى تغيير بعض أحداث التاريخ الاسلامى لتلائم الفلسفة الاوربية ، ثم امتدت المؤامرات الى تطويع مفاهيم القرآن والسنة لتساير المذهب الماركسى فى تفسيره المادى للتاريخ ، وكان الرواد الاوائل فى ذلك بعض صـــبيان الراسمالية الغربية ثم اتبـــاع الماركسية من الاعراب وبعض من تحولوا من الفكر العلمانى الى الاسلامى بكتابات أسهمت فى بعض الأخطاء نقـــلا عن مناهج بعض المؤرخين الذين دونوا التاريخ الاسلامى أو كتبوا عنـــه .

ويكشف المستشار ســـالم البهنساوى : هـــذه المؤامرات التى جرت فى تدوين التاريخ الاسلامى ويردها الى عاملين :

الأول : استخدام العقل فى غير موضعه .
الثانى : ملابسات تتصل بتدوين التاريخ الاسلامى

العامل الاول : استخدام العقل فى غير موضعه .

المجال الذى ينفرد فيه العقل بالحكم على الاشياء هو ما خضع لنطاق هذه الحواس أما الامور غير المادية التى لا تخضع بذاتها لنطاق هذه الحواس فليس للعقل قدرة فى الحكم عليها .

ولقد نشأت عن استخدام الانسان عقله فى غـــير موضعه صراعات وخلافات دفعت البشرية ثمنها ومازالت تجنى اثـــر الصراع بين هـــذه المذاهب السياســـية والاجتماعية على مر السنين .

ونتيجة لذلك ظهـــر ما يسمى بالمذهب الفـــردى والمذهب الجماعى ، وأصحاب هذه المذاهب قد تجاوزوا حـــدود الفكر الذى بنيت عليه فلسفتهم فابتدعت كل طائفة تفسيرا لاحداث التاريخ الانسانى يؤيد فلسفتها كالفلسفة الاوربية والفلسفة المادية ، كما وضعت كل فرقة مناهج للنفس البشرية ، مع أن هذه النفس لا تخضع للتجارب المادية وبالتالى فالمناهج التى تبنتها كل فرقة ليست علما بالمعنى الصحيح فلم تبن على نتائج محددة لتجارب علمية .

ومن ثم اختلفت هذه المناهج اختلافا شاسعا ، حيث بنيت على الظن والتسليم بصحة المذهب الاجتماعى الذى انبثقت منه وقد ظهر ذلك واضحا فى الفلسفة التاريخية الاوربية وفى منهاجها ومؤثراتها كأثر لحرمان الانسان من حرية التفكير ولحرق مئات من العلمـــاء والمفكرين بدعوى أن العلم فى نظر الفكر الدينى الاوربى السائد فى القرون الوسطى هو سحر وهرطقة .

ولقد ساد المجتمعات العربية والاسلامية اقـــوام ظلوا أتباعا للغرب ومذاهبه حتى انضموا اليه فى اسقاط الخلافة ومحاربتها لان بريطانيا ستقيم لهـــم خلافة اسلامية عربية قرشية هاشمية .

كذلك فقد تجاسر أفراد للعمل على اخضاع الاسلام وقيمه للفكر الماركسى فزعموا أن النبى صلى الله عليه وسلم هو مؤسس اليسار ولقد كان لهذه الفلسفات

بشطريها أثــر فى فكر بعض المسلمين الذين يعلمون ظاهرا من علوم الدنيا ، فظهر الصراع بين أهل العقل وأهل النص ، وظهر ما يسمى باليمن الاسلامى واليسار الاسلامى وحاول كل طرف أن يؤيد مذهبه وفكره بتفسير خاطىء للقرآن والسنة وتحريف صريح لمواقف الصحابة .

العامل الثانى : ملابسات تتصل بتدوين التاريخ الاسلامى ..

أولا : ان أحداث التاريخ الاسلامى لم تدون الا فى منتصف القرن الثانى للهجرة بعــد أن ظهرت الفرق السياسية والفلسفات المعادية وروجوا الاخبار والروايات التى تخدم مذهبهم ومنها الوثنية والمجوسية والمزدكية .

ثانيا : الذين دونوا هذا التاريخ كان همهم جمع الروايات والاخبار بلا تمحيص ولا تحقيق .

ثالثا : لم يحصل اهتمام بتحقيق الروايات التاريخية بالميزان الذى محصت به روايات السنة النبوية .

رابعا : استفاد خصوم الاسلام من عدم تحقيق هذه الروايات فنقلوها كما هى ونسبوها الى المؤرخين ليضفوا عليها الثقة وهى من الاكاذيب .

خامسا : تسرب فكر أعداء الاسلام ..

وقد استطاع خصوم الاسلام أن يرجوا الروايات المصطنعة للنيل من الاسلام ورجاله .

١ ــ اما بتلفيق روايات عن هارون الرشيد تظهره كملك الخمــر وروج ذلك (جرجى زيدان) فى رواياته التاريخية حتى أصبح اسم هارون الرشيد مقترنا بالمجون والخمر والنساء على الرغم من أن ابن خلدون فى مقدمته قد نبه الى ذلك بقوله (ما علمنا عليه من صيحة سوء فقد قام بمنصب الخلافة فى الدين والعدالة وبما كان عليه من صحبة العلماء والأولياء ومحاورته للفضيل بن عياض وابن السماك ومكاتبة سفيان الثورى وبكائه من مواعظهم وما كان عليه من المحافظة على الاوقات ودوام الصــلاة .

٢ ــ واما الاعتمــاد على كتب الأدب .. ومــا كتب خــلال العصــر العبــاسى من كتب النــوادر والاخبار وما اختــرع الرواة من قصص لتكون مادة للتسلية ، وقد اورد كتاب العقد الفريد قصصا عن الخلفاء والامراء والوزراء فيها تناقص وما فعله الاصفهانى فى كتابه الاغانى وهناك اخطاء بعض الفرق ومحاولتها اختــلاق روايات تؤيد مذهبــا وتحريف بعض المواقف وتفسيرها الخاطىء لنصص القرآن والسنة .

❊ ❊ ❊

(٥)

ولقد حرص الاستشراق فى مؤامرته على اثــارة الشبهات حول تاريخ الاسلام بالتركيز على عــدة نقاط أساسية وحشد المفاهيم الخاطئة حولها على النحو الذى عرض له الاستاذ صفوت منصور . هذا موجزه :

أولا : أثــر الاسلام على العرب ..

فقد حاول الاستشراق الخبث والدس فى الحديث عن أثــر الاسلام على جاهلية العرب فقد حاول حصر دور الاسلام فى انه أبطل كثيرا من العادات السيئة وكفى بينما ليس هذا الا جانبا واحدا من جوانب عديدة صنع بها الاسلام مجتمعا جديدا واقام الناس على منهج الله تبــارك وتعــالى ..

ثانيا : وحدة الدولة الاسلامية ..

فهم مصرون على تقسيم التاريخ الاسلامى الى دول (ايوبية ــ عباسية ــ عثمانية) وهم لا يعترفون بامتداد الدولة الاسلامية ووصفها بالتورية واسباغ اسم الدول نشأت فى المدينة المنورة ، وهى تواصل مستمر وتعاقب غير مقطوع ، متكامل الصلة بالدولة الاسلامية فالدولة الاسلامية ممتدة منذ اعلانها الى أن أسقط الاستعمار الخلافة العثمانية على يد صنيعتهم مصطفى كمال أتاتورك ١٩٢٤ .

٢ ــ الاشارة بالحركات الانفصالية عن جســد الدولة الاسلامية ووصفها بالتورية واسباغ اسم الدول الاستقلالية عليها فان الخطر الدفين يتضح من وراء ذلك فى انهــم يريدون أن يوهموا بقصر عمــر الدولة الاسلامية واجهاض مفهوم الخلافة والترويج للشعوبية والامية ، والضرب على أوتــار القوميات والاقليات وتشجيع تمزيق جسد الأمة السلامية وقطع الصلة بين حاضر المسلمين وماضيهم .

والمعروف أن الدولة الاسلامية ممتدة امتداد التاريخ وجذورها تنتهى الى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وسنة الحياة أن تتعاقب الأجيال .

ثالثا : مفهوم الوحدة الاسلامية ..

الحرص على تجاهل وانكار هذا المفهوم حتى لا ينطبع فى أذهان نابتة الاسلام وحتى لا يدركوا هــذا المفهوم الواجب اعتناقه والعمل له ، وقد ضمت الوحدة اجناسا مختلفة وشعوبا متباينة ولم يكن العرب وحدة قواد الأمة الاسلامية بل ارتفعت راية الخلافة لترفرف على كل الجنسيات والبلدان وانتظم الجمع فى وحــدة اسلامية كبرى (لا فضل لعربى على عجمى الا بالتقوى)

حتى الولاة الذين انفصلوا وكونوا دويلات كانوا يستمدون شرعيتهم من تبعيتهم للخليفة العباسى .

رابعا : عالمية الاسلام ..

التركيز على المغالطة فى عالمية الاسلام الثابتة بنصوص قرآنية وأحاديث نبوية شريفة ، ونجد للاسف من يروج لهذه المغالطة من أساتذة الجامعات ويتجاهلون الرسائل التى أرسلها الرسول صلى الله عليه وسلم الى الملوك والرؤساء خارج الجزيرة العربية ويتجاهلون غزوتى مؤتة وتبوك اللتين كانتا مع الروم واعداد جيش أسامة

خامسا : الفتن فى عهد عثمان ..

يثير الاستشراق وكتاب التغريب الاتهام الظالم لسيدنا عثمان الذى فند مزاعم الثوار فى مسجد المدينة ورد على تساؤلاتهم ورفض أن يعزل نفسه أو يرضى بالذهاب الى الشام الى جوار معاوية (كتاب العواصم من القواصم) .

والمقصد هو تشويه صورة الصدر الأول من المسلمين لاثبات أن الاسلام غير قادر على الامتداد الزمنى بمثالياته فما هو الفرق بين عثمان وعمر ، هكذا يقولون ان الاسلام بشموخه وجلاله لم يكن الا فى عهد الرسول وصاحبيه أبى بكر وعمر .

سادسا : شخصيات مفترى عليها ..

كذلك فقد حرص الاستشراق وتابعيه من التغريبيين على الغمز والتشويه والافتراء والكذب المتعمد لتشويه أمجاد الاسلام وأبطاله وحرف أبنائنا عن الهدف الوجدانى الذى تحققه دراسة التاريخ من حيث الاقتداء والتأسى بسير وتراجم من يدرس تاريخهم .

ومن ذلك ما قاموا به من تشويه صورة معاوية وقد وصفوه بالدهاء والمكر وتشويه صورة هارون الرشيد (الشراب والغناء) وتشويه صورة السلطان عبد الحميد ، وتجاهل ماقام به من مواقف البطولة فى رد مؤامرات الصهيونية وتجاهل حركة الاصلاح التى قادها لتجديد شباب الدولة .

سابعا : العثمانيون وتوحيد العالم الاسلامى ..

ومن ذلك وصف العصر العثمانى بالاستعمار والاحتلال ، ولو أنهم استوعبوا حقيقة امتداد تاريخ الدولة الاسلامية لادركوا أن العثمانيين يمثلون عهدا من العهود التى حكمت ، ولو علموا أن الوحدة الاسلامية يجب أن ينطوى تحت رايتها كل المسلمين ، لما وصفوها بأنها دولة معتدية ، وكذلك انكارهم دور العثمانيين فى تجديد شباب الدولة الاسلامية فى المشرق فى الوقت الذى كان الفرنجة يقومون بحرب الاسترداد ضد مسلمى الاندلس وقد تمكن العثمانيون من اسقاط عاصمة البيزنطيين (القسطنطينية ١٤٥٣) ووصلوا الى أسوار فينا ونهر الدانوب ثم اتجهوا شرقا ليوحدوا العالم الاسلامى (العراق والشام ومصر والحجاز والمغرب العربى) وهى من أطول الاسر الاسلامية حكما .

ثامنا : انكار اثر الاسلام فى حركات التحرير ..

عمد الاستشراق وكتاب التغريب على الدور الذى قام به الاسلام فى حركات الجهاد التى قامت على أساس اسلامى وأداتها آيات الجهاد وسور القتال .. ويرجعون أثر هذه الحركات الى نمو الروح القومية تارة والروح الوطنية تارة أخرى ويسبغون على قادتها صفات الثورية والوطنية مع أن الاساس اسلامى وأن الروح الجهادية هى التى كانت تحركهم ضد المستعمر الاوربى ومن يدرس حياة (أحمد عرابى ، يوسف العظمة ، الشيخ شامل ، عبد القادر الحسينى ، عبد القادر الجزائرى ، عمر المختار) يعلم أن الاسلام كان هو الاساس الفكرى لكل هؤلاء وأولئك ، اذ أن الاسلام هو الذى يرفض الظلم ولا يرضى بالاستعباد وهم لذلك يخفون روح الاسلام ومفهوم الجهاد الاسلامى فى تحريك هذه الشخصيات والحركات .

تاسعا : أخطاء فى التعبير ..

ومن ذلك تعمدهم تحريف العبارات الاسلامية الاساسية ، واحلال بدائل عنها لا تؤدى معناها ، ومن ذلك وصف (غزوات) الرسول صلى الله عليه وسلم بكلمة (صراع) ونبذ كلمة (جهاد) . ف

* * *

ووصف النبى صلى الله عليه وسلم بأنه نبى ويتعمدون حجب صفة الرسالة عنه ، والمعروف أن النبى غير مؤيد بكتاب سماوى وان الرسول هو المؤيد بكتاب سماوى ، ووصف قيادته بأنها (حكومة النبى فى المدينة) أو وصفها (بالحكومة الدينية) .

ومن عباراتهم قولهم (شاءت الصدف) علما بأن المشيئة لله والصدف لا مشيئة لها .

وقولهم الشورى قريبة من الديمقراطية وفى ذلك غبن لمفهوم الشورى التى تقوم على رأى أهل الحل والعقد لا على اغلبية الغوغاء .

والشورى تجعل السلطان لله أما الديمقراطية فتجعل الشعب مصدر السلطات وشتان ما بين الشورى والديمقراطية ..

ومن أخطائهم قولهم بأن الحروب الصليبية هي صراع بين العرب وأوربا (محمد عمارة وعبد العظيم رمضان) وهو قول باطل تماما ولا دليل عليه فمتى كانت هناك عروبة تصارعها أوربا فى هذه الفترة وكلمة العروبة كلمـــة جديدة لم تستعمل الا منذ سبعين عـــاما على الاكثـــر » أ. هـ.

عاشرا : دعوى أن الشام ومصر والمغرب كانت جزءا من العالم المسيحى وجـــاء الاسلام فاخرجهم منه ، وهذا القول ليس له أى سند من الصحة التاريخية ، ذلك لأن الوجود الرومانى فى هذه المناطق كان وجودا دخيلا وكان احتلالا ثم انحسر مع ترحيب أهـــل هذه المناطق وتعاونهم على اتمام هذا الانحسار .

فلا يجوز اعتبار هذه المناطق انتزاعا من العالم المسيحى ، بل أن الباحث المدقق يجد أن موجات عربية كثيرة توالت على هذه المناطق طوال خمسة الآلاف من السنوات السابقة للفتح الاسلامى على هيئـــة موجات متوالية وسرت للاسلام أرضا عربية وكان المسلمون الفاتحون يجدون من المقيمين ذوى قربى ونسب .

* * *

فى رسالة : كيف يجب أن يعلم التاريخ فى البلدان الاسلامية يقـــول (حامد شاكر حلمى) :

ان التصور الاسلامى للتاريخ ينحصر فى أنه تعبير عن ارادة الله وكشف لجلال رحمته وعظيم تدبيره وكمال قدرته ، وأن هذا العالم يخضع لسنن الهية ثابتة وهى كثيرة متعددة منها : سوء عاقبة المكذبين وأنه بشكر الله وحمده تدوم النعم وبالمعاصى تزول وان الناس مسئولون عن رقيهم وانحطاطهم ، كما أن الايام تتداول بين الناس ، وأن المؤمنين يستحقون النصر ، والأمم تزول بالتـــرف والفساد ، وهلاكها يتم باضطراب اقامة العدل وأنه لكى يحقق التاريخ أغراضه بوصفه مصدرا عظيما فى التربية الخلقيـــة والتماسك الاجتماعى والرقى الحضارى فمن الواجب أن يتبع فى تعليمه أمور عشرة منهـــا : توجيه تعليم التاريخ فى البلدان الاسلامية الوجهـــة الاسلامية وارتباط تدريس التاريخ بالدين وأن المجتمع المثالى كان أيام الرسول عليه السلام وخلفائه الراشدين رضوان الله عليهم وانه يجب العناية بالصلات والروابط التاريخية بين أجزاء الامة الاسلامية وتطهير المناهج من الشبهات التى اثارها المستشرقون وأن يكون مدرس التاريخ ممن لهم احساس اسلامى سليم وثقافة تاريخية ودينية عميقة ودراسة الحوادث الكبرى التى اثرت فى تاريخ البشرية وان يتضمن الكتاب المدرسى الحقـــائق العلمية الدقيقة والمطابقة للاتجاهات الاسلامية .

ويقول الباحث : ان دراسة تاريخ الاسلام وتوجيه مناهجه يجب أن يتم فى هدى الأهداف العامة لرسالة الاسلام فالمسلمون رحماء فيما بينهم اشداء على الكفار لذلك فان ما تحتويه مناهج التاريخ فى أى بلد اسلامى يجب أن يخضع لمثل (يضم الميم والثاء) الاسلام وقواعده فلا يحاول أن يضع فى مناهجه ما يؤلم مشاعر البلـــد الاسلامى الآخر ، ومن ذلك خطؤنا فى دراستنا لتاريخ الخلافة العثمانية فى اعتمادنا على المصادر النصرانية المغرضة فى دراستها .

وهكذا نجد أن أسلمة كتابة تاريخ الاسلام أصبحت ضرورة أساسية لتصحيح المفاهيم والعودة الى المنابع ، وقيام التاريخ الاسلامى بدوره الطبيعى والصحيح فى بناء العقل الاسلامى والوجدان الاسلامى فى هـــذه المرحلة الخطيرة من حياة أمتنا الاسلامية وفى مواجهة التحديات التى يقوم بهـــا التغريب والغزو الثقافى والنفوذ الوافد .

* * *

الباب الرابع عشر

أسلمة منهج اللغة

(١)

تعرضت اللغة العربية فى العقود الأخيرة لحملات مكثفة تنطوى على مؤامرة غادرة قوامها تسليم اللغة العربية لمناهج الغرب ، واحتمواؤها ، ومن ثم النظر اليها على أنها احدى اللغات المتطورة التى تتحول مع الزمن الى المتاحف لتحل بدلا منها عاميات الاقطار التى تتكلم بها وذلك استمدادا من التجربة التى واجهتها اللغات الأوربية بعد أن انفصلت عن اللغة اللاتينية .

وقد كان خليقا بالدعاة الى هذه المحاولة أن يعلموا ان الفارق بعيد وعميق بين تطور اللغتين الجرمانية واللاتينية وبروز العاميات الفرنسية والألمانية والاسبانية وغيرها وترجمة الانجيل اليها وبين موقف اللغة العربية التى نزل بهـا القرآن الكريم ومن ثم اعطاها وضعا مختلفا ما يزال قائما وسيظل حائلا دون تمزقها الى عاميات ودون دخولها الى المتحف كما دخلت اللغتان اللاتينية والجرمانية .

ولذلك فنحن نطالب بأسلمة منهج اللغة ، وتميز منهج اللغة العربية عن منهج اللغات الأوربية المعاصرة والتأكد من أن دراسة هذا المنهج الغربى عمل لا يؤدى الى نتائج ايجابية بالنسبة للغة العربية .

وان الدعاة الى هذا المنهج انما يرغبون الى ان تنصهر اللغة العربية فى أتون العالمية والأممية وبذلك تفقد ميزتها الخاصة التى أعطاها لهـا القرآن الكريم والتى ستظل قائمة بهـا باعتبارها لغـة قومية للعرب ولغـة عالمية للمسلمين جميعا بوصفها لغـة الثقافة والعقيدة والعلوم .

لقد ذهبت بعض مجامع اللغة الى دراسة اللهجات وتقبل دعوات أعداء اللغة الفصحى أمثال أنيس فريحة وسعيد عقـل وغيرهم .. كما جرت الدعوة الى كسر عامود الشعـر .

ولعل التغريبيين يرغبون فى أن يؤدى ذلك الاتجاه الخـاطىء الى أن يتبنى المسـلمون ـــ الى غـير مدى ـــ اللغـات الأوربية وسيلة لتعـلم العلوم او لبنـاء منهجهم الحضارى والعلمى على غير أسس اللغة العربية بمفاهيمها القرآنية الأساسية لبنـاء المجتمعات والحضارات .

وقد توالت فى العقـود الماضية دعوات اللهجات العامية والحروف اللاتينية ، واشتعلت فكرة تعليم أبناء المسلمين اللغات الأجنبية بهدف عزلهم عن اللغة العربية بل وهى محاولات باطلة زائفة لن تؤدى الى الهدف الذى يرمون اليه ، يجب كشفها ودحضها والوقوف فى وجـه دعاتها الذين يغرون بعض البلاد الاسلامية باستعمال الحروف اللاتينية ، أو استعمال العامية فى الاذاعات والمسرح والصحافة .

كذلك فنحن مطالبون بأن لا تقتحم الألفاظ الغربية محيط لغتنا ويجب أن نعربها أولا بأول . لأننا لو تركنا للعلماء والمخترعين من أهـل الصناعة فى الغرب ـــ على حد تعبير الدكتور منصور فهمى ـــ بأن يقتحموا الحواجز على لغتنا العربية لعرضناها لجحافل من الألفاظ تغمر بهـا فتصبح هذه اللغة مهلهلة خالية من جمال صنعتها العريقة ونسيجها المنسجم ..

ولذلك فنحن مطالبون بالعمل على الحيلولة دون استخدام الدخيل من اللغات الأخرى ، استجابة لصيانة مادة اللغة العربية ومسايرة لطواعية اللغـة نفسها وما نطوى لها فى نفوسنا من اعزاز .. بل ان حماية الفصحى ضرورة هامة لكونها جزءا لا يتجزأ ولن يتجزأ أبدا من الاسلام نفسه ، وايمانا بالحقيقة القائلة بأن العربية بسبب انتشارها الآن فى كل انحاء العالم دون استثناء يجب اعتبارها لغـة مشتركة لكافة المسلمين والمسلمات المنتمين الى هذا الدين لا العـرب وحدهم ذلك أن اللغة العربية هى مفتاح فهم الاسلام والاحاطة به وبدونها سوف تضيع معالمه ويجهل الناس حقائقه وتعاليمـه .

* * *

(٢)

ان قضية مناهج علـم اللغة الحديث هى اكبر التحديات التى تواجه الدارسين المسلمين . شأنها شأن مناهج النفس والأخلاق والاجتماع والتربية الوافدة وهذا هو ما يدفعنا ان نكشف هدف هذا المنهج ونبين تعارضه وعدم استجابته للغة العربية لأنه فى الحقيقة لم ينشأ فى رحابها وانما نشأ فى رحاب اللغات التى انشقت على اللغتين اليونانية واللاتينية والتى لم تكن فى الحقيقة الا لهجات عامية حلت محل اللغة الام وهو ماكان يمـلأ وجدان (ولكوكس) حينما دعـا المصريين ١٨٩٢ الى اصطناع اللهجة العامية وطرح اللغة الفصحى ظنا منه ان ذلك طريق يسير سيؤدى الى انحلال اللغة العربية الى عاميات وبذلك يتحقق الهدف الخفى المستور وهو اعلان الحرب على القرآن الكريم .

فمناهج علم اللغة الحديث يتركز فى المنهج الوصفى الذى يجعل اساس دراسة للغـة دراسة اللهجات والتركيز على الكـلام المنطوق دون المكتوب ، وصرف الأنظار عن علاقة اللغة بالدين فى سبيل احياء القوميات الحديثة فى الغـرب .

ولا ريب أن هـذا المنهج قـد وضعته العقليات التلمودية شأنه شأن منهج العلوم الاجتماعية وعـلم النفس والتربية من اجـل تدمير العلاقات القائمة بين اللغات دين الكتب المقدسة وتحطيم العلاقة المعروفة بين اللغات الأوربية واللاهوت .

وقد أشار الأستاذ عيسى امين صبرى المتخصص فى دراسة المناهج اللغوية الحديثة الى أخطـار هذا المنهج ومعارضته لمفاهيم اللغـة العربية التى تختلف أساسا عن اللغات الأوربية الحديثة تاريخا ووجهة وهدفا فى بحثيه الذى نشره فى مجلة الأمة (صفر ١٤٠٥) فقال ان الباحثين قد نشأت فى نفوسهم شكوك كثيرة حـول هذه المناهج الوافدة التى هى من آثار تلك النار المستعرة المستعدة لأكل هذا التراث وافساد هذه اللغة وقد رأو فى هذه المناهج تحديا حقيقيا وانهـا حلقة فى سلسلة الأخطـار التى رصدها الاعداء لمواجهة الاسلام ولغته وهى — فى رأيهم — مؤامرة لا تختلف عن الدعوة الى العامية واحلالها محل الفصحى او مبدأ الحروف اللاتينية بهـا وان جاءت اليوم ترفل فى ثوب علمى وتدعى النزاهة

واشار الى ان هذه المناهج انما ارادت احيـاء الثقافات اليهودية ورفع شأن اللغة العبرية وقد نبع هذا التشكك والتوحش من كون التسمية (السامية) مستمدة من التقسيم التوراتى للشعوب . ومع أن علماء المقارنات معظمهم من اليهود الذين كانوا يهدفون الى ابراز دورهم الحضارى وفضلهم على العرب والمعروف أن شلولبتسر هو اول من استخدم كلمة السامية عام ١٨٧١ .. وقد كشف الباحث فساد هذا المنهج واضطرابه نتيجة عـدة

* * *

ملاحظات هـامة :

اولا : ان الأوربيين يجعلون اللغة الدينية المستعملة فى النصوص المقدسة وفى الطقوس غير تلك التى يتحدث بها الناس فى حياتهم العامة ومصالحهم الخاصة (وهذا هو الذى ركز عليه (علم اللغة الحديث لهدمه) وهـو أمر يختلف فى اللغة العربية أساسا عن اللغات الأوربية حيث لا توجد مثل هذه الفوارق .

جـل اهتمامه وانه يعد المظهر المكتوب أمرا ثانويا .

رابعا : الزعـم بأن تتناول اللهجات الدارجـة بالدراسة اثراء للغـة الفصحى المشتركة وانه يسدى لها خدمة المحافظة عليها وهو زعم لم يقم عليه اى دليل علمى ولا يؤدى قيمة فعلية ولن يصلَ الى نتائج مفيدة للغة القرآن الكريم بسبب غير خفى هو أن أوليات علم اللهجات الحديث تقرر وتهدف الى دراسة اللهجة المعينة لذاتها وفى ذاتها .

خامسا : ان هذا المنهج يهدد الجهد والزمن فى امور نظرية ثانوية ، وهو بمثابة ترف علمى لسنا فى حاجة اليـه .

سادسا : ينظر المنهج الوصفى الى التطور او التغير الذى يطـرا على اللغة على انه سنة طبيعية تصيب الكلام فتميت بعض الألفاظ وتنمى الفاظا أخرى ، وتفسيرا وتوسع او تضيق معانى الفاظ أخرى .

ولا شك ان هذا الصنيع اذا ما طبق على اللغة العربية فانه يفتح الباب على مصراعيه امام اصوات والفاظ وعبارات غريبة وخاطئة للدخول فى جسم اللغة والعمل على اتلافه .

ويقيننا التام أن الفـاظ وعبارات القرآن الكريم حيـة لا تموت كما أن معانيها لا تموت وأن الاستعمال الصحيح للغـة هو الذى يحييها ويوقظ ما أهمل من الفاظها ويقوم ما أعـوج من تراكيبها ولغتنا بطبيعتها ممتازة عن غيرها بما فيها من قدرة الاشتقاق والمرونة .

سابعا : اذا كان المنهج الوصفى الحديث يجعل أساس دراسته للغة ، تناولها فى فترة زمنية معينة فان

تطبيق هذا المنهج على الفصحى يمسها من جوانب كثيرة لأن هذه اللغة قد شرفت بنزول القرآن الكريم بهـــا مما اكسبها صفة الديمومة ونفى عنها الانقراض ، وبذا لا يمكن أن تعد المراحل التى مرت بهـــا لغات تستقل كل مرحلة منها بخصائص وقواعد مختلفة فلا يجـــوز ان نفصل تراث الأجداد وتعقد للغة قواعد ، ثم ننظر فى العربية لمعاصرة وما لعبه التطور الشاذ فيها وتدون منها قواعد وخصائص ومفردات وأساليب لغوية جديدة

فاذا فعلنا ذلك عند كل حقبة وتعددت الفترات نجد أنفسنا أمام لغـــة جديدة بعيدة عن لغة القرآن الكريم التى تمشى متقوقعة فى أغراض العبادات والشعائر الدينية فقط وبذلك تتقطع صلتنا بالماضى وتحول الصعوبة اللغوية دون فهمهـــا .

ان التطور الطبيعى الذى يثرى للغة لا يضـــاد سننها وقواعدها ، ولقد عرفت العربية قديما المجـــاز وغيره من الأساليب التى افادت اللغة واثرتها ولكن لا نرضى أن يتسرب الخطأ والضعف فى المستوى تحت ستار هذا التطـــور .

ثامنا : ان الأراء التى جاء بها المحدثون والمتضمنة فكرة القواعد العالمية لجميع اللغات ففيها خروج عن سنن الحقيقة واختلاف الألسنة ، وهى تذويب للعربية ومحو قواعدها . وكذلك الحال بالنسبة للترويج اللغة العالمية أو الاقتصار على لغة واحدة لجميع البشر : كلغة (الاسبرانتو) ذات الحروف والكلمات اللاتينية أو القريبة منهـــا .

تاسعا : جـــاءت المناهج اللغوية الحديثة صارفة انظارها عن الدين فى سبيل احياء القوميات الحديثة أما العربية فهى لغـــة حضارة خالدة أدلت الجانبين المادى والروحى معا اهتمامها وحققت الاعتدال والوسطية لذلك لأن من درسها فى منهج يضـــع فى اعتباره هـــذه الحقيقة ، وليس من شك أن هذا المنهج يولد مع الحضارة نفسها ومعنى هذا ان المنهجية فى اللغة تتبع من طبيعة هذه اللغة وخصائصها وأغراضها .

عاشرا : أن الفصحى ليست تلك اللغة اللاهوتية التى تحاط بهالة من التقديس تحجبها عن تلبية حياة المجتمع وتتركها قضية عن القيام بدورها فى تلك الحياة ، وهى ليست أيضا تطرح الدين جانبا لتنساق مع تيـــار يعمل بهـــا الى التذويب وفقد الهوية ، وانى لها المقدرة على أبعاد الدين واقصاء القرآن الكريم والتنكر لفكـــر المسلمين وهى التى استمدت من كل هذه اسباب القوة والمنعة وطـــول العهد وهى ليست كذلك تلك اللغـــة المرتبطة بفترة زمنية قصيرة هدفها اشباع حاجات مادية أو علمية مؤقتة .

ومن اجـــل ذلك لابد من منهج لغوى متميز يحقق الوسطية المبتغاة لأمتنا فى الامور الخيرة دائما ، تلك الوسطية التى تملك القدرة على التمييز والنقـــد . ولا يغريها ركوب مطية التزييف مهما كان سهلا » أ . هـ .

واذا كان لنا أن نلم بعلم الله العام فنقول ان الذى وضعه هو فرديناند دى سوسير وأن ابحاثه ظهرت ١٩١٦ وقد قامت على دراسة اللغات الأوربية القديمة والحديثة .

ومن ناحية أخرى فان هناك أيضا دراسة اللهجات العربية وهو جانب آخـــر من دراسات اللغة محـــاط بكثير من الشكوك والشبهات وله اهدافه التغريبية .

يقول الأستاذ عبد الستار فراج فى التعليق على كتاب ابرهيم أنيس (اللهجات العربية) :

« اذا جـــاز أن تكون العادات والتقاليد فى جميع العالم خاضعة لناموس واحد جـــاز لنـــا ان نقهر جميع اللهجات العربية على الخضوع لمـــا استنتجه الأوربيون من دراستهم للهجاتهم واصواتهم ولكن ما احسب ان العوامل التى اثرت فى التقاليد الانجليزية مثلا تتفق مع العوامل التى اثرت فى التقاليد العربية تمام الاتفاق ، فليست البيئة كالبيئة ، وكذلك فى اللغة ليست الحروف فى اكثرها كالحروف ، واذا كانت نظرية الطب ان سوء التغذية مثلا يسبب ضعفا عاما فليس كل ضعف كعام فى الطب يرجع الى سوء التغذية ، ولكن الظاهرة التى نلحظها فى الكتاب هو وجوب اخضاع اللهجات العربية دون قيد ولا شرط لمـــا قرره علم الأصوات الحديث فاذا وجدنا بعد البحث أن كثيرا من الظاهرات العربية فى لهجاتها غير منطبق على ما قرره طعنا فى رواية الرواة مهمـــا بلغت من القـــوة .

« ليس من العدل ان تفرض النظريات فرحنا وانما العدل أن ندرس ونستقصى ونحاول استخلاص قواعد غالبية غير مكتف بميل أو بضعة امثلة ، لكنه جعـــل نظريات علم الأصوات الحديث قضايا مسلمة كالنظريات الهندسية تنطبق على اللهجات العربية تمام الانطباق مع أن النظريات الهندسية لا ينطبق منها كل مثلين الا اذا تساوى فى الفرض ضلعان أو الزاوية المحصورة بينهما أو زاويتان وضـــلع .. » .. الخ .

ويتساءل الأمير مصطفى الشهابى عن ما وراء الاهتمام بدراسة اللهجات العامية فيقول : ان اللهجات العربية العامية تعد بالعشرات بل بالمئات ، وكلهـــا

اليوم لا ضابط لهـا من نطق او صرف أو نحـو أو اشتقاق أو تحديد لمعنى الالفاظ فهى كلام العامة يستعمل فى الاغراض المعاشية وفى علاقات الناس بعضهم ببعض وهذا الكلام وقتى لا يثبت على مرور الأيام وموضعى لا يتحول من قطر عربى الى قطر آخـر ، ومعناه ان اللهجات العامية لا يمكن أن تكون لغات علم وادب وثقافة وليس فى مقدورها أن تعيش طويلا أو أن يعم بعضها أو كلها الأقطار العربية كافة ، وكل ما يكتب بلهجة عامية يظل محصورا فى قطره وقلما يفهمه غير ابناء ذلك القطر أو غـير طائفة من أبناء ذلك القطر ، فـاذا تدارسنا خصائص هذه اللهجات ووضعنا لكل منها قواعد رجراجة فماذا تكون مغبة هذا العمل ، ان اخشى ما اخشاه ان يستهوى هذا الموضوع عقول بعض الطلاب فيعكفوا على معالجة تنظيم الكتابة والتأليف باللهجات المختلفة ، وعلى طبع هذه السرطانات ونشرها فتكون النتيجة تشويشا وحزرا يباعد بعض الاقطار العربية عن بعض بدلا من أن يوجد بلغتها ، أى أن تكون النتيجة مخالفة تمـام المخالفة لمـا يتوقع من تدريس اللهجات العامية فى خدمة الفصحى أما القول بأن تدريس هذه اللهجات يقضى الى معرفة مشكلات الفصحى والى مداواة ادواتها فهو قول ضعيف . ان قضية الفصحى والعامية لا تحـل بدراسة اللهجات العامية بل تحل بتسيير قواعد الفصحى مع الاحتفاظ بسلامتها .

* * *

(١)

وفى مجال المؤامرة التى ترمى الى احتواء اللغة العربية محاولة استعمال اللغـة الاجنبية فى تدريس العلوم بوجه خاص وهو كما يقول مالك بن نبى : علامة الفشل فى استيعاب تلك العلوم وجعلها خارج نطـاق حياتنا الفكرية بحيث يتقى الصلة بينها وبيننا .. صلة سطحية لا نغير منها نحن شيئا ، ولا تغير هى فينـا شيئا بينما نرى فى المجتمعات الحية أن هذه الصلة تتغير يوميا وتجعل الفرد يهيمن اكثر فأكثر لا على هضـم العلوم فحسب ولكن على تقديمها والسير بها قدما ، مثل اسرائيل التى أعادت لغـة ماتت منذ ثلاثة آلاف سـنة وأعادت لها هيمنتها على استيعاب كل العلوم والفنون والسير بهـا الى الأمام ، وكما يحدث فى اليابان والصين وكما حدث ذلك فى حظيرة الحضارة الاسلامية عند بزوغها فانها لم تلبث قليلا الا وقد استوعبت فى اللغة العربية الفصحى فى لغة تحطان كل العلوم اليونانية بكل فروعها من هندسة وطب وفلسفة .

وهذه نقطة هامة فى التحدى الذى يواجه اللغة العربية والعلوم الحديثة فان اسلمة هذه العلوم يستدعى نقلها الى أفق اللغة العربية أساسا ثم صبغها بصيغة التوحيد الخالص .

وما تزال قوى التغريب تقاوم تقديم العلوم الحديثة باللغة العربية فى الجامعات بتعللات واهية ، وتتردد على السنة المشككين والمغرضين قضية ما اذا كانت اللغة العربية تصلح لتكون لغـة العلم ، والواقع ان اللغة العربية مرت بهذه التجربة ونجحت فيها تماما وكانت تجربة الطب فى دمشق تحمل الرد المقنع فى هذه المسألة .

كذلك فان التعليم فى القصر العينى فى مصر ظـل سبعين عاما باللغة العربية حتى احتل الانجليز مصر فكان من الطبيعى أن يقاوموا هـذا الاتجاه تحت تأثير النفوذ الاستعمارى المسيطر آنذاك ، ولكن الى متى ..

* * *

(٤)

ومن حرب الفصحى : الحرب الموجهة الى الحروف العربية والدعوة الى الكتابة بالحروف اللاتينية .

وقد فات هؤلاء ان هناك فوارق عميقة بين كتابة اللغة التركية بالحروف اللاتينية أو لغات أوربا التى تفرعت عن اللاتينية .

ذلك ان التركية هى من الاسرة الطورانية ولم تكن ذات حضارة أصلية قديمة ولم تسهم يوما فى الثقافة الانسانية على الصعيد العالمى ، وقد بلغ من ضعفها انهـا قد استعارت أبجدية اللغة العربية فى ذاتها تعبر عن ذلك وثقافة ممتدة لأمة واحدة فى تاريخها البعيد الى حاضرها المشرق ولا تزال مفعمة بالحياة والقوة وتطورها وتفاعلها لم يتوقف وهى لغة امة واحدة ارتبطت بالتاريخ والعواطف والمصير أوثق ارتباط وفوق ذلك فهى لغـة القـرآن أساس الحضارة والفـكر والثقافة العربية الاسلامية .

كما يقول دكتور عبد الكريم حرمانوس : ان للغة العربية سندا هاما أبقى على روعتها وخلودها هـو الاسلام فلم تنل منهـا الأجيال المتعاقبة ولا العصور المتباينة ولا اللهجات المختلفة على نقيض ما حدث للغات القديمة والمماثلة التى انزوت تماما بين جدران المعابد وكـادت تنقرض ..

* * *

الباب الخامس عشر

أسلمة الأدب

(من أسلمة الأدب العربى الى انشاء أدب اسلامى)

فى مطالع القرن الخامس عشر الهجرى وقد أضاءت أضواء كثيرة وبنيت قلاع جديدة للاصالة والعودة الى المنابع ، منها قلعة علم النفس الاسلامى وعلم الاجتماع الاسلامى وعلم الأخلاق الاسلامى وعلم التربية الاسلامى كان لابد أن تتحقق خطط الدعوة الى الأصالة التى قامت منذ منتصف القرن الرابع عشر لتحرير الأدب العربى من تبعيته للمناهج الاجنبية الوافدة سواء فى كتابة تاريخه أو فى أساليب النقـد .

لقد دخلت الدعوة الاسلامية مرحلة جديدة متقدمة على سابقتيها فى مجال التنظير والتقنين للفكر الاسلامى فى اطـار الأعمال الكبرى القائمة من أجـل التماس المنافع مع الوعى القوى بايقاع العصر ، حيث بدأت تلك التجارب فى الميادين المختلفة تشق طريقها ومن هنا كان التحرك من اجـل انشاء ما تسميته المدرسة الاسلامية فى الأدب ، وقد مر الادب بمرحلتين : مرحلة التصحيح للادب العربى واخراجه من التبعية ومواجهة التحديات التى حاصرته خلال القرن الماضى عندما فـرض عليه الاستشراق مذاهب الغرب فى النقد والتاريخ وقد قطعت حركة تحرير الأدب العربى من التبعية شوطا طويلا وكان من الضرورى أن يتقدم الى مرحلة جديدة لانشاء دعائم واسس الأدب الاسلامى .

ويختلف مرحلة تصحيح الأدب وتحريره التى سبقت والتى شارك فيهـا كثيرون عن مرحلة انشـاء الأدب الاسلامى (وهى مرحلة ابداعية فى المقام الأول ان صح هذا التعبير وفارق كبير وعميق بين أسلمة الأدب العربى وبين انشاء أدب اسلامى أصيل من نقطة البدء بعدما تقطعت الأوصال فترة من الزمن .

ويمكن القول بأن تلك المغالاة فى انحيـاز الأدب العـربى المعاصر الى التبعية والتغريب كان عـاملا أساسيا فى الدعوة الى انشاء نظرية الأدب الاسلامى كوسيلة أساسية للتحرر من هذه التبعية والخروج من دائرة الحصـار .

يقول الدكتور عبد الباسط بدر : امتدت آثار الأدب فى العصر الحديث الى المجتمعات الاسلامية وأخذت تنشر سمومها وانحرافاتها عبد طوفـان من القصص والمسرحيات والقصائد العربية وكتب النقد التى تأثرت بهذا الطوفان والمعروف أن الأدب فى العصر الحديث يقوم بوظيفة أساسية فى خدمة الفلسفات والعقائد الغربية المختلفة وقد ظهرت نتيجة ذلك فى عدد من الأدباء والنقاد يحملون الهوية الاسلامية وينتمون بفكرهم وعواطفهم الى تلك الفلسفات والعقائد ويتحولون الى دعاة لهـا بقصد أو دون قصـد .

ولقد كانت المذاهب الأدبية الغربية (وهى الثوب الادبى للفلسفات والعقائد الغربية ، قد أغرت أولئك الأدبـاء والنقاد وشدتهم ببياناتها ومبادئهـا وجعلتهم يعتقدون أنهـا تقدم النموذج المثالى للادب الانسانى الرفيع ، ولم تكن المبادىء والصفات التى تحملها المذاهب الأدبية الغربية محصورة فى الادوات الفنية وقضـايا فكرية وعقدية خطـيرة .

فالأعمال الادبية التى تنتمى الى الواقعية الاشتراكية مغموسة بالماركسية تحمل مبادئها وقضاياها بشـكل مباشر أو غير مباشر ، والأعمال الادبية التى تنتمى اليها الوجودية تجند كل طاقاتها الفنية المؤثرة لزرع القضايا الوجودية : كالقلق والاغتراب ورفض الغيبيات وفصل الانسان عن العقائد السماوية .

ومن هنا كان لابد من تميز واضح بين مفهوم الأدب الاسلامى ومفهوم الآداب الغربية .

(٢)

أما المذاهب الأدبية الغربية فانها كلها بلا استثناء تخالف مزاجنا النفسى وعقيدتنا وقيمنا وحين نتصلّ بها فنحن يجب أن نكون واعين لوجوه الاختلاف والآثار المعارضة ، ذلك ان المذاهب الادبية مرتبطة دائما بالبيئة والعقيدة . وكـلا المذهبين (الكلاسيكية والرومانسية) مرتبطة بالدين والتحولات فى بيئة الغرب ، فالكلاسيكية فلسفة تمجد العقل والرومانسية ثورة على العقل وتمجد العاطفة

وهذه الثورة تشمل الاعراف والمبادىء والاخلاق والاسلام يتصادم مع هذه المذاهب من حيث انها تستند الى فلسفات تعارض المفاهيم الاسلامية فالأولى وثنية والثانية مسيحية وبالجملة فان المذاهب الأدبية الغربية مرتبطة بفلسفات مادية ونحن لا نرفض العقل ولا نرفض العاطفة والشعر العربى بالعقل والعاطفة ذاخر ، وما نرفضه وما يتصادم مع الفكر الاسلامى هو أن يوجه العقل والعاطفة الى فلسفة معينة .

ومن ثم فان علينا أن نكون واعين بما وراء هذه النظريات الأدبية من مذاهب غربية تقوم جميعها على المادية الجدلية والتفسير المادى للتاريخ .

وقد عرض الدكتور عبد الرحمن رأفت باشا (فى كتابه القيم) نحو مذهب اسلامى فى الأدب والنقد الى موقف الاسلام من المذاهب الأدبية فى الغرب فأشار الى مايلى :

أولا : موقفنا الاسلامى من هذه المذاهب هو الالتزام الاسلامى .. فالكلاسيكية استنبطت من أدب اليونان والرومان بوثنيتها التى جاء الاسلام لاجتثاثها من جذورها والقضاء عليها والاسلام يرفض كل ما يحاد الله ورسوله ويحارب الاسلام ، واذا كان الكلاسيكيون يقصرون أعمالهم الأدبية على الجوانب المادية من حياة الانسان أما الجوانب الروحية وما فيها من تألق وصفاء فهى لا تحظى بشىء من اهتمامهم والأدب الاسلامى يعطى الحياة المادية حقها كما يعطى الروح حقها أيضا واذا كان بين الاسلام والكلاسيكية تناقض وتباين كبير فان التناقض بينه وبين الرومانسية أكبر وأعمق ودعاة الوثنية الذين يستنكرون الكلاسيكية التى تنبض بالروح الوثنية فانهم لا يريدون أن ينتقلوا منها الى الرومانسية التى تنبض بالروح المسيحية واذا كان الأدب الرومانسى بنى على تحرير الاديب قيود العقل والواقعية والانطلاق فى رحاب الخيال المجنح فان الأدب الاسلامى أدب واقعى يجره جوادان اثنان لا يستغنى بأحدهما عن الآخر هما : جواد العاطفة وجواد العقل ثم ان الرومانسية تدين بأن الغاية من الأدب المتعة ، أما الادب الاسلامى فلابد من أن تتوافر فيه الفائدة العملية والمتعة النفسية بحيث يكون نافعا وممتعا فى وقت واحد ، كذلك فان نظرية الواقعية تختلف مع مفهوم الأدب الاسلامى ذلك أن الواقعيين على اختلاف اتجاهاتهم يدينون بأنه (لا اله والحياة مادة) ولا يؤمنون بما وراء الطبيعة والأديب الاسلامى يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ويدين بأن الطبيعة وما فيها وبمن فيها انما هى مخلوقات لله سبحانه وأنه رب السموات والأرض ورب العرش العظيم » .

ولكى نصل الى مفهوم الأدب الاسلامى الذى نضع قاعدة الاساس له يجب أن نعالج واقع الأدب العربى ونكشف عن التحديات التى تواجهه .

* * *

(٣)

تحديات التغريب فى مواجهة أصالة الأدب العربى

يواجه الأدب العربى فى الوقت الحاضر مجموعة من التحديات الخطيرة يحتاج الى دراسة ومراجعة ، وتتطلب العمل على فتح الطريق الى بناء منهج غربى اسلامى فى كتابة تاريخ الأدب العربى ونقده . خاصة وأن المنهج الغربى الوافد مازال مسيطرا على الدراسات الأدبية فى الجامعات والمعاهد وكليات الآداب واللغة العربية فى أرجاء كثيرة من بلادنا العربية الاسلامية .

واعتقد أننا بدخول القرن الخامس عشر الهجرى قد دخلنا الى عصر الأصالة والرشد الفكرى الذى يدعونا الى التحرر من الخضوع للمناهج الوافدة وخاصة بالنسبة للادب العربى واللغة العربية الفصحى : « لغة القرآن » رغبة فى تحرير الفكر الاسلامى كله من المناهج الوافدة والتى فرضها التغريب والغزو الثقافى .

ولا ريب أن مهمتنا فى هذه المرحلة من حياة أمتنا هى التعرف على ذاتنا ومزاجنا النفس وطابع أمتنا وأدبنا . وابراز ذلك واضحا أمام الأجيال الجديدة لتكون قادرة على شق طريقها فى وسط هذا الركام من المذاهب والدعوات ومحاولات التغريب والغزو الثقافى والتحرر من التبعية للغرب فى شتى صوره ، وامتلاك الارادة القادرة على ربط أدبنا العربى بالقرآن ليكون ذلك منطلقا الى تبليغ الاسلام للعالمين .

أولا : فساد نظريات النقد الأدبى الوافدة ..
ثانيا : فساد خطة تحقيق التراث وتجديده ..
ثالثا : فساد منهج الترجمة من الآداب الأجنبية ..
رابعا : محاولات هدم اللغة العربية الفصحى ..
خامسا : المؤامرة على عامود الشعر .
سادسا : انحراف القصة ..

اولا : فساد نظريات النقد الأدبى الوافدة

اخطر ما أصاب الأديب العربى المعاصر أنه وقع تحت تأثير المذاهب الأدبية الغربية فاحتوته فى مجالين كبيرين : مجال تاريخ الأدب ومجال نقد الادب فخضع لهذه المذاهب الوافدة خضوعا شديدا ولقد كان من أسوأ تحديات التغريب أن جرت المحاولة لعزله عزلا تاما عن مجرى الأدب العربى منذ عصر الاسلام تحت اسم جديد

وتيار جديد وبدات الكتابات الادبية كلها وكأنها منفصلة انفصالا تاما عن الحلقات المتتابعة للادب العربى بل ان الكتابات التى قدمهـا بعض الأدباء المتأثرين بالمذاهب الغربية بدت وكأنها منفصلة تماما كدراسات ابى العلاء المعرى والمتنبى وابن الرومى وغيرها .

فقد جرت المحاولة لاخضاع الأدب العربى (القديم كما يسمونه) الى مذاهب غربية كالمذهب التحليلى والمذهب النفسى وجرى اخضاع هذه الشخصيات وغيرها لهذه المذاهب مع الاختلاف الواسع والعميق بين العصور والبيئات كذلك فقد جرت المحاولات لاحياء شخصيات منكورة لا وزن لها فى تاريخ الادب العربى الحقيقى من امثال الصعاليك والزنادقة امثال ابى نواس وبشار بن برد والضحاك وحماد عجرد وغيرهم على انهم ـ كما ادعى التغريبيون ـ يمثلون عصرهم اصدق تمثيل .

هذا هو الجانب الخطير الذى وددت أن أتحدث عنه فى مؤتمر اسلامى للادب العربى لا يغفل عن تحديات التغريب واخطار الغزو الفكرى للادب العربى وفرض نظريات تين وسانت بيف وبرونتير ، وهى نظريات قائمة على الفلسفة المادية المستمدة من نظرية دارون وما بعدها والتى تنظر الى الانسان على أنه حيوان شهوة ومعدة .

وهو بالقطع ليس كذلك فى مفهوم الفكر الاسلامى الذى يعتبر الأدب العربى حلقة من حلقاته وحبة من عقده ، فقد حاولت مدارس الاستشراق والتغريب التى فرضت نفسها على الأدب العربى أن تعطى للادب مجالا اكبر من حجمه الحقيقى ، وتفسح له مكانا اكبر من طبيعته فأصبح من حق الأدباء التحدث فى مختلف القضايا الاجتماعية والعقائدية وتقديم وجهات نظر فى مجـالات لا يحسنونها وليسوا من فرسانها كالفقـه والشريعة والأخلاق .

كذلك فان محاولة الدعوة الى استقلالية الأدب عن الفكر فتحت الباب واسعا أمام أخلاقية الادب وغلبة المفاهيم التى يسمونها الأدب للادب والفن للفن وهى مفاهيم ينكرها الفكر الاسلامى تماما ويردها ردا غير جميل . فهى تحرر الادب من طابع الأخلاق وتدفعه الى تصوير الغرائز والاهواء من غير ما قيد وذلك باسم حرية الأدب .

وفى ظـل هذه الدعوى اتسع الحديث عن الشعراء الاباحيين والكتب التى تتصل بآثارهم امثـال الف ليلة والأغـانى و .... من هذه المصادر كتب طـه حسين فصول كتابه (حديث الأربعاء) كمـا انفسح المجال امـام ترجمة القصص الغربية الاباحية والكشف عن جوانب الصراع والعلاقات الشاذة فى المجتمع الغربى ومن ثم حفلت الكتابات الأدبية بالاستخفاف بالقيم الدينية والاخلاقية والغمز لكل ما يتصل بالعقيدة ، والسخرية بالفضائل والبطولات والدعوة الى الاطلاق بدون جـرح والجـرأة على المقدسات .

وانتهى هذا الانفتاح الخاطىء الى بروز أسلوب الشك واستعلاء هذه الدعوى واستشرائها فى أسلوب ماكر من أساليب الغزو الثقافى يراد بهـا وضع علامات استفهام متعددة أمام الشباب دون أن يجد اجابة صحيحة تهدى قلبه الغض او ترضى نفسه البسيطة ، بل ان الدكتور طـه حسين قد فاخر يوما بأنه اخضع للشك بعض المعتقدات التى ورد ذكرها فى القرآن واحاديث الرسـول .

ولقد كان من أخطر الآثار التى ترتبت على سيطرة المنهج الغربى الوافد على الأدب العربى : ضعف أصالة البحث ، والتخفف من المصادر الأصيلة ، والاعتماد على المصادر الزائفة من كتب المحاضرات وما سجله الرواة والقصاصون من اخبار من أجـل ترويج آراء كـاذبة مضللة ، وهى مؤلفات لم يكتبها علماء موثوق بهم ولم تكتب وفق أصول البحث العلمى ، وانما جمعت للتسلية والترويح ، وقصد بها جمع الفكاهات والنكات والأحاجى والقصص الكاذب لاغراق المجتمعات بالأوهام والاباطيل ولعل الدكتور طـه حسين هو أول من اقتحم هذا المجال حين اعتمد ودعـا طلبته فى كلية الآداب بالاعتماد على كتاب الأغانى كما دعـا المستشرقون الى اتخاذ الف ليلة مصدرا لدراسة المجتمع الاسلامى وكذلك ثمـار القلوب للثعالبى وهى كتب حافلة بكل فاسـد وغث ، وليست لهـا طبيعة المصادر العلمية .

وقد اتصل هذا الانحراف بسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم عندما طبق طـه حسين مذهبه على السيرة فأدخل اليها عشرات الأساطير التى لم يكن يعرفها العرب من قبل ، ولقد عاش المؤرخون المسلمون يحررون سيرة النبى وينقونها من كل شبهة ، حتى جـاء طـه حسين فأدخل اليها هذا الحشد الضخم من الأساطير والاسرائيليات التى خدعت الكثيرين حتى ظنوا انها عمل أدبى رائع وان كانت لم تخفى على الباحثين منذ اليوم الأول وقد وصفها المرحوم مصطفى صادق الرافعى وصفا صحيحا حين قال : ان هامش السيرة تهكم صريح .

ثانيا : فساد تحقيق التراث وتجديده

وفى مجال التراث الاسلامى للادب العربى جرى التحريف والانحراف عن المنهج الصحيح فقد كانت حركة

احياء التراث قائمة منذ وقت طويل وكانت ماضية فى طريقها الصحيح قبل أن يغير المنهج الغربى بمفاهيمه التى لا تتفق مع ذاتية الأدب العربى وبمحاولاته الخطيرة فى احياء جوانب معينة من تراث النحل والفرق وأصحاب الشبهات الذين كان لهم دورهم الخطير ابـان حركة الترجمة من الاداب اليونانية والفارسية وغيرها وخاصة الفكر الغنوصي والمجوسي والوثنى ، ولقد حرصت مدرسة النقد الادبى الغربى (طه حسين وأتباعه من بعده) على احياء كل ما اتصل بالشبهات والزنادقة والغزل الحسى والكتب الحافلة بالمفاهيم الوافدة من الثقافات الهندية واليونانية القديمة وجميعها تلتقى بهدف تدمير قيم الفكر الاسلامى الذى قام أساسا على التوحيد الخالص ونظرة واحدة الى هذه المؤلفات التى انبعثت والتى أعيد احياؤها يكشف فى وضوح عن الغاية والهـدف .

أولا : الفكر المغرب وكل ما يتعلق بمنطق أرسطو وفلسفة اليونان وتلك المحاولات التى قام بها الفارابى وابن سينا للربط بين الفكر اليونانى والفكر الاسلامى فى وحدة ثبت من بعد فسادها وعجزها .

ثانيا : احياء كتاب الف ليلة وليلة والأغانى ورسائل اخوان الصفا التى كتبتها الباطنية .

ثالثا ، احياء الفكر الوثنى المتصل بالتصوف فى كتابات الحلاج ومحى الدين ابن عربى والسهروردى وابن المقفع وحنيين أبن اسحق وابن الراوندى .

رابعا : احياء شعر الخمر والجنس باحياء شعر أبى نواس وبشار ابن برد والضحاك وحماد عجرد .

ودراسة عصرهم ومحاولة القول بأنهم يمثلون عصرهم وأن هذا العصر الذى هو القرن الثانى للهجرة كان عصر شك ومجون كما قال طـه حسين .

وهم حين يتحدثون عن التراث يغضون الطرف عامدين عن الغزالى وابن تيمية والمتنبى والبيرونى ولا يذكرون الا ابن سينا وابن رشد ، وحين يذكروهما لا يذكرون آثارهم فى الطب أو الفقه وانما يذكرونهم من حيث هـم اتباع أرسطو ، وحين يذكرون المعرى يذكرون شعرا له يغمط التوحيد ويذكر التعدد واذا ذكروا ابن حزم لم يذكروا غير كتابه طوق الحمامة فى محاولة لاتهام الفقهاء بالحب ويتجاهلون المحلى فى أحد عشر مجلدا .

وهـم بالطبع يكرهون ابن حزم وابن تيمية لان المستشرقين يكرهون هجومهم على الفرق الضالة التى طالما أيدوها ، ولا يذكرون المعتزلة الا انهم أولياء الفكر اليونانى وأنهم أصحاب فتنة خلق القرآن ويدعون أن الاسلام قد ضعف بعـد سقوطهم ويهاجمون الخليفة المتوكل هجوما عنيفا لأنه نصر السنة وقضى على فساد المنحرفين .

وحملت جماعة التغريب على كتب التراث الاسلامى وقالوا ان الكتب الصفراء تعوق تطورنا الفكرى وأنه من الخير أن تزول هذه المخلفات من الطريق بأن تقدمها للنـيران .

وجرى التغريبيون على طريق المستشرقين والمفسرين فلم يحفلوا الا بشاعر داعـر ، أو فيلسوف منحرف أو صوفى ضال ، أما الأصلاء جميعا فقد أغضوا عنهـم وهاجموهم وانتقصوهم ، وحاولوا الادعاء بأن العبقريات لم يكن له دخل ورد اسماعيل مظهر عبقرية بشار وبراعته هو الذى صنع العقلية التى قدمت هذا النتاج وأن العنصر لم يكن له دخل ورد اسماعيل مظهر عبقرية بشار وتهيأ الى أصلهما الفارسى وابن الرومى الى أجداده الروم .

وحين عرضوا للجاحظ قدروه فى كتابة النجـلاء وهاجموا كتابه البيان والتبين لانه الكتاب الذى فضح شبهاتهم وأباطيلهم ودافـع أمثـال عبد الرحمن بدوى كتاب البيان والتبين بشراسة لا حد لها ، واتهموه بكل نقيصة لانه دل عليهم وكشف المعين الذى منه يغترفون شبهاتهم وأباطيلهم وجرى أمثال عبد الرحمن البدوى عن الملحدين والمنحرفين وعن طـه حسين بالمجـان والفساق ، وغيره من شعراء الهجاء المقذع واثارت هذه الدراسات روح التشكيك فى الأدب العربى واتهـامه والتحامل عليه واعلان أسـوا صفحاته القلقة والتوسع فيها كأنها الأدب كله والوقوف عند الشعراء وأدبـاء الصنعة وتجاهل ذلك الحصاد الضخم من الفكر والثقافة والعلوم والفقه والأدب الرفيـع الذى قدمه عشرات النوابـغ .

بل ان طـه حسين ذهب الى أبعد من ذلك حين قال ان مافى الأدب العربى من نثر فنى انما أصله من الفرس ، وان أعظم مقومات الأدب العربى والفـكر الاسلامى وانما استمده من اليونان والاغريق .

ومن البعث الزائف للتراث اعادة نشر رسائل اخوان الصفا الذى تأكد انهـا من تراث الباطنية ، كما عمد لويس ماسنيون الى احياء تراث الحلاج ، ومازال بعض الفئات تعاود نشر ما أطلق عليه تفسير ابن عربى للقرآن وهو كتاب ملىء بالسموم ومن هذا أيضا تلك الأكذوبة الخطيرة بنسبة عدد من أشعار الفرس القديمة الى العـالم الفلكى العبقرى عمر الخيام وقـد كشف الباحثون المسلمون فسـاد هذه المحاولات كلهـا .

وهناك محاولات أخرى أشـد خطورة فى مجال

بعث التراث وهى اعادة كتابة التراث بصورة تغريبية على النحو الذى قام به طـه حسين فى كتبه : هامش السيرة والفتنة الكبرى والشيخان وغيرها فقد أخضع هذه الكتابات لمذهب التفسير المادى للتاريخ وجرت المحاولة لتصوير الصحابة رضوان الله عليهم على انهم مجموعة من السياسيين المحترفين الذين يتصارعون على الحكم . فنحن فى تحريف التراث بين أمرين أحلاهما مر : هما اعادة صياغته أو نشر المنحرف منه .

* * *

ثالثا : فساد الترجمة من الآداب الأجنبية

وفى مجال الترجمة من الآداب الأجنبية كانت محاولات التغريب والغزو الفكرى بعيدة المدى . فقد حرصت مؤسسات التبشير ومدارس الارساليات ومطابعها على تقديم عدد ضخم من سالترجمات الهزيلة الأسلوب الفاسدة المضمون التى اغرقت القارىء العربى والمسلم بقيم ومفاهيم تتصل بالفسق والزنا والفاحشة والاثم على نحو يحسن هذه المعانى ويرسمها كأنها أمور طبيعية أو مشروعة ، ليست محرمة ولا هى انحراف فى هذه المجتمعات نفسها .

وقد امتد هذا اللون المسموم الى القصة والفقه والأدب والشعر والعلوم والمباحث النفسية والاجتماعية والفلسفة .

وفى مجال الأدب فقد قذفت آفاق الأدب العربى بركام ضخم من القصص الفرنسية الخليعة وقدمت هذه القصص فى أسلوب ردىء فى طباعة رخيصة ، وقد استهدفت كلها الاثارة دون المنفعة وقام طه حسين بدور كبير فى ترجمة المسرحيات الفرنسية المكشوفة وشعر بودلير وغيره ، وبرزت مع ذلك مدرسة ترى اطلاق الفن من قيود الفضيلة ، هذه المدرسة التى نشأ فى اكنافها القصاصون الحاليون وقد أحصى يوسف أسعد داغر عشرة الآن قصة ترجمت حتى أوائل الحرب العالمية الثانية وهو رقم مخيف مفزع وترجمت قصص تحاول أن تنتقص بطولات المسلمين وعظمة المسلمين أمثال صلاح الدين واعلاء روح التعصب الأوربى وفى الاخير ترجمت قصص وكتابات يهودية وصهيونية ترمى الى ادخالمفاهيم زائفة فى النفس المسلمة . ومن كتابات امرسون وول ديورانت وغيره تجد محاولة للسخرية بالقيم الأخلاقية والدين وتسفية الشعائر الدينية واحتقار البطولة والكرامة والعفة . وعرض تاريخ اليهود عرضا جذابا مشربا بالعطف والمحاباة .

ولقد توسعت حركة الترجمة فى مختلف مجالات الفكر والأدب والفن فترجمت القصص الاباحى والمسرحيات اليونانية بمفاهيمها الوثنية التى قام عليها المسرح والرواية وهى نظرية الصراع بين الانسان والآلهة مع أن الاسلام يرفض مثل هذا المفهوم ويدحضه كما قدمت الترجمة مختلف النظريات الوافدة المتأثرة بالمفهوم المادى والالحادى أمثال نظرية دارون ونظرية فرويد ونظريات العلوم الاجتماعية والأخلاق التى قدمها دور كايم وسارتر وكلها تحاول أن تفرض مفاهيم ونظريات وافدة معارضة لمفهوم الاسلام الأصيل الجامع الواضح فى مختلف مجالات النفس والاخلاق والسياسة والاقتصاد والاجتماع .

واسوأ مافى ذلك أن هذه الترجمات قدمت للفكر الاسلامى على أنها علوم اصيلة وليست فروضا قابلة للخطأ والصواب أو وجهات نظر تمثل أممها واصحابها ودون أن تلحق هذه الترجمات أو تسبق بدراسات توضيحية يعرف منها القارىء المسلم ، موقف أمته وفكرها من هذه القضايا .

وفى نفس الوقت حجبت الترجمة ما يحتاج اليه المسلمون فى هذا العصر عن مفاهيم العلوم التجريبية والطبيعية والرياضية التى نحن فى حاجة اليها واستبدلت بذلك ركاما مضطربا عاصفا يرمى الى هدم ذلك الحائط النفسى المرتفع القائم فى النفس المسلمة بالحق والتقوى والكرامة والفضيلة كما يصور الجريمة على أنها ظاهرة طبيعية .

ومن شأن هذه الترجمات أن تطرح فى مجتمعنا الاسلامى موجة من اليأس والتشاؤم والملل والشك وازدراء الحياة مما لا يتفق مع طبيعتنا المتفائلة المؤمنة بالله تبارك وتعالى .

* * *

رابعا : محاولات هدم اللغة العربية الفصحى

وقد حاول التغريب والغزو الثقافى أن يتوجه بخطة خطيرة من التآمر نحو اللغة العربية الفصحى : لغة القرآن لهدمها ومحاولة احلال العاميات والحروف اللاتينية بديلا منها وذلك لقطع الصلة بين البيان العربى وبين القرآن من ناحية وقطع الصلة بين أجزاء الأمة العربية باعلاء العاميات ، وقد توالت هذه الدعوة منذ وطأ الاستعمار البلاد العربية وحمل المبشر الانجليزى لواءها وليم ديلكوكس ومنها تلقاها عشرات فى مختلف أجزاء البلاد العربية ثم جاء جيل من التغريبيين حمل هذا اللواء ودعا هذه الدعاوى من أمثال لطفى السيد وسلامة موسى وحسين فوزى ولويس عوض .

وما تزال هذه الدعاوى تتجدد فى مختلف اجزاء

البلاد العربية على صورة وأخرى منذ دعا لويس ماسنيون الى كتابة العربية بحروف لاتينية وتابعه عبد العزيز فهمى وآخرون ، وتجددت فى السنوات الأخيرة دعاوى ما يسمى باللغة الوسطى ، وتلك دعوة حمل لوائها فريد أبو حديد وتوفيق الحكيم وأمين الخولى وهى محاولة ماكرة لفصل اللغة العربية الفصحى عن لغة الكلام ولغة الكتابة باعلاء اللهجات واعتماد اللغة الصحفية لغة أساسية ، فلا هى عامية ولا هى فصحى ولكنها تنزل درجة عن الفصحى لتنفصل عن بيان القرآن ولتكون مقدمة لمرحلة أخرى تصل بها الى العامية وجاءت مرحلة أخرى فى محاولة خطيرة تولاها وتصدى لها الدكتور طه حسين وهى تبديل الخط العربى وقواعد النحو باسم (تطوير اللغة) تحت اسم تهذيب أو تيسير أو اصلاح أو تجديد (وهى أسماء لبقة مرنة تخفى وراءها هدفا خطيرا) وصفه الدكتور محمد محمد حسين بأنه التحلل من القوانين والأصول التى صانت اللغة خلال خمسة عشر قرنا أو يزيد وهى القوانين والأصول التى ضمنت لنا القدرة على مطالعة تراث المسلمين والعرب خلال أربعة عشر قرنا .

فاذا تحققت هذه الخطة التى تسمى بالتطوير أو التهذيب وتحللنا من هذه الأصول والقوانين والقواعد التى صانت هذه اللغة هذه القرون ، كانت النتيجة هى تحقيق الهدف فى تبلبل الالسنة بين المصرى والشامى والمغربى ، وتصبح قراءة القرآن والتراث العربى الاسلامى متعذرة على غير المتخصصين من دارسى الآثار ومفسرى الطلاسم وعندئذ تصبح وحدة العرب كمقدمة لوحدة المسلمين عمل باطل ..

***

وبدعة اصلاح اللغة هى احدى هذه الخطط فقد ظن الكثير من البسطاء أن المسألة يراد بها سهولة الأداء ، ولكن الحقيقة كما كشف عنها الدكتور على العنانى هى فيما يأتى : « ان الاصلاح فى الألفاظ والتراكيب والاساليب لا يكون الا بتغيير قواعد ابنية اللغة وهى (الصرف) وتحوير ضوابط اعرابها والأحوال العارضة على الألفاظ باختلاف الوضع فى الجملة وهو (النحو) وتبديل الموضع اللفظى فى المفرد والمركب من حيث الحقيقة والمجاز والاستعارة والكناية وهو (البيان) وتغيير واهمال ضوابط الفصاحة والبلاغة وهى (المعانى) ومعنى اصلاح قواعد الصرف انتقالا من الصعب الى السهل انما يعنى أن نهدم علم (الصرف) من أساسه وننسخه نسخا تاما لتعدد قواعده ، وتنوع ضوابطه ، وبعد أن يتم الهدم يبنى المصلحون على أنقاضه صرفا جديدا محدود القواعد ، قليل التنويع ، خفيفا على العقل والفكر ، سهلا على الذهن والفهم ، كذلك الأمر فى اصلاح قواعد النحو واصلاح علوم البلاغة . وبهذا يكون معنى الاصلاح فى اللغة نسخ العقلية العربية وما فيها من ثقافة نظرية وعملية . ذلك أن الاصلاح هو التغيير ، والتغيير يعنى الازالة والوضع ، وهذا يعنى احداث لغة جديدة بقواعد جديدة ، وهذه اللغة العربية الجديدة ان صح اتصالها بالعربية الحالية المدونة اتصال اللهجة بالأم فانها تبعد عنها شيئا فشيئا حتى تختفى معالم الصلات بينهما أو تكاد وعندئذ تكون اللغة العربية الحالية من اللغات الميتة » .

ومعنى هذا أن يصبح تراث العربية البالغ ثلاثة ملايين من الكتب فى مختلف مجالات الشريعة الاسلامية والأدب والحضارة والفكر والفن عبارة عن توابيت فى دار الآثار والمتاحف .

والحق أن قواعد اللغة العربية وضعت طبقا لنصوص القرآن والحديث والمسموع من العرب فالتغيير فى هذه القواعد هجر للقرآن والحديث ، كذلك فان الاسلام وهو عقيدة وشريعة قد استنبطت أحكامه فيما يختص بالعقيدة والتشريع فى العبادات والمعاملات من الكتاب والسنة وعمل الرسول والقياس والاجتهاد ، وكل هذه الأركان والينابيع لا يمكن أن يستنبط منها حكم الا بواسطة مبادىء خاصة وقوانين معروفة بعلم الأصول . وأساس هذه المبادىء والقوانين الراسخ او دعائم علم الاصول انما هى فهم لغة العرب : لغة القرآن والرسول بما وضع لها من القواعد الصرفية والنحوية وضوابط علوم البلاغة واذا أصلحت هذه الضوابط تلك القواعد بالازالة والوضع انهدم أساس علم الأصول وتداعت دعائمه واذا انهدم الاساس وتداعت الدعائم انهدم ايضا ما يرتكز عليها وهو هذا العلم واذا وصل هذا العلم الأساس فى استنباط أحكام العقيدة ومسائل الشريعة الى التداعى ، تداعت معه ايضا طريقة الاستنباط وفهم ما استنبط ودون بالفعل ، وضاعت العقيدة واحتجبت الشريعة وعدنا الى الجاهلية الأولى ..

هذه هى خلفية — الصورة البراقة — كما يصورها الدكتور على العنانى — التى يحمل لواءها اليوم مجموعة من أعداء الاسلام واللغة العربية يدافعون عنها وينقلونها من ثوب الى ثوب ومن اسلوب الى اسلوب وكلما انكشف زيفهم فى جانب أعادوا تشكيلها فى صورة أخرى .

***

خامسا : المؤامرة على عامود الشعر

لما كان الشعر هو ديوان العرب ولما كان عامود الشعر هو الركيزة الأساسية فى بناء القصيدة . فقد جرت المحاولة أولا القضاء على الشعر العربى الذى كان عاملا هاما من عوامل اليقظة ومواجهة النفوذ الأجنبى ومن ثم بدأت الحملة عليه واتهامه بأنه شعر مناسبات وذلك للقضاء على دوره التاريخى الخطير الذى هز النفوس فى مواجهة الأحداث ، فى قضايا الوحدة الاسلامية والنفوذ الأجنبى وفى الترابط بين العرب والمسلمين فظهرت الدعوة الى الشعر الذاتى للقضاء على الشعر السياسى والاجتماعى وبذلك تبدد ذلك الصوت الضخم القوى الأداء الذى آزر الحركات الوطنية والاسلامية وواجه الاستعمار والنفوذ الغربى والصهيونية هذه هى الضربة الألى التى وجهت الى ديوان الشعر ، ثم جاءت مرحلة اشد خطرا هى مرحلة الشعر المنثور وقصيدة النثر أو شعر التفعيلة أو الشعر الحر .

الك الدعوى المسمومة التى حمل لواءها الماركسيون والشعوبيون لاخراج الأدب العربى من عامود الشعر ومن كل الآثار القوية الضخمة التى اثر بها فى محيد الاسلام ومجتمع المسلمين . وقد وصف شاعر عربى أصيل معاسر هو عمر ابو ريشة هذه الظاهرة بأنها موجة منحسرة وظاهرة مرضية وأنها صناعة وافدة وان الصهيونية حتما وراء هذا الشعر ، فالصهيونية هى مبتكرة البدع والهرطقات فى هذا المضمار أو ذاك لملء الفراغ عند الشباب ولمنعهم من العودة الى التراث والأصالة .

وتؤكد الدلائل على أن شعرنا العربى كان عموديا طيلة حياته التى تمتد أكثر من الفى عام وأن كل التجديدات التى دخلت عليه – كما يقول الدكتور عبد المنعم خفاجى – كانت تلتزم بهذه العمودية أو تسير فى اطارها وأن هذا الشعر العربى قد أصبح صورة فكر وتراث حضارة وأمة وقد جاء اليوم من يدعو الى التخلى عن هذه العمودية كليا للسير على نظام التفعيلة وحدها ولنبعد بالشعر عن أصوله العمودية وعن موسيقاه الشعرية كذلك هناك من يدعون الى تحطيم هذه العمودية ونبذ جميع شعرائها فى القديم والحديث والنظر اليهم على انهم متتخلفون لا يصح أن نسير على منوالهم ويؤكد كثير من الباحثين وفى مقدمتهم الدكتور محمد محمد حسين : أن الشعر الحر فى أصل نشأته شعبة من اتجاه عام يدعو الى تقليد الغرب فى فكره وحضارته . . فاطلاق الشعر من القافية التى ظل يلتزمها طوال هذه القرون ، منذ عرفنا الشعر العربى دعوة تستمد حججها ومبرراتها من الشعر الغربى الذى لم يعرف القافية الا فى حدود ضيقه من آثار احتكاكه وتأثره بالأدب العربى فى الاندلس .

ولقد كان من أثر هذه الموجة هو ضعف هذا الجيل وعجز أكثر عن تذوق الشعر العربى الأصيل فى فى تراثه الطويل . هذا وقد حمل الشعر الحر جميع سموم الفكر الغربى من تشكيك ولا أدرية وانحلال ومعانى مرتجلة ساذجة وحاول انبعاث تراث قديم من الأساطير التى جاء الاسلام للقضاء عليها واعلان أنها من عصر طفولة البشرية ولقد نشأ هذا التيار ونما قليلا فى مرحلة الضعف والهزيمة والنكسة وجيل الضياع الذى صنعته مفاهيم الماركسية والوجودية والفكر المادى .

وتهدف الدعاوى التى يحملها أهل هذا الشعر فى صميمها الى هدم قواعد الأدب العربى والبلاغة العربية وذلك عن طريق عمادها اللغوى وقد حفل الشعر الجديد بكل صور الوثنية والالحاد والتفاهات وقد اتخذه الشعوبيون والمنحرفون أداة لمحاربة اللغة العربية الفصحى ومطية لهدم مفاهيم الاسلام الصحيح .

* * *

سادسا : انحراف القصة

لاشك أن القصة بمختلف أسمائها وفنونها هى فن غربى خالص ومستحدث يختلف اختلافا كبيرا عما عرف الأدب من فنون يمكن أن توصف بأنها قصة أو ما عرف عن طابع القصص القرآنى ، فقد بدأت بالترجمة ثم التعريب مع تغيير معالم البلاد وأسماء الأبطال ، مع بقاء جوهرها الاجنبى .

وماتزال القصة والمسرحية تستوحى ذوق وتصرف المجتمعات الاوربية بكل اخلاقياتها ومفاهيمها وحلول مشاكلها التى تختلف فى جوهرها عن ذوق وتصرف المجتمعات الاسلامية ولاشك أن هناك فروقا بعيدة بين النفس العربية الاسلامية وبين النفس الغربية من جهة الأحداث نفسها ومن جهة الاستجابة للاحداث كالخيانة الزوجية واضطراب الاسرة ، وهناك أيضا فروقا وتباينا من ناحية التصرف ازاء الأحداث .

فالقصة العربية المطروحة الآن فى أفق الأدب العربى لا تمثل حقيقة روح الأمة العربية الاسلامية لانها تخضع للمنهج الغربى وهى مغايرة تماما للقصص الأصيل : الذى وصفه القرآن الكريم بانه (القصص الحق) البعيد عن الخيال الجارف والهوى والتنهيد والتفاصيل وقد اتسم الأدب العربى منذ ظهور الاسلام بخاصية واحدة هى تمثل الصدق والحق مع الوضوح والايجاز ، والتماس العبرة ، والدعوة الى الخلق والسمو

والارتفاع فوق الأهواء ، وكلها عناصر حضارة للقصة العربية الحديثة بل ومعارضة لهـا ، ذلك أن العربى كان يفكر دائما فى أفق مفتوح مشرق طليق ، طبيعة الحياة الحـرة الجريئة المكشوفة ، وطبيعة الفارس المقاتل الحفيظ على العرض والكرامة . الذى يقول كلمته فى صراحة ووضوح ، هذه الطبيعة الواضحة لم تكون فى حاجة الى القصة المصطنعة القائمة على الحبكة والمفاجأة والطلال والرموز ذلك أن العقيدة الاسلامية كانت بسيطة سمحة تقوم على التوحيد أساسا فـلم تكن فى حاجة الى هذه المذاهب الغربية التى تقام فى المعابد أو الأديرة لتشرح للناس مقاض معقدة .

ولمـا كانت ذاتيته الأمة العربية وفراجها النفسى وتركيبها الاجتماعى والعقائدى البسيط السمح ، فقد اختفت من الأدب العربى المسرحية والملحمة والقصـة الاسطورية وحين ظهرت الف ليلة وليلة وأدب المقامات والسجع كان ذلك كله غريبا عن طابع الأدب العربى المتحرر من طوابع الوثنيات والرمزيات .

فهذه القصة العربية التى يقدمها الأدب العربى اليوم ليست اصيلة ولذلك فهى لن تستمر طويلا لأنها مضادة للفطرة وللطبيعة العربية الاسلامية ، وأنها قد افسدت عقول الشباب والفتيات نتيجة تلك العبارات المكشوفة والتصورات الهابطة وتلك الدعاوى الباطلة من الاغراء والخداع وأساليب الاغتصاب وصور الاباحية والفسـاد .

والقصة بهذه الصورة المعروضة اليوم هى من سموم الغزو الفكرى والتغريب التى تهدف الى تحطيم القيم الأخلاقية والكرامة وافساد المجتمع .

* * *

(٤)

الأدب العربى : يجب أن يكون إسلامى الوجهة والمنطلق

ان الوحدة التى حققها الاسلام كانت وحدة فكر ، متصل بجميع جوانب الحياة ، والادب جزء منه ، وكان الفكر — لا الادب — هو الذى طبع عالم الاسلام بطابعه بوصفه شاملا لجميع جوانب المعرفة ، وليس قاصرا على تصوير النفس الانسانية وحدها وهى مهمة الادب الاساسية .

ولم يفصل مفهوم الفكر الاسلامى للادب بين الفن والخلق وقد استطاع بتجربته الصادقة العميقة أن يحقق الجمع بين الصدق والأخلاق وأن يوازن بين مهمته وبين علوم التربية والنفس والاجتماع ولم ينحرف عنها ، فى سبيل المبالغة فى جانب على آخر ولم يعل من شأن العاطفة على العقل .

وطبيعة الادب انه خادم أمين للتاريخ وعلم الاجتماع ، على أساس قدرته فى تقديم أصدق صورة للعصر والمجتمع الذى صاغه وكونه .

ويحتاط الفكر الاسلامى فى تعبير « الشعراء » ولا يراه أصدق معبر عن عصره على أساس أن الشعر منطلق عاطفى وخبراتى لا يتقيد كثيرا بالعقل ولا بالعلم « وعند أن الشعراء ورجال الفنون قوم مشبوبو الاحاسيس مهتاجو العواطف وكثيرا ما يعجز فكرهم ويغطى على قلوبهم عواطفهم المضطربة وميولهم ونزعاتهم ، وهم بحسهم المرهف يقدموا لنا صورا براقة لامعة ساخرة أخاذة ، ولكنا حريين أن نعلم أنهم قد لا يلتزمون الاعتدال ولا يتوخون الانصاف ويستخفون بالتبعة ويعتمدون على البديهية فلا يتعمقون ولا يستقصون بل يتعصبون وينحرفون » — على أدهم ..

وطابع الادب العربى من حيث قيامه على الموازنة بين العقل والعاطفة لا يعنى كثيرا بالتصاوير والزخارف والمهرجانات والتماثيل والاستعراضات ويؤمن بالقيم الروحية الفكرية الحية ، ولا يتكىء على الجوانب المادية ولا يسرف فيها وهو فى تقديره للابطال لا يكرم الافراد أنفسهم ولا يضعهم موضع القداسة ، وانما يكرم أعمالهم ويحتفى بها ولذلك فان مثاله هو العمل ، لا الفرد .

ويتسم الادب العربى بوصفه جزءا من الفكر الاسلامى بسمات واضحة أساسية مستقلة ، تختلف كل الاختلاف عن مفاهيم الأدب القديمة والحديثة من حيث استمداده أساسا من معين القرآن وتأثره بالغ الاثر بالقيم الاساسية التى رسمها للفرد والمجتمع والكون والحياة .

وقد استطاع الادب العربى أن يمزج خير مقوماته القديمة بمقومات الفكر الاسلامى وأن يصوغ (فنا جديدا) طابعه اسلامى الجوهر يحمل خصائص الامة العربية من بطولة وكرم وشجاعة وأريحية ومروءة ويطبعها بطابع المفهوم الاسلامى متجهة الى الله تبارك وتعالى وخالصة للحق ومتجردة من الهوى والغرض .

وقد شق الادب العربى طريقه أساسا وفق مفهوم واضح ، قوامه انه غير منفصل عن الفكر الاسلامى كله كمفهوم أساسى ، فلم يقبل التضحية بالقيم والمضامين الاخلاقية من أجل البراعة الفنية وقد استطاع أن يوازن بينهما ايمانا بمفهومه الاسلامى القائم على الوسطة والتكامل والجمع بين العقل والقلب والروح والمادة وأن يرجح أحدهما أو يعلى الآخر مؤمنا بسلامة بناء الكيان الانسانى وعدم تعريضه للجحود أو الانحراف فى آن .

ويعد طابع « التوحيد » من أبرز خواص الادب العربى ، وهى خاصية تغلب على غيرها من خواصه ، وتمثله خير تمثيل ، فقد اتخذ الأدب العربى طريقه ليكون موحدا متساويا وقد قدم الادب العربى فى نطاق مفهوم الفكر الاسلامى صورا انسانية عميقة فى مجال البطولة والزهد والتصوف والتسامى والمثل العليا والنظرة الجامعة واستطاع فى ظل مفهوم الفكر الاسلامى أن يحقق

تحرير الخيال من الاغلال الطبيعية الشديدة الوطأة وأن يعيش الواقع ويحسنه .

وبالجملة فان مفهوم الادب العربى فى اطار الفكر الاسلامى يقوم على الجمع بين الوجدان والعقل ، والروح والمادة معا وهو لا يعنى بالاستعراضيات والمهرجانات والزخارف وأوليته هى فى التعبير الفنى ، القائم على الايمان بالله واليوم الآخر ، وفناء العالم المادى وبقاء الروح وخلود اليوم الآخر ، وقوامه ارتباط الادب بالاخلاق ، ويتركز مفهوم الادب حول موقف الانسان من الحياة والمجتمع ، فى محاولة لكشف ما فيها من خير وشر ، وعلى نحو يعلى ويزكى تقبل الخير وشجب الشر ، وهو بذلك دعوة الى القيم النبيلة التى تدفع الانسان الى مجال السمو والرفعة والكرامة دون الخروج عن نطاق الواقع ، حيث يبدأ منه نقطة الاصلاح واعلاء النفس الانسانية عن الشر والفساد .

ويقوم المفهوم الفكرى للادب العربى على أساس :

١ ــ التشخيص الصحيح لمشاكل المجتمع وسلبياته واحتياجاته .
٢ ــ زرع الامل فى النفوس وتحطيم اليأس .
٣ ــ الدعوة الى الحياة الفاضلة الكريمة .
٤ ــ تقديم الحل الاسلامى لمشاكل العصر .
٥ ــ الاخلاقية سابقة على الجمالية والعصرية .
٦ ــ اسعاد القلوب والعقول بما يملأها طمأنينة وايمانا .
٧ ــ القضاء على القلق والانحراف .
٨ ــ اطفاء الغرائز والاستعلاء بها على المادة والقبح .
٩ ــ الحيلولة دون الذوبان الاجتماعى فى الحضارات .
١٠ ــ الحفاظ على الذاتية الاسلامية .

وقد دعا الادباء الاسلاميون فى العصر الحديث الى قيام منهج اسلامى لتاريخ الادب العربى ولنظرية النقد الادبى الاسلامية وذلك بعد أن خضعت مختلف الجامعات وكليات الآداب فى الجامعة والأزهر ودار العلوم لنظرية تاريخ الأدب الغربى ونظرية النقد الادبى الوافدة

ويركز الدعاة الاسلاميون الى :

أولا : أصالة الادب (تاريخا ونقدا) على أن يكون الاديب مسلما مقتنعا بمبادىء الاسلام وقيمه ومثله قبل كل شيء ، وملتزما بالاسلام ضابطا لحريته .

ثانيا : أن يكون الادب الاسلامى فى خدمة الدعوة الاسلامية وحمايتها والدفاع عنها وتحريرها من التبعية

ثالثا : أن يقدم المقاييس الاسلامية فى جميع المجالات . ١ ــ فى الحرب والسلام والمجتمع . ٢ ــ يقدم الاخلاقى على الجمالى . ٣ ــ يقدم المفهوم الجامع روحيا وماديا . ٤ ــ الصدق الفنى وهو ما وصفه عمر بن الخطاب فى قوله عن زهير (لا يعاظل فى كلامه ولا يتبع حواشى الكلام ولا يمدح الرجل الا بما فيه . ٥ ــ التحرر من سموم النظرية الغربية للنقد .

(دكتور حسن جاد)

(٥)

محاولات التغريب فى فصل أدب أمتنا فى الماضى والحاضر

منذ بدأت حملات التغريب والغزو الثقافى والشعوبية على الفكر الاسلامى عن طريق الاستشراق والتبشير فقد وجهت قذائف كثيرة الى معسكر الادب العربى واللغة العربية بهدف تهوين قيمها الاسلامية التى صاغها القرآن الكريم والسنة النبوية ورغبة فى تزييف أصولها وأصالتها وتذويبها فى أتون النظريات الغربية والأممية الاباحية والمادية والوثنية .

ومن هنا فقد كان من الضرورى والمسلمون يتوجهون اليوم الى بناء مفاهيمهم الفكرية على أساس القرآن الكريم بعد أن تميعت أجيالا طويلة أن يكشفوا زيف هذه المؤامرات الخطيرة وأن يدحضوها حتى يمكن تسوية الارض أمام قيام منهج اسلامى صحيح للادب ، يكون متحررا من التبعية ومستمدا من المنابع .

ولطالما دعا الابرار من رجال اليقظة الاسلامية هذه الامة ممثلة فى اساتذتها وعلمائها ورجال جامعاتها الى التماس منهج اسلامى للادب العربى بعد أن أفسد التغريبيون هذا المعين المشرق النقى وحالوا بين روائعه وبين الوصول الى الشباب المسلم ، مقدمين عليها سموم أبى نواس وبشار ووالية بن الحباب وغيرهم بل لقد بلغ الفجور والاجرام بكبيرهم الى أن يقول أن القرن الثانى للهجرة هو عصر شك ومجون وفيه من فيه من التابعين البررة الذين انشأوا المذاهب الفقهية الاسلامية ومفسرى القرآن ومقننى الشريعة ولقد كان السؤال الذى لم يكف دعاة اليقظة الاسلامية عن توجيهه خلال العقدين الماضيين : لماذا نكون تابعين لمدارس معينة فى النقد

الادبى ولا يكون لنا نظريتنا الاصيلة ومدارسنا المبتكرة القائمة على أساس من قيمنا ؟ لماذا نتأقلم نحن لنظريات الآخرين وهى غريبة عنا ، ولا يكون لنا مناهجنا المبتدعة الخالصة المستمدة من أدبنا ؟ ومادام ادبنا يختلف فى جوهره وذاتيته ومضامينه عن الادب الغربى فلماذا نحكم مقاييس هذا الأدب فيه ؟ .

وأعتقد أنه فى مطالع القرن الخامس عشر (قرن هزيمة التغريب والغزو الثقافى وقيام مناهج الاصالة فى مختلف جوانب الفكر الاسلامى سياسيا واقتصاديا وقانونا واجتماعا وتربية) أعتقد أنه قد آن الاوان لارساء المنهج الاسلامى للادب . ولقد كان لادبائنا فى عصور الأدب العربى المتصلة نظرياتهم ومناهجهم التى شكلوها فى ضوء انتاجهم ، وأعتقد أن أساتذة الأدب العربى فى جامعات البلاد العربية والاسلامية اليوم يؤمنون بما آمن به هذا الرعيل الكريم من انه قد آن الأوان لانشاء منهج اسلامى للنقد الادبى ولتاريخ الادب العربى .

ومن هنا فاننا ننبه على المحاذير الآتية :

أولا : (وهو أخطر المحاذير) تبعية الأدب العربى للمفهوم الغربى للنقد الادبى والاستسلام أمام مفهوم (تين وبرونتير وسانت بيف) وهو مفهوم مادى صرف يفترض فى النظرة الى الانسان انه حيوان يخضع لظروف البيئة ، تسيطر عليه شهوتا الطعام والجنس على النحو الذى صورته الفلسفة المادية استمدادا من نظرية دارون أساسا وقد أشار (ستانلى هايمن) فى كتابه (النقد الأدبى ومدارسه) الا أن النقد الادبى الحديث قد اعتمد على مناهج خمسة من العلماء هم داروين وماركس وفريزر وفرويد وديوى ، أما دارون فقد جاءت منه الفكرة بأن الانسان جزء من النظام الطبيعى وطبق على الانسان ما يطبق على الحيوان والحشرات اما ماركس فهو الذى ذهب الى أن الادب هو الذى يعكس ولو بطريقة ملتوية أحيانا العلاقات الاجتماعية والانتاجية لهذا العصر أو ذاك . اما فرويد فهو الذى يرى أن الادب تعبير مقنع وانه تحقيق لرغبات مكبوتة قياسا على الاحلام وان هذه المقنعات تعمل حسب مبادىء معروفة ، وفكرته أن هناك مستويات ومدارج عقلية تقع وراء الوعى وان بين الرقيب والرغبة فى التعبير صراعا مستمرا أما فريزر فهو صاحب الافكار عن السحر البدائى والاسطورة والشعيرة البدائية أما ديوى فهو يرى أن قراءة الادب وكتابته ليست الا صورا انفعالية انسانية يمكن أن تقاس بأى فاعلية أخرى وأنها خاضعة للقوانين نفسها هذه هى النظرية التى فرضت على النقد الادبى وقبلها المفكرون والادباء وأساتذة الادب ، ولو أن الادباء كانوا خالصى النية فى خدمة الادب العربى لامتصوا من هذه المذاهب خير ما فيها ثم بنوا لنا نظرية أصيلة مستمدة من جوهر أدبنا ووفق مفاهيمه وقيمه ومناهجه ذلك لان الادب العربى بعد نزول القرآن الكريم أسس منهجا أصيلا وأقر قوانين معروفة نمت وتطورت ثم توقفت وجمدت وكان فى الامكان تحريرها من أخطاء وانحرافات عصور التحلل ومن سيطرة الوافد .

ومما يذكر أن الفلسفات الخمسة التى اشتقت منها نظرية النقد الادبى قد ضربت وطعن فيها وأصابها بمضى الزمن فساد كبير واليوم نسمع عن أخطاء عريضة فى مذهب دارون وماركس وفرويد تحولت بها هذه الفلسفات عن أصولها فضلا عن أن مفهوم الادب الاسلامى هو اقامة بمفهوم الانسان على أنه روح ومادة ، وعقل وقلب ، وأنه قبضة من الطين ونفخة من الروح .

ثانيا : تبعية الأدب العربى لمنهج وافد فى كتابة تاريخ الادب ، ذلك هو منهج تقسيم الادب العربى الى عصور ، أموى وعباسى وغيرهما وهو تقسيم ظالم ، فضلا عن وصف عصرى المماليك والدولة العثمانية باسم (عصر الانحطاط) بينما يحمل هذا العصر عصارة ثمرات تطور الادب العربى والفكر الاسلامى مما يجعله خليقا بأن يسمى عصر الموسوعات ، ولولا سيطرة مفاهيم التغريب لامكن أن يترابط الادب العربى فى وحدة لها طابعها الاصيل المستمد من جوهره والذى يختلف كثيرا عن التقسيم الذى طبقته فرنسا وانجلترا والمانيا حين انفصلت بآدابها ولهجاتها عن اللاتينية ، بينما يمثل الأدب العربى وحدة متصلة مترابطة منذ ظهور الاسلام الى اليوم بحيث أن كل خطوة فيه هى نتيجة لما سبقها ومقدمة لما بعدها ، دون أن نجد بين هذه المراحل ثمة انفصاما أو توقفا أو انفصالا .

ثالثا : محاولة فصل الادب العربى عن الفكر الاسلامى ككل جامع يضم الاقتصاد والاجتماع والسياسة والعقائد والاخلاق . وهى دعوى تهدف الى تحرير الادب من قواعد الدين والاخلاق وتدفعه الى مجالات الغواية والاباحة والكشف وفى ذلك محاولة للفصل بين مقومات الاسلام وبين الادب الغربى .

وقد كانت قضية اقصاء الأدب العربى عن الاخلاق من كبريات القضايا رغبة فى اشاعة روح الاباحة واحياء تراث الزنادقة القديم مع ترجمة قصص الجنس والادب المكشوف من اللغات الغربية . ولم يكن هؤلاء الادباء يحملون صورة المثل الاعلى الكريم وكانوا يتطلعون الى صور البوهيمية التى عرفت فى حياة ادباء الغرب .

رابعا : اعلاء الشخصية الزائفة والموصومة من الزنادقة والاباحيين فى شعر بشار وأبى نواس .. وفى نثر : أمثال ابن عربى والحلاج .

والتجاهل والاغضاء وانتقاص الشخصيات ذات الاثر الحقيقى أمثال ابن خلدون وابن تيمية والغزالى والمتنبى وتوجيه الاتهامات اليهم .

خامسا : اقذاع النقد الأدبى وابلاغه اقصى درجات الهجاء واستعمال الاسلوب الحزبى النازل وقد صدرت جميع معارك النقد الادبى من مصادر الخصومات الشخصية والسياسية والاستعلاء الذاتى وخدمة الثقافات الفرنسية والانجليزية والدفاع عن احداهما فى مواجهة الاخرى .

سادسا : ضرب اللغة العربية الفصحى بدعوات مسمومة ترمى الى اعلاء العامية أو التنكر للفصحى بما يسمى اللغة الوسطى ، ومنهم من دعا الى قتل الفصاحة وتجاهل البلاغة ومنهم من قال : لكم لغتكم ولى لغتى . والهدف واضح جلى وهو فصل الاداء العربى المعاصر عن مستوى لغة القرآن على امل أن تصبح بلاغة القرآن بعد عقود من الزمن مما يقرأ عن طريق المعاجم . وهى محاولة لسلخ الأدب عن القيم اللغوية الاساسية ، ولما كانت الصلة بين الادب واللغة من أهم مقومات وجود الأدب فقد جرت المحاولات التغريبية لاخراج الكتابات الجديدة من اطار اللغة الفصحى واحتقار الاصول النحوية .

سابعا : محاولة محاكمة الادب العربى الذى صدر عن النفس المؤمنة بالله والتى تعرف حقيقة الانسان وجوهره الجامع روحا ومادة ومسؤوليته الفردية والتى تؤمن بالجزاء والحساب ، محاكمة هذا الادب وفق النظريات المادية والماركسية والوجودية والفرويدية التى تعتبر الانسان حيوانا .

ثامنا : ابتعاث اسلوب جديد على الأدب العربى ، هو الأسلوب المزدوج الذى يكتب به نصارى لبنان والمهجريين والذى يصيغ الجملة العربية صياغة غير اصيلة ، ومن عجب أن بعض المجلات الأدبية والاسلامية تنشر مثل هذا . ومن هذه الفجوة يتطاع دعاة التغريب لعزل هذه الأمة عن البيان العربى الاصيل ومن ثم تبدأ مرحلة تحويل اللهجات العربية الى لغات وهنا يكمن الخطر الذى يعد كل مسلم مسئولا عنه أن وقع ، وقبل أن يقع .

تاسعا : كسر عامود الشعر واعلاء شأن الشعر الحر بمفهومه المناهض للبلاغة العربية والحاقد عليها والمحتقر لها والهادف الى نفس الغاية التى تقدمها الأزجال والامثلة العامية من حيث صدورها من نفسيات ساذجة وعقليات تحمل طفولة البشرية .

عاشرا : احياء الأساطير والخرافات وخاصة مايسمى تراث فينيقيا وجلجامش،والدعوة الى مضامين كنسية وتوراتية واسطورية قديمة مثل زيوس وباخوس وهى كتابات تحمل الصلبان والمناجل والمطارق ومحتواها قلق وتمزق وضياع وعصارة كل مذاهب الوثنية وتفسيرات الأممية .

حادى عشر : احياء الكتابات الشعبية والعاميات (الفلكلور) التى تمثل مشاعر وثنية قديمة رفضها الاسلام وقضى عليها ..

ثانى عشر : التنفير من الأدب البليغ الموروث والجامع لفنون الحكمة والبيان ، والذى تتمثل فيه التجربة الاسلامية الموحدة بين الشعوب وتحقير هذا الأدب ووصفه بالرجعية والتخلف والسلفية ..

ثالث عشر : المؤامرة على القصة العربية الأصيلة باعلاء شأن القصة الغربية الزائفة التى لا تغير فيها الا الأسماء والاماكن وتبقى بمضامينها التى لا تصلها النفس الاسلامية ولا تقر فجورها وفسادها وانحرافها .

رابع عشر : محاولة فصل الأدب العربى الى اقاليم ، وهى المحاولة الشعوبية التى دعا اليها بعض التغريبيين ، رغبة فى تمزيق وحدة الأدب العربى والحيلولة دون التقاء جوانبه كممثل لأمة واحدة ، وليس كأدب مصرى وسورى وعراقى ومغربى ، وتلك هى غاية الاحتلال والغزو الثقافى من تأكيد الاقليمية هذا فضلا عن فشل تقسيم الأدب الى عصور وهناك محاولة اخرى لعزل الأدب العربى الحديث والمعاصر عن الادب العربى القديم واقامة الادب العربى الحديث على نحو يخرجه من طابع الادب العربى الاسلامى وانتمائه القرآنى .

خامس عشر : التركيز على مجموعة قليلة من التغريبيين والتابعين للمناهج الغربية ومروجيها واعطاؤهم صورة البطولة والشهرة والتبرير مع انكار وتجاهل وحجب اصحاب الأصالة الحقيقية من امثال مصطفى صادق الرافعى ورشيد رضا وشكيب أرسلان ومحب الدين الخطيب وحسن البنا وعلال الفاسى والثعالبى وعزام وباديس وفريد وجدى وطنطاوى جوهرى وابو زهرة وخلاف .

***

وبعد فلقد كان السؤال الذى لم يكف دعاة اليقظة الاسلامية عن توجيهه خلال العقدين الماضيين هو : لماذا نكون تابعين لمدارس وافدة فى النقد الأدبى لا تمثل جوهر مفهومنا للانسان والحياة ولا تكون لنا نظريتنا الأصيلة ومدارسنا الذاتية القائمة على أساس من قيمنا؟

ومادام أدبنا يختلف فى جوهره وذاتيته ومضامينه عن الآداب الغربية ، فلماذا نحكم مقاييس هذه الاداب فيه واعتقد أنه فى مطالع القرن الخامس عشر (قرن الاصالة والتحـرر من التبعية) قد آن الاوان لارســاء المنهج الاسلامى للادب وانه قد آن الاوان لانشاء منهج اسلامى كامل للنقـد الادبى ولتاريخ الادب العربى مستمد من القرآن والسنة يكون فجرا جديدا لامتنا وسياجا حصينا لشبابنا من أن ينصهر فى بوتقة الاممية العالمية والحضارة المنهارة ، هذا قول مجمل وتفصيله مرافق لهذا وملحق بـــه . .

(ثالثـا)

المــــدرسة الإسلاميـــــة فى الأدب

قصة الأصالـــــة ذات جناحيــــــن

تصحيـــح الواقـــد وبنـــاء الأصيل

كان قيام المدرسة الاسلامية فى الأدب مرحلة طبيعية بعــد الخطوات التى سبقت والتى ارتبطت باليقظـة الاسلامية التى حاولت منذ ثلاثينيات هذا القرن مهاجمة المنهج الغربى الذى فرض على دراسة الأدب بكلية الآداب والكشف عن أنه يتناقض مع أصول الأدب العربى لانه قام على اساس مفهوم الآداب الاوربية التى تختلف فى جوهرها وعقيدتها ومنهجها ، وقد شارك فى هذه المحاولة كثيرون وعرض بعض الباحثين لعديد من القضايا التى اعتمدت مفهــوم التغريب فى دراستها ، ويمثل كتابنا (خصائص الادب العربى) عرضا واسعا لهذه القضايا فى محاولة لمواجهة التحديات التى عرضت للأدب العربى : القصة والشعر والفن والمسرح وقد صدر قبــل عشر سنوات داعيا الى منهج اسلامى اصيل لتاريخ ونقد الادب العربى . وكان لابد أن تبدأ مرحلة جديدة هى مرحلة التقنين والتنظير التى تسرى الآن فى مجال الفكر الاسلامى فى علوم كثيرة ، وكان لابد أن يتبع الحركة التصحيحية للادب العربى حركة انشائية فى المقام الاول أو ابداعية — اذا لم يتعارض هذا التعبير مع المفاهيم الاسلامية — وفارق بين أسلمة الأدب العربى وتحريره من التبعية وبين انشاء ادب اسلامى أصيل من نقطة البدء بعد أن انقطعت الاوصال .

نحن اذن بدأنا فى قلب التغريب ثم أخرجنا الله تبارك وتعالى الى الاصالة ، وكان هذا خيرا كثيرا لانه مكننا من دراسة هذه المذاهب وفهمها وكذلك شــأن اخوتنا الذين نشأوا فى مجال القومية والماركسية والعلوم الاجتماعية الغربية ثم أشرقت نفوسهم بنور ربها فخرجوا منها الى المعرفة والتغيير . واحسوا بحاجة امتهم الى أن يكون لهـــا منهجها الأصيل .

واذا كان تأثير الدين المسيحى واضحا فى الفـكر الغربى عامة وفى الادب الغربى خاصة فى نظرية الانسان والكون مما يتمثل فى كتاب (انتصار المسيح) وشعر ملتون ومدرسة الاحياء الكاثوليكى التى قادها (ت.س. اليوت) الذى يرى أن الطريق الى السعادة والمثالية لابد أن ينطلق من الكنيسة وقــد استطاع هذا الادب أن يؤثر فى عدد من الشعراء العرب فى مقدمتهم السياب وصلاح عبد الصـــبور .

لذلك من الضرورى أن يكون اثر الاسلام واضحا فى الادب العربى من حيث تقديم الاخلاقى على الجمالى وتقديم مفهوم التقديم الجامع بين الروحى والمادى ، وتقديم مفهوم التقدم الجامع بين الروحى والمـــادى ، المجتمع وأن يكون الاديب مسلما مقتنعا بمبادىء الاسلام وقيمه ومثله قبل كل شىء ، وملتزما بالاسلام ضــابطا لحريته ، وأن يكن مفهومه للصدق الفنى هو ما تمثله قولة عمر بن الخطاب عن زهير :

« لا يعاظل فى كلام ولا يتبع جوشى الكلام ولا يمدح الرجل الا بما فيه » .

ومن هنا يكون موقفنا من الأدب الغربى موقفـــا واضحا فان هذا الأدب يحوى عناصر وثنية مسيحية على النحـــو الذى شـــاع فى كتابات كثـــيرا من شعرائنا وقصاصينا (نجيب محفوظ وصلاح عبد الصبور) .

ولا يمكن قبول رأى الذين يرون أن هذه المذاهب حيادية أو يمكن الانتفاع بها فى الشكل دون المضمون فان اليوت يقرر أن المدرسة الكلاسيكية بل الأحيـــاء الكاثوليكى ملتزم بنصرانيته (والكاثوليكية بصفة خاصة)

كذلك فنحن لا نقبل مفهوم الآلية (الحداثة) التى

تنطلق منهـا الخواطر التى تمر بالانسان فى داخله فتخرجها كما هى ، حيث لا يخضع للمنطق أو العقل .

وشعر الطبيعة فى الرومانسية سرب من المسارب للخروج من الواقع فيه خطأ كبير لانه قائم على فلسفة معينة ، كما لا يجوز لنا استعمال مصطلحات غربية وعندما نستخدم اللفظ المصطلح فانه له دلالة مختلفة عند المسلم ومصطلح (ادب الجنس) هو اخطر هذه المحاولات فهو يمجد العلاقة الجنسية ويعطيها البطولة لان مؤاده بهيمى حيوانى .

ومن شأن تحرير مفهوم الأدب وأسلمته ان تواجه هذه الانحرافات الخطيرة التى ظهرت فى ادبنا العربى الحديث اذ لم تعـد تقتصر على الغزل الفاحش بل اصبحت تقصد الى محاربة القيم الاسلامية واحلال قيم أخرى ومن هنا فان الأدب الاسلامى يجب أن يقف موقفا حاسما ازاء هذه الانحرافات والتجاوزات .

ولعل أسوأ ما يرى من فسـاد انحراف الأدب العربى الحديث :

انهزامية نجيب محفوظ فى شخصية (المومس) وشخصية المراة عموما عند احسان عبد القدوس ، وفى قصة السراب بتشكك نجيب محفوظ فى محارمه ويعتقد ان الفضيلة سراب فضلا عن تمجيد لحظات الضعف كسقوط المراة . وفى قصيدة (الناس فى بلادى) اصلاح عبد الصبور تعريض بالذات العلية ممـا لا يمكن ان يصدر من مسلم . وكم وصف القـدر فى القصص الحديث بأنه ظالم أحمق الخطى عابث ، وهناك الدعوة الضالة الى تفسير انحراف المراة نتيجـة البحث عن الطعام وهو تفسير ماركسى فاسـد .

لذلك فان من ابرز ما يتوجه اليه الادب الاسلامى هو بنـاء نماذج اسلامية أصيلة فى الشعر والقصة تسـتمد مفاهيمها من الاسلام وترمى الى تصـور اسلامى فى نفس الوقت الذى يجب أن يكشف عن فساد النماذج الاباحية والمنحرفة التى كتبها الكتاب الذين يرفضهم الادب الاسلامى اساسا ويقرر أن ادبهم لا يمثل المجتمع الاسلامى الاصيل .

ان الاسلام قد قرر الالتزام قبل أن تعرفه المذاهب **العصرية** وهو يعنى ارتباط الأديب بقيمه ومبادئه ويقرر الأخلاقية اساسا ويحدد وجهة نظر الاسلام تجاه العصور الادبى : على انه انسانى الوجهة يتسامى بغـرائز الانسان ، متكامل النظرة بين دينه ومجتمعه دون أن يكون هذا التوجه قيدا على مقاييس الجمال الأزلى .

والالتزام الاسلامى هو منطلق لحياة الانسان ومن ثم فهو يستطيع ان يتحدث فى اى موضوع حتى عن الجنس بمفهوم الاسلام وهذا لا يمنع من ان ننظر الى المذاهب الادبية الغربية للانتفاع بهـا ويتقرر الالتزام فى الشكل والمضمون وقصد الشكل اخطر بكثير ممـا يتصور لان الشكل هو افراغ المضمون فى صورة تعبيرية تتناول القالب الفنى .

كذلك فان المذاهب الادبية الغـربية كلاسيكية ورومانسية والواقعية هى مذاهب ادبية تقـوم على فلسفات مادية اساسية راى اصحابها ان السبيل الى اشاعتها فى الناس هو تقديمها فى قوالب ادبية .

فالكلاسيكية فلسفة وثنية تقوم على تمجيد العقل والرومانسية فلسفة مسيحية هى ثورة على العقل تمجد العاطفة وهذه الثورة تشمل الاعراف والمبادىء والاخلاق والاسلام يتصادم مع هذه المذاهب لأنهـا تستند الى فلسفات خطيرة جدا ونحن المسلمين لا نرفض العقـل ولا نرفض العاطفة ، وكلّ الشـعر العربى بالعقـل والعاطفة زاخـر ، وما نرفضه ويتصادم مع الفـكر الاسلامى أن يكون توجيه العقل والعاطفة قائما على فلسفة معينة ، بالصورة التى تأدت بها اليه وعلينا ان نكون واعين بما وراء هذه المذاهب ، والواقعية الغربية تقـوم على المادية الجدلية والتفسير المـادى للتاريخ وبالجملة فـان الأدب الاسلامى لا ينحصر فى الادب العربى بل يبدأ به ويمتد الى اداب الشعوب الاسلامية غير العربية وهو المحضن الأكبر والاول للادب العربى وما يزال الميدان الاكبـر له . وبين الادب العـربى والاسلامى صلة البنوة والابوة وقد حدثت فى العصر الحديث احداث وقضايا منها توظيف الادب فى القضايا العقدية وفى اداب الشعوب الاخرى ، وظهرت انحرافات خطيرة فى أدبنا العربى مما جعلنا فى حاجة الى أدب اسلامى يحمل قضايانا ويلبى حاجاتنا ويمثل شمولية الاسلام فى معالجة مختلف قضايا الحيـاة .

هذا وقد جاء مؤتمر الادب الاسلامى فى الرياض ١٤٠٥ حلقة تالية لمؤتمرين عقد أولهما فى ندوة العلماء بالهند . باشراف السيد أبو الحسن الندوى عام ١٤٠١ والثانى فى الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة عام ١٤٠٢ وقد اثرى هذا المؤتمر ادباء مسلمون وأعلن فى وقت مقارب تشكيل رابطة الادب الاسلامى فى ندوة العلماء وصدرت فى هذه المناسبة دراسات قيمة فى مقدمتها كتاب (نحو ادب اسلامى) للاستاذ عبد الرحمن رأفت الباشا .

***

المفهـوم الإسلامـى المتميـز للأدب

لمعرفة (الخصائص التى تميز الأدب الاسلامى والتى تختلف عن الآداب العالمية شرقية وغربية) نقول أن الفكر الذى تشكل الأدب الاسلامى فى اطـاره يستمد من القرآن الكريم حيث يقوم هذا الفكر على أساس التوحيد الخالص ، لله تبارك وتعالى خالق الكون الذى يمسك هذا النظام المترابط والقائم على كل نفس بما كسبت ، والذى تتمثل مهمة الانسان فيه ، مستخلف فى الأرض له طبيعته الأصيلة الجامعة بين الروح والجسم والعقل والقلب وقد أقر الاسلام رغباته المادية وأشواقه الروحية وجعل له ضوابط تحول بينه وبين الانحراف سواء الى اعتزال الحياة أو الاسراف فى ملذاتها ، وأقام له منهجا وسطا كريما قادرا على اداء مسئوليته والقيام على أمانته ومواجهة ما تجابهه به القوى المختلفة من تحديات .

ولمـا كان القرآن الكريم هو المصدر الاصيل للفكر الاسلامى فهو المثل الأعلى للادب الاسلامى والسنة المطهرة مظاهرة له بسلوك الرسول صلى الله عليه وسلم وتطبيقاته لقوانين القرآن فى مختلف جـوانب الحيـاة .

ولقد أمد القرآن الكريم العلوم والاداب والفنون الاسلامية ومختلف مناهج الحياة والفكر من عطائه سواء عن طريق المنهج التجريبى أو منهج المعرفة ذى الجناحين أو قوانين قيام الامم والحضارات وانهيارها وقدم نظاما كاملا فى مجال السياسة والاجتماع والاقتصاد واعتبر الادب والفن فرعين من فـروع الفـكر لا ينفصلان ويتكاملان مع المقومات الأخرى وأقام النظرة الجامعة بين العقلانية والوجدانية على أساس الفطرة وطالب بالبرهان وأنكر الاساطير وحرر البشرية من تراث طفولة البشرية وأوهامها ووثنياتها وعلم الاصنام اليونانى .

نظرية الأدب الاسلامى
المفهوم الاسلامى المتميز

وأورد البحث الأصول التى يستمد منها الادب الاسلامى منطلقاته :

أولا : انسانية الأدب : فقد اتسم الادب الاسلامى بالطابع الانسانى البعيد عن العنصرية والاستعلاء بالدم أو اللون ، الذى يقيم روح الاخاء البشرى .

ثانيا : الأصـالة : والاصالة هى الالتحاق بالمنابع مع التفتـح ، والارتباط بالجذور مع القـدرة على مواجهة المتغيرات ، كما دعـا الى معارضة التقليد الأجنبى والاحتفاظ بالذاتية الاسلامية وأعلن حربا لا هوادة فيها على التقليد والتبعية .

ثالثا : الصدق : والصدق والوضوح أبرز معالم الاسلام التى أهداها الى الأدب . (نحن نقص عليك نبأهم بالحق) .

ولذلك رفض الاسلام الأساطير والاوهام الذاهبة بعيدا عن الواقـع .

رابعا : الوضـوح : يتسـم الأدب الاسلامى بالوضوح والصراحة تحت ضوء مشرق بعيدا عن الظلال والرمزيات والتمويه الذى عرفت به الآداب الأوربية ، فالنفس المؤمنة بربها لا تعرف التشاؤم ولا توغل فى اليأس والقلق والتمزق .

خامسا : الايمان : وقد أضاءت ظاهرة الايمان بالله طـريق الأدب والانحرافات والضـعف البشرى وطفولة البشرية .

وأفسح الايمان للانسان بالايمان طريق الثقة به والاطمئنان الى حكمتـه .

سادسا : التفاؤل : فالأدب الاسلامى استمدادا من قيم الاسلام لا يعرف التشاؤم ، وهو يؤمن بأن الغمرات تأتى ثم تنجلى وأن الصبر بعد الشدة فلا يعرف أبدا ذلك الطابع من الانقباض الذى عرفته الآداب الأوربية التصـد .

سابعا : الاخلاقية : القانون الاخلاقى أساس وطيد فى الأدب الاسلامى الذى يقرر اعلاء الاخلاقية على الجمالية وعدم تضحية الاخلاقية المرتبطة ببناء الكيان الاجتماعى المسلم .

خامس عشر : أصـالة الاستجابة : فـالأدب الاسلامى من قاعدة أن لكل أمة ذاتيتها الخاصة النابعة من حيث الرحمة والوفاء ووضوح النظـرة وسلامة القصـة .

سادس عشر : الذاتية : وينطلق منهـا الأدب الاسلامى من قاعدة أن لكل أم ذاتها الخاصة التابعة من من قيمها فالطابع الخاص هو أبرز طوابع الاسلام .

سابع عشر : الاعتراف برغبات الانسان : حيث قرر الاسلام ان الرغبات من طبيعة الانسان التى لا سبيل الى قمعها او القضاء عليها بل يجب تحريرها من الاسراف والجمود معا ووضع لها الضوابط من الاعتدال والعفة واقامها فى دائرة الخـير .

ثامن عشر : التوحيد : من منطلق الاسلام قرر وحده الجنس البشرى والفكر الانسانى وارتفع بالعقل بن قيوده التى كانت تأسره حول الاوثان الى الاعتقاد باله واحـد .

تاسع عشر : الارتباط بالميراث الاسلامى ، وعدم الانفصال عنه ، من حيث أن الأدب الاسلامى يمثل حلقات متصلة غير منفصلة عن منبعها الاول والاصيل .

عشرون : التجريب : ولمـا كان التجريب من ابرز طوابع الفكر الاسلامى فقد كان لابد للادب الاسلامى ان يمضى على نفس الطريق .

واحد وعشرون : الفطـرة : ومن اسس الادب الاسلامى الحقيقية قيامه على اساس فطـرة الانسان الاصيلة البعيدة عن الانحراف والفســاد .

ثانى وعشرون : ترابـط العروبة والاسـلام : فالاسلام بالنسبة للعـرب اساس فكرهم وحضارتهم والعروبة والاسلام يتكـاملان ، حيث لا يقـر الادب الاسلامى مفهوم اعلاء الجنس أو العنصر أو مفهوم القومية العربى الوافـد .

ثالث وعشرون : قوامة الرجـل ..

رابع وعشرون : تكامل المعـرفة ..

خامس وعشرون : الوسطية ..

هذا وبالله التوفيق ،،

* * *

(خامسـا)

تأصيل نظريـــة الأدب الإسلامـــى

لسماحة السيد أبو الحسن الندوى

ان غربة الادب الاسلامى وسيطرة الادب المزور على العالمين العربى والاسلامى وواجب الدعوة الى الله عن طريق الكلمة الأصيلة الملتزمة ، كل ذلك يدعو ادباء الاسلاميين الى انشاء رابطة تجمع صفوفهم وتشد كل واحد منهم بعضد أخيه وترفع صوتهم وتثقفهم على واجبهم أمام تجمعات الأدباء المنحرفين وتهيىء لهم أن يتعاونوا لتأصيل نظرية الادب الاسلامى كى تواجـه نظريات الماركسيين والليبراليين والوجوديين فى الأدب وغير ذلك من المذاهب الادبية غير الاسلامية فى العالم عن طريق :

١ — التعريف وجمع الكلمة واقامة التعاون بينهم فيكونوا قوة اسلامية سلاحها الكلمة الاصيلة الملتزمة بالاســلام .

٢ — تأصيل نظرية الادب الاسلامى واظهـار الملامح السائدة فى الادب العربى قديمه وحديثه .

٣ — تحقيق مبدأ عالمية الادب الاسلامى .

٤ — العمل على تأصيل نظرية النقد الاسلامى على أن يتصـف بالموضوعية والبعد عن القـواعد المستوردة والاساليب المبهمة .

٥ — رسم منهج اسلامى مفصل للفنون الادبية الحديثـة :

(القصة — المسرحية — السيرة الذاتية)

٦ — الاهتمام بالتفسير الاعلامى للادب والعمل على انجـازه .

٧ — اعادة كتابة تاريخ الادب العربى من وجهـة نظـر اسلامية .

٨ — اظهار صلة الادب الاسلامى الحديث بالادب القديم والرد على المحاولات الداعية الى الانفصام بين ادب أمتنا فى الماضى والحاضر .

٩ — دراسة الادب الاسلامى المعاصر فى البلاد الاسلامية واظهار الخصائص المشتركة للادب الاسلامى فى العـالم .

١٠ — القيام بدراسات موسعة لعدد من الادباء الاسلاميين وبخاصة الذين صاغوا أدبهم باحدى لغات الشعوب الاسلامية .

١١ — تعريف الشعوب الاسلامية باداب بعضها

البعض بترجمة آثارهـــا الأدبية الى عدد من لغـــات الشعوب الاسلامية الاخـــرى .

١٢ ــ تشجيع الادب الذى يهتم بقضايا المـــرأة المسلمة وتشجيع نتاج الاديبات المسلمات .

١٣ ــ رسم منهج اسلامى لأدب الأطفال والبالغين والشـــباب .

١٤ ــ التصـــدى للدعوات الادبيـــة المشبوهة والمنحرفة .

١٥ ــ مناصرة حركات التحرر الاسلامى والاسهام فيها بالكلمة الجريئة الاصيلة .

١٦ ــ الدفاع عن حرية الفـــكر والتعبير بما لا يتعارض مع الشريعة الاسلامية .

١٧ ــ الدفاع عن حقوق الادباء الاسلاميين المعنوية والمـــادية .

١٨ ــ تهيئة وسائل النشر والتوزيع لادباء الرابطة بجميع الوسائل الممكنة .

(المبـــادىء العـــامة)

١ ــ الادب الاسلامى هو التعبير الفنى والهادف عن الانسان والحياة والكون فى حدود التصور الاسلامى لهـــا .

٢ ــ الادب الاسلامى أدب ملتزم والتزام الاديب فيه التزام عفوى نابع من التزامه بالعقيدة الاسلامية ورسالته جـــزء من رسالة الاسلام العظيم .

٣ ــ الادب طريق مهم من طرق بنـــاء الانسان الصالح والمجتمع الصالح وأداة من أدوات الدعوة الى الله والدفاع عن الشخصية الاسلامية .

٤ ــ الادب الاسلامى مسئول عن الاسهام فى انقاذ الامة الاسلامية من محنتها المعاصرة والادباء الاسلاميون أصحاب ريادة فى ذلك .

٥ ــ الادب الاسلامى حقيقة قائمة قديما وحديثا تبدأ من القرآن الكريم والحديث النبوى وسعركة شعراء الرسول صلى الله عليه وسلم مع كفار قريش ويمتد الى عصرنا الحاضر ليسهم فى الدعوة الى الله ومحاربة أعداء الاسلام والمنحرفين عنـــه .

٦ ــ الادب الاسلامى هو أدب الشعوب الاسلامية على اختلاف أجناسها ولغاتها وخصائصه هى الخصائص الفنية المشتركة بين آداب الشعوب الاسلامية كلهـــا .

٧ ــ يقـــدم التصور الاسلامى للانسان والحياة والكون ــ كما نجده فى الادب الاسلامى ــ أصولا لنظرية متكاملة فى الادب والنقد وملامح هذه النظرية موجودة فى النتاج الادبى الاسلامى الممتد عبر القرون المتوالية .

٨ ــ يرفض الادب الاسلامى أى محاولة لقطع الصلة بين الادب القديم والادب الحديث بدعوى التطور أو الحداثة أو المعاصرة ويرى أن الحديث مرتبط بجذوره القديمة .

٩ ــ يرفض الادب الاسلامى المذاهب الادبية التى تخالف التصور الاسلامى والادب العربى المزور والنقد الأدبى المبنى على المجاملة المشوهة أو الحقد الشخصى كما يرفض لغة النقد التى يشوهها الغموض وتفشو منها المصطلحات الدخيلة والرموز المشبوهة ويدعو الى نقد واضح بنـــاء .

١٠ ــ يستفيد الادب الاسلامى من الاجنـــاس الادبية جميعا شعرا ونثرا ولا يرفض أى شكل من اشكال التعبير ويعنى بالمضمون الذى يحدد طبيعة الشكل الملائم للاداء .

١١ ــ ان رابطة العقيدة هى الرابطة الاصلية بين أعضاء الرابطة جميعا ويضاف اليها آصرة الزمالة الادبية التى تعد رابطة خاصة تشد الادباء الاسلاميين بعضهم ببعض ووحدة المبادىء والاهداف التى يلتزمون بهـــا .

(الاعلان عن قيام رابطة الادب الاسلامى برئاسة السيد أبو الحسن الندوى) .

* * *

(٦)

الواقعية بين نظريـــة الأدب الغربــى ومفهـوم الإسـلام

ان الواقعية الغربية تضفى صفة البطولة على لحظة الضعف البشرى المزرية جدا فى بعض الاجيال ليضلل نفسه عن حقيقة هبوطه المزرية فبدلا من أن يتهم نفسه او يتهمه احـد بالنقص ويطالب نفســه أو يطالبه احـد بالارتفاع وهو لا يريد الارتفاع ولا يقدر عليه لانه أخلد الى الارض واتبع هواه بدلا من ذلك يقول أن الارتفاع خرافة والهبوط هو الحقيقة الواقعة السوية التى يقال عنها « ليس فى الامكان ابدع مما كان » أما الواقعية الاسلامية فهى لا تنكر فى ان حالات الهبوط هى حقيقة واقعة ومع ذلك فهى لا تمجدها ولا تسلط على الاضواء لانهـا فى حقيقتها لحظـات هبــوط .

ان الواقعية الاسلامية لا تحب أن ترسم صورة مزرية للبشرية ولاصورة بيضاءمن كل سوء بعيدة عن كل شائبة ، كلا فما هكذا يقول القرآن ذاته الذى يدعو للرفعة الدائمة والمحاولة الدائبة للتغلب على الضعف انما يقول (وخلق الانسان ضعيفا) .

كذلك فـان الواقعية الاسلامية تسعى لتهذيب النظرة البشرية فلا تصور حالات الهبوط تصويرا مثيرا جارحا كما تفعل النماذج الادبية الغربية والعربية التى تصور بمشاهد الانحراف تصويرا دقيقا ثم تحلها الحل النهائى للعقدة الدرامية .

ان الادب الصادر عن التصور الاسلامى (أدب ملتزم) بحماية الانسان من المزالق والاخطاء ولا يمكن أن يسلم الانسان الى متاهة الانحراف ولا يمكن أن يجعل المنكر معروفا أمامه ويقلب مفهوماته ..

ان المفهوم الاسلامى فى الواقعية يرى أن لحظة الهبوط هى لحظة هبوط لا لحظـة بطولة تستحق التصفيق والاعجـاب .

(محمد قطب)

سادســا

لمـاذا لا يكون الأدب العربى عالميــا

أولا : أن الادب العربى فى هذه المرحلة من تاريخ العرب والمسلمين قد انحرف عن طريقه الطبيعى بوصفه وحدة من وحدات الفكر الاسلامى بما دخل عليه من مفاهيم وقيم وافدة من ناحية المضمون وبما اصطنع من أساليب غربية من ناحية الأداء .

ولذلك فان الانتاج الادبى القائم الآن بين أيدينا لا يمثل حقيقة المشاعر النفسية والاجتماعية للمجتمع ، كما أن أسلوب ادائه غريب على الادب العربى لانه يخضــع للنظرية المادية التى وصـفها برونتيروتين استمدادا من نظرية التفسير المادى للتاريخ والفلسفة المادية التى تعتبر الانسان حيوانا ســواء من ناحية الطعام (الماركسية) أو من ناحية الجنس (الفرويدية)

ثانيا : ان ترجمـات الادب العربى الى الآداب الاوربية التى تمت فى العقدين الأخيرين لا تمثل حقيقة الادب العربى ولا أشواق النفس العربية الحقيقية ، لان هناك تحيزا فى الانتقاء والاختبار تحت عنوان : هو أن يثبتوا أن الادب العربى قد خضع تماما للمفاهيم بضاعتنا ردت الينا فان هوى المترجمين لـــا ترجموه هو أن يثبتوا أن الادب العربى قد خضع تماما للمفاهيم الغربية وللاساليب العربية ايضا .

ثالثا : ان المصطلحات التى تســتعمل الآن فى الادب العربى دخيلة وغربية فهو يحاول أن يخضع لاطــوار الادب الغربى الذى ينتقــل بين الكلاسيكية والرومانسية وانتقل منهـا الى السريالية والوجودية والآن يحاول أن يقف فى خضوع أمام النظرية الجديدة الطاغية عليه وهى البينوية .

كما أن الادبــاء خضعوا لمسميات كثيرة كعصر التنوير وحاولوا أن يطبقوه على الأدب العربى ، بينما عصر التنوير هذا فى أوربا انمـــا يمثــل العصر الذى سيطرت قيم التحولات التلمودية التى عملت على هدم

صروح المدرسة المسيحية المثالية من اجل اقامة مفاهيم الالحاد التى قادها فولتير وروسو واصحاب الموسوعة وكان ذلك مقدمة لاشعال الثورة الفرنسية التى حطمت قواعد الوحدة المسيحية الغربية وفتحت لليهودية الطريق الى السيطرة على المجتمع الغربى وتحطيم النظرية الجامعة بين الدين والقومية بتغلب الجنسية واسقاط مفهوم الدين .

رابعا : مفهومنا للادب العربى انه وحدة من وحدات الفكر الاسلامى ، يقوم على قيم الاسلام العليا : التوحيد والاخلاق والعدل والاخاء .

وهى القيم التى قام عليها مضمون الادب العربى بعد الاسلامثم انحرف عنها بعد دخول الوثنيات المجوسية والفارسية .

الاداء العربى الان يحاول أن يفصل بينه وبين بلاغة القرآن والبيان العربى الممتد خلال العصور والذى وصل على ايدى البارودى وشوقى والمنفلوطى والزيات والرافعى الى قمة عالية فهو الآن ينحدر الى لغد الصحافة ، أو ما يسمى اللغة الوسطى .

الشعر ينحرف الآن الى قصيدة النثر والشعر الحر ويتدنى الى مفاهيم منحرفة مكشوفة وأداء مقتبسة ردىء

القصة : تقوم على تصورات غربية مقتبسة من الآداب الغربية ولا تمثل النفس العربية ابدا ، وهى تحاول أن تصور الانحراف والفساد والتحلل والكشف على انها علاقات طبيعية فى المجتمع حتى يعتقد الشباب شرعية وجود هذه الظاهرة والاندفاع نحوها ، وهذا مايجرى عليه أغلب كتاب العصر ، الذين يصدرون اساسا عن مفهوم علمانى لا يؤمن بقيم الدين الحق ، ووثنى يعلى من نظرية عبادة الأصنام ، ومادى لا يقر بوجود المسئولية الفردية ولا الاخلاقية ولا الجزاء الاخروى .

هذا النتاج كله باسم الأدب العربى لا يمثل حقيقة الادب العربى ، وانما يمثل انحرافا طرأ على الادب العربى بدخول المذاهب الوافدة عليه ، وعلى المجتمع ايضا ، ومن هنا فان هذا الادب القائم يتمثل فى تبعية واضحة سواء من ناحية الأداء او المضمون ، من ناحية تاريخ الادب أو النقد الادبى .

واخطر ما هنالك هو تقبل النظرية المسمومة التى تقول بأن الادب العربى له استقلاله عن الفكر الاسلامى وله حريته فى مجال الاداء دون اعتبار للمسئولية الاخلاقية والحدود والضوابط التى قررها الاسلام على المجتمع ، وهذه هى أخطر السهوم المسمومة التى اصابت الأدب العربى اليوم فضلا عن تبعيته فى مصطلحات العصور ، والعناصر .

سادسا : اما أن الادب العربى جدير بأن يكون عالميا فذلك أمر لا سبيل الى انكاره فهو بطبيعته التى يستمدها من الاسلام يمثل المشاعر النفسية السمحة المستعلية على الخطيئة والاباحة ، والمتجهة الى الغيرية بدلا من الانانية والى الجماعية بديلا عن الفردية والتى لا تفقد أخلاقيتها من أجل الجمالية ، ولا تفقد معنوياتها فى رسالة التقدم من أجل ماديتها ، هذا الادب الذى يصور النفس المؤمنة بالله ، المتصلة به ، المندفعة فى سبيل السعى والكسب والعمران لتحقيق المجتمع الربانى جديرة بأن يكون انتاجها الادبى عالميا لانه انسانى بطبعه وخليق بأن يصل الى كل النفوس المشوقة الى الايمان والعدل والاخاء .

ولكن هذه المرحلة من الادب العربى لم تبدأ بعد وترجو الا تتأخر كثيرا .

سابعا : كذلك فان الفكر الاسلامى اليوم هو القادر على تقديم رسالته الانسانية الى العالمين لانه قد تحرر من التبعية وانطلق الى آفاق العدل والرحمة والاخاء الحقيقى ولقد كان الفكر الاسلامى فى ابان الازمات التى لحقت بالمسلمين قادرا على العطاء اكثر من الادب العربى الذى مازال غارقا فى اوهام الاحتواء والتبعية والذى لم يستطع بعد أن يكتشف الاخطار والتحديات التى تواجه العرب والمسلمين نتيجة الحصار الذى تفرضه القوى الاستعمارية وخاصة خطر التحدى الصهيونى المتنامى .

***

ثانيا : مفهوم الأدب الاسلامى

لا ينحصر الادب الاسلامى فى الادب العربى وحده بل يبدأ به ويمتد الى آداب الشعوب الاسلامية غير العربية ، وهو المحضن الاكبر لهذه الآداب وبين الادب العربى والاسلامى صلة البنوة والابوة ، وليس عيبا أن اسلافنا حصروا اهتمامهم فى الادب العربى ولم يتجاوزوه ، بل ان عدم استخدام المصطلح لا يدينهم فلكل عصر مصطلحاته وقد جرت فى العصر الحديث قضايا جديدة منها (توظيف) الادب فى القضايا العقدية وفى آداب الشعوب الاخرى ، وظهور انحرافات خطيرة فى أدبنا العربى الحديث اذ لم تعد تقتصر على الغزل الفاحش وبعض المبالغات بل اصبحت تقصد الى محاربة القيم الاسلامية واحلال قيم أخرى وافدة ومن هنا كانت

حاجتنا الى أدب يحمل لواء قضايانا ويلبى حاجاتنا .

وسهمة الاديب المسلم انه ينشىء أدبا اسلاميا للمسلمين فى جميع المعمورة ويتناول الاعمال الادبية عندنا وعندهم ولابد أن نؤصل الادب الاسلامى ليقف فى وجه الادب الوجودى والادب الاشتراكى . ذلك ان الادب الاسلامى يتخذ موقفا اسلاميا ينطلق من العقيدة وعلى الاديب الاسلامى من اجلّ أن يكون اسلاميا ان يكون على وعى كامل بالاسلام حتى يعلم ماهو حلال وماهو حرام وأن يكون واقفا على كتاب الله عز وجل وما يتصل بهذا الموضوع من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ويتحدث الدكتور عبد الرحمن رافت الباشا (بوصفه) مؤصلا للنظرية اساسا عن المذهب الأدبى الذى نسعى اليه : فيقول :

لما كانت هذه التيارات الاجتماعية قد انبثقت عن نظرة اصحابها الى الانسان والحياة فانه من الضرورى أن يكون للمسلمين مذهب أدبى متميز القسمات ، واضح الغايات ليعبر عن نظرتهم الى الانسان والكون وموقفهم من ادنيا والآخرة ، وقد تبين اننا اليوم اكثر من اى يوم مضى فى حاجة الى منهج لادبنا الاسلامى بعد أن تعرض فى هذا العصر لغزو فكرى ووجدانى وحضارى ما عرفنا له نظطا من قبل وقد وقف الأدب الاسلامى القديم منذ فجر الاسلام سندا للدعوة وظل على مر التاريخ يهاجم الاوضاع الفاسدة ويتصدى للفرق الزائفة ويخلص النصيحة لله ولرسوله ولعامة المسلمين ، وقد ارتبط الادب الاسلامى فى كل زمن مع قضايا عصره وتلاحم معها تلاحما مثيرا للدهشة فقد تصدى للزندقة والزنادقة ووقف موقفا كريما من مختلف التحديات .

اما بالنسبة للخصائص العامة للادب الاسلامى والميزات التى تميزه عن الاداب الاخرى فان اعظم هذه الخصائص هى انه ادب غائى هادف ، ملتزم ، أصيل ، متكامل ، مستقل .

وأن الادب الاسلامى ولد على الالتزام ونبت فى منابته ، وأشار الى الفرق بين الالزام والالتزام من حيث ان الالزام يأتى من الخارج بينما ينبع الالتزام من الداخل وفى هذا يختلف عن مفاهيم الالتزام فى الاداب الاخرى فى فروق متعددة ، كما اشار الى أن الاسلام يقر حق الكاتب فى حرية التفكير وابداء الراى فى أوسع نطاق حيث لم يحاول الاسلام أن يفرض نظرة علمية معينة كما ركز الباحث على اخلاقية الادب الاسلامى وموقفه من تصوير الشر والفضيلة . ويقرر ان الأدب الذى يقود قارئه الى العطف على الانحلال والاعجاب بالرزيلة والانحدار ، انما هو ادب هدام .. أ.هـ.

والمفهوم الاسلامى لنظرية الالتزام فى الادب تقرر بأن الالتزام يعنى ارتباط الاديب بقيمه ومبادئه وهو بهذا المفهوم لا يتوائم مع المذاهب الاوربية التى يصطنعها ادباؤنا المحدثون .

فان دعوة الفن للفن تنظر الى جمال الشكل سواء كان بناء او هداما ، فكان هذا المذهب يعزل الاديب عن الدين والاخلاق ، كذلك فهو يختلف عن المدارس التعبيرية والتأثيرية واللاوعى والسريالية وما فوق الواقع والتى تعادى الواقع وترد الانسان الى غرائزه ومع ذلك فان الالتزام لا يعفى الاديب من مقاييس الجمال الادبى . ويرى بعض الباحثين أن الالتزام الاسلامى هو منطلق لحياة الانسان ، ومن ثم فهو يستطيع أن يتحدث فى اى موضوع حتى فى الجنس بمفهوم الاسلام وقاعدة الالتزام يجب أن تنطلق من مفهوماتنا الاسلامية وأصولنا الاسلامية معتوثيق الارتباط بين الادب والاسلام فى ضوء مقاييس القرآن والسنة

ولا يمكن الفصل بين الشكل والمضمون لان الشكل هو افراغ المضمون فى صورة تعبيرية تتداول القالب الفنى ، الشعر الحر ، شعر التفعيلة ، القصيدة النثرية ، القصيدة المدورة ، الشعر السريالى . ولما كان الشكل الموجود الآن فى الأدب يشتمل على عناصر وثنية ومسيحية فكيف يمكن أن يكون المضمون اسلاميا ويكون الشكل وثنيا ومسيحيا ، ومعنى الالتزام فى الاسلام لا يعنى محاصرة الاديب فى قضايا معينة ..

* * *

الحـــداثة : الباطنية الجـــديدة

الدعـــوه إلى الحـــداثة ردة الى طفـــولة البشرية

مصـــادر البحث :

١ — (ك) الثابت والمتحول : ادونيس .

٢ — (ك) الشعر الحديث الى أين : غالى شكرى .

٣ — مجلة فصول : عدد خاص يضم ابحاث مؤتمـــر الحداثة (محمد برادة — خالد سعيد ، كمال ابو ديب ... الخ) .

٤ — ويحدثونك عن الحداثة : محمد عبد الله مليبارى (جريدة الندوة . جمادى الآخرة ١٤٠٥ ومابعدها) (دكتور طاهر التونسى ، دكتور محمد عبد العظيم ســعود) .

* * *

الدعوة الى الحداثة ليست دعـــوة مرحلية من دعوات التغريب فى مجال الأدب ، ومن حيث تدخل فى اطـــار السريالية والوجودية او مذاهب الكلاسيكية والرومانسية والواقعية وانما هى شىء اكبر من ذلك : انها ثورة على الثوابت الاسلامية الأساسية عن طريق خافت الضوء هو (الشعر) حتى لا تحدث ضجيجا أو صياحا يفسد عليها هدفها الذى تسير فيه حتى تصل الى غايتها الخطيرة ، وهى تقصد أساسا الى محاربة القيم الاسلامية وازاحة فكرة الاصول الثابتة بهدف تغليب طوابع التطور المطلق والتغيير المتوالى الذى لا يعترف أساســـا بالضوابط والحدود والذى يرقى الى فتح الطريق أمام حرية الاباحة وتمجيد العلاقة الجنسية والجرأة على أعلى القيم التى جاءت بها الأديان وذلك بتحطيم هذه الضوابط والحـــدود .

فهى عند فحص كتابات الداعين لهـــا وتعميق كتاباتهم (وخاصة ما نشر من أبحاث مؤتمرهم الذى جمعت أبحاثه لتكشف عن أبعاد هذا المخطط الخطير) يتبين أن وراء هذه الدعوة خطة رسمت بدقة وذكاء ومكر فى نفس الوقت ، قام عليها الحاقدون على كل شىء طيب كريم فى دنيا الاسلام والعرب وقد تعاقدت مطامحهم الى توجيه ضربة قوية للصحوة الاسلامية عن غير الطريق الذى يتوقع منه الضربات ، بل عن طريق مدخل ضيق قد لا يلتفت اليه الكثيرون وهو الشعر ، وقد جاءت حركة الشعر الحر وشعر التفعيلة وغيرها منذ ظهورها مقدمة ومدخلا لهذا العمل الخطير ، قام على رأس هذه المؤامرة شـــاب علوى خدعه (انطون سعادة ، زعيم الحزب القومى السورى واغراه بترك الاسلام والدخول فى المسيحية وحمل لواء الدعوة الى ما أسماه (فينيقيا) وتلقفته الجهات التى استثمرته لخطة عمل بعيدة المدى (على احمد سعيد — أدونيس) وقد أتاحت له تلك الجهات أن يحصل على الدكتوراه فى الأدب العربى من معهد الدراسات الشرقية فى الجامعة اليسوعية . فى بيروت برسالة عنوانها (الثابت والمتحول : دراسة فى الاتباع والابداع عند العرب) حاول فيها أن يهدم صرح العربية الشامخ ويثبت أن أصحابه غـــير مبتكرين او مبدعين ويبرهن أنهم لم يقدموا شيئا للانسانية ..

وفى هذه الرسالة وضع (ايدلوجية) دعوته الى الحداثة التى خدع بها عدد من الشباب الذين عجزت خلفياتهم عن أن تحميهم من السقوط فى هذا المستنقع

* * *

دعـــاة الحـــداثة

دعـــاة الحداثة كانوا كمـــا يقول دكتور محمد عبد العظيم سعود من اقليات بعضها ربما كان متهما فى دينه او ولائه القومى وبعضها كان لا يحظى من الأغلبية بنظرة ارتياح مطلقة . وأن هناك غالبا شيئا ما عالقا بالنفوس ففى سورية كان على أحمد سعيد الذى زين له انطون سعادة أن يغير اسمه الى (أدونيس) منتميا الى الحزب القومى السورى وهو حـــزب أعلن عدائه للاسلام والعروبة معا اذ دعـــا الى فينيقية سورية ثم تحول أدونيس بعد ذلك الى مذهب اللامنتمى وادونيس هو القائل : (أن السبب فى العـــداء الذى يكنه العرب

للابداع ، كل ابداع ، هو أن الثقافة العربية بشكلها الموروث هى ثقافة ذات معنى دينى) .

ويعرف الأستاذ ولسون فى كتابه (اللامنتمى) بقوله : لا صلاح هذا العالم الملىء بالمتناقضات الا بالثورة والغضب وعدم الانتماء الى اية قيمة أخلاقية من القيم الموروثة بل لابد من مواجهة العالم بكل مشاعر الحقد والكراهية) ويقول محمد الماغوط من زملاء أدونيس (على اللامنتمى أن يحس باللاجدوى لأن هذا الوجود بلا موقف ولا دليل ولا مستقر ولا مرشد فليس للامنتمى الا الاحساس بالسأم وتمنى الموت والانانية الفردية ورفض كل المعطيات الخارجية) .

وفى لبنان كان هناك (سعيد عقل) الذى تابع بعض النقاد والشعراء باماتة الشعر وهو الذى خرج بعدها ليعلن أن اللغة العربية لا تفى بالتعبير عن المشاعر ولابد من استبدالها باللغات العامية وان هناك مشكلة فى كتابتها فليست كل أحرفها منطوقة وبعض كلماتها ينقصها أحرف ولهذا كتب ديوانه (يارا) بلغة غربية فى أحرف لاتينية وهو رجل (حراس الأرز) الذين جعلوا شعارهم قتل الغرباء (أى قتل المسلمين) .

وفى مصر كان الدكتور لويس عوض وهو رجل يكرر فى كل مناسبة انه ليس قوميا وانه علمانى وقد لعب هذا الرجل دورا خطيرا فى الحياة الثقافية فى مصر فى الخمسينات والستينات من هذا القرن العشرين حين كانت وسائل الاعلام كلها موجهة وتحت الرقابة الصارمة وكان هو المستشار الثقافى لجريدة الأهرام وقد قام لويس عوض بروح متعصبة دون أى شاعر عمودى يبتغى طريقه الى وسائل الاعلام والنشر من اذاعة او صحافة أو أى وسيلة اخرى الى الجماهير كما يقول الدكتور طاهر أحمد مكى فى كتابه (الشعر العربى المعاصر — دوافعه ومداخل لقرائته) وأفسح المجال واسعا عريضا لكل من يكتب الشعر الحر واذا نشر قصيدة عمودية لشاعر عمودى مثل كامل الشناوى نشرها موزعة الجمل على نحو يوحى بأنها من الشعر الحر ، وفى ظل هذه الحركة تحول شبان كثيرون لما يزالوا شاردين فى عالم الشعر وكان يمكن أن يصبحوا شعراء عموديين ممتازين الى شعراء يكتبون كلاما تافها فى الشكل الجديد واصبحوا كما يقول الشاعر ادونيس وهو ليس متهم فى شهادته لانه من دعاة الشعر الحر المتحمسين له « فى الشعر الجديد اختلاط وفوضى وغرورا تافها وشبه أمية ، ومن الشعراء الجدد من يجهل حتى أبسط ما يتطلب السفر من أدراك لاسرار اللغة والسيطرة عليها ومن لا يعرف فن الشعر غير ترتيب التفاعيل فى سياق ما ، ان الشعر الجديد ملىء بالحواة والمهرجين » .

كان هناك بدر شاكر السياب وعبد الوهاب البياتى وهم من أخلص دعاة الماركسية ، نشر السياب قصائده كلها صيحات انكار وحيرة بل وثورة على الله (جل فى علاه) .

هذا أمر ، أما الأمر الآخر الذى يهدف اليه هذا التيار « فقد كان واضحا فى تلك الرغبة المحمومة فى اظهار الاحتقار للتراث الاسلامى العربى والزراية على الشعراء العرب القدامى المجيدين ، ونعتهم بالصنعة والتكسب واعلاء التراث اليونانى والرومانى على مافيه من وثنية .

ويسخر (أدونيس) من حادثة الاسراء فى قصيدة (السماء الثامنة) ومعين بسيسو الماركسى يهزأ بالتراث وأعلام التاريخ ومن طريقة الاسناد فى الحديث النبوى الشريف ويؤلف منظومة ساخرة (حدثنى وراق الكوفة) عن خمار البصرة ، عن قاض فى بغداد ، عن سايس خيل السلطان ، عن جارية ، عن أحد الخصيان .. الخ والحق أن الشعر الحر مشرع بالدعوة الى الاباحية على نحو لم يشهده الشعر العربى الا عند بعض الشعراء الشواذ المنبوذين .

والعجيب أن دعاة هذا اللون العجيب قد قفزوا الى كثير من البلاد العربية الى حيث التحكم فى وسائل الاعلام حتى انك تكاد تراهم يسيطرون سيطرة تكاد تكون كاملة على هذه الوسائل فى بعض بلدان العرب ، وفى هذا الجو الارهابى أصبحت ترى شعراء عموديين يكتبون قصائدهم أو يعيدون كتابتها بعد تسطيرها وتبييضها وتقطيعها ارضاء لهم وتقية .

وقد ترجم كثير من تلك القصائد ليس لجودتها وانما أولا لسهولة ترجمتها لمستشرق شاذ ، أو لدوافع سياسية وعلل دينية ونحن نرجح انها حركة مقصودة اريد بها طعن اللغة العربية : لغة القرآن والاسلام وعمادهما توطئة للاجهاز عليها . وستبقى العربية والشعر العمودى وسيبقى من فوقهما القرآن والاسلام الى أن يرث الله الأرض ومن عليها ولن يعمد هذا المسمى بالشعر الحر طويلا لانه لا يعلق بالذاكرة ، ويستعصى على الغناء ، أو يفرط فى الرمزية المتطرفة الجامحة والغموض والتلفيق » أ.هـ.

واذا ذهبنا نستعرض الدعاة الى الحداثة نجدهم جميعا من متعصبى الأديان الذين دأبوا على محاربة الاسلام واللغة العربية واتخذوا شعار الحداثة ستارا

ينفثون من تحته سمومهم ويظهر ذلك واضحا فى كتاب غالى شكرى (شعرنا الحديث الى أين) ومنهم أدونيس والماركسيون أكبر أعداء الاسلام : بدر شاكر السياب والبياتى ودنقل ، وشعراء المجون وكان يوسف الخال قد رسم الخطة لهؤلاء وساقهم اليها وهو مبشر مسيحى يقـــول :

(خاسر من يبيع ثلاثة ويشترى واحدا)

يقصد بالثلاثة عقيدة التثليث المسيحية والواحد هو عقيدة الاسلام ومنهم أمير اسكندر (مسيحى ماركسى) جبرا ابراهيم جبرا ، أسعد زروق ، ولويس عوض ، وخليل حاوى، وتوفيق صايغ، وشوقى ابن سقا ، وميشال طراد وميشال سليمان وفتحى سعيد وسعيد عقل وموريس عواد وكلهم مسيحيون ، ويقول الدكتور طاهر التونسى بعد هذا العرض أنه حتى عندما انتسب الى مدرستهم بعض من تسمى بالاسلام استعمل التعبيرات المسيحية ويبدو ذلك واضحا فى شعر بدر السياب الذى يدعى أن المسيح صلب وقد كذب وكذب أساتذته النصارى واليهود (فما قتلوم وما صلبوه ولكن شبه لهـــم) ويذكر عد آدم وحواء القصة كلها كما روتها التوراة لا كمـــا رواها القـــرآن » .

وقد أشـــار لويس عوض الى أن صـــلاح عبد الصبور يقرأ الانجيل بحماسة وأنه دخل دائرة الخلاص المسيحية ، وتجـــد التركيز على التراث المســـيحى والمصطلحات المسيحية واضحة فى شعره ، وقصيدة (حكاية قديمة) عن المسيح وصلبه ونظم بعض أبيات من (نشيد الأنشاد) وتجـــد ذلك فى معين بسيسو ونذار قبـــانى :

(مصلوبة الشفتين ، الصليب الذهبى)

وعبد الوهاب البياتى (فى صليب الالم) ..

***

أيدلوجية الحـــداثة

أجمع الباحثون على أن (الحداثة العربية) هى ثورة متمردة على كل نظام وقاعدة وقانون وانها ترمى الى هدم الضوابط والحدود والقيم والقواعد التى قدمها المنهج الربانى افساحا للمنهج البشرى : القائم على التحول الدائم ، ويرى البعض أنها ثورة اجتماعية هدامة تتخفى وراء الشعر والأدب لتحجب غايتها وحركتها ، ولذلك فان دعـــاة الحداثة يهاجمون الثوابت التى قدمها الدين الحق فى عنف شديد ويصفونها بالجمود والمحافظة والتحكمات وقد وصفها الأستاذ محمد عبد الله مليبارى بأنها باطنية جديدة تحاول غزو مبادئنا وقيمنا بدءا من الشعر وانتهاء بالعقيدة الاسلامية وأن المسألة ليست أن يكون الشعر عموديا أو غير عمودى أو تفعيليا أو نثريا ، ولكنها أكبر من ذلك ، أنها محاولة هدم فى مختلف قضـــايا النصر : السياسية والاجتماعية والاقتصادية وما يتصل بهـــا من تحرير وحرية وعدالة. (٢) وقضايا العصر التعليمية والعلمية والتقنية وما يترتب عليها من مشكلات . (٣) وقضايا العصر الأدبية والفنيـــة وما يستحدثه من أجناس ومدارس واتجاهات .

ويمكن القول أن هذه المؤامرة قد وضعت قواعدها على أساس حركة الزندقة القديمة وجماعة المجان الذين كان على قيادتهم (الشاعر الفارسى أبو نواس) الذى كان حاقدا على الاسلام والذى جندته قوى الباطنية والمجوسية والقرامطة ليهدم عن طريق الشعر جميع مقومات الثبات الاسلامى فى البيئة العباسية وقد أعانه على ذلك مجموعة من الزنادقة والشعوبيين الذين تركوا تراثا مسموما أستطاع المستشرقون أحيائه عن طريق شعوبى جديد يحمل فى أعماقه جميع أحقاد المجوسية والباطنية وقد وضع نظرية الحداثة على ستة أصول :

١ ـــ نظرية التطور المطلق التى تصلها من فكر هيجل فى دعوته الى الغـــاء الثوابت وهى نقيض نظرية أرسطو وقد أصطنعتها القوى الصهيونية والماسونية لاحياء الفكر التلمودى وخلق نظرية تقول بأنه ليس هناك شىء ثابت ؤصلا وأن كل شىء متطور وذلك لهدم ثبات الأديان والاخلاق والقيم . ويرون أن الانسان هو محور العـــالم .

٢ ـــ احياء الوثنيات القديمة فقد كشفت رسالة أدونيس عند تقديمه الوافر لفكر أبو نواس واهتمامه بفكر الملاحدة وأصحاب نظرية وحدة الوجود والحلول والاتحاد واعادة احيائها من جديد وهى الخطة التى وضع قواعدها المستشرق لويس ماسينيون .

٣ ـــ تحطيم عمود اللغة العربية ، وهدف تحطيم الفصحى لغـــة القرآن هدف قديم وقد شارك فيـــه كثيرون منـــذ بدأت حركة التغريب والغـــزو الثقافى (ويلكوكس ـــ لطفى السيد ـــ سلامة موسى ـــ سعيد عقل) .. الخ أملا من هؤلاء الدعاة فى أن تحطيم اللغة العربية سيحولها الى المتحف ويفسح الطريق أمام تمزق الوحدة القرآنية الاسلامية الجامعة .

٤ ـــ تحطيم عمود الشعر وذلك ايمانا بأن عمود الشعر هو القاعدة الأساسية للادب والبيان العربى بعد القرآن والسنة ومن هنا جاءت الحملة على الخليل بن أحمد وعلى كل الشعراء الملتزمين للنظم العربى الأصـــيل .

٥ ـ مهاجمة مفهوم الثبات والقيم واطلاق اسم السلفية عليه ، والسلفية هنا تعنى المعتقد الدينى فالحداثة ترى أن فى الأفكار الباطنية والصوفية تحولا عن الثبات الدينى به وتعتبر هذا التحول منطلقا تاريخيا للحداثة العربية .

٦ ـ تقليب مفاهيم السريالية (النظرة التى لا يحكمها العقل أو ما يسمى فوق الواقع وقوامه احتقار التراكيب الفعلية والروابط المنطقية المعروفة والقواعد الاخلاقية والجمالية المألوفة والاعتماد على اللاشعور واللامعقول ، والرؤى والاحلام والحالات النفسية المرضية لاسيما حالات التحلل النفسى ويعنون بالرغبات الجامحة .

٧ ـ تغليب طوابع الجنس والاباحة استمدادا من مفهوم الانحراف وعبادة الجسد واباحيات الوجودية التى دعا اليها سارتر، والتحليل النفسى الذى يعتمد نظرية الجنس التى دعا اليها فرويد ونظرية العلوم الاجتماعية التى دعا اليها دور كايم وفتح ابواب المجون والجنس والاباحة والتحلل الاجتماعى .

***

٨ ـ على أن يدور ذلك كله فى اطار (التاريخانية) وهى الحتمية التاريخية لماركس فالمنهج الماركسى التاريخى هو الأساس الايدلوجى للحداثة .

وقد عمد (ادونيس) فى سبيل صياغة هذه النظرية التى قدمها له شيخ المنظرين القس يوسف الخال الى استقطاب خيوط من التاريخ لتكون ادلة واضحة واضواء كاشفة على الطريق وذلك بالاعتماد أساسا على الفكر الباطنى الفلسفى والصوفى والاهتمام برموزه ومحاولة ربط الخطوات بتطور الشعر الحديث بالمرحلة الأخيرة منه (قصيدة النثر وشعر التفعيلة ، واختيار الحاقدين الجدد على نسق الحاقدين القدامى : أبو نواس ومهيار الديلمى واعتماد الحركات التمردية الهدامة للمختار الثقفى والقرامطة والزنج وقد خطأ دعاة (الحداثة) خطوة متقدمة على مفهوم العصرية من ناحية والشعر الحر من ناحية أخرى .

فالشعر الحر تقليد لشعر (والت ويتمان) أما شعر الحداثة فهو متابعة للشاعر الصليبى توماس اليوت ويرى دعاة الحداثة أن الشعر الحر هو التيار (السلفى) الجديد بالنسبة لشعر الحداثة .

أما توماس اليوت فهو زعيم هذه المدرسة فى العرب عن طريق مستشرقى الهند وفرنسا وحذفه اسم

ويقول دكتور عبد الله الطيب : لقد حذف اليوت فى منظومته (الأرض المقفرة) اللفظ الدال على العرب واستبداله بكنيسة ماغنسى وردد اشياء من التوراة والانجيل ويرجع هذا الى الشعور الصليبى الموروث الصادر عن تعصب دينى أو عنصرى اذ لا يخفى أن ظلال جزيرة العرب لا تخلو من معنى ظلال سيوف محمد وصلاح الدين والاسلام والجهاد ، فهو يرجع الى الشعور الصليبى الموروث والتعصب الدينى أو العنصرى ومرده الى الزهو والغرور والاعتقاد بالانتماء الى حضارة اليونان والرومان » .

ولا ريب أن كتمانه سرقته للمعلومات وشعر العرب عن طريق مستشرقى الهند وفرنسا وحذفه اسم العرب واسماء من اشاروا اليهم ، كل هذا يؤكد الشك فى اصالة اليوت فى منظومته (الأرض المقفرة) ويؤكد فساد وجهة الذين تابعوه من دعاة الشعر الحر والحداثة .

الحشاشية : هى الجذور ..

ويحاول ادونيس ودعاة الحداثة أن يردوا فكرتهم الى القديم : وهم صادقون فى ارتباطهم بالحشاشين والباطنية والمجوسية المتنامية فى القرامطة ويتحدثون عن جذورهم فى ابى نواس وابى تمام والرازى وابن الراوندى ، على أساس أن الخاصة الرئيسية التى تميز هذا النتاج هى ادانة التقليد والمحاكاة ورفض النسج على منوال الأقدمين ويركز ادونيس فى كتابه (الثابت والمتحول) على الحركة العقلية والفلسفية والعلمية عند ابن الراوندى والرازى ويراه فى الحركة الصوفية (الفلسفية) وفى التيارات الالحادية أو مايسمى حركات الزندقة والشعوبية وفى طليعتها الحركة القرمطية

***

الحداثة وخلفياتها الأيدلوجية

تهدف الحداثة الى تجاوز القواعد الأساسية للاسلام : قواعد الثوابت التى هى بمثابة الضوابط والحدود الى تحفظ شخصية الفرد والوجود الاجتماعى وهى تحاول أن تخدع الناس بأن هؤلاء الرواد والرموز السابقين قد حطموا هذا القيد وتجاوزوه وأن هذه المحاولة هى التى مكنتهم من الابداع وهم يدعون بأن الحداثة هى الثورة الدائمة لتجاوز التأخر والجمود والارتقاء الى منطلق العصر .

وترد ذلك كله الى (التاريخانية الماركسية) كمدخل للحداثة . وترى أن هؤلاء الرواد قد اقتحموا مفهوم الزمن الدينى ومن ثم فهم يركزون على (فكر التجاوز) وانه مصدر الابداع وأن هذا التجاوز لا يتوقف فهو فى حركة دائمة .

هذا هو مفهوم (الثابت والمتحول) ..

وهذا التجاوز يرمى الى تزعزع فكرة النموذج او الأصل ، أى ان الكمال لم يعد موجودا خارج التاريخ ، وأصبح الكمال تمعنى آخر كامنا فى حركة الابداع المستمرة .

هذه المحاولة كاذبة ومضللة ومحكوم عليها بالسقوط لانها لا تقوم على اى أساس من الفطرة او العلم أو الحق او المنطق ، وانما هى نوع من التمويه الكاذب والخداع المضلل ، لان كل هؤلاء الذين اعتمد عليهم مفهوم الحداثة من رموز قديمة قد سقطوا فعلا وداستهم الأقدام ولم يدخلوا التاريخ الا فى باب الشعوبيين والباطنيين وأعداء الانسانية . ولقد هزموا فكريا فى عصرهم وذهب كل ماقالوه من اكاذيب وادعاءات حتى جاء الاستشراق والغزو الفكرى ليعيدهم مرة أخرى الى الحياة ، وهى محاولة محكوم عليها بالانهيار والدمار ، كالمحاولات الأخرى التى سبقتها ولن تجدى هؤلاء الدعاة الجدد نفعا لانها لا تقوم عندهم من منطلق امين او من منطلق غيرة على هذه الأمة او رغبة فى السمو بها ولكن من منطلق حقد دفين وكراهية وهزيمة،والمهزوم يعمل دائما على كسب المهزومين الى صفة ليحس بأنه ليس منبوذا،ولقد كان دعاة الشعوبية والباطنية مهزومين منعزلين شأنهم شأن أبى نواس وبشار فى القديم حيث كان يتحاماهم الناس ، واذا كان قد أتيح لهم عن طريق « أحد غلمان التغريب والشعوبية » أن يذيع لهم فكرهم على هذا النطاق الواسع فانها ليست الا صيحة مضللة قد أغمدت الأقلام الاسلامية فيها خناجرها .

ان هؤلاء دعاة الحداثة انما يدعون الى توهين السلطة المطلقة وهى الدين والنيل من السيد الأعظم (الله تبارك وتعالى علا وجل عن كلماتهم المسمومة) ولن يتحقق يوما أن تغلب الفئة الباطلة على النظام الربانى القائم ، فى حكمه وقواعده وأى أصل من أصوله ، على الحق مهما تجمع لهذا دعاة الشعوبية والباطنية .

ويرمى أدونيس الى الغاء القديم الأزلى الباقى **جل جلاله ، ومفهوم الزمن عند أدونيس يتعارض مع** مفهومه الدينى ، والغاء الزمن الدينى يرمى الى الغاء كل قديم باعتبار أنه لا شىء فى الوجود اسمه قديم ويهدف من ذلك الغاء فهمنا للقرآن الكريم وانه كلام الله القديم .

والحرية عن الحديثيين هى التحلل من كل قيد دينى أو اجتماعى أو نظامى أو قانونى .

وهم عندما يسمون الحداثة (الثورة المتجهة لتجاوز السلفية) يقصدون تجاوز قيم الدين والأخلاق .

وحين يدعون الى حرية اللغة يقصدون الخروج باللغة عن سيادتها ومضمونها وتحررها من اطارها التاريخى والبلاغى المرتبط بالبيان العربى والقرآن الكريم .

ويؤرخ أدونيس للحداثة بالدعوات التى خرجت على الاسلام (المختار الثقفى والزنج والقرامطة) ويرى أنها قامت بالتحرر من الثبات، وكذلك دعوات الزنادقة (فى الشعر) والاباحيين ودعاة وحدة الوجود والحلول والاشراق .

وبالجملة فان الحداثة (أيدلوجية مناهضة) للاسلام والدين الحق والأخلاق تقوم على الغموض فى فهم النص ، وتفسيره تفسيرا مختلفا (لأن الشاعر عندهم ليس مطلوبا منه أن يفهم ما يكتبه) ودعواهم الباطلة أنهم يتشبهون بتفاسير القرآن متناسين أن لمفسر القرآن شروطا لابد أن تتوفر فيه .

وهم حين ينكرون العمودية فى الشعراء والتقيد بالوزن والقافية انما ينطلقون من مفهوم الحداثة القائم على التمرد والثورة على كل قيد عقدى أو فنى (كما تمرد أبا نواس وصوفية وحدة الوجود والحلاج وابن عربى ونظرية الحاكم بأمر الله) .

وقد استعمل الحداثيون نفس الألفاظ التى استعملها الباطنية سواء فى الغرب (نيتشة وفرويد) أو فى الشرق (الباطنية والحلوليين) .

ويرد أدونيس مفاهيمه الى أصولها ..

(السريالية قادتنى الى الصوفية وتأثرت بها أولا ولكنى اكتشفت انها موجودة بشكل طبيعى فى التصوف العربى (يقصد التصوف الفلسفى) وتأثرت بالماركسية ونيتشة من حيث القول بفكرة التجاوز والتخطى وتأثرت أيضا بأبى تمام وأبى نواس من حيث فهم اللغة ولم تكن ثورة المختار الثقفى والثورات القرمطية وثورة الزنج الا توكيدا للقاعدة المادية (الأرض ــ الاقتصاد ــ علاقات الانتاج) .

ومن هنا تعرف أن حداثة أدونيس هى تلفيق من فكر الباطنية والملاحدة والاباحيين فى الشرق والغرب وانها تستهدف (ثوابت الاسلام) والايمان بالغيب وتقوم على أسس ثلاثة ..

١ ــ عدم الانتماء لأى قيم أو منهج .

٢ ــ التمرد على كل الثوابت وفى مقدمتها الدين والاخلاق .

٣ ــ استعمال قواعد اللغة استعمالا مغلوطا .

٤ ــ بناء الصور الشعرية على أنقاض الأساطير القديمة .

وأخطر ما يركز عليه دعاة الباطنية الحديثة (الحداثة) هو ما يسمونه (المطلق) وهو الله تبارك وتعالى وما من واحد من هؤلاء الا وله فى هذا المجال شعر ردىء هابط ملىء بالالحاد والفجور والله تبارك وتعالى أعلى وأجل عما يقولون وهذا ينكشف أن الهدف الحقيقى هو الثورة على العقيدة والالوهية والجذور الأصيلة للتكوين الاجتماعى وعلى كل ماهو متعارف ومقعد ومنظم ومتقن حتى القواعد اللغوية .

ومهاجمة النص المقدس عملية واضحة وأساسية فى دعوتهم ..

يقول كمال أبو ديب : (من الدال جدا على أن النص المقدس فى جميع الثقافات التى نعرفها هو نص قديم فليس هناك من نص مقدس حديث والحداثة بهذا المعنى هى ظاهرة « اللاقداسة ») .

وهو يقصد بالنص المقدس القرآن والأحاديث النبوية وكل كتاب دينى تقدسه الأديان وتقول (لانه لا سبيل لان يكون الأدب حداثيا الا اذا رفض كل نص مقدس وأصبح نقيضا لكل ماهو مقدس حتى العبادة .

فالدعوة الى تدمير القداسة هى هدف أساسى فى دعوة الحداثة وهى لا تقف عند ذلك بل تدعو الى مفارقة الخطيئة وبكارة الانسان واحراق التراث والغاء الخطيئة أى لا خطيئة فى الحياة (الزنا ، الربا ، السرقة ، الحقوق .. الخ) فيقولون : كلمة الخطيئة يجب أن تشطب من قواميس اللغات .

والدعوة الى العصيان المعلن قاعدة أخرى متمثلين بقول « أبى نواس » ..

فان قالوا حرام قل حرام
ولكن اللذاذة فى الحرام

وقد أعلن أدونيس فى كتابه (الثابت والمتحول) أنه يرمى الى تحول يزلزل القيم الموروثة من (بيئية) واجتماعية وأخلاقية ، تحول فى الثقافة العربية التى يبثها الاسلام بقيمه الدينية .

والمعروف أن الأب بولس نويا اليسوعى هو الذى قدم له منهجه ووصفه بأنه (شاعر التحول المستمر)

وقد ركز على عبارة أدونيس (نفسى تجردت من الماضى وقيمه كلها بما فيها القيم الدينية والخلقية) .

وعلق الأب بولس على ذلك فقال : لقد انتهيت الى نتيجة هى أن الرؤيا الدينية هى « السبيل الأصلى فى تغلب المنحى الثبوتى على المنحى التحولى فى الشعر ، أن النظام الشامل الذى خلفه الدين (بقصد الاسلام) كان العامل الأساسى الذى جعل المجتمع العربى فى القرون الثلاثة الأولى يفضل القديم على الحديث بحيث أنه وضع القديم فى مجال الكمال واعتبر كل جديد خروجا على المثال الكامل » .

وهكذا نرى كيف تتضافر قوى كثيرة على تأييد هذا المذهب وتشوه صفحات التاريخ الاسلامى وترى أن قلة من الزنادقة ظهروا فى القرن الثالث وداستهم الأقدام كانوا عوامل تجديد وحداثة كاذبة بدعوى أنهم تجاوزوا الثوابت واجترءوا على الحقائق الاسلامية .

وهكذا كانت دعوة الحداثة : **التحول هو المنطلق** وأن التجرد من كل الموروثات التى تمت مع نمو تاريخنا الاسلامى هو أساس الموجهة ، ومن العجيب أن أدونيس وثلته كانوا من المتجردين من موروثاتهم وأوساطهم وأسرهم وعقائدهم التى نشأوا عليها وتنكروا لما غذتهم به أمهاتهم وآبائهم من ايمان وهكذا يدعو هؤلاء الخارجون على أمتهم ــ يدعون الناس الى خروج مثل خروجهم . ان هؤلاء ينكرون مفهوم الاسلام الجامع بين (الثوابت والمتغيرات) ويلجأون الى مفهوم الغرب الذى كان يؤمن بالثوابت وحدها وقد دفع هذا بعض المفكرين الى تحطيم الثبات بالدعوة الى (التغير المطلق) ولكن هذه الدعوة لا تصلح فى أفق الفكر الاسلامى لأنه لا حاجة له بها ، لما جاء الاسلام أرسى قواعد الثبات ونظم وسائل التحول والتغيير والتطور من داخل الثوابت الأساسية القائمة على الخلق والمسئولية الفردية والايمان بالبعث والجزاء ومن هنا وقف الاسلام أمام كل دعوة باطلة ترمى تحت اسم التحول الى القضاء على الثوابت أو هزها أو النيل منها .

وتلك سنة الله فى خلقه وناموسه فى قيام الأمم والحضارات وتحولها وسقوطها .

وكل الدعوات التى حاولت أن تنال من لثوابت الاسلامية ، كالبابية والبهائية والقاديانية والقرمطية فقد تحطمت لأنها مخالفة لمنهج الله نفسه وقانون البقاء وستذهب (الحداثة) وتدوسها الأقدام قبل أن يعرف دعاتها من أين آتهم الجائحة **(وآتاهم الله من حيث لم يحتسبوا)** مهما بلغ ارتفاع أسهمهم فهو الى انحسار وانتشار فكرهم فهو الى زوال .

مقطع الرأى فى (الحداثة) انها :

اولا : ردة الى طفولة البشرية وهجوم مستتر

على الفصحى : لغة القرآن بهدف تدمير منظومة البيان العــربى المرتبط بالقــرآن الكريم والسنة وترمى الى فى جميع كتابات العلماء والمؤرخــين والفقهاء والتى تقوم على فقه اللغة والبيــان والتحقيق التاريخى الذى استمده المسلمون من علم الحديث النبوى .

ثانيا : تهدف الى تقويض المنزع الحقيقى للأدب العربى المرتبط بالقــرآن الكريم والسنة ونزوع الى اغــــراقنا فى مذاهب التجــريدية والرمزية والدادية والسرياليـــــة .

وقد وصفه الدكتور محمد مصطفى بدوى بأنه (الفن الذى استجاب لمــا حل بأوربا مــن اضطراب شامل وكان نتيجة لانعدام اليقين والتجديد المعلن ، انه الفن الوحيد لذى يصلح لانهيار العقل ولما أصارت المدنية من دمار أبان الحرب العربية الأولى ، انه فن الرأسمالية ، دارون وماركس وفــرويد ، جاء بعــد القضاء على الحقائق العامة المشتركة وعلى افكارنا التقليدية عن العلية وبعد اندكار الآراء المتوارثة عن وحدة الشخصية الفردية فأين نحن العرب من هذه الأشيــــاء .

ان (المودرنزم) حركة أوربية ليست مقصورة على دولة واحدة من دول الغرب وهى شديدة الصلة بتاريخ أوربا السياسى ومرتبطة بفقدان الايمان الدينى وهى تطوير للرومانتيكية والرمزية والواقعية بل ظهر ما يسمى با (بعد المودرنزم) .

وهــذا تختلف تماما عن طوابع الأدب العــربى العميقة الصلة بالقيم الأساسية من الدين والاخلاق .

واذا كانت هذه الدعوة المدعاة قد وجدت من بعض القوى ما يفتح لها الطريق ، فان هذا البريق الهلامى سوف لا يثبت تحت ضوء الشمس ، وقد انهزم شعراء الحداثة فى المواجهة وتراجعوا فى كثير من موقع وحاولوا أن تغييرواخططهم وقالوا ان شعر الحداثة يقرا ولا يلقى ، وعجز أصحاب الحداثة عن بيان ما فى نفوسهم فادعــوا انهم طــلاب غموض وقد رفضهم المثقفون واتهموهم وانقطعت الجسور بينهم وبين الأدب الاصيل ذلك أن هذه الدعوة وافدة وليستلها جذور وهى كالنبت الذى يوضع فى الأرض فلا ينبت وقد رفض الجسم الاسلامى العضو الغريب فى محاولات كثيرة سابقة ، وفى هذه المحاولة يرفض التغريب بحسم ويرفض ما وراءه من أهواء ومن أهداف ومطامح ومطامع ، لم تعد خافية على أحــد .

* * *

الباب السادس عشر

أسلمة الاقتصاد

ان أسلمة الاقتصاد جزء من أسلمة المناهج الاجتماعية التى تتحرك فى دائرتها الأمة الاسلامية ، وهو ضرورة أساسية لتحرير الوجود الاسلامى من التبعية ومن الآثار الجائرة والظالمة التى أساءت الى مواردنا وانتهبتها وحرمت منها أهلها فان القوى الغربية التى سيطرت على المجتمع الاسلامى عمدت الى احتواء اقتصاد المسلمين وفرضت عليه أساليب التعامل الرأسمالية القائمة على الربا والرشاوى ونهب الموارد واستقدام الخبراء والمصنعات ومن ثم أدخلتنا فى متاهة واسعة من الأساليب المضطربة التى كان علينا ان نستسلم لها وقد فرضت علينا ما دمنا لسنا قادرين على امتلاك ارادتنا ، ومن ثم دخلت بلاد المسلمين فى أزمات القروض والفوائد وخضعت المصارف الأجنبية . بل ان الدول البترولية ذات الفوائض الضخمة أيضا وقعت تحت سيطرة الاقتصاد الأجنبى وعجزت عن استقدام فائضها ومدخراتها لاقامة صناعات فى بلادها . وكان أخطر مافى هذه التبعية خضوع الاقتصاد الاسلامى كله لأسلوب الربا والمصارف الأجنبية .

ومن هنا فقد علت الصيحة لتحرير المال الاسلامى وتطهيره من المعاملات الربوية والتحرر من الخضوع لكلا المذهبين الاقتصاديين العالميين الرأسمالى والاشتراكى بعد أن تكشف اضطرابهما وفسادهما والدعوة الى نظام عالمى اقتصادى جديد .

ويرجع هذا أساسا الى فساد نظرية الاقتصاد السياسى نفسه الذى قامت عليه المعاملات الاقتصادية فى الغرب والذى وضع قاعدته (روبرت اوين) ثم جاءت الموجة الثانية بنظام الاقتصاد الاشتراكى الذى كان بمثابة رد فعل أشد اضطرابا على منهج الرأسمالية المضطرب .

وقد كشفت الأبحاث عن الاختلاف العميق بين مفهومى الاقتصاد الاسلامى الاقتصاد الغربى كما كشفت عن فساد المنهج الاقتصادى الغربى المعاصر الذى يختلف فى أهم ما يتمثل فيه الاقتصاد الاسلامى هو انطلاقة من منهج الله ايمانا بأن المال كله لله وأن الانسان مستخلف فيه وأن عليه أن يتعامل معه على أساس العدل والرحمة والاخاء وان يكسبه من حلال وينفقه فى حلال وأن منه حقين : حق للمجتمع وحقا للمسكين والسائل والمحروم وأن الحرية فيه منضبطة لها حدود لا يتجاوزها وأن الربا على اطلاقه حرام .

(٢)

فالمنهج الاقتصادى الاسلامى جزء من كل متناسق ومتماسك هو الشريعة الاسلامية التى جاءت بقواعد كلية عامة فيما يتعلق بالمسائل التى تتطور بتطور البيئة والمجتمع وقد جاءت الشريعة بضوابط تفصيلية فى المسائل التى لا تتطور بتطور الزمن كالمواريث والعبادات واحكام الأسرة وضوابط الشريعة وكلها تهدف الى حماية الانسان مما يتجاوز الطاقة البشرية أو يرهقها

وللمنهج الاقتصادى الاسلامى ذاتية خاصة تتمثل فى :

اولا : الجمع بين الثبات والتطور ، أو خاصية الالتزام بأصول معينة وفتح باب الاجتهاد فى التفاصيل وملاءمة التطبيق .

ثانيا : الجمع بين المصلحتين الخاصة والعامة . ومناط الاقتصاد الاسلامى هو « المصلحة » وتختلف المصالح باختلاف الظروف وتتقدم المصالح حسب أهميتها ويجرى التوفيق بين مصلحة الفرد ومصلحة الجماعة فى حال التعارض ، وتتقدم المصلحة العامة على مصلحة الفرد فى حالة عدم امكان التوفيق .

ثالثا : الجمع بين المصالح المادية والحاجات الروحية والاحساس الدائم برقابة الله تبارك وتعالى لكل تصرف .

رابعا : ارتباط ما هو مادى وما هو روحى فى الاسلام .

خامسا : ازدواج الرقابة ، الرقابة العلنية والوازع الدينى الداخلى .

سادسا : المصالح المادية مقصودة ولكن ليس لذاتها .

سابعا : الحرية الاقتصادية موجودة ولكنها مقيدة .

يقر الاسلام حرية الأفـــراد فى ممارســـة نشاطهم الاقتصادى ولكنه لا يترك هذه الحرية مطلقة بل يقيـــدها بقيود أساسية :

أولا : أن يكون النشاط الاسلامى مشروعا حسب المفهوم الاسلامى ومن أجل هذا حرم الاسلام انتاج الخمور أو التعامل بالربا أو الاحتكار أو كنز المال أو حبسه عـــن التداول والانتاج أو حتى صرفه فى غير مقتضى العقل والا عد المرء سفيها وجاز الحجز عليه .

ثانيا : أن يكون النشاط متفقا مع المصلحة العامة .

وهذا هو السبب فى تحريم الاسلام بعض أوجـــه النشاط الاقتصـــادى المشروع متى كان يلحـــق ضررا بالآخرين يفوق ما يعود على أصحاب هـــذا النشاط من منفعة ، وهذا هو السبب فى القيود التى وضعها الاسلام على الملكية الخاصـــة فجعلها مجرد وظيفـــة اجتماعية فالحرية الاقتصادية موجودة ولكنها مقيدة فى حدود معينة وحـــق الملكية الخاصـــة مقيد بمبلغ اتخـــاذه سبيلا الى الأضرار بالغير أو عدم تنمية المال بالوسائل المشروعة .

ثالثا : المال مال الله وحده والانسان مستخلف فيه .

ففى الاســـلام : المال مال الله وحـــده والانسان مستخلف فيه استخلفه الله للانتفاع بهذا المال الذى يوجه فى سبيل الله ، أى فى سبيل مصلحة المجتمع ، والمال تطهره الصدقة والزكاة ركن من أركان الاسلام وهو نظام للتعاون .

ويرمى الاسلام الى تداول المـــال بين الناس دون تداوله بين طائفة خاصـــة وقد قيد الشرع حق التصرف بالانفاق بمنع السرف والتقتير ومع العمل على تنمية الثروة بمنع الغش والربا والقمار والاحتكار .

وللمرأة أن تزاول التجارة والصناعة وان تتولى العقـــود والمعاملات وان تملك كل أنواع الملك وأن تنمى أمـــوالها .

رابعا : اقرار التوازن فى الحقوق .

وضع الاســـلام نظاما حكيما يحـــول دون تضخم الثروات بين يدى أقليـــة وتكفل لكل فرد حياة انسانية كريمة تحفظ له مقوماته وحقوقه ، وتقضى هذه الأحكام باقرار التوازن فى الحقوق بين الأفراد وذلك بمنع التعسف فى استعمال الحق الخاص ومنع الاحتكار فى التجارة ومبدأ الزكاة يهدف الى استرداد المال المختزن فى أربعين سنة وبذلك تنتقل الثروة كل أربعين سنة بين أيدى الناس الى أيدى آخرين .

(٣)

وللاقتصاد الاسلامى قواعده الأساسية التى تمثل منهجا جامعا :

١ ـــ يقوم المجتمع الاسلامى اللاطبقى أساسا على العمل ولا يسمح بانفصال الملكية عن العمل لأن العمـــل واجب مقدس .

٢ ـــ يربط الجـــزاء بالعمل على أساس الفرص المتكافئة **(ولكل درجات مما عملوا)** .

٣ ـــ يمنع التفرقة ويعتبر فرض الاسلام حدا أعلى للدخل (أى الثروة الخاصة) تحقيقا لعدالة التوزيع ومنعا للاستغلال والتسلط الطبقى .

٤ ـــ فرض الاسلام حدا أعلى للدخل ـــ أى الثروة الخاصة ـــ تحقيقا لعـــدالة التوزيع ومنعا للاستغلال ولما لم يقيد الاسلام هذا كذلك فلاحد نسبى له يختلف من مكان لآخر ومن عصر لآخر ، ومن ثم يجب تركه لتقدير الحاكم بما يتفق مع ظروف المجتمع والعصر الذى يعيش فيه وهذا التقدير يمكن انفاذه بضوابط أربع يضعها الحاكم فى أى عصر وأى مجتمع وهى التى تعمل تلقائيا كصمام أمن ضد ظهور طبقة مستغلة مسيطرة سيطرة الأفراد فى جميـــع الدرجات وبهذا يكون (سواسية كأسنان المشط) .

* * *

الضوابط الأربعـــة

أولا : أن لا تترك الأموال لدى قلة من الأفراد الى الحـــد الذى يتخـــذون منها اداة للتسلط الاقتصـــادى والاجتماعى **(كى لا يكون دولة بين الأغنياء منكم)** .

ثانيا : أن لا تترك الأموال تتجمع لدى بعض الأفراد الأغنياء الى الحد الذى يدفع بهم الى الانغماس فى الترف ومظاهر التميز ، الأمر الذى سرعان ما يؤدى الى تحلل المجتمع وانتشار الفساد ولا يلبث أن يعمل على انهياره تمامـــا كما حـــدث لمجتمعات انغمست فى الترف وما فوق الكماليـــات .

(واذا أردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا) .

ثالثا : اذا تجمعت الأموال لدى بعض الأفراد ـــ ولا توجـــد لديهم نزعـــات التسلط أو الانغماس فى الترف والتحلل فان تجميـــع الأموال لمجرد الجمع أى (الاكتناز) أمر يتنافى مع مصلحة الجماعة ؛ لأنه يحبس الأموال عن دورة النشاط الاقتصادى شأنه شأن من يحبس ماء النهر عـــن أرض الغير ولذلك حـــرم الاسلام الاكتناز **(والذين**

يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعــذاب أليم) .

ودعا الاسلام الى الانفاق مضاعفة لحجم المعاملات، وتحبيذا للرواج **(وما أنفقتم من شىء فهو يخلفه) .**

رابعا : أن لايكون تجميع الأموال لدى بعض الأفراد عن طريق امتصاص حقــوق الآخرين مثل بخس العمال أجورهم أو بعض المستهلكين بفرض أسعارا احتكارية باهظة عليهم **(ولا تبخسوا الناس أشياءهم) .**

* * *

(٤)

ومن ثم فقد علت صيحة مفكرى الاسلام بالدعوة الى أن يعود المسلمون الى مفهوم الاسلام فى الاقتصاد ولن يحرروا البشرية من لغــة الاقتصاد اليهــودى . وقد كتب الأستــاذ أحمــد حسين عام ١٩٧٦ فقــال : لم يصــل اليهود الى ما وصلوا اليه من خديعة البشر الا من خــلال أوربا وأمريكا وما انتهت اليه من كفر بالمعنويات وعبادة المــادة ، يستوى فى ذلك الشرق (الشيوعى) والغرب (الراسمالى) والسر فى هذا الاتفاق بين الشيوعية (عدوة رأس المال) والرأسمالية (عابدة رأس المال) ان الطرفين لهما اله واحد هو المادة .

وعندما كانت الحضــارة الاسلامية هى المهيمنــة والمسيطرة لم يستطع اليهــود أن يطلوا برأسهم فى دنيا المــال (الاقتصاد) الا بعــد أن فقد المسلمون سلطاتهم وتفوقت عليهم أوربا ونجح اليهــود فى أن يصبحوا ملوك المال وأن يخضعوا الدنيا بما فيها العالم الاسلامى نفسه لسلطاتهم ، بحيث أصبحت ترى شركات التأمين والبنوك تغمر العالم الاســلامى من مشرقه الى مغربه ، دون أن يتصور المفكرون أنهم بذلك يغرقون الى الأذقان فى خطة تشبه فى الاسلام الكفر ، حيث توعد الله المرابين بحرب من الله .

وقد حانت الساعة لنقول ذلك ونواجه الدنيــــا باقتصاد اسلامى مبرأ من لعبة الاقتصاد اليهودى (الربا) .

لقــد فشلت النظــريات الرأسمالية والشيوعيــة والاشتراكية منذ وضع آدم سميث (اليهودى) أصول النظام الرأسمالى وكان يعتقد أن هــذه الأنظمة ستحقق العدالة وأن الأفــراد سيكونون سعداء لأنهم يعتقدون أن (المذهب الحر) يعطى للفرد الحرية أن يربح كيف يشاء وينتج كيف يشاء وينفق كيف يشاء ، وكان يعتقد أن نتيجة ذلك كله هو اسعاد المجتمع كله وأن المنافسة بين التجار وبين أصحاب المصانع والشركات هى التى ســوف تحقق عــدالة الأسعار وسوف تظل الأسعار فى خدمة جماهير الشعوب على أساس المنافسة الحرة بين الرأسماليين ، وكان من نتيجة هــذه الحرية وجود طبقة الرأسماليين : هــذه الطبقة التى اتجهت الى رعاية مصالحها واتجهت بالتالى للظلم والطغيــان على طبقــة الفقراء والعمال فى تنمية ثرواتها لتكون أغنى من الأخرى وأقوى وأشد .

ويرى آدم سميث صاحب نظرية الاقتصاد الحــر : أن الانسان الذى يحقق مصالحه الذاتيــة يؤدى فى نفس الوقت خدمة هائلة للمجموع ، اذ أن ثمرات عمله سوف تنعكس على المجتمع ، كما أن التنافس الحر يؤدى أيضا الى خدمة المجموع ، ولكن نظرية آدم سميث لم تصمــد لعوامل التجربة التاريخية فاذا كانت هذه النظرية قــد صلحت فى وقت ظهورها حيث كان العمال يملكون وسائل الانتاج فان الأمر اختلف عنــدما تم تأسيس الشركات والمؤسسات الكبرى وأصبــح الانسان فى ظــل هــذه الشركات مجرد وسيلة للاحتكارات الكبرى وجاءت نظرية جديدة هى (الاقتصاد الموجه) أى الاقتصاد الذى تتدخل فيه الدولة لحماية المستهلكين . وامتلاك الدولة لوسائل الانتاج حيث أصبح الفصل بمثابة ترس ضخم ، ولم يتحقق شىء ذو بال فقد أخذ العالم يعيش متأرجحا بين نظرتين فاسدتين .

يقول نيستان فى كتابه (الديمقراطية الفرنسية) :

ان الماركسية والليبرالية التقليدية نظريتان ناقصتان وتتنكران للحقيقة الانسانية وانهما ينفلتان بسهولة من قضية البحث العلمى وأن التحيز يغلب عليهما الى اليوم اكثر من العقل وانهما لم يعودا يمثلان الوقائع المحسوسة فى مجتمعاتنا الا تمثيلا ضعيفا ، وانهما يتكيفان بصعوبة لايجاد حلول لمشاكلنا الواقعيــة وان الموقف الموضوعى يدعو الى ترك هذه النظريات غير المتكاملة والبحث عــن صيغة جديدة مقبولة .

ويرى المؤرخــون أن الصنم الاقتصادى هو السم الذى قضى على جميع الحضارات من حضارة بابل ومصر القديمة الى اليوم ، وكان طغيان المال وغروره هــو المعول الذى قوض الامبراطوريات القديمة والحديثة على السواء من حيث بدأ الاغــريق والرومان والفرس حتى وصلوا الى الديمقراطية التى يتشدق بها الغرب اليوم ثم ستندثر تلك الحضــارات كما ستندثر الامبراطورية الحديثة اليوم .

* * *

(٤)

ويؤكد كثير من الباحثين أن علم الاقتصاد الراهن ليس علما ، يقول الدكتور حسن غانم :

ان علم الاقتصاد الراهن ليس علما من العلوم اذ تشوبه الغاشية والتحيز وقصور النظرة الى الكون والانسان وعدم ربط الظاهرة الاقتصادية بغيرها من الظواهر الكونية التى تقيدها من قبيل العوامل الخارجية لا الداخلية وعدم التحديد الدقيق لمدلولات الالفاظ لمذاهبهم التى يتبادلها الباحثون .

واكبر مقاتل للنظرية الاقتصادية المعاصرة أنها لا تقوم على الأصول الثابتة وانما تقوم على الاختلال الطارىء ولا تقوم على علم من العلوم بل على أسس اختلالية على الاطلاق،وانما يرتبط مقام العلم بالتوازن،حيث التناسق العضوى والوظيفى بين الكائنات والحركة المتوافقة للظواهر المختلفة .

والعلم يرتبط بالتوازن لا بالاختلال ، ومن هنا فان أبرز مقاتل علم الاقتصاد والنظرية الاقتصادية المعاصرة قيامها على النماذج الاختلالية التى أقامها فلاسفة اليونان وفعلها من بعدهم المدرسيون فى العصور الوسطى وكلها تقوم على فروض اختلالية تقيم الحياة على فكرة التناقض والصراع فالموارد الطبيعية نادرة والطبيعة عدو للانسان لا هدف لها الا تدميره والقضاء عليه والحياة كلها صراعات : صراع ضد الطبيعة وصراع الانسان ضد الانسان وصراع من أجل البقاء وصراع بين طبقات المجتمع والعداء قائم بين الفرد والمجتمع فأما ان تغلب مصلحة الفرد على مصلحة المجتمع أو ان تطغى مصلحة المجموع على مصلحة الفرد والانسان لا هم له ولا هدف سوى أشباع غرائزه كالبهائم يجرى وراء الطعام ويسعى الى تحقيق أكبر لذة ممكنة : كان الفكر السوفسطائى يدعى أن القوانين الطبيعية أو الطبيعة تدعو الى الاغراق فى اللذة وتدعو الأقوياء الى البطش بالضعفاء وجاء هوبز ليدعى أن الانسان ذئب مفترس . وردد الكتاب بعد ذلك الفكرة الدارونية عن الصراع من أجل البقاء ، ثم جاء كارل ماركس ليقيم عملية التطور الاجتماعى كلها على فكرة صراع الطبقات .

وحول اشباع الحاجات والغرائز المادية ، ولا يزال هذا النمط من التفكير الفلسفى المنحرف هو ذاته النمط الذى يسير عليه ، وهكذا تحول علم الاقتصاد وهو من العلوم الانسانية السلوكية الى علم أصم من علوم الجوامد كعلم الميكانيكا مثلا وهو ليس كذلك فى واقع الأمر والمعنى الحقيقى للاقتصاد هو التدبر والاعتدال والوسط والاقتصاد فى مفهوم الاسلام هو الاعتدال والتدبير البدين .

وقد أخفق علم الاقتصاد الراهن فى التوصل الى القيم الحقيقية للأشياء :

أولا : فشل فى صياغة نظرية فى القيمة الموضوعة وفى قياس تلك القيمة بمقياس ثابت بسبب تجاهله للسلع الحرة .

ثانيا : كان كارل ماركس متحيزا ولم يكن على حق عندما أسقط قيمة وسائل الانتاج التى تقدمها الطبيعة كالأرض والماء والرياح من حساب القيمة النهائية للسلعة المنتجة لكى ينتهى من بحثه الى أن كل القيمة يخلقها العمل وكان كارل ماركس متحيزا فقد وضع نصب عينيه نتيجة مسبقة وراح يتحايل لكى يثبت صحتها فقد اراد أن يثبت ان النظام الرأسمالى نظام فاسد يقوم على استغلال العمال .

* * *

(٥)

ونحن — المسلمين — أصحاب النظام الاقتصادى الاسلامى نقرر عدم صلاحية النظامين العالميين وفسادهما وضرورة خروج المسلمين منهما وعودتهما الى نظامهم الأصيل فالأول يجمع المال فى يد الأفراد مع حرية التصرف فيه (الرأسمالية) والثانى يجمع المال فى يد الدولة مع حرية التصرف فيه (الشيوعية) .

ويقول دييلسى : فى كتابه عن حياة الحضارات وتوتهـا :

ان الشيوعية بدلا من أن تكون نقطة بداية هى فى الواقع نقطة نهاية لنوع حضارى ولذلك كان الغرب لايتكلم الا بكلمة المربعة كلمة الأزمة فهى نوع من أنواع الاعنات فى القرن ١٩/٢٠ بدلا من أن يكون ترياقا أو علاجا . أن تركيز السلطة فى الدولة عرض من أعراض الشيخوخة لهذه الدولة وللفترة الزمنية التى تعيش فيها .

ومن الناحية الأخرى يقول سوركن : ان الحرية فى المجتمع الأوربى معناها فسح المجال للفرد لتحقيق رغباته وهى تتوقف على مدى قابليته وامكانيات تحقيقها ، ومن الناس من يسيطر على رغباته التى لا يمكن تحقيقها ، ويتجلى ذلك بصورة متصرفة فى الزهاد والذين يدينون بالحضارة الفكرية ومنهم من يسعى لتوسيع رغباته ويبذل الجهد لاشباعها بكل وسيلة ، وكلما ازدادت حريات الفرد ازدادت رغباته وحاجاته ، الأمر الذى يدفع الى صراع عنيف مع الناس للحصول على أكبر ما يمكن من الأشياء المادية كالثروة والحب واللذة والراحة والأمن ، ولما كان الانسان لا يستطيع الحصول على هذا الا على حساب الآخرين فان هذه الحرية فى الغالب تزيد الصراع بين البشر وهذا يتجلى فى الحضارة الحسية ، لقد كانت الحرية

الحسية سائدة فى العالم الغربى فى أواخر العصر الرومانى فلما جاءت المسيحية اكدت على الحرية الباطنية التى يعتبر فيها المرء رغباته الكثيرة غير أن الناس أخذوا يتحولون تدريجيا من تلك المثل الى المجتمع التعاقدى الذى ينال فيه الفرد والجماعة حرية التعاقد .

وهذا يصل بنا الى تقرير فساد التعاقد فى المجتمع الغربى وهو الدعامة التى قام عليها فساد : التعاقد فى العلاقات الاجتماعية ، فساد التعاقد فى العلاقات الاقتصادية .

* * *

(٦)

ويصل بنا البحث الى حقيقة أساسية هى :

النزاع بين الماركسية الشيوعية والرأسمالية الغربية : يقول أحد الباحثين : فالماركسية الشيوعية وما علق بها من فلسفة لينين وستالين يعترف فى تحليلاتها الاقتصادية والفلسفية والقانونية والسياسية بأن بقاء الشيوعية وحياتها ستظل معرضة للخطر ، خطر الفشل ثم الانحلال والدمار مالم يتحول العالم بأسره الى الشيوعية عن طريق الثورة ومايسبقها من تمهيدات فهى بذلك حركة توسع من نوع مستحدث وخطر ما ، هذا التوسع منصوص عليه فى التعاليم الشيوعية وفى الدساتير الشيوعيةوفى ثورات الشيوعية وكتبها المقدسةفى ماركس وانجلز ولينين وستالين .

والرأسمالية الغربية توسع استعمارى تقليدى من نوع مماثل فى السوء الا أن هذا التحدى السوفيتى يضع الرأسمالية الغربية فى نفس الوضع الهجومى الذى تقف فيه روسيا السوفيتية ويجعل أمريكا وهى معقل هذه الديمقراطية فى حالة الأهبة التى تستعد فيها لمواجهة التوسع الشيوعى وسحقه وابادة الماركسية من الوجود فى المراحل النهائية اذا استطاعت ذلك .

أين تقف اليهود وهم قومية لها فى كل معسكر غالبية ضخمة العدد قوته النفوذ . فى روسيا تجد العنصر اليهودى فى الحزب الشيوعى وفى التنظيمات الشعبية والفكرية بارزا أشد البروز ، كبار المعتقلين والصحفيين يهود ، وفى بولندا يبرز العنصر اليهودى فى النظام الشيوعى القائم هناك أشد البروز فى وجه مجتمع كاثوليكى يمقت بحكم تعاليمه وتأصل النفوس فيه الشيوعية مقتا .

وهم يجعلون من فكره (اللاسامية) ذنب التحدى والخداع والمواربة والغطرسة التى تتملك العقلية اليهودية فى كل مكان وفى كل جيل ، فتجلب على اليهود وعلى المجتمع الذى يأويهم المتاعب .

ثم اليهود هم العنصر الرئيسى فى الحزب الشيوعى الأمريكىوهم وراء مهادنة الروس بأى ثمن ، ونسبة اليهود الذين يدرسون النظريات الماركسية والسوفيتية فى الجامعات الأمريكية نسبة عالية جدا ، والكتاب الذين يعالجون مواضع العلاقات السوفيتية الأمريكية بروح العطف تجد نسبة اليهود فيهم عالية جدا .

ثم هم اليهود من وراء الراسمالية ومن وراء الشيوعية وهم المسيطرون على الاقتصاد العالمى وهم اصحاب امبراطورية الربا .

ولذلك فانه متى تكونت لدى العالم الاسلامى ارادة واضحة للتخلص من التخلف لن يجد فى هذه المذاهب ما يحقق له ذلك ، لأنها هى مصدر الاحتواء للبقاء فى دائرة التخلف ، ولذلك لأن منتحطيم قيد الراسمالية والشيوعية معاوالتماس منهج الاسلام فى الاقتصاد والمسلمون بالاسلام اقدر الناس على اخراج البشرية من هذه الدائرة المغلقة المدمرة وهم أجدر من يحقق للانسانية هذه التجربة التى تعيد الى عالم الاقتصاد أخلاقيته وربانيته وتقضى على الانحرافات الاباحية التى تورطت فيها الراسمالية كما ينجو من الأخطاء السلبية التى تورطت فيها الماركسية .

على الاقتصاديين الاسلاميين أن يقدموا منهجا اقتصاديا متكاملا يمكن الاعتماد عليه فى تحقيق التنمية فى الدول الاسلامية ، وقد أكدت المناقشات التى دارت فى عديد من المؤتمرات التى عقدت فى السنوات الأخيرة أن هناك منهجا اقتصاديا اسلاميا قادرا على العطاء وتحقيق التنمية فى البلدان الاسلامية .

كما جرى اقرار التعريف الاصطلاحى لعلم الاقتصاد الاسلامى على انه علم وسائل استخدام الانسان لما استخلف فيه لسد حاجات الفرد والمجتمع الدنيوية طبقا لمنهج شرعى محدد .

ويقوم الاقتصاد الاسلامى على قواعد ثابتة لطبيعتها وهى مجموعة المبادىء والأصول الاقتصادية التى جاء بها الاسلام فى نصوص القرآن وان تتضمن :

١ — تنظيم النشاط الاقتصادى والقيود التى يخضع لها هذا التنظيم أوجه النشاط المحرمة وحدود نطاق كل من الملكية الخاصة والملكية العامة .

٢ — قواعد متغيرة بطبيعتها وهى عبارة عن الاساليب والخطط العملية والحلول الاقتصادية التى تباشرها الدولة لاحالة أصول الاسلام وسياسته الاقتصادية الى واقع مادى يعيش المجتمع فى اطاره .

٣ — أن تكون الزكاة هى المورد الأساسى للموازنة

واهم قواعد هذا النظام تحريم الربا : وقد قرر مجمع البحوث الاسلامية الحكم بروية الفائدة وأن الربا محرم بشتى صوره واشكاله وأن فى البنوك الاسلامية البديل باحلال نظام الاستثمار بالمشاركات والمضاربات والمرابحات التى باركها الله بديلا عما حرمه .

وتقوم المبادىء الاسلامية للاقتصاد على ثلاث :

١ — مبدأ الملكية المتعددة الأشكال .

٢ — مبدأ الحرية الاقتصادية المحدودة .

٣ — مبدأ العدالة الاجتماعية والتكافل الاجتماعى .

والاقتصاد الاسلامى لا تتمشى مبادئه مع فكرة اليد الخفية أو جهاز الثمن لآدم سميث .

* * *

يقول الدكتور عرفة المتولى سند (جامعة صنعاء) :

ان النظرية الاقتصادية فى الاسلام تفترض وجود المجتمع المسلم والذى تتوزع فيه الثروة وفقا لأسس يقرها الاسلام كالميراث الشرعى أو العمل أو الهبة أو غير ذلك من أبواب الكسب الأخرى فلا يصلح الاحتكار كأساس لتوزيع الثروة كما فى المجتمعات الراسمالية ولا يتساوى أفراد المجتمع فى الملكية كما فى المجتمعات الشيوعية .

(أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ورحمة ربك خير مما يجمعون) .

وتتمثل مقدمات نظرية الاسلام فى التوزيع العادل واخراج الزكاة والصدقات وذهاب الحصيلة لمصارفها الشرعية .

أما الفكر الاقتصادى المعاصر فاننا لا نجد له هذه المكونات ، ونظرية العرض والطلب التى تحقق توازن السعر والذى يحقق بدوره مصلحة البائع والمشترى غير صحيحة حيث تفترض فروضا غير واقعية ، ولعل وجود الاحتكارات والمنافسة غير العادلة والاتفاقيات السرية ونظام العمولات الدولى كل هذا وغيره يجعل العدالة بعيدة تماما عن الأسعار الموجودة فى هذه الأسواق ولا تحقق النتائج وهذا يعنى فشل النظرية أو عدم وجود نظرية .

* * *

الباب السابع عشر
أسلمة التصوف

لما كان التصوف فى حقيقته هو علم تزكية النفس والسمو بهاوتحريرها من مطامع الدنيا على أساس مفهوم الاسلام فى أن تكون الدنيا فى يد الانسان وليس فى قلبه يجاهد فى سبيل الحصول عليها من الحلال وانفاقها فى الحلال مؤمنا بأن السعى فى سبيل الكسب والرزق فريضة من فرائض الاسلام وأن الاسلام يدعو الى دخول المجتمع واقتحامه بأسلوب الايمان فى التعامل مع الناس وليس اعتزال هذا المجتمع والهروب منه ، وأن يكون وفق مفهوم العارفين : خدمة المجتمع وتصحيح معوجة التماس جوهر الاسلام فى اقتداء واضح بالسلف الأول من الصالحين بعيدا عن المصطلحات الغربية الوافدة وعن مفاهيم التصوف الفلسفى وعن كثير مما احتوته كتب العصور الأخيرة من انحرافات .

وفى العصر الحديث حاول التغريب والغزو الثقافى اثارة مفاهيم ضالة منحرفة عرفتها عصور قديمة وصححها علماء المسلمين ، كأحياء فكر ابن عربى والحلاج والسهروردى وابن سبعين واحياء مذاهب الباطنية ووحدة الوجود والحلول والاتحاد ومفاهيم اخوان الصفا والاعتزال والقرامطة حتى اختلطت الأمور اختلاطا شديدا ومن ثم فقد وجب تحرير التصوف من هذا الاضطراب الشديد وابراز مفهوم التصوف السنى المحرر القائم على نفس المفاهيم والقيم والمصطلحات التى عرفها السلف الصالح والعصر الأول قبل ظهور الخلاف .

ان هدف التصوف السنى فى الحقيقة هو بناء النفس بالتربية والخلق على نحو يقيم المسلم على طريق الله دون أن يوغل فى الماديات ، كما يحميه من أن يسرف فى الزهد واعتزال الحياة .

اننا مطالبون بتحرير (رسالة تزكية النفس) من الفكر الباطنى تحريرا كاملا على النحو الذى عرفته المدرسة السلفية (ابن تيمية وابن القيم) ولم تنكره بوصفه سلوك وتربية فقد كتب ابن تيمية رسائل فى التصوف وكان يسميه (علم السلوك) وقد أنكر ابن تيمية التصوف الذى يسرف أصحابه فى ربطه بالفلسفة ومنها تقديس الأولياء — والتصوف الصحيح كما يصوره الدكتور أبو الوفا التفتازانى هو الذى يتجه الى تربية النفس وهو ما قام به الشيخ محمد بن عبد الوهاب والمدرسة السلفية وأن نقبل من التصوف ما كان سلوكا .

ويرى الدكتور موسى شاهين لاشين : ان أخذ النفس بالعبادات والزهد كسلوك وبصفة مستمرة مخالف للاسلام لأن الاسلام طلبهما بقدر ، وعلى فترات لا بصفة السلوك المستمر ، ويقول : لقد اتسع مفهوم التصوف فى القرنين الثالث والرابع الهجريين واستخدم المتصوفة تعبيرات واصطلاحات غير معهودة فى الاسلام بل رأينا شبها واضحا بين حالات التصوف وبين الديانة الهندية فحالة (الفناء) عند الصوفية تشبه حالة (النرفانا) أو النجاة عند اليهود ، وفكرة الحلول والاتحاد عند الصوفية تماثل (التناسخ) عند الهنود ، ويرى بعض العلماء أن التصوف له صلة وثيقة بالنصرانية لوجود الشبه فى حياة الصوفية وتعاليمهم من ناحية ومن حياة المسيح وتعاليمه ورهبانية النصارى وطرقهم فى العبادة واللباس من ناحية أخرى ، كما يلتقى التصوف فى بعض أفكاره مع الفلسفة الأفلاطونية ، فهى تقول ان الحقيقة العليا لا تدرك بالفكر وانما تدرك بالمشاهدة فى حالة الغيبة عن النفس والعالم المحسوس والتصوف يقول ان المعرفة تكون بنور يقذفه الله تعالى فى قلب العبد بعد صفائه ، فسبيل المعرفة واحد عند الصوفية والأفلاطونية وقريب من هذا قول الغزالى : ان العقل يعجز عن كشف ومعرفة الحقيقة اليقينية وان القلب وحده هو القادر على معرفة الله بالكشف وقوله ان عين القلب تستطيع أن ترى الله فى حالة اليقظة كذلك

فان كلام ابن عربى عن وحدة الوجود والحقيقة المحمدية يشبه فى الفلسفة الأفلاطونية مراتب الوجود التى تعنى العقل الأول والنفس الكلية والمادة غير المصورة والنفوس الجزئية ، كما استخدم الصوفية الاشراقيون كثيرا من الألفاظ الاصطلاحية والأفلاطونية كالكلمة والحقيقة والمثل والقبض والوحدة والكثرة ،

ونتيجة لهذا الاتحاد الصوفى قامت المعارك بين الفقهاء وبين الصوفيــــة فاتهم الفقهاء الصوفية بخلق البدع بل وبالكفر والالحاد ولولا الامام الغزالى فى القرن الخامس الهجرى لضمر التصوف وانهزم واختفى أمام هجــــوم الفقهـــــاء .

كذلك فقد اضفى المريدون على مشايخهم آيات التقديس والاجلال ونسبوا اليهم أوهاما وخيالات على الولاية والكرامات وتعددت الطرق المتنابذة واتخـــذت كل طريقة لباسا خاصا وعاما خاصا وشيخا ومريدين وتحول كثير من مشايخ الصـــوفية الى جباة يفرضون الأتاوات ويأكلون من أيدى المريدين سحتا وحراما .

ان كثيرا من مشايخ الصوفية قد غرسوا فى نفوس مريديهم انهم أولياء الله فى أرضه وأنهم وصلوا الى أن يقـولوا للشىء كن فيكون ، وأنهم يعلمـــون الغيب ويراقبون العبد ونشروا درجات الأولياء التى اخترعها ابن عربى حيث قال بالقطب وهو الغوث وهو عبارة عن واحـــد فى موضع نظر الله من العالم فى كل زمان ومكان وبالامامين ، وهما شخصان : احدهما عن يمين الغوث والآخر عن يساره وبالأوتاد وهم أربعة أشخاص يقفون فى أربعة أماكن من العالم وبالبدلاء وهم سبعة رجال ، وبالنجباء وهم أربعة مسئولون عن ... وبالنقباء وهم ثلاثمائة . وهذا كله بدعة فى الدين والدين منه براء .

« وقد بدأ التصوف كظاهرة تطرف اسلامى لمقابلة تطرف البعد عن الاسلام وذلك عندما اتسعت رقعة الدولة ، ودخل فى الاسلام من يكيد له ، وازدهرت الدنيا للمسلمين وفتنت قلوبهم واتجهت الحواس الى الملذات وخاف بعض العابدين على دينهم فاعتزلوا وتنكسوا وانقطعوا للعبادة ولبسوا الخشن » .

* * *

وقد توالت تحذيرات العلماء المسلمين على مدى تاريخ الفكر الاسلامى من انحراف التصوف : فقد نهى الامام أحمد بن حنبل عن قراءة كتب (الحارث المحاسبى) والتزام الكتاب والسنة علما وعمـــلا وقد نهى الامـــام ابو زرعة عن كتب الفت فى أصــــول الديانات وازهـــد على طريق الصـــوفية وقال اربال وهذه الكتب فيها بدع وضلالات ، وعليك بالأثر فانك تجد ما يغنيك عن هذه الكتب (الرسالة ــ مارس ١٩٤٢) .

ولقد كانت غيرة أهل السنة والجماعة مركزة على مواجهة الانحــــرافات ، عبر عن ذلك الشيخ حسنين محمد مخلوف حـــين قال : هنـــاك تصوف كاذب زائف انتحله قـــديما فئام أشربوا تعـــاليم الباطنية والحلولية وتدثروا بدثار الصوفية اجتذابا للعامة وتغريرا ودسوا فى التصوف الحادهم ومقالاتهم الشنيعة فى الدين كابن سبعين الأشبيلى المتوفى ٦٦٩ واضرابه افسادا لعقائد العامة من المسلمين وهؤلاء ليسوا من الصوفية ولا من التصوف فى شىء ، وانما هم زنادقة ملحدون وقد كشف زيفهم وفند مزاعمهم كثير من أئمة الاسلام ومنهم شيخ الاسلام ابن تيمية الحنبلى المتوفى ٧٢٨ والامام ابن القيم ٧٥١ . وقد أولع بعض الشعراء بالحـــديث عن رابعة العدوية وما يسمونه الحب الالهى . وتردد اسمها كثيرا على أنها نموذج من نماذج الزهـــد والحقيقة ان العقيدة المنسوبة الى رابعـــة العدوية هى عقيدة باطلة ومخالفة للكتاب والسنة وهى أقرب الى الرهبانية وان صحت فهى مخالفة لما أمر الله به رسوله ونبيه ومن هنا فان هذه الصيحة التى يرددونها تحت اسم مدرسة الحب الالهى هى مغامرة من مغامرات التغريب الحريص على اذاعة ركل ما يخالف مفهـــوم السنـــة والجماعـــة ، وقـــد أشار الدكتور عمر فروخ أن ما نسب الى رابعـــة من الشعر والنثر منسوب الى غيرها فهناك رابعات كثيرات وتظهر عليه آثار الصنعة والتكليف مما يوحى بأن كثيرا من تلك الآثار من عمل العصور التالية لعصر رابعة ، كما أن العقيدة المنسوبة اليها (الهى ما عبدتك خـــوفا من نارك ولا طمعا فى جنتك بل حبا لك) هذه العقيدة باطلة لمخالفتها لكتاب ربنـــا وسنة نبينا ولقد بين الله تبـــارك وتعالى السبيل الى محبته فقال : (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله) فالمحبـــة لا تتم الا بالاتبـــاع والانقياد لله وأوامره (وخافون ان كنتم مؤمنـــين) وأن العقيـــدة الباطلة مقتضاها تعطيل آيات الله تعالى التى وصف فيها النار وأصحابها وأهوالها وذكر الجنة ونعيمها وما أعده الله لعباده المخلصين وقد بين الله تبارك وتعالى عباده وأنبيائه وهم صفوة خلقـــه فقال (انهـــم كانوا يسارعون فى الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبـــا) فالرغب الرجاء والسرعة والرهب الخـــوف والخشية ومدرسة الحب الالهى يسمون من عبد الله خوفا من ناره وطمعا فى جنته أجير السوء بل ان بعضا منهم يجعل (الخوف) من منازل العوام وليس من منازل الخواص فياليت شعرى من أى منزلة يكون الأنبياء والمرسلون وقد جعل الله تبارك وتعالى الخـــوف من لوازم الايمـــان وموجباته (يرجـــون رحمته ويخافون عذابه) ، (فلا تخـــافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين) .

وقال ابن القيم : ان من عبد الله بالرجاء وحده فهو مرجىء ، ومن عبده بالخوف وحده فهو حرورى ، ومـــن عبـــده بالحب فهو زنديق ، ومن عبده بالخوف والرجاء والحب فهو مؤمن موحد .

وقال شيخ الاسلام عقب ذلك : ذلك ان الحب الذى ليس معه رجاء ولا خوف يبعث النفس على اتباع هواها وصاحبه انما يحب فى الحقيقة نفسه وقد اتخذ الهه هـواه ، فلهذا كان زنديقا ومن هنا دخلت الملاحدة الباطنية كالقائلين بوحدة الوجود فان هؤلاء سلوكهم عن هوى ومحبـة فقط ليس مع رجـاء ولا خـوف (جامع الرسائل) .

وهكذا فان فـكرة الحب الالهى عقيـدة باطلة ومخالفة للكتاب والسنة ، ولذلك فان هذا الخلط الذى تظهر فى كتابات بعض المدفوعين الى اشاعة هذه الافكار فى أن مضوا فى مجال الحب الالهى الامام الشافعى وأحمد البدوى وأبو العباس المرسى والامام البرعى مخطئون .

أما ابن الفارض وابن عـربى وابن الحلاج فهؤلاء لهم موقف آخر فى مفاهيم دخيلة كالحلول ووحدة الوجود وقد حدد الاسلام موقفه منهم على النحو الذى قدمه الامام ابن تيمية والامام ابن القيم ، هـذا التصوف الفلسفى ليس مفهوما اسلاميا صحيحا وكل اغراق فى النظريات والسطح فهو بعيد عن التصوف السنى .

ولقد أشار الشيخ صـلاح أبو اسماعيل الى غلبة كتب الأوراد على قـراءة القـرآن والى بعض كتب متداولة : مثل مجموع الأوراد الكبير والأدعية والأحزاب وحزب الدسوقى الكبير والصغير وحزب الرفاعى الكبير والصغير والى ما فيها :

أولا : من ألفاظ غريبة غير مفهومة .

ثانيا : مصطلحات مبتدعة مخالفة للقرآن والسنة على نحو (وزج بى فى بحار الأحدية وانشلنى من أوحال التوحيد) أو (انشلنى من أوحال التوحيد وأغرقنى فى بحر الوحـدة) .

وهناك ما يثـار من قضايا مثـل قصة (الحقيقة والشريعة) حيث لا يعـرف الاسـلام اسم الحقيقة أو الطريقة ، وقد مضى عهد الرسول والصحابة والتابعين وتابع التابعـين ولم يعـرف الاسلام الا شريعة تسرى أحكامها على سائر المسلمين ولم تبرز الى الوجود بدعة (الحقيقة) الا مع ظهـور الفرق الباطنية التى بداهـا عبد الله بن سبأ وتتلمذ عليه أمثال الحلاج والبسطامى وابن عربى .

* * *

ولقد جرت المحاولات دائما لتحـرير التصوف من هـذه الانحرافات وقام العلماء فى كل عصر لاحياء روح السلف والدعوة الى الانقاذ من الضلال ، والعـودة الى التصوف الذى يستمد أصوله من الشريعة .

وقال الشيخ أحمـد بن الغبـاشى فى كتـابه (عقد المرجان) :

الصوفى الحقيقى هـو الذى لا يجعل الاستغراق فى العبادة وسيلة للتغرير بالناس وتضليلهم واستغلالهم لأخذ أموالهم فان الحرم كل الحرم فى أن يتخذ الانسان عن وسيلة من وسائل الرزق تغنيه عن الناس فاذا كسبها بقيت عبادته لله خالصة .

والمتصوف الحقيقى يجب أن يبتعد عن الدائرة لئلا يسقط فى زلة الاعجاب والرياء والدعوى والاختلاف وان أكبر منقـذ من الانزلاق أن يشتغل من أجل كسب رزقه وان يحترف بحـرفة تغنيه عن الناس وتبعده عن الافتقار اليهم .

ولابد أن ينزه الانسان الصالح نفسه عن الدعوى والغرور وأن يبعد عن التعالى والتطاول » .

وقد سئل الامام أبو بكر الطرطوشى فى ما تقول فى مذهب الصوفية ، يذكرون الله ويذكرون النبى ثم انهم يوقعون بالقصب على شىء من الأديم ويقوم بعضهم يرقص ويتواجد ثم يقع مغشيا عليه ويحضرون شيئا يأكلون .

قال الطرطوشى : هذه بطالة وجهالة وضلال وما الاسلام الا كتاب الله وسنة رسوله أما الرقص والتواجد فأول ماأحدثه أصحاب السامرى لما اتخذ لهم عجلا جسدا له خـوار ، قاموا يرقصون حواليه ويتواجـدون وأما القصب فأول من اتخذه الزنادقة ليشغلوا به المسلمين عن كتاب الله ، وكان يجلس النبى مـع أصحـابه كأن على رءوسهم الطير ولا يحل لأحد مؤمن بالله واليوم الآخر أن يحضر معهم ويعينهم على باطلهم .

(أوردها القرطبى فى الجامع لأحكام القرآن ج ١١) .

وقد تناولهم ابن الجوزى فى كتابه (تلبيس ابليس) وعدد أخطاءهم كما رآها فى عهده ، ومنها سخريتهم من أهل الظاهر واتهامهم بالقصور عن ادراك البواطن وتذوق المواجـد .

ويدافع الدكتور أبو الوفا التفتازانى عـن التصوف المصرى ويقول انه سلك منهجا مغايرا لمنهـج فلاسفة التصوف وكان نهجهم عمليا أخـلاقيا بعيدا عن التطرف والمغالاة والشطح وان تجد فى مشايخ الطرق الصوفية فى مصر نماذج متطرفة كالحـلاج والبسطامى وابن عـربى

والسهروردى أولئك الذين مزجوا الفلسفة بالتصوف وتأثروا تأثرا عميقا بالتيارات الفلسفية فشطحوا بنظريات وحدة الوجود والحلول والفناء التى استهجنها اهل زمانهم وعارضوها بشدة .

وأشار الى دور الصوفية فى ميدانين كبيرين :

أولا : نشر الاسلام فى أفريقيا وفتح البلاد أمام الدعوة الاسلامية سلميا . فقد انتشر الاسلام فى افريقيا عن طريق القادرية والشاذلية والتيجانية .

ثانيا : محاربة أعداء الاسلام وحمل لواء الجهاد ومحاربة الصليبيين وفى طبيعة المصريين : البساطة والاعتدال والسهولة والوسطية .

* * *

وقد جاء رواد التصوف الفلسفى من مثال ابن عربى وابن سبعين الى مصر بحثا عن النفوذ والاتباع وترويج مذاهبهم ففشلوا وكان مصيرهم مصير كل الدعوات والمذاهب التى تصادم نزعة الاعتدال عند المصريين .

وفى مجال ظهور الطرق الصوفية يقول الدكتور التفتازانى :

ظهرت الطرق الصوفية منذ القرن السادس الهجرى وارتبط هذا الظهور بحدثين من أهم الأحداث التى تعرض لها العالم الاسلامى وهما :

أولا : سقوط الأندلس .

ثانيا : اندلاع الحروب الصليبية .

ففى الوقت الذى انهار فيه الحكم الاسلامى فى الأندلس كانت أولى الحملات الصليبية تحط رحالها على الساحل السورى مفتتحة ملحمة الصراع الحربى التى دامت قرنين كاملين وكما يحدث دائما فى أعقاب الكوارث والنكسات يتساءل المسلمون عن سر هزيمتهم واندحارهم ورأى البعض أن السر يكمن فى بعدهم عن الله والاقبال على المعاصى ، وأن الخلاص هو فى الرجوع اليه والمحافظة على حدوده والابتعاد عن نواهيه وكان هذا التفكير متفقا مع النزعة الصوفية .

* * *

وفى وسط هذه القمة الكاسحة اشتد تيار التصوف وارتبط ارتباطا شديدا بروح الجهاد الذى فرضته الأحداث وبصورة أشد فى المغرب .

وفى مصر حرص صلاح الدين على تنظيم الصوفية فأقام أول تنظيم للطرق الصوفية وهى الخانقاه . وقد قاموا بدور ضخم فى استعادة القدس وفى مقاومة الحملات الصليبية على دمياط وهزموا القديس لويس فى المنصورة .

* * *

وفيما يتصل بهذا تتحدث كتب التاريخ عن جهاد التيجانية والسنوسية والمهدية (والسنوسية ليست طريقة صوفية) ولكنها تأخذ أسلوب التربية وتكوين الأفراد وتقيم الزوايا وقد أكدت أكثر من غيرها الجمع بين الجهاد والعمل الدنيوى كالفلاحة والصناعة وكان لهذه الفرق دورها الكبير فى نشر الاسلام فى افريقيا كما قاومت النفوذ الأجنبى (الايطاليين فى برقة والانجليز فى السودان) .

وقد عرف الصوفية فن الحرب والحزم والعزم والتوكل على الله والتضحية بالنفس فى سبيل حماية الذمار ولم يصلوا الى الدعة والانحراف الا بعد أن توقفت الحروب .

أما بالنسبة للاتهامات الموجهة الى التصوف وانحرافه عن التصوف السنى الى التصوف الفلسفى : الدكتور أبو الوفا التفتازانى .

الاتهام الموجه الى التصوف من أنه يعود فى أصوله الأولى الى البوذية والمجوسية والرهبانية ، هذا الاتهام جاء من بعض المستشرقين الذين درسوا التصوف فى أوربا من القرن ١٦ الى أوائل هذا القرن تقريبا حيث نسبوا التصوف الى مصادر مسيحية وهندية ويونانية وفارسية والذى دعاهم الى ذلك منهج خاطىء فى البحث نبه اليه المستشرق نيكولسن . والتصوف من حيث هو (تجربة نفسية) موجودة فى حضارات وديانات سابقة ، فالنفس الانسانية فى كل عصر كانت تهدف الى أنواع من الكمال الأخلاقى وهو موجود فى الانسان بالفطرة ، فيأتى بعض المستشرقين فى محاولة ربط التصوف الاسلامى بالديانات السابقة على نحو مفتعل ولا دليل على الارتباط .

فقد تشابه التجربة الصوفية ولكن المضمون مختلف فنجده فى الاسلام تلقيا وسلوكا واقتداء بالرسول .

والتصوف الاسلامى يأخذ طابعا مختلفا عن المسيحية فنجد صوفية الاسلام يعملون بأعمال مختلفة لأنهم يتبعون قول الرسول (لا رهبانية فى الاسلام) فى حين أن المسيحية عكس ذلك . فالتجربة الصوفية كما يقول تعليم الدارسين المحدثين واحدة من الناحية النفسية ولكنها تختلف من حيث الغاية والهدف .

ان اقامة الأفراح والموالد والتماس بركة الموتى هى من الأمـــور الشكلية التى لحقت بالتصوف وليست منه فالتصوف كما قلنا تخلق وسلوك ولا شىء غير هـــذا ولكن ممارسات العوام من اتباع التصـــوف قد يكون فى بعض الأحيان هو السبب فى بعض الظواهر التى تحدث مثـــل استخدام الطبل والزمر والرقص والغناء والحركات غير اللائقة فى حلقات الذكر فهى ليست من التصوف بل دخيلة عليه والأصل فى مجال الأذكار أن يكون اجتماعا لذكر الله بصـــورة شرعية ولا يجوز استخدام الموسيقى فى مجال الأذكار كما لا يجوز اختلاط الرجال والنســاء وأصل ممارسة الذكر انما هى تلاوة القرآن أو ممارسة الحديث والدعاء بالمأثور عن الرسول صلى الله عليه وسلم أو الاجتماع على ترتيل أسماء الله الحسنى .

* * *

أما التوسل الى الله تعـــالى فيكون بالعمل الصالح أما بالنسبة لأولياء الله الصالحين فنستفاد بعلمهم والاقتداء بهم فى الطريق والاستعانة والمعـــرفة يكون بالله العلى العظيم . (اياك نعبد واياك نستعين) .

* * *

البـــاب الثامــن عشر

أسلمـــة علم النفـــس

منذ سيطرت قوى التغريب والغـــزو الثقافى على مناهج الثقافة والفكر فقــد طرحت مفاهيمها فى العلوم الاجتماعية والانسانية فى محيط الفكر الاســـلامى الذى حجبت مقـــرراته عن مجال التعليم والثقافة فى البـــلاد الاسلامية .

وقد تبين منذ اليوم الأول فساد هذه المفاهيم التى تشكل النظرية الغربية فى علم النفس وعجزها عن العطاء فى مجال النفس الاسلامية التى تشكلت على نحـــو مختلف ومن خلال عقيدة وثقافة وقيم تختلف عن تلك المفاهيم التى شكل منها ادلرويونج وفرويد مفـــاهيمهم ، مع الاعتراف بوحدة النفس الانسانية فان هـــذه النفس تشكلها القيم والعقائد وقد واجه هؤلاء العلماء النفس الغـــربية التى تشكلت على تراث اليـــونان والرومان الـــوثنى وتراث المسيحية المنزلة وقد اختلط فى ذلك علم الأصنام اليونانى بأساطير الرومان بتحريفات الخطيئة والصلب والفداء ، ولما برزت نظرية فرويد وتغلبت على نظريات الآخرين كان من وراءها الفكر التلمودى كله واحقـــاد اليهـــود على المسيحية والغرب وعلى البشر جميعا .

وقد جاءتقنبلة الدكتور صبرىجرجس سنة ١٩٧٠ عندما أصدركتابه عن (التراث اليهودى فى الفكر الفرويدى) كشف واضح مدعم بالأدلة عن أن مذهب التحليل النفسى خرج بكامله من عباءة (التلمود) ممثلا لأحقاد اليهود على البشرية كلها وقد تبين أن التحليل النفسى) الذى خـــدع الناس أكثر من خمسين سنة على انه (علم) أصيل ، هو عرض عصرى للتراث اليهودى الصهيونى الممتـــد مسارا عبر الأجيـــال ويرى الدكتور صبرى جرجس أن التراث اليهودى الصهيونى يتألف من ثلاثة مصادر :

١ ـــ التوراة : وهى وثيقـــة سيـــاسية عصرية استخدمت العقيدة الدينيـــة لتحقيق مخططها السياسى العنصرى .

٢ ـــ التلمود : وهـــو تفسير للتوراة فى اطار الفكرة السياسية العنصرية التى بداتها .

٣ ـــ نوع جديد من التراثلم يدون كتابه ولم ينتشر الا من اليهود أنفسهم ولا على الناس انما تصـــل خلفا عن سلف فى تلقين شخصى محوط بطابع السرية .

وحيث أن التلمود يستمد مباشرة من التراث الدينى اليهودى الصهيونى فان كل الموجودات اليهودية بما فيها (فرويد) بطبيعة الحال ، انما تسلك طريقها وفقا للتراث الدينى اليهودى الصهيونى ، ولما كان التحليل النفسى نتاجا لأحد هذه الموجودات اليهودية الذى هو (فرويد) كان من المحتم أن يكون التحليل النفسى فكرا يهـــوديا صهيونيا واذا قيـــل أن فرويد أراد الموضوعيـــة ومع الافتراض بأنه أرادها فان الســـؤال الذى يفرض نفسه : هل كان بوسعه أن يحققها ، وهـــل كان من الميسور له وهو يخطط لنظام اشترك فيه مع هرتزل ، وكان له دوره الواضح فى هدم الحصانة النفسية وادخال البشرية كلها ـــ ما عدا اليهود ـــ فى مفهوم الجنس الاباحى الذى يوجه كل تصرفات الانسان كما يدعى .

ويرى الدكتور صبرى : أن فرويد مشبـــع بالروح الصهيونية وقد اضطلع بمهمـــة القضاء على المسيحية موضوعيا وعلميا كما اضطلعت اليهودية الصهيونية من الفى سنة بمهمة القضاء عليها أيدلوجيا وعمليـــا وترجع كراهيته للمعتقدات والطقوس الدينية والمسيحية الى الأثر المزعج لمربيته الكاثوليكية الدميمة العجوز التى كانت معاملتها له تنطوى على مزيج من الحنان والشدة .

وانه فى سبيل اقناع الناس بأنه محايد فقد ارتدى ثوبا الحاديا مزيفا استطاع منخلاله أن يهاجمالمسيحية بالذات دون الأديان جميعا وهو الحاد ذهنى لم يصل الى وجدانه الحادا زائفا لأنه تركه بعدذلك منتسبا لليهودية الصهيـــونية .

وأشار الدكتور صبرى جرجس : الى اثر الأوضاع الجانبية التى تواجهها الأقليات فى مجتمع طبقى : مثل انضمامه لجمعية بناى برث وحضور اجتماعاتها والقاء محاضراته فى تفسير الأحـــلام بها وعـــلاقاته الشخصية

بأصدقاء يهـود ومثل قوله عن يهـوديته : انني مدين بالفضل لطبيعتى اليهودية فيما أملك من صفتين مميزتين لم يكن فى وسعى الغناء عنهما خلال حياتى الشاقة فلأنى يهودى وجدت نفسى خلوا من التميزات التى احتلت غيرى دون استخدام ملكاتهم الذهنية وكيهودى كنت مستعدا للانضمام الى المعارضة ولننصرف دون موافقـة الأغلبية الساحقـــة .

ويرد الدكتور صبرى جرجس : الأصـل الفكرى لنظرية العقل الباطن واللاشعور عند فرويد الى نظرية (الزوهـار) التى يتحدث عن الاتصال الجنسى بوصفه الكشف عن الغريزة . ويحاول فرويد حين يسعى الى الفهم والكشف عـن اللاشعور الى الكشف عن عـرى العقل من الانسان .

أما نظرية تفسير الأحـلام عند فرويد فيرجعها الدكتور صبرى جرجس الى التشابه بين طريقة تفسير الأحلام وبين طريقة تفسـير الزوهار للتوراة بفصل الفقرة مـن سياقها ثم محاولة ايراد الخواطر المرتبطة بهـا .

كذلك فان نظرية الغرائز ومفهوم (اللبيد) لم يكن يتيسر ظهورهما الا فى نطـاق الافتراض بأن الانسان حيوان بشرى وأن الذى يقرر سلوكه الى حـد كبير هو الأساس البيلوجى لتكوينه وهكذا نرى الدعوة الفرويدية التى تستمد نبعهـا من التراث الصهيونى فى تعصبـه واستعلائه تصوغ مناهجها على أساس أن الانسان فى جوهره هو عبد لغرائزه ، وأن ذلك انما يمثل الانعطاس المنطقى للمجتمع البرجوازى الذى افرخت فيه فى جموده وتحلله الفكرى والخلقى كذلك فان منهج فرويد فى علم النفس يهـدف الى خـدمة مصالح المجتمع البرجوازى والراسماليـــة .

وان التحليل النفسى فى أساسه (الذى يقوم على أن الانسـان فى جوهـره عبد لغرائزه) يعتمد على الصراعات الناشئة بين الرغبـات الفطرية الغريزية والمكتسبة من ناحية وبين الأنا الأعلى والذات الواقعـة من ناحية أخرى وليست تهدف مفاهيم فرويد الى تبرير الحركة الصهيونية أو انشاء وطن قومى ليهود فحسب وانما ترمى الى الهـدف الأكبر للصهيونية وهو تدمير الكيان الانسانى لوصـل الخيط بنظـرية داروين من حيث أن الانسان حيوان ليقول بأنه خاضع للجنس » .

هذا المنهج السارى فى أفـق التعليم والجامعات والثقافة والصحافة فى العالم الاسلامى اليوم والذى تجرى عليه محاكمة مختلف قضايا المجتمع هو منهج غريب علينا ودخيل ويختلف مع قيمنا وأصولنا كل الاختلاف بل أنه يهاجم كل القيم التى جاءت بها الأديان من مصدر الخلاف بين المسيحية والعلم فى أوربا ومن هذه الخلافات :

أولا : ينكرون وجـود الله تبارك وتعالى ووجود الروح منفصلة عن الجسـد فى جوهرها وصفـاتها وأعمالها وبقائها حية بعد فنائه لأن هذه الروح لا تقع تحت دائرة الحس ولا يمكن ملاحقتها أو اخضاعها للتجريب .

ثانيا : النظـر الى الدين على أنه يمثل صراعات الانسان اللاشعورية وهـو فى جانب منه يزود الانسان باشباعات بديلة ، وأن الدين مستمد من أسطورة أوديب وما يتضمنه من وهم الأب السماوى المحب الذى يعـد المؤمنين بالسعادة فى عالم آخر اذا هم تنازلوا عن رغباتهم الغريزية فى هذا العالم .

ثالثا : انكار البعث والخلود والمسئولية الفردية وانكار النظام الأخـلاقى واعتبارهما من ضروب المزيف والخـرافة .

رابعا : اخضاع العلوم الانسانية لما حصلت له العلوم التجريبية .

خامسا : كما ينكر علم النفس الغربى : وجود الله والوجدان الدينى كذلك فهو ينكر العقـل الذى يسيطر على الغـرائز ويعتبر الانسان حيوانا تسيره الغرائز وحـــدها .

سادسا : غلبة الاتجاه المادى فى علم النفس بحيث يتصـور النفس الانسانية تصـورا ماديا ، فهى عنده مجموعة غرائز تتطلب الاشباع المادى المباشر والانسان فى اطار هـذه النزعة المادية مدفوع بقوى لا معقولة ، ومغلوب على أمره تصدر عنه افعال قهرية وكل ما يملكه العقل من (حيل) : هى (تبرير) هذه الأفعال أو البحث عن وسائل مقبولة لاشباعها والتسامى بها .

سابعا : معظم النتائج التى قدمهـا أصحاب هذا المذهب وعلى رأسهم فرويد استخلصت من الحـالات المرضية ثم عممت على حالات الأسوياء ثم أقيمت نظرية كاملة فى هذا الاطار الزائف .

ثامنا : غلبة المادية على علم النفس ، والمـادية فلسفة حيـاة وجـرائيمها مضمرة فى العلوم الطبيعية وأهمها الصراع بين الدين والعلم .

تاسعا : آراء فـرويد وأصحاب مدرسة التحليل النفسى عامة تواجـه بالنقد العنيف داخل الاطار السيكولوجى نفسه وتتسع دائرة هـذا النقد ابتداء من

فرويد شخصا وشخصية حتى التحليل النفسي مدرسة ومنهجا وفلسفة حياة .

عاشرا : تقوم نظريات علم النفس التحليلي (كارل يونج وغيره) على اعتماد الأساطير القديمة على أنها حقائق علمية (كما اعتمد فرويد على أسطورتي أوديب والكترا واعتماد القصص الخرافية والحياة البدائية وديانات الشرق والغرب والكيمياء القديمة (حجر الفلاسفة) والتنجيم وقراءة الأفكار والتخاطر والتلباثي والاستشفاف والانثربولوجيا ، وكل هذا الفكر القديم البالي الذي هو (فكر طفولة البشرية) باجماع الباحثين هو المصدر الذي يقوم عليه علم النفس محولا الوساوس والهلاوس والهذيانات والطقوس البدائية إلى حقائق كاذبة وكذلك طقوس تدشين الطفل ورموز الثعابين والحيات والخيول المحنطة والطيور الرمزية وأسطورة البطل وصراعه مع الآلهة ، كل هذه الأساطير التي احياها (فريزر) واعتمدها علماء النفس البارزون فرويد ويونج وادلر وان كان يونج وادلر يختلفان مع فرويد في الدافع الجنسي ولكنهما يعتمدان كل هذه الأساطير فلا ينخدع بهما احد ظنا انهما اكثر اصالة .

مذهب ادلر يقوم على حافز طلب القوة ومذهب يونج يقوم على مركب النقص .

* * *

نظرية الجنس :

يقول يونج : ان فرويد يرى أن أصالة الجنس هي صانعة المتاعب وقد اعتمد فرويد الدافع الجنسي كمصدر لكل تحركات الانسان : ويتحدث الأستاذ سعد حسن لطفي عن نظرية الجنس فيقول : تعتبر الغريزة الجنسية هي المهيمنة على كل تصرفات الانسان فتضع البشر في مرتبة أقل من مرتبة الحيوان وهذا التعبير الخاطىء يجعل الحياة كلها خلافا حول الجنس ، وعلى النساء الى درجة أن غاية الانسان في الحياة هي اشباع الغريزة الجنسية وربما كانت الحروب بين الدول بسبب النساء والجنس .

وهذا المذهب هو المعمول به في التحليل النفسي وفي العلاج وفي التربية والتعليم مع أنه أكبرها خطأ وأبعدها عن الدين والخلق القويم ومن المسلم به أن الصحة النفسية هي في العفة والسيطرة على النفس بعكس ما قال فرويد من أن الصحة في الاباحة وأن الأمراض النفسية في العفة حيث نسب اليه ما يسميه (الكبت) وأن يكبت الانسان شهواته ويلجمها احكم واشد حزما من الاباحة والامتناع عن العملية الجنسية يزيد قوة المخ والادراك ويزيد قوة البدن ايضا ومقدرته على الأمراض بعكس الحال عند المسرفين في العلاقة الجنسية ناهيك عن مضار الزنا كالأمراض التناسلية الفتاكة .

* * *

نظريات أخرى :

وهناك مذهب آخر من مذاهب علم النفس يجعل الانسان عبدا للدنيا والمال وتسيره غريزة التملك فيكون سعيدا وصحيحا نفسيا اذا كان غنيا ومريضا نفسيا اذا كان فقيرا . وهذا مخالف للواقع والعقل فان الفقراء يملكون فضيلة الصبر وفضيلة القناعة وفضيلة الايمان بالله ويملكون صحتهم البدنية والنفسية وهي احسن من صحة الأغنياء باجماع الآراء والمؤمن سيد للدنيا والكافر عبد لها .

وهناك مذهب نفسي آخر (والكلام للأستاذ سعد حسن لطفي) يجعل الانسان خاضعا للمجتمع وحده ويجعل غاية السعادة والصحة أرضاء الناس وهذا المذهب يشجع على الرياء والنفاق فان القوة والطاعة في المجتمع هي في ارضاء الله (تبارك وتعالى) ولو باغضاب الناس لأن قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن فيرضي الله الناس عمن أرضاه باغضاب الناس ويغضب الله الناس على من يرضي الناس باغضاب الله .

وهناك مذهب نفسي آخر : يعتبر الايمان مسألة خاصة ونسبية فهو ينكر وجود الله (جل جلاله) ويقول ان الانسان لو اعتقد في أي شيء فانه يتأثر به وعلى هذا فيكون الدين وهما وليس حقيقة . وهذا عكس كلام الله تبارك وتعالى من أن الاعتقاد فيما سوى الله لا ينفع وأن الحجارة لا تسمع ولا ترى وأن النافع والضار هو الله وحده .

وهذه المذاهب جميعها في نظر الاسلام مرفوضة تماما بسبب تضاربها ولا يجوز التوفيق بينها واتخاذ مذهب وسط ، ذلك أن الحقيقة ليست وسطا بين خطأين .

ومن وجهة نظر الطب النفسي فان الاستقامة هي أساس الصحة البدنية والنفسية وان الفساد هو أساس الأمراض النفسية وأن الايمان بالله هو العزة والقوة والصحة وعدم الايمان أساس كل الأمراض . وأن المؤمنين يتغلبون على السحر والشعوذة ولا يخافون من السحرة ولاينخدعون منهم وأن التعليم الديني هو الضمان الوحيد لعدم انتشار السحر والدجل والمؤمنون يعتقدون أن السحر كفر بالله وباطل وخرافة وتكثر الأمراض

النفسية بسبب الخوف من السحر وبسبب العداوة والشر والحقد والرغبة فى المضرة .

ولا يوجد شيء يدفع النفوس الى فعل الخير والبعد عن الشر غير الوازع الدينى والطمع فى رحمة الله ورضاه والخوف من عقابه . ولقد واجه الفكر الاسلامى مفهوم النفس الغربى الوافد ورد كثيرون على أخطائه وأخطاء فرويد بالذات وخاصة فيما يتعلق بالحديث عن (اللاشعور) الفرويدى بكل محتواه الغريزى ، بينما يقدم لنا العلماء المسلمون وخاصة الذين اهتموا بتزكية النفس الى لا شعور أعمق وهو الجزء الذى اذا ما اصبح شعورا ويقينا عمر الايمان الحسى (على حد تعبير الدكتور يحيى الرخاوى) .

هذا اللاشعور المرتبط بالفضيلة . والسمو والصدق والايمان والذى تتجاهله الحضارة الحديثة تجاهلا تاما .

ولقد تبين لبعض المدارس النفسية الغربية هذا المفهوم الاسلامى العميق والذى يمثل (حاجة أصيلة فى تركيب النفس البشرية والذى يرد اغتراب الانسان ووحدته وشقاءه الى اهمالها أو كبتها أو انكارها ، فقد تبين أن فرط الحرمان من الفضائل يؤدى الى أمراض محددة لها من الأضرار والمضاعفات ما يفوق مثيلاتها من أمراض نفسية ، الا أن انتشار أمراض نقص الفضائل لا تظهر بيننا بشكل صريح لسببين :

أولا : أنها امراض شائعة شيوع الوباء وكأنها القاعدة وليست الاستثناء والثانى : أن الحديث عن الفضيلة كثيرا ما يغنى عن ممارستها وكأنه التحذير المسكن .

ومن ذلك مرض الزيف الذى ينتج الحرمان من فضيلة الصدق ومرض الظلم الذى يتجه ليقضى على فضيلة العدل ومرض التعقيد والغموض الناتج من كبت فضيلة البساطة .

وهذا الذى تكتشفه بعض المدارس النفسية الحديثة هو ماجاء فى حديث الامام ابوحامد الغزالى حيث عرض لأمراض الحسد والعداوة والكبر والعجب والخوف وحب الرئاسة وخبث النفس .

* * *

ومن الباحثين المسلمين الذين عنوا بوضع أسس علم نفس اسلامى وشغلوا أنفسهم منذ سنوات بهذه الدراسات الدكتور حسن الشرقاوى الذى قطع مرحلة طويلة فى طريق هذا العمل الكبير حيث يبنى منهجه على قواعد أساسية :

يقول : يزعم رجال مدرسة التحليل النفسى أن النفس البشرية مغلوبة على أمرها رضيت بذلك أم ابت تسيرها دوافع قسرية وتحركها غرائز حيوانية ونزعات انانية وأن الانسان مثله مثل الحيوان يسعى لتحقيق حاجاته البيولوجية واشباع شهواته البهيمية . وأن الشخصية الانسانية يحكمها قانون الغاب من اداخل ويرى فرويد أن أصحاب مكارم الأخلاق مرضى نفسيون باعتبار أن الانسان حيوان وحشى مصاب بالشبق الجنسى فلا هم له الا تحقيق لذاته والتنفيس عن غرائزه الجنسية فان لم يستطع فهو مريض نفسيا ، وأن الانسان السوى هو الانسان المتوحش ، ويجرى علاج الأمراض النفسية فى ضوء عقدتى أوديب والكترا وقد اتخذ فرويد من هذه الشخصية الأسطورية مسرحا لعلاجاته النفسية حيث جعل العلاقة الجنسية المحرمة بين الأم ووليدها علىهذه الصورة المعبرة عن الشخصية الانسانية وقد روج اليهود فى كتبهم لهذه الأسطورة وعملوا على تلقينها للشباب والكهول باعتبارها حقائق يقينية ، بغية هدم العلاقات الأسرية والعمل على التفكك الأخلاقى والغاء القيم الأساسية والمثل العليا من على الأرض وقد استعار عقده (أوديب) ليجعلها أساس العلاقة بين الأم ووليدها واستعار عقده (الكترا) لتمثل العلاقة الجنسية بين الأب وابنته وجعل فرويد من الأسطورتين الخياليتين حقيقة واقعة واخذ بنشر هذه الآراء فى المجتمعات الغربية التى كانت قد سقطت فى أوائل هذا القرن فى الانحلال الخلقى وتفشى بين الأسر الزنا والعلاقات غير المشروعة فوجدت آراؤه آذانا صاغية وتمسك بها الشباب الساقط والزوجات العاهرات ليكون مسوغا علميا لتصرفاتهم اللاخلاقية ومبررا لفعل الفواحش وظهرت روايات ومسرحيات تعاون على ترسيخ هذه الموجة الانحلالية فى عقول الشباب الأوربى وظهرت مسرحية (المومس الفاضلة) التى عرضت مئات المرات .

هذه القصة تمثل الحالة التى برزت فيها أوربا فى نهاية القرن ١٩ وبداية القرن العشرين حيث اتضح أن الزوجات يمارسن الجنس مع غير أزواجهن وجاءت المسرحية تدافع عن العهر والعاهرات وتروى قصة امرأة عاهرة احبت شابا من أسرة محافظة وذهب اليها الأب يرجوها أن تترك الشاب فهجرته وتخلت عن ملاكها لتعيش بعيدا فى كوخ حقير حيث تموت بداء السل ، والمغزى الخطير للقصة أنها تشجع على البغاء وتعاون

المنحرف على الانحـــراف وتزعم أن للعهر أخلاقيات وأن للمرأة العاهرة مثلا للتضحية والايثار ، وهكذا أعـــانت فكرة فرويد على الانحـــلال الخلقى والشذوذ الجنسى ، وترويج مفترياته عن طـــريق اليهود ونشره بين العام والخاص ثم امتدت لتغزو المجتمعات الانسانية باعتبارها حقائق علمية لا تحمل التشكيك فيها .

قال سفيتزر : وهو اكبر علماء التربية الألمان :

نحن نعيش عصر انهيـــار الحضارة بين الحضارة والبربرية .

وقد قامت مدارس التحليـــل النفسى على تبرير السلوك الجنسى الشاذ وتنصح الشباب بالتنفيس عن عن نزعاتهم الجنسية ومتطلباتهم البيولوجية وحاجتهم الغريزية بدعوى أن كبتها يولد الأمراض النفسية هؤلاء الأطباء يهبطون بالانســان الى البهيمية والحيوانية ...

وقد دعا كثيرون الى بناء علم نفسى دينى اسلامى على نحو ما يقـــال بوجود علم نفس يهودى أو نصرانى لاختلاف خصائص كل دين من هذه الأديان ويرى الدكتور فؤاد أبوحطب أن بناء علم نفسى دينى اسلامى ليس كافيا لأن التركيز على الظاهـــرة الدينية وجدها لا يتفق مع خصائص الاسلام الذى لا يضار بين الدين والدنيا وأن المطلوب هو اكبر من مجرد انشاء فرع جديد لعلم النفس ونحن مطالبون بأن تنظـــر فى علم النفس من منظـــور شمولية الاسلام ليصبح هـــذا العلم الذى يشمل مختلف جوانب الانسان الدينية والدنيوية موجها وجهة اسلامية .

* * *

البـــاب التاسع عشر

أسلمـــة التـــراث

ان مفهوم التراث فى الفكر الاسلامى يختلف تماما عن مفهومه فى الغرب ، ومن هنا يجب أن تختلف النظرة اليه ، ومن ثم فان المنهج الذى يتبعه الغـــرب فى تعميم تراثه والنظر اليـــه والانتفاع به هى مسألة تخصـــه بالذات ولا تنسحب على التراث الاســـلامى بل لا تصلح اصلا لأن يكون أسلوبا صحيحا لتقويم التراث ، ولذلك فنحن فى حاجة الى أسلمة منهج تقويم التراث . أى اننا يجب أن نقدم أسلوبا مختلفا عـــن أسلوب الغرب الذى تخضع له الآن ، وأن يكون هـــذا الأسلوب مستمدا من « النظرة الاسلامية للتراث » فالغربيـــون ينظرون الى تراثهم على أنه أساطير وكتب قديمة ليست لها قداسة ، وفنون للترفيه وللاغراق فى الخيال ويقوم تراثهم القصصى على الصراع بين الآلهـــة والبشر وعلى عبـــاده جمال الأجساد وقد غلبت عليهم النزعـــة السقراطية فى تقبل صور الشذوذ الجنسى والخضوع لمفهوم احتقار الأنوثة والبكارة على النحـــو الذى انتهى بالحضارة الغربية المعاصرة الى عقـــد زواج رجل على رجل ، أو غير ذلك من أنواع الانحراف .

كذلك فى ميدان الكتب المقدسة فالغربيون ينظرون اليها على أنهـــا من كلام البشر وأنها ليست لها قداسة خاصة وأنها توضع موضع الانتقاد وهكذا فان التراث فى الغرب ليست له قيمة تحميه من محاذير الاضافة منه والحذف ، وتغييره والتوسع فى تصوراته ، لأنها تعتبر من الأساطير التى يجـــوز للكاتب أو الشاعر أن يتصرف فيهـــا .

وهذا يختلف اختلافا واسعا وعميقا عن (جوهر) التراث الاسلامى وعـــن النظرة اليه فالتراث الاسلامى هو (أولا) ميراث الرسالة والنبوة الموحى بها للرسول الخاتم (القرآن الكريم) وقد أوتى هذا الكتاب كما أوتى الحكمة (السنة النبوية) وكلاهما مكمل للآخر ، وهذه لها قداستها الكاملة ، وهناك التراث المكتوب من صنع العقل الاسلامى فى مجال الفقه والتفسير والعلوم وهـــو عمـــل بشرى يلقى الضوء على الرسالة الأساسية وقد اختلط هـــذا العمل ببعض أعمال الفلاسفة والمتكلمين والمعتزلة والتصوف الفلسفى ، وكل ما دخل على الفكر الاسلامى نتيجة ترجمة الفلسفات اليونانية والفارسية والهنـــدية وغيرها ، غير أن الفكر الاسلامى الأصيل قد وقف وقفات حاسمة أمام الفكر الوافد وكشف زيفـــه وصحح الانحرافات التى انجرف اليهـــا الذين حاولوا اقحامه على الفكر الاسلامى الأصيل ، كما فعل المعتزلة والفلاسفة وأصحاب التصوف الفلسفى .

هذا التراث كله يقبله المسلمون تماما وينظرون اليه نظرة كاملة ، فلا يبتعثون أجزاء منه من شأنها أن تعيد اذاعة الوثنيات والمجوسيات وفلسفة علم الأصنام وغيرها التى وقع فيها : الفارابى وابن سينا ، أو الحلاج وابن عربى وابن سبعين والسهروردى أو ما وقع فيه الرازى وابن الراوندى وغـــيرهم ، وتلك هى محاولة الاستشراق التى بدأها باحيـــاء رسائل اخوان الصفـــا وغـــيرها واعانة عليها غلمان المستشرقين أمثال : طـــه حسين وعبد الرحمن بدوى وغيرهم .

ان ابتعاث التراث الاســـلامى هو قاعدة البنـــاء الأساسية لليقظـــة والدعامة الكبرى للصحـــوة فهـــو والتاريخ يعطى الشباب المسلم الاحساس القوى بالثقة والايمان بالأمـــة التى صنعت الحضارة الاســـلامية الانسانية التى نشرت ضوئها فى العالم كله خلال الف عام وقدمت للبشرية مفهوم التوحيد والعدل والرحمة والاخاء الانسانى وحررت العقل من الوثنية وحررت الانسان من العبودية التى فـــرضتها حضارات الرومان والفراعنة والفرس والهندوك ، هـــذا التراث الذى تحجبه اليوم جامعات ومعاهد وهيئات فى الغرب لتخفى الحقيقة التى يجب أن يعرفها المسلمون عن حقيقـــة دورهم فى بنـــاء الحضـــارة ، ليس فى تقـــديم المنهج العلمى التجريبى فحسب بل وتقديم أصول العلوم الانسانية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية وأن عشرات من النظـــريات العالمية الآن انما هى مبثوثة فى مصادر التراث الاسلامى التى تبلغ اكثر من ربع مليـــون مجلد موجودة فى مكتبات

العالم وقد كشفت الأبحاث الأخيرة كيف أن رجــلان من دعامات الحضارة الغربية وعصر النهضة كان منهجهما مأخوذا من الفكر الاسلامى : فرنسيس بيكون وديكارت ولقــد ترى هــذه الحملة الضخمة التى تحملها أقــلام التغريبيين على التراث فتدهش لذلك ، وربما تقول : انهم يريدون ألا يعرف المسلمون (حجم) الدور الذى قاموا به والذى أنكره الغرب تماما وأقام حوله (مؤامرة الصمت) ولكن الأمور أكبر من ذلك وأبعد مدى .

وذلك هو ما كشف عنه الباحثون الذين يدعون الى أسلمة المعرفة وفى مقدمتهم الدكتور اسماعيل الفاروقى الذى يقول ما معنــــاه :

ان بناء نهضة اسلامية حقيقية فى مجــال العلم والحضارة لا يمكن أن تبــدأ الا من آخر خطوات التراث الاسلامى وانه لا يمكن أن تبــدأ الا من آخر خطــوات التراث الاسلامى وأنه لا يمكن بناء هذه النهضـــة على الشظايا المنقولة من حضارة الغرب .

يقول : ليس هناك موقف اسلامى حى اليوم ليست له علاقة بتراث الاسلام ولابد من دراية كاملة بالتراث من حيث نواحى القــوة والضعف فيــه بل ان الموقف الاسلامى فى الحاضر وفى المستقبل يجب أن يأخذ صورة مصاحبة للتراث دائما وليست انطلاقا جذريا فحسب .

ذلك أنه قبل تفصيل العلاقة والملائمة بين الاسلام وعلم معــين يجب أن نكتشف ماذا فى تراث الاســلام مما يتصل بهذا العلم ، ان تراث أسلافنا يجب أن يظل بالنسبة انا نقطة الانطلاق وأن أسلمتنا للعلوم ستكون ضحلة جــدا اذا لم تأخذ تراثنا فى الحسبان ولم ننتفع بنظرات أسلافنا الثاقبة .

وهنـــاك مشكلة الانتفـــاع بالتراث فى بدأ مسيرة الباحث الحديث ذلك أن مصنفات العلم الحديث لا توجد ولا حتى أسماؤها فى التراث على هذا النحو ، كذلك فان التراث قد يحتوى على معلومات قيمة لايمكن تصنيفهـــا طبقا لأى تصنيف جديد ولا ربطها به ، ان العالم المسلم الذى تدرب فى الغربكثيرا ماينهزم أمام استغلاق التراث عليه ، الأمر الذى دفعـــه بقوة الى الأعراض واليأس والحكم بأن ليس فى التراث شىء حول موضوع البحث ، مع أن الحقيقة أنه هو الذى لاخبرة له بتصنيفات التراث التى تتدرج تحتها مثل تلك المــادة الملائمة لموضوعه ، كذلك فان العام المسلم الذى يدرس فى الغرب لا يمتلك الأوقات ولا الحيــوية المطلوبة للقيــام باستطلاع ناجح للمــؤلفات الضخمة والكثيرة التى تضم تراث العــالم الاســـــلامى .

كذلك فان أساتذة التراث الاسلامى التقليدى على الرغم من خبرتهم لا يمكنهم أن يكتشـــفوا أولا أن يقوموا جوانب الملاءمة بين هــذا التراث والعلم الحديث نظرا لجهلهم بتلك العلوم وعدم درايتهم بموضوعاتها ومسائلها وقضاياها ، ولا بد من تعــريف الخبراء بالعلوم الحديثة وامدادهم بمثابة التلاءم التى يستطيعون استخدامها فى أبحـــــاثهم .

***

ولا بد من أن نقدم للمسلم المتعلم فى الغرب :

١ ــ صفحــات من التراث فى شــكل مختارات تتضمن مادة علمية بكل موضوع .

٢ ــ تحليل كتاباتهم على ضوء الخلفية التاريخية المتصلة بمشاكل عصرهم .

وهكذا نجــد أن القضية ذات أبعــاد خطيرة لم نكتشفها وربما استهنا بها ولكن الذين يثيرون الحرب على التـــراث يعلمون خطـــورته من حيث أنه سيحطم القراعد المزيفة اتتى يحاولون أن يقيموها من مفهـــوم الغرب للتراث حتى لا يستطيع التراث الاســـلامى أن يصل الى غايته الحقيقية .

وهذا يفسر أيضا تلك الدعوات الى اعادة النظر فى التراث وتفسيره تفسيرا جديدا ، هذا التفسير اما أن يكون ماديا أو ماركسيـــا واما خاضعـــا لجذور تلمودية وهذا عمل مرفوض ولا عمر له ولا بقاء .

وهنـــاك من يتحدث عن تراث مصرى (يهــودى الذى يقوم به بعض التغريبين : زكى نجيب محمود وطه حسين ، وعبد الرحمـــن الشرقاوى وغيرهم بل وكتابات كثير من المؤرخين الذين يعملون على اطفاء نور التراث وبريقه بتحويله الى مادة جامدة ووضعه فى أسلوب علمى جاف وتفسيره تفسيرا ماديا .

وهنـــاك من يتحدث عن تراث قوى (يهــودى ومسيحىواسلامى) وهذه خدعة كاذبة فالتراث اسلامى متصل وكل ما سبقه فهو مما وقع عليه سيف (الانقطاع الحضارى) فتوقف لأن لغتـــه ماتت ، ولم يعد له وجود حقيقى بل ان الثقافة الاسلامية لم تعد منذ ظهور الاسلام ثقافة المسلمين بل ثقافة كل من تظلهم الأرض الاسلامية قيما وتقاليد وعادات ، فما هذه النعرات الباطلة التى تتجدد على بعض الشعوبيين باحياء مايسمونه تراثا مات قبل أربع عشر قرنا ومايحوى سوى الأساطيروالخرافات والأوهام وطفولة البشرية .

(٢)

ان فهم موقـع (التراث الاسلامى) من فكرنا الاسلامى فهما صحيحا من شأنه أن يبنى روح هذه الأمة الاسلامية فى نفـوس الشباب المسلم بالثقـة واليقين والايمان الخالص بأن العـودة الى المنابـع واستلهام اسلوب الأصالة والرشد الفكرى من شأنها أن تطلع فجر النهضة الاسلامية الجديدة التى قامت على أصولها الأولى منذ صيحة التوحيد المتجددة ومطالع اليقظة الاسلامية .

هذا الفهم يؤكد لنا عدة حقائق :

الأولى : أن الاسلام هوا لذى قدم مفهوم الحضارة الانسانية القائمة على العدل والرحمة والاخاء البشرى وحرر الانسان من الوثنية وعبودية الانسان للانسان .

الثانى : ان القـرآن هو الذى فتح أمام المسلمين أبواب قوانين العلوم وسنن الحضـارات والمجتمعات وهـو الذى وجه المسلمين الى انشاء المنهـج العلمى التجريبى وعلم المعرفة ذى الجناحين .

الثالث : ان المسلمين لم يقبلوا الفـكر اليونانى والمجوسى والوثنى القديم وكشفوا زيفه وما قبلوه من المعارف القديمة حققـوه واختبروه واصلحوا ما فيه من الخطأ وما قبلوه منه صاغوه كمادة خام فى محيط فكرهم القائم على التوحيد والعدل والاخاء البشرى .

ومن هنا فقد تقررت القاعدة التى قامت عليها المدنية الاسلامية خلال الف سنة وتركت أكثر من مليون كتاب من كتب التراث منهـا ما ذهب ومنها ما حفظته الخزائن فى الغرب وفى بلاد الاسلام . وهو ما لم يتم حتى الآن تقويمه أو التعرف على أبعاده الحقيقية فان كلمة (فضـل التراث الاسلامى على الحضـارة) هى كلمة ساذجـة لا تتناسب مطلقـا مع الآثار البعيـدة التى لم يعرفهـــا حتى الآن جيلنـا لأنه لم يقـدر له مـعـد الكشف عن مذخـور هـذا التراث على وجه الحقيقة وما استفاده علماء الغرب منه فى مجالات القانون والاجتمـاع والسياسة والاقتصاد والتربيـة وما عرف حتى الآن لا يمثـل اكثر من واحد على عشرة ، اى أن مايقوله الآن هو عشر الحقيقة ، وذلك لأن الغرب لا يريد أن يطلع المسلمون على حقيقة معطياتهم ولا على الحجم الحقيقى لهذا العطاء .

ويصور الدكتور فؤاد سزسكين هذا المعنى بعد عمله خلال ثلاثين عاما فى مجال التراث الاسلامى المنثور فى مكتبات الغرب على وجه أقرب الى الدقة حين يقول : ان المكانة الحقة للعلوم العربية الاسلامية فى تاريخ العلوم العام أكبر مما أثبتته الدراسات التى تمت حتى الآن ولا يقلل من هذه المكانة أن تعترف لمن سبقنا ولغيرنا بماله من جهـد ، فمكانة العلوم العربية الاسلامية فى تاريخ العلوم لا تقـل عن مكانها لدى أمم أخرى ، وأثر العلوم العربية فى عصر النهضة الأوربية أوسـع وأعمق من أن يتصور ليس هذا مجرد رأى أو انطباع ، وانما هو ثمرة دراسة وبحث فى هـذه العلوم مدى ثلاثين عـاما حاولت فيها بتتبع قصة أثر العلوم العربية الاسلامية فى الغرب فى عدة مجالات ، وان كان أكثر هذه الحقائق لم تتضح بعد لمؤرخى العلوم وسيستغرق اظهارها فى كتبهم وقتا طويلا . لقد قطع المسلمون مرحلة الأخذ والتمثل فى وقت قصير نسبيا ، حتى اذا وصلت الى أواسط القـرن الثالث الهجرى كان المسلمون قد دخلوا مرحلة الانتـاج الأصيل المبتكر ، وهـذا الطابع الابداعى نفذ الى جميع العلوم فى سرعة وعمـق وقد ظل مستمرا دون انقطاع حتى القرن الثامن الهجرى ومعنى هذا فان المسلمين فى أواسط القـرن الثالث الهجرى استطاعوا أن يطوروا ما ورثوا عن الاغريق والبابليين والهند والفرس ، وأن يصححوا هذا الموروث وأن يأتوا بقوانين ومذاهب جديدة وأن يستخدموا آلات جديدة فى تجـاربهم ومقاييسهم وأن يضعوا علوما جديدة غير موجودة لدى الأسلاف . وقد بدأ الغربيون الترجمة من اللغة العربية الى اللاتينية وكانت أقدم ترجماتهم تتعلق بالاسطرلاب وبالهندسـة العملية ، ولما لم يجدوا فى كثير من الأحوال اصطلاحات لاتينية مقابلة للاصطلاحات العربية فقد اضطروا الى استخدام المصطلحات العربية كما هى :

وهنا نكتشف حقيقة هامة هى أخطر ما يصل اليه البحث وهو انكار فضل المسلمين جملة تقول :

وقد انطلق اللاتين من مبدأ (الانتحال) فيما كان الموقف الاسلامى واضحا فى اسناد الأقوال الى أصحابها ولما كان اللاتينيين قد أخذوا العلم من اعدائهم والمسلمين فى الدين والسياسة فقد أدى الانتحال الى اخفاء المؤلفين الحقيقيين ، وذلك خلافا للمتبع عند المسلمين فقد كانوا يأخذون من ابناء دينهم وغيرهم دون أى مانع معنوى ثم قامت الجامعات فى المدن الأوربية ، على غير مثال أوربى ولم يعـرفها الاغريق ولم تعرفها العصـور الوسطى الأوربية ، وهى ليست الا تقليدا للجامعات الاسلامية : أصولها وفروعها وبرامجها .

وقد كانت ظاهرة الانتحال تقوم على نسبة الكتب العربية الى علمـاء الأغريق ومن ذلك نسبة كتاب حنين ابن اسحق فى العـين الى جـالينوس ونسبـة كتاب نور الدين البطروجى فى الفلك الى أرسطوا .

ويشير الى هــذا المعنى الأستاذ موسى الموسوى يقول : دخلت العلوم الاسلامية أوربا فى عصر الترجمات واحتلت مكانا كبيرا فى الفــكر الأوربى ولكن أغلبيــة **المستشرقين الأوربيين بخست ذلك وأخــذت الكثير من** هــذه العلوم دون أن تشير الى المصدر الأساسى الذى هو الاسلام ، كان قانون ابن سينا يدرس فى الجامعات الأوربية حتى القرن الثامن عشر ، وآثار الغزالى ترجمت الى اللاتينية ودخلت الفكر الأوربى وان ديكارت أخــذ **كثيرا من آثار الغرب نصا وروحا وأن كثيرا من آثاره** التى أقام الدنيا وأقعدها فيما يتعلق بفكرة (**أنا أفكر فأنا** موجود) أو الأدلة التى يستند اليها فى اثبات وجود الله كانت موجودة فى الفكر الاسلامى .

ويضاف الى ذلك أمرين : (الأول) أن المستشار عبد الحليم الجندى كشف بكتابه الذى صدر (١٤٠٤ هـ) **أن فرنسيس بيكون أخذ المنهج العلمى الذى قدمــه الى أوربا من ثنايا كتاب الرسالة للامام الشافعى .**

(الثانى) : ان كتاب (المنقذ من الضلال) المترجم الى الفرنسية وجد فى مكتبة (ديكارت) وعليه تأشيرات بنقل نصوص منها الى نظريته .

ويشير الدكتور فــؤاد سيزسكين الى أن ظاهرة حذف أسماء العلماء العرب وذكر أسماء علماء الاغريق **ترجع الى عاملين مهمين :**

الأول : ظهور التيار المناهض للعربية وقد نشأ هذا التيار فى نهاية القرن ١٣ ، أوائل ١٤ م بضراوة وشدة . **أنها العقدة النفسية تجاه أسماء العلماء العرب** ورائد هذا التيار المناهض للعربية هو (رايمون لولوس) وقد وصل الينا أكثر من سبعين كتابا اتضح من بحثها أنهــا جميعا مؤلفات عربية وقد استمر هذا التيار الى أواسط القــــرن ١٦ م .

ثانيهما : الطموح والولع بالتفوق الحضارى فكانت الاكتشافات المهمة للعلماء المسلمين **تنسب الى يومنا هذا** الى علماء أوربيين ومن هــذا القبيل اكتشاف **الحجــرة المظلمة** ، فى النظريات وكشف المثلثــات الكروية **والآلة** الفلكية المسماه باسم عصا **التلفولى وتأسيس التجربة** وهى مكتسبات نسبت دون حــق الى لفى بن جــرين وذاعت شهرته بها ولم يسجل أحد من **الباحثين نفسه** كيف يمكن لرجل واحــد أن يكتشف **هذه الاكتشافات** الخطيرة واليوم يعرف المكتشفون الحقيقيون لها وهم من العلماء العرب .

والى جانب الكتب المترجمة فثمــة وسائل أخرى لاخفاء الانتاج العلمى الاسلامى : أن الكثير من الأوربيين بعد أن أدركوا أهمية العلم الاسلامى **شرعوا فى الرحيل** الى الشرق والاقامة به سنوات طويلة ويعلموا اللغــة العربية ودرسوا العلوم وعادوا ومعهم العلم والكتب . ومن ذلك العــالم الايطالى (لبونارد نبحور اينوس من علماء الرياضيات اللاتين **تعلم العربية ودرس الرياضيات** فى تونس وتنسب اليــه اكتشافات خطــيرة فى تاريخ الرياضيات ومن ذلك كوبرنكوس الذى أخذ نظرياته عن دوران السيارات عن الفلكيين المسلمين الذين عاشوا فى القرن ١٣ ، ١٤ م .

هذه الاكتشافات هى اقتباسات منا لكتب العربية وثمة وسيلة أخرى **لأخذ العلوم العربية وهى طريقة** النقــل الشفوى ومنذ القرن الثانى عشر الميلادى عرف العلماء اللاتيين الذين لا يفهمــون العربية الانتاج العلمى العلماء اللاتين **الذين لا يفهمون العربية الانتاج العلمى** يستفيدون مــن تلك الكتب دون أن تكون قد ترجمت فى أوربا أو كنت ترجمت وخفيت ترجمتهــا على النــاس . ويبدوا أن الأمر كان معروفا للمسلمين **لذا كان عليهم فى** كتب الحسبة أن يحذروا بشكل رسمى من بيع كتب العلم لليهود والنصارى الا ما كان من شريعتهم فانهم يترجمون **كتب العلم وينسبوها الى أهلهم** وأســاقفتهم وهى مــن تأليف المسلمين .

* * *

الباب العشرون

إسلامية الانتماء فى إطار الحلقات الثلاث

(الوطنية - العروبة - الوحدة الإسلامية)

كان من اكبر اهداف الغزو الفكرى القضاء على الانتماء الاسلامى واحلال انتماء قومى واقليمى ووطنى بدلا منه بحيث تتمزق الوجهة الواحدة التى ألف بينها القرآن الكريم والاسلام والدفاع عن الكيان وحماية الذمار ، والوقوف فى وجه العدو الخصم المهاجم ، ايمانا بدعوة الله تبارك وتعالى المسلمين الى الاعتصام بالوحدة والرباط فى الثغور .

(واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا) ...

(يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا).

(وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة) ..

ومن منطلق تزييف الانتماء الواحد دخلت الى الأمة الاسلامية مفاهيم التمزق القومى تحت أسماء العناصر العرقية والوطنية المرتبطة بالأرض والملتمسة تاريخها فى صور زائفة من تاريخ سابق للاسلام لم يعد له بعد الاسلام قدرة على البقاء ايمانا بما قرره علماء التاريخ والآثار من الانقطاع الحضارى بين ما قبل الاسلام وما بعده .

وقد حاول الغزو الفكرى والتغريب احياء نحل قديمة كالفرعونية والفينيقية والبابلية وغيرها لرد المسلمين اليها بعد انتزاعهم من الوحدة الاسلامية الجامعة ولكن هذه المحاولات باءت بالفشل ولم تستطع ان تحقق شيئا لأنها كانت ضد حركة التاريخ ولم يجد أصحاب هذه الدعوات وسائل أو معطيات تمكن لهم دعوتهم فقد ذابت اللغات والتقاليد والاساطير والآداب الشعبية وتوارت ولم يبق منها الا تراب مطحون من كثرة ما داسته الأقدام .

ولقد أثرت تصريحات لزعماء التبشير والاستشراق والغزو الفكرى تركز على تمزيق الوحدة الاسلامية الجامعة والتركيز على اعلاء الاقليميات والقوميات ، وقد دفعت الرياح فى سارية الاقليمية بحكم التمزق الذى قامت به القوى السياسية الأجنبية التى سيطرت على البلاد الاسلامية منذ احتلال الجزائر ومصر والسودان ثم الشام والعراق والمغرب حين حاولت أن تنشىء لكل قطر من هذه الاقطار تاريخا مستقلا منتزعا من التاريخ الاسلامى العام ، ومفهوم قومى للغة والفكر والتربية والثقافة بعد انتزاع نظم السياسة والاقتصاد والشريعة والاجتماع واحلال القانون الوضعى والنظام الديمقراطى الغربى والمصرف الربوى . وبذلك حجبت طوابع الاسلام . وبذلك خلت مناهج التعليم خلوا تاما من روح الاسلام ، وطوابع الوحدة ، وطوابع الرحمة والعدل والاخاء والايمان التى كانت سائدة فى مناهج التربية والتعليم . وحلت محلها مفاهيم أخرى وافدة قائمة على قيم مادية تفرض الصراع والتنازع حول مختلف أمور الحياة وخلا المجتمع الاسلامى من طوابع الحياء والغيرة ورعاية الأسرة وحماية المرأة وظهرت صور جديدة من الاباحيات والخمور والتحلل والفساد الاجتماعى بانتشار (روائع) الأدب الأوربية القائمة على الكشف والجريمة وهكذا دخلت البلاد العربية فى دائرة الاقليمية بعد انفصالها عن الدولة العثمانية ، وسقوط الخلافة وانفصال تركيا عن الاسلام وفى هذه المرحلة عمل النفوذ الأجنبى على حرب الوحدة وتشجيع الثغرات القومية والوطنية . ودعم الحركات الانفصالية التى عملت على تهيئة الجو لهدم الخلافة الاسلامية وقد بالغ الاستعمار فى تقطيع أوصال العالم الاسلامى ولاسيما دولة الخلافة ، وبذلك تحطمت الوحدة الاسلامية وتجرأ الكماليون على الغاء الخلافة واقامة دولة علمانية فى تركيا وتبعهم اشياعهم فى العالم الاسلامى . وكان سقوط الخلافة عاملا من عوامل هدم الوحدة وتأكد الحواجز والحدود بين المسلمين بالتاريخ .

« واهتم المستعمرون بالتاريخ لتأكيد الفوارق بين المسلمين وتمزيقه الى تاريخ اقليمى وقومى ، وتفريغه من قوته

المعنوية التى ترفع روح العزة وتجمع قلوب المسلمين ، وعمدوا الى تفسيره بالمنهج المادى للقضاء على روح الايمان والقوة المعنوية فيه وعلا صوت التاريخ القديم قبل الاسلام وبذلك أصبح لكل شعب تاريخه المتميز ومفاخره الخاصة ولم يعد الاسلام الا عابر سبيل فى عصر من العصور التاريخية التى مر بها الشعب وسطا القوميون والوطنيون على التاريخ الاسلامى وما فيه من بطولات وأمجاد تركوها نهبا من الأقوام والبلدان بعد أن سلبوها هويتها الاسلامية فاذا البخارى تركى وطارق ابن زياد بربرى وصلاح الدين كردى فقد أعادوهم الى الجنس والمولد مع أنهم ثمرة من ثمرات الحضارة الاسلامية لم تصنعهم قومية معينة ولا يد معينة ولكن صنعهم مفهوم القرآن ومنهج الاسلام .

وأثار الغزاة فكرة الأحزاب فمزقوا المسلمين الى اشتراكى وديمقراطى وتقدمى ووطنى وثورى ومحافظ ويمين ويسار .

* * *

(٢)

هذه مرحلة الاقليميات التى ركزت على فصل البلاد العربية فى كياناتهم لها فلسفتها الخاصة المنفصلة عن الاسلام والمرتبطة بتاريخ قديم عملوا على احيائه عن طريق الحفريات الأثرية .

ولكن الروح الاسلامى العميق المستكن فى الأعماق لم يلبث أن تشكل فى صورة أخرى عندما خفت وطأة الاحتلال فقد بدأت الدول المتجاورة فى التعارف مرة أخرى يجمعها ايمان بالعروبة التى حملت رسالة الاسلام الى كل مكان فى هذا الكوكب فكان هذا التنادى بالعروبة وهو نداء يضمر روح الاسلام ، فكرا ووجودا تاريخيا وجغرافيا .

ولكن الدعوة الى العروبة التى كانت تتحرك فى اطار الاسلام منبعثة من الأرض الى القوم الى الفكرة جرت المحاولات لتزييفها فأدخل الى مفهوم العلاقة بين العروبة والاسلام تفسيرا علمانيا مسموما يضع التجربة الغربية فى علاقة القوميات فى أوربا بالوحدة المسيحية وكأنها نموذجا للحركة العربية .

واستغلت صيحة الدعوة الى القومية العربية وانتزعت مفهوم الغرب ومن ثم عجزت عن أن تحقق هدفها لأنها بدت متعارضة تماما مع الوجدان الاسلامى العربى ، وبالرغم من الفرص الواسعة التى أتيحت لها فقد عجزت أن تحقق شيئا لأنها كانت تجرى ضد التيار .

لقد تبين بعد هذا الحشد الضخم الذى بذل لتحقيق الوحدة العربية فشل هذا الجهد وفساده ، لأنه لم يكن منطلقا من منطلقات الأصالة والمنابع ومن روح الاسلام الحقة ومفهومه للعلاقة بين العروبة وبين الاسلام .

لقد كانت الدعوة الى الوحدة عاجزة عن استيعاب مضمون الاسلام فكرا ، فضلا عن انغلاقها فى وجه الامتداد الاسلامى خارج البلاد العربية وكان واضحا أن الذين رسموا الخطة هم خصوم للعرب والمسلمين جميعا وانهم انما كانوا ينقلون معركة التجمع الاسلامى للجهاد وتحرير فلسطين الى معركة وهمية والى دعوة باطلة .

ولقد تبين من هذه التجربة الخطيرة حقائق كثيرة أهمها أن العروبة لا يمكن أن تكون الا مرحلة على طريق الوحدة الاسلامية شأنها فى ذلك شأن الاقليمية فاذا استغلت لتكون هى منهج حياة عجزت عن تحقيق ذلك وفشلت تماما ..

وهذا ما أكدته أبحاث الباحثين الغربيين الذين تصدوا لدراسة هذه الظاهرة وفى مقدمتهم ليوناروبانيدر فى كتابه (الثورة العقائدية فى الشرق الأوسط فقد استطاع بدرسة المد الذى تعالى به تيار العروبة (١٩٥٥ — ١٩٧٠) أن يصل الى الحقائق الأساسية الآتية :

أولا : انها من صنع الاستعمار للقضاء على الوحدة الاسلامية واقامة الوطنيات والقوميات والاقليميات فان حركة النضال من أجل مقاومة الاستعمار كانت تستمد قوتها الحقيقية من مفهوم الاسلام الأصيل فى الجهاد ومقاومة الغاصب .

ثانيا : ان القوميات التى فرضتها القوى العسكرية فى المنطقة لم تنجح بالرغم مما بذل فى سبيلها من مال وأنفق من دعاية وماجرى من كتابات لاقناع الأجيال الجديدة بها

ثالثا : ان العالم الاسلامى لم يقبل الديمقراطية بمفهومها الغربى المخالف لمفهوم العروبة ولم تكن القومية أحسن أشكال الحكم بل كانت وسيلة لاخفاء الأيدى المخضبة بالدماء والأنياب والأظافر المسيطرة باسم الاستبداد والدكتاتورية .

رابعا : ان التعارض بين الدين والقومية فى الغرب شىء مستمد من مفهوم الدين فى الغرب ، أما الاسلام فانه

لا يعارض القومية بل يهذبها ويضعها فى صيغة أخوية مفتوحـــة .

خامسا : ما تزال العقيدة الاسلامية قادرة على أن تغير كثيرا مما يفرض وتحطم كثيرا مما يقنن وتحول دون القوى الاستعمارية وبين تحقيق كل مآربها .

ونحن اذا راجعنا تاريخ فكرة القـــومية وجدناها فكرة وافدة جــاءت من أوربا أول من نادى بها نابليون فى مصر فى محاولة لابعــاد مصر والشام عــن الدولة العثمانية وأشعار العــرب بأنهم مختلفون عن الأتراك وجاء محمـــد على وابراهيم باشا ورفعا نفس الشعار واستسلم للدعـــوة بعد ذلك الشباب العربى المسيحى ابتغــاء تقويض الخــلافة تحت شعارات ماكرة وكان للمدارس التبشيرية اكبر الأثر فى تعميق هذا المفهوم .

وهكذا نجـــد أن الأقليات هى التى قادت هـــذه الحركة وكذلك كانت هـــذه الأقليات دعاة الاشتراكية والثورية والماركسية بهدف ضرب الاسلام .

ويقتضينا الانصاف أن نقـــول ان الفكرة القومية كانت ـــ كما كانت الفكرة الوطنية فى مرحلة من المراحل من عـــوامل مقاومة الاستعمار ، ولكن الخطر هـــو أن الأيدى المغرضة حماتها لتجعلها قضية قائمة بذاتها ومن ثم أصبحت حاجزا دون اكتمال الدائرة بالاندفاع الى الطريق الطبيعى والى المرحلة التالية وهى الاسلام .

وقد أشـــار أرنولدتوينبى الى أن الشعوب الملونة اخـــذت الديمقراطيـــة ولكنها لم تفهمهـــا جيـــدا ، ونحن نرى أن هذه الشعوب أخذت القومية ، كما أخذت الاشتراكية ، بغـــير أن تضع لنفسها وجهـــة واضحة ازاءها ولقـــد قال محمد اقبال : ان الانسانية لا تستريح أبدا ما دامت تســـودها نظرية القـــومية المشئومة التى تقطعها اربا اربا بحيث لا يكاد الصدع يلتئم فضلا عن أن القـــومية تقيم الحـــواجز ضـــد تنقل المنتجات والأموال والصناعات .

* * *

(٣)

ومن يراجـــع تاريخ العـــالم الاسلامى فى مواجهة القومية يجد أنها من المؤامرات الخطيرة التى حاولت أن تفسد الوحـــدة الاسلامية والمفهوم الاســـلامى حتى فى البـــلاد التى ليس فيها أديان أخرى كالباكستان مثلا أو تركيـــا .

ويرى كثير من الباحثـــين أن القـــومية العـــربية (بمفهومها الغـــربى) كانت وليـــدة الصهيونية والنفوذ الغربى والشيوعية التى تعاونت منذ فجر هـــذا القرن لتدمير الخلافة العثمانية بهدف اقامة دولة اسرائيل على انقاضهـــــا .

ومن هنـــا خفت صوت الفاهمين للعروبة فى اطار الاسلام بل اختفى تماما ولم يبق فى الساحة الا أصحاب المفهوم الوافد ، من أولئك الذين يقولون ان العروبة دين القوميين من مسلمين ومسيحيين لأنها وجدت قبل الاسلام وقبل المسيحية ، ويبالغ دعاة القومية الوافدة فيرون أنها يجب أن تنزل من قلوب العرب أينما كانوا منزل وحده الله من قلوب المؤمنين ، ويقول أحدهم : ان القومية العربية هى نبوة هذا العصر .

وهكذا نرى أن دعاة القومية كانوا يطمعون فى أن تحل العروبة فى قلوب الناس محل الاسلام لتكون ديانة وعقيـــدة وفكرا وفلسفة مستقلة بذاتها كما يقول عمر فاخورى (لاينهض العرب الا اذا جعلوا العروبة والقومية عقيدة وديانة يتغنون بها ويحاربون كل ما سواها خاصة الاسلام) (كتابه : كيف ينهض العرب) .

وقد فتحت القوميـــة أبواب الدمار على المجتمع الاسلامى ، لأن تمزق المسلمين بالقوميات والاقليميات أفسح لقومية يهـــودية الطريق لتسيطر فى فلسطـــين ولظهور نحل وأقليات أخرى ذات تاريخ قديم معـــروف بعدائه للاسلام السنى ومن ثم ظهرت تلك التعاقدات بين المارونية والصهيونية وبين البعث والنصيرية وغيرهما .

وهكذا يتجدد تاريخ الحروب الصليبية والتتـــار والحشاشين على نحو جـــديد له كل عوامل الخصومة للاسلام من النحل والفرق والأقليات .

* * *

(٤)

ان دعاة القـــومية يقيمون أيدلوجيتهم على وضع متعارض تماما للاسلام بل ومتناقض معه أســـاسا فهم يتبنون المفهـــوم العلمانى الغربى من ناحيـــة والمفهوم الماركسى من ناحية أخرى ويخلطون بينهما خلطا يجعلهم فى موقف العداء مع الاسلام والحرب له .

فدعـــاة القومية العربية متفقون تمام الاتفاق فى موقفهم من الدين بعامة والاسلام بصورة خاصـــة فهم ينادون بفصل الدين عن الدولة ويعتبرون الدعوة الى

ترابط الدين والدولة دعوة رجعية ويحرصون على علمنة الدولة وعلمته قوانينها ، كل ذلك تقليدا وانسياقا مع الخط الذى سلكته الحركات القومية فى أوربا وبخاصة الثورة الفرنسية .

وهم بذلك يتجاهلون الفرق بين مفهوم الدين فى الغرب وبين مفهوم الاسلام فالاسلام يحمل مفهوما جامعا بين الروح والمادة ، تترابط فيه القيم الاجتماعية والسياسة الاقتصادية ويربط بين الدين والعلم وليست له خلافات كتلك الخلافات التى قامت بين المسيحية فى الغرب وبين العلم أو بينها وبين الدولة . ذلك ان فكرة فصل الدين عن الدولة فى الغرب نشأت نتيجة ظهور سيطرة الكنيسة على الحياة السياسية الاقتصادية وتأثيرها فى الحكومات المختلفة بل وقيام حكومات رجال الدين : الحكومات الثيوقراطية التىلم يعرفها الاسلاموهم يتجاهلون أن تاريخالاسلام لم يشهد قط أى صراع بين علماء الدين ورجال الحكم اذ لم يكن فى الاسلام أصلا فئة متميزة تدعى رجال دين والاسلام يعتبر كل فرد من أفراده رجل دين اذا تحققت فى نفسه وسلوكه تعاليم الدين كما أن الاسلام لا يفرق فى الوقت نفسه بين الدين كعبادة والدولة كحكم بل يجعلهما سببا لعلة واحدة هى اظهار الحق :

(الذين ان مكناهم فى الأرض اقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهو عن المنكر ولله عاقبة الأمور) .

فلزوم التمكين فى الأرض بالحكم والسلطان والدولة غايته اقامة حكم الله والعكس بالعكس ، ولقد كان من الضرورى أن يفرق بين واقع الاسلام وتاريخه وواقع المسيحية وتاريخها ولكن وضعت القضية على المشابهة مع الاختلاف العميق ، ولعلهم يعلمون ولكنهم يغالطون .

* * *

(٥)

خير من حدد العلاقة بين الحلقات الثلاث (الوطنية — العروبة — الاسلامية) وترابطها هو الأستاذ الامام الشهيد حسن البنا امام اليقظة الاسلامية المعاصرة حيث يقول :

« ان رابطة العقيدة هى أقدس من رابطة الدم ورابطة الأرض وان فكرة القومية تذوب أمام فكرة الأخوة الاسلامية التىيبثها القرآن فى نفوسمن يعتنقونه جميعا ، ولكن اذا كانت الوطنية حب للوطن الذى ولدنا فيه وحنيننا اليه واختصاصا له بالخدمة ، فان الاسلام يحتضنها بل ويعتبرها جزءا من منظومة فكرة السياسى فقط يحذر ان يكون جذورها قاصرة على الاقليم الضيق الذى ولد فيه ، اذا كانت الوطنية حبهذه الأرض والفتها والحنين اليها والعطف نحوها فذلك أمر مركوز فى فطر النفوس من جهة وما يأمر به الاسلام من جهة أخرى ، فقط يطلبمنا الاسلام الا تقف بحدودها عند حدود الاقليم الصغير الذى ولدنا فيه فلقد وسع الاسلام حدود الوطن ليشمل القطر الخاص أولا ثم يمتد الى الأقطار الاسلامية ثم يرتقى الى الامبراطورية الاسلامية الأولى ، ثم يسمو حتى يشمل الدنيا جميعا . وبذلك يكون الاسلام قد وفق بين شعور الوطنية الخاصة وشعور الوطنية العامة بما فيه الخير كل الخير للانسان جميعا ..

« والمثل التطبيقى لهذه الحلقات والدوائر التى تبدأ بالدائرةالوطنية والدائرة العربية فالدائرة الاسلامية ، أن مصر قطعة من أرض الاسلام وزعيمة أممه ، وفى المقدمة من دول الاسلام وشعوبه .

« المصرية أو القومية لها فى دعوتنا مكانها ومنزلتها وحقها فى الكفاح والنضال ، اننا مخلصون لهذا الوطن الحبيب ، عاملون له ، مجاهدون فى سبيل خيره ، وستظل كذلك ما حيينا معتقدين أن هذه هى الحلقة الأولى فى سلسلة النهضة المنشودة ، وانها جزء من الوطن العربى العام ، واننا حين نعمل لمصر نعمل للعروبة والشرق والاسلام والعروبة لها فى دعوتنا كذلك مكانها البارز وحقها الوافر فالعرب هم أمة الاسلام الأولى وشعبه المتخير وفق مقاله صلى الله عليه وسلم : **(اذا ذل العرب ذل الاسلام)** ولن ينهض الاسلام بغير اجتماع كلمة الشعوب العربية ونهضتها ، ونحن نعتقد أننا حين نعمل العروبة نعمل للاسلام ولخير العالم كله ، والقرآن عربى ، وهو أساس هذا الدين وركن الصلاة افضل القربات الى الله وتلك هى الوسيلة العملية التى وحدة اللسان بعد وحدة الايمان .

« والعرب هم عصبة الايمان وحراسه ، ومن هنا كانت وحدة العرب امرا لابد منه لاعادة مجد الاسلام واقامة دولته واعزاز سلطانه ومن هنا وجب على كل مسلم أن يعمل لاحياء الوحدة العربية وتأييدها ومناصرتها » .

« الحلقة الأولىالوطنية ، والحلقة الثانية : الوحدة العربية ، والجامعة الاسلامية هى الحلقة الكبرى والسياج الكامل للوطن الاسلامى العام ، لا تتعارض بين هذه الوحدات بهذا الاعتبار فكل منها تشد أزر الأخرى وتحقق الغاية منها » « فالاسلام يعتبر المسلمين جميعا

أمة واحدة ويعتبر الوطن الاسلامى وطنا واحدا ولايتنكر للوطنية ولا للقومية بل يرى الجامعة الاسلامية ثمرة تلى الدائرة القومية والتى تلى هى الأخرى دائرة الوطن الذى نشأ فيه المسلم .

« فقط ينكر الاسلام ويستنكر القومية اذا عنت العصبية الجنسية والفخر الكاذب ، أما اذا عنت بالاعتزاز والمزايا والتاريخ مما تحتاج اليه الأمم الناهضة عندما تواجه التحديات التى تحول بينها وبين النهوض » .

وهكذا وضع الأستاذ البنا قاعدة الانتماء فى حلقاته الثلاث التى تتكامل وتصل الى الغاية من اقامة الوحدة الاسلامية العالمية ، لا أن تنصهر فى مذاهب الاقليمية أو الأممية المعاصرة التى يدعيها الغربيون والصهيونيون والشيوعيون وكلها ذات ولاء وافد .

واذا راجعنا نظرية الأستاذ البنا الآن بعد خمسين سنة وبعد تجربة القوميات التى خاضتها البلاد العربية رأينا أن الأمر يكشف عن حقائق كثيرة ويقدم تحفظات كثيرة ازاء المحاولات المتجددة للدعوة الى القومية العربية بمفهومها الوافد المفرغ من عنصره الاسلامى الأصيل ونحن نطالب الآن بدعوة ذات أصالة تضع العروبة فى مكانها الصحيح من الوحدة الاسلامية كمقدمة لها ومنطلق اليها ، بعد أن أثبتت التجربة أن الذين قاموا بالدعوة الى القومية لم يكونوا مؤمنين بقاعدة الحلقات الثلاث المترابطة ولم يكونوا ينظرون الى العروبة على أنها حلقة من حلقات الوحدة الاسلامية العامة ، فضلا عن أنهم بالغوا مبالغة خطيرة فى اعلاء القومية على نحو العنصرية ، اعلاء بلغ بهم الى الحد الذى أنكره الاسلام من العصبية واستعلاء العرق والدم الذى جاء الاسلام للقضاء عليه .

ولقد تقرر فى فجر اليقظة الاسلامية : أن الاسلام وطنية المسلم وقوميته ، وأن العربى منذ اليوم الأول حين أسلم أصبحت حماسته وعصبيته للاسلام لا لقبيلته ولا لغيرها ، يحمى أرض الوطن لأنها نبضة الاسلام ، لأنها المسجد ، فالمسلم مسلم أولا وعربى ثانيا .

* * *

(٦)

العلاقة بين العروبة والاسلام قضية دقيقة يجب أن تتناول من منطلق عقائدى صادق الايمان بالاسلام نفسه ، بعيدا عن مغالطات القوميين الزائفة ، وعلى نحو أصيل بعيد عن الظن والخداع .

يقول الدكتور محمد محمد حسين : لقد ارتبطت العروبة بالاسلام منذ انشائها ونمت وتطورت ونضجت داخل اطاره دون أن يكون فى ذلك تعارض مع أصول الأديان السماوية الثابت المحدد وقد جعل لها الاسلام شخصيتها المتميزة والعرب اليوم هم أقرب الناس بين المسلمين الى تحقيق وحدة جامعة بحكم اللغة المشتركة والتى تربطهم بأصول الدين الاسلامى وبحكم تجمعها وتلاصقها فى حيز مكانى واحد لا تقوم بين أجزائه فواصل طبيعية وهم بحكم التقارب والتآلف واتفاق العادات والأمزجة مهيئون لأن يكونوا نواة اسلامية صلبة تشع على العالم الاسلامى من ثقافة الاسلام وهو ما يطلق عليه (عروبة اسلامية) والمسيحيون الذين يخافون على أمنهم وسلامتهم وحريتهم فى ظل عروبة اسلامية هم أكثر خوفا فى ظل عروبة لا دينية لأن الاسلام وحده هو الضامن لمنع انحراف المسلمين نحو عصبية تحطم وتعتدى وتظلم والخطر هو أن ينجم جيل من المسلمين يجهلون الاسلام فى ظل العروبة اللادينية . كما حدث فى الحكم العثمانى بعد عزل عبد الحميد (أى فى ظل الاتحاديين) .

أما غلاة القوميين من المسلمين الذين يلتقون مع المسيحيين فى الدعوة الى قومية لا دينية فهم واقفون تحت تأثير ماتوهموه من أن النهضة الأوربية الحديثة كانت .. للرد على الكنيسة ولتجريد الحكم من الصفة الدينية وهو وهم لا يثبت للتمحيص فالحركة الدينية البروتستانتية التى تمردت على الكنيسة الكاثوليكية لم تخل من أصابع الصهيونية وكان همها الأول هدم الكنيسة الكاثوليكية لأنها كانت اكبر المؤسسات التى تناصب اليهود العداء والبروتستانت اليوم هم أشد الطوائف المسيحية عطفا على الصهيونية واكثرها مساندة لهم ماديا ومعنويا ثم ان الازدهار الذى حققته فى أوربا لم ينتفع به أحد ، كما انتفع به اليهود فى جمع الثروات فى أيديهم والسيطرة على شئون السياسة والاقتصاد مما أفسح الطريق أمام دعوتهم الى نشر الالحاد والانحلال الذى ينفذون منه الى السيطرة على مصائر الأمم والامساك بزمامها هذا كله تحت ستار الحرية والاخاء والمساواة وحقوق الانسان وهى شعارات لم ينتفع بها غير اليهود ولم ينتفع بها زنوج أمريكا وقد اعترف عزير ميرهم (السياسة الأسبوعية ١٩٢٦) بأن الذين هدموا سلطان الكنيسة فى فرنسا وايطاليا هم الماسونية وان زعماء الثورة الفرنسية كانوا من الماسون وأنهم هم الذين وضعوا الشعار (حرية — اخاء — مساواة) وأن تركيا نالت دستورها بفضل محافلهم .

والنهضة الأوربية انتهت الى تفتيت الجامعة

الأوربية المسيحية وتقسيمها الى دول شتى لكل منهـا لغتها الخاصة وقوميتها المستقلة .

ويصل الدكتور محمد محمد حسين من هذا الى عمق الفوارق بين مفهوم القومية فى الغرب وحلقاتها التاريخية وبين مفهوم (العروبة الاسلامية) ومصادرها الحقيقية ، وهى حلقة سابقة ومؤهلة وموسدة للوحدة الاسلامية أساسا وليست منفصلة بنفسها أو مؤمنـة بفلسفات الاستعلاء القومى الغـربى وهى تغيير وحـدة التاريخ الاسلامى ووحدة اللغة ووحدة العقيدة منطلقها الحقيقى وابرز ما تحالف فيـه الغرب أنه لا يوجد فى أفق الاسلام جهازان يتنازعان السلطة دينى وسياسى كما لا توجـد سلطة دينيـة متحكمة كسلطة الكنيسة التى ثار عليها المسيحيون فى نهـاية القرون الوسطى ولقد كانت مختلف العناصر تساهم فى التطور الحضارى على مدى القرون والأجيال : وخاصة العناصر العربية غير المسلمين لم تجد هذه العناصر غضاضة فى بناء الحضـارة الاسـلامية فالاسـلام يمنح هـذه العنـاصر كل حـرياتها الدينيـة ويحظـر التضييـق عليهـا أو ممارسـة أى لون من الوان الضغط عليهـا لحملها على ترك دينهـا ونصـوص القرآن الكريم فى تأمين اليهـود والنصارى ورعاية حقوقهم واضحة جلية والدليل الناصع على أن المسلمين اتبعـوها على مر الأجيال وعلى اختلاف الدول وعملوا على انصاف اهـل الكتاب وتأمينهم على دينهم وعلى أموالهم وكنائسهم واعراضهم .

هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فان البلاد العربية ليس لها تاريخ فى العروبة يسبق الاسلام بل ان عروبتها فى الحقيقة تتبخر عن اسلامها ، هذه العروبة لم تجئها الا من طريق الاسلام وبسبب ذلك أن الاسلام دعا المسلمين أن يحبوا العـرب ويلتفوا حول رايتهم ويتخذوا العربية لغـة جامعة تشملهم .

وعن النبى صلى الله عليـه وسلم فى المستدرك : **(من أحب العـرب فبحبى احبهم ، ومن ابغض العـرب فبغضى ابغضهم)** وقوله : **(احبوا العـرب ولقائهم فان لقائهم نور فى الاسلام وان فناءهم ظلمة فى الاسـلام)** وقوله : **(اذا ذلت العرب ذل الاسلام)** وقوله : **(إن الرب واحد وان الأب واحد وان الدين واحد ، من تكلم بالعربية فهو عربى)** .

وهكذا نرى أن الاسلام هو الذى أعطى العرب لغتهم ووحـدهم عليها وعلى القيم التى تضمنها كتـابه وسنة رسـوله فالتفت قلوبهم وعقولهم وأزمجتهم على ما يحلون وما يحرمون وما يحبون وما يكرهون .

وهكذا كانت العلاقة بين العروبة والاسلام فمتى نشأت الفرقة ؟ . . جـاءت الفرقة حين نشأت الدعوة المعاصرة الى القـومية العربية ، وكان العرب يشكلون الجزء الأكبر من الدولة العثمانية واتخذت الدعوة شكلا ثقافيا هو بعث التراث العـربى وانشاء صحافة ومسرح عربى وأن تكون العربية لغة الدواوين والقضاء والتعليم بدلا من اللغـة التركية لقد نشأت التفرقة بين العروبة والاسلام على يد طائفة لهم صلة بدعاة المذهب الانجيلى البروتستانتى من الأمريكان : الشرباق ، البستـانى ، البازجى ، سليم تقلا ، جرجى زيدان .

كانت الجامعة الاسلامية هى الرابطة التى تربط أجزاء الدولة العثمانية تحت راية السلطة العثمانية التى جمعت بين الزعامة السياسية والزعامة الدينية منذ تلقب سلاطينها بلقب الخـلافة الاسلامية فى القرن العاشر الهجرى (١٦ الميلادى) وقد زاد نفـوذ هذه الجامعة فى قلوب الناس منـذ أخذ السلطان عبـد الحميد يدعمها ويدعو الناس الى الالتفاف حول رايتها ، والاعتصام بها فى وجـه الأطماع الاستعمارية التى كانت تنتظر الوقت الملائم لاقتسام املاك هذه الدولة .

وكان هناك فريق ثان واقعا تحت تأثير الدعوات الاسلامية كان يرى التفـرقة بين الخلافة والسلطنة ، ويجعل الخلافة فى العرب والسلطنة فى الترك وحجتهم فى ذلك أن العرب هم اقدر الناس على فهم الاسلام وتبليغه وكان ذلك اى الكواكبى واضحاً فى كتابه (أم القرى) وابتدعـوا لأول مرة التفرقة بين السلطة السياسيـة والسلطة الدينية .

وكان هناك فريق ثالث واقعا تحت تأثير الدعوات القومية المتطرفة التى اشتدت حركتها فى أوربا فى القرنين ١٨ ، ١٩ وكانوا يتصورون الجامعة تصورا قوميا خالصا ويجردونها من كل صلة بالدين وهمهم الأول : انشاء دولة عربية مستقلة على النمط الغربى : الديمقراطية والمجلس النيابى ويتوسلون بهـا الى انشاء دولة عـربية كبرى متصـورة على الجنـاح الايمن لما تسميه الآن بالعالم العربى ، أى القسم الآسيوى وحـده ، وكانوا واقعين تحت نفوذ الفكر المستمد مـن كتاب الثـورة الفرنسية ومفكريها ومن فلاسفة عصر النهضة الليبرالية فى أوربا الذين ولوا فى صدامهم مع الكنيسة الى فصـل السلطة الدينية عن السلطة المـدنية هذا الفريق يلتقى فى تفكيره مع غـلاة القومية من الترك الذين يدعون الى القومية الطورانية الذن كان أكثرهم منضما الى حـزب الاتحـاد التركى هكذا نشأت فكرة القومية متلبسة بمفاهيم وافدة كان هدف النفوذ الأجنبى والصهيونية أن تصبح حقائق

مسلمة ، ومن ثم جاءت الموجـة التالية موجة ساطـع الحصرى وميشيل عفلق ، التى قـدمت مفهوم القومية العلمانية الملتبسة بالاشتراكية والماسونية وغيرها .

وكان هـذا الاتجاه هو التيار الذى سقط سقوطا شنيعا لأن الوجدان العربى لم يقبل به ، وبذلك انفسح الطريق للمفهوم الحقيقى : مفهوم الأصـالة القائم على حلقات الوطنية والقومية والجامعة الاسلامية .

* * *

(٧)

ونصـل الآن الى مصر الاسلامية : ما موقفها فى قضية الانتمـاء :

لقد كانت مصر المعاصرة بكل ما تحمله من تفوق فكرى أو مركز قيادى أو مكانة اجتماعية هى من عمـل الاسلام ، فالاسلام هو الذى أعطاها كل هذا الفضـل الذى تتميز به ولم تعطهـا الوراثيات التاريخية من قبله الا امتـدادها بالحنيفية السمحاء الى الدين الخاتم ، أما ما سوى ذلك فان ذلك التاريخ القديم لم يلبث الا قليلا حتى ذهب وذهبت معـه اللغات القديمة ووقع ذلك الانقطاع الحضارى الذى أقره علماء التاريخ ولم تعـد الفرعونية الا مرحلة من مراحل الوثنية وعبادة الأصنام وكل محاولة اليوم لبعث هـذه الفرعونية فانا لا نجد من الوسائل التى تعتمد عليها الدعوات شيئا ما تستطيع أن تستنـد عليـه .

ان تراث الوثنية الفرعـونية قد قضت عليـه المسيحية المنزلة وقضى عليه من بعدها الاسلام وليس هنـاك شىء مما يعتز به تاريخ الفرعـونية الا وهو من أحـد مصـدرين :

نبـوءة ابراهيم الخليل الحنيفيـة ، وتراث الأديان المنزلة أو من ميراث العرب الذى جاء الفراعنة منهم موجة من موجات الهجرة من الجزيرة العربية ، شأنها فى ذلك شأن موجات الفينيقية والآشورية والبابلية وغيرها من الموجات التى تحاول أن تستعلى بنفسها عازلة نفسها عن مصدرها الأصيـل .

واذا كان هنـاك بعض الذين يعملون فى الصحافة والاذاعة من يروجون بتآمر من قوى خارجية لما يسمى (الايتولوجا) وهى المصرية القديمة : بحسبانها عقيدة أو لغة ولكن هذا كله هباء ، بعـد ان قطعت مصر تلك المراحل الواسعة على طريق العروبة والاسلام وأصبح لا يقضى أمر فى هذا الوطن العربى أو العالم الاسلامى من دونها وهو خيال ضال بعد أربعة عشر قرنا فى طـريق التوحيد وأصبح فكرها الاسلامى ولغتها العربية هو فكر المواطنين جميعا وتراثهم جميعا ، وبعد أن ثبت بما لايدع مجالا للشك لأصحاب الأهـواء ممن حاولوا ذلك مـن المؤرخـين ، ان هناك (انقطاع حضارى) لا سبيل الى تجاوزه الى ما تخلل رسالة الأديان من الوثنية مرة أخرى أو أن ما تبقى من شظايا قليلة الأهمية مما يحاولون بعثه وتجديده يمكن أن يشكل تراثا أو لغـة أو ثقافة ، أو أى مظهر من مظاهر الارتباط أو ما يمكن أن يكون عاملا من عوامل الاحياء ، ولقد جاءت المسيحية يوم جاءت تهدم هذا التراث الوثنى وقد حاربته ثلاثمائة عام وقدمت فى سبيل هدمه الوف الشهداء والضحايا لتقر كلمة التوحيد الحقة التى جاء بها سيدنا عيسى عليه السلام ثم جاء الاسلام فيقضى على هذا التراث نهائيا .

* * *

ولكن ليس معنى هذا أن نغمض الطرف عن الآثار الفرعونية فهى مفخرة من مفاخرهذا الجنس العربى الذى جاء من الجزيرة العربية وعرف الايمان بالله وكانت الموجة الفرعونية أصـلا صادرة من جـزيرة العرب وهى تمثل مرحلة ضخمة من مراحل الحضارة والتقدم ، وقد اثبت القاموس الذى أعده أحمد كمال باشا أن أغلب الكلمات الفرعونية ذات أصل عربى ومثل هذا يقال فى الموجات الفينيقية والآشورية والبابلية والبربرية وذلك تحقيـق تاريخى استغرق أعواما وأعواما حتى قبلت فيـه كلمة الحق بعد أن استغلته مؤامرات الغـزو الاستعمارى والثقـافى فى الثـلاثينات .

ويقول الأستاذ أحمد بهجت : لقد اختارت مصر الاسلام والعـروبة منذ ما تقرب من الف سنة ولعبت دورها كأمة مسلمة عربية على امتداد الالف سنة .

هل تنتمى مصر الى الملك رمسيس الثانى أم تنتمى الى عروبتها واسلامها ؟ هل ممكن أن يفخر أحد المصريين اليوم بانتمائه الى المومياوات المحنطة ويجـوز الدجـل الفرعونى المتاله ، هـل يفضل أحـد هذا على نظافة العقل المسلم ودوره كخليفة لله فى الأرض ، أن عروبة مصر واسلامها حتمية واقعية الى جوار أنها واقع تاريخى

* * *

(٨)

وبعد فان المستقبل هو الوحدة الاسلامية ، وعودة الخـــلافة .

فالاسلام دين عالمى ، والشعوب الاسلامية بصرف النظر عن الجنسيات والقوميات واللغات انما هم اخوة فى الكفاح المشترك من أجــل نشر تعاليم الاسلام والدفاع عنها وتطبيقها والقضـــاء على الاضطهاد والاستعبـــاد والتفــرقة واستغــلال الانسان للانسان والشعــوب الشعوب الأخــرى ، ولذلك فان الطريق بعــد سقوط الاقليميات وفشل القــوميات هو الوحدة الاســلامية الشاملة وفى سبيل الطريق الى وحدة شاملة يجب كسر حواجز التغريب والغزو الثقافى والمخططات التلمودية الصهيونية واليهودية والماركسية والعلمانية وما يواجه الى العقيدة والتاريخ والسيرة واللغة العربية والقرآن من شبهات ومحاولات لاثارة الشكوك والمنهج الاسلامى هو العامل الأكبر فى جمـــع المسلمين الى وجهة واحدة . ولأن من كسر قيـــود القانون الوضعى والمنهج الربوى وعلمانية التعليم وكل ما يطـــرح فى أفق الفكر الاسلامى من فلسفات مادية ضالة . لا بد من تجلية العلاقة بين الديمقراطية الغـــربية والشورى فى الاســـلام وما بين الاشتراكية والعدل الاجتماعى وما بين القومية الغربية والعـــلاقة بين العروبة والاسلام ولا بد من التحرر من المنهجين الشيوعى والراسمالى لأنهما غريبان عن الاسلام والعالم كله يترقب اليوم منهجا جـــديدا وليس ســـوى الاســـــلام .

❊ ❊ ❊

الباب الحادى والعشرون

أسلمـــة المصطلحـــات المعاصـــرة

الفصــل الاول

مدخــل إلـــى البحـــث

من القضايا الكبرى التى تواجهها يقظـة الفكر الاسلامى هى أسلمة المصطلحات المعاصرة والتحرر من التبعية لها فى نطقها ومضمونها الوافد ، وكذلك فعـل المسلمون فى العصر الأول عندما واجهوا تراث الحضارات القديمة ، وكذلك فعــل الأوربيون عنــدما ترجموا تراث الاسلام العلمى ، ايمانا بأنه لا يمكن فصل المصطلحات عن ملابساتها الفكرية التى تومىء اليها ولا يمكن نقلها كما ننقل ألفاظ الاختراعات والعلوم .

ويقــول الدكتور حسن الشرقاوى : ان تطبيــق المفــاهيم الغــربية وفرض مناهجها عسفا على الأمــة الاسلامية فى مجال العلوم الانسانية هى بمثابة عملية غزو فكرى يحمل فى طياته أضرارا مادية وخلقية بالغــة الخطـــورة .

وتكمن خطورة العمل بالمصطلحات الغربية عن الاسلام وتطبيقها فى مجالات العلوم الانسانية فى توجيه الفكر توجيها بعيدا عن القيم التى تتبناها الأمة والمفاهيم التى تمثل ثقافتها ومثلها وأخلاقها ، ولا شك أن مفاهيم الغــرب تنبع من نظرة مادية وعلمانية تفصل بين العلم والدين وتستقى أصولها من موقف الحادى لا يعترف بالله تعالى ربا وخالقا .

وقد أصبح تزويد هذه المصطلحات بوعى أوبغيروعى أمرا مألوفا لدى غالبيـــة المتعلمين تبدو فى عملية التأثير بالسلوك الأخــلاقى الغربى ومن ثم فى اتباع أسلوبهم فى التفكير والمنهج والحياة .

ومن هنـــا كانت ضرورة النظر الى هذه المفاهيم الغربية نظرة الفاحص اللبيب لا نظرة المفكر ، وعلينا أن نضع مفاهيم الغرب ومصطلحاته فى حجمها الطبيعى ونزنها بميزان الاسلام والعــدل ونقيسها على محك الشريعة الغراء ونعمل جاهدين على نبذ واستبدال مالا يصلح منها بمصطلحات اسلامية أقدر على تمثيل ثقافتنا والتعبير عن أخلاقياتنـــا » .

ويجب أن تكون هناك قواعد أساسية فى النظر الى المصطلحات الوافدة أهمها الفــوارق العميقة بين الفكر الاسلامى والفكر الغربى فكلمة ليبرالية التى يترجمونها بالحرية لها فى الغرب مفهوم مختلف وكذلك الديمقراطية التى يترجمونها بالشورى فى الاسلام ، هناك فارق كبير بين المصطلحــين .

وهناك مفهوم (الخطيئة) المرتبط أساسا بمفهوم المسيحية فى نظرية فداء السيد المسيح للبشر ، وهــو مفهـــوم لا يقره الاســلام وعن الخطيئة ينتشر فــكر وقصص لا حــد لاضطرابه وهو فى ميزان الاسلام له مفهــــوم مختلف .

كذلك فانه لغلبة النزعة المــادية فى الفكر الغربى فهناك مصطلحات مختلفة لا يعرفها الفكر الاسلامى مثل أدريه ، ولابيك ، والاغتراب ولمصطلحات أخرى مفهوم مختلف ومتميز . فالعقــلانية فى الاسلام جزء من تكامل جامع للعقل والروح ، والتطور فى مفهوم الاسلام مرتبط بالثوابت وفى الفكر الغــربى قائم على مفهــوم التحول الـــدائم .

وهكذا دعا الخلاف بين مفهوم الاسلام القائم على التوحيد الخالص واسلام الوجــه لله والايمــان بالوحى والنبوة وبين مفهوم الفكر الغربى المرتبط بالوثنية اليونانية والعبودية الرومانية والتثليث المسيحى الى خــــلافات عميقـــة ..

واخطر هذه المصطلحات : مصطلح (الثيوقراطية) الذى لم يعرفه الاسلام وهو مذهب يقوم على سيطرة رجال الأديان على الحكم ، وهى دعوة قائمة على نظرية الحـق الالهى الذى يعتبر المشيئـة الالهية مصـدرا للسلطة الزمنيـة .

والاسلام لم يعرف هذه الحكومة فى تاريخه ، كما لم يعرف الخلاف بين الدين والعلم كما عرفته أوربا ولذلك فان مقايسة الفكر الاسلامى على هذه المواقف التى حدثت فى تاريخ الغرب هى مقايسة باطلة .

كذلك فان هنـاك تفسـيرات باطلة لمصطلحات اسلامية ، كموقف الاستشراق والفكر الغربى مثـلا من (المعتزلة) فالمعتزلة فرقة اسلامية من فرق المتكلمين والعقـائد ، دافعت عن الاسـلام فى وجه المحاورات المسيحية الكلامية ولكنها انحرفت بعد واستعلت عـن وجودها الطبيعى فى اطار الاسلام ، ولذلك فالمسلمون لم يقبلوا منها وأعادوها الى موقعها الطبيعى من المنظومة الاسلامية الجامعة لكل عناصر الفكر وفرقه .

ولكن المستشرقين شاءت لهم خصومتهم للاسلام أن يصفـوهم بأنهم أغارقة الاسـلام ، كذلك أعلوا من شأن التصوف الفلسفى الذى يختلف مع مفهوم التوحيد الخالـص .

وسيطرة المصطلح الغـربى هى التى حملت الكتاب الى اعـلاء مايسمى (بالعقلانية) فى محاولة للتقليل من شأن الوحى أو النقل وهو (القرآن والسنة) ومن ذلك قولهم أنه اذا تعارض العقل والنقل قدم العقل وهو مفهوم خاطىء فان العقل أداة فحسب أما الوحى فهو الضوء الذى يكشف الطـريق أمام العقل ، والعقل متغير الرأى ، أما الوحى فثابت ومن مصطلحات الماركسية : فكرة الحتمية وهى جزء من مفهوم المذهب المادى وهى ان العالم مسير لا مخـير ، وكل ما يقع فى العالم من أحداث هو من عمل الانسان ولكنه عمل دفعته اليه الظروف دفعا فلا اختيار ولا ارادة ومن ذلك القول بأن أبطـال التاريخ تنشئهم الظروف الاقتصادية (نابليون وكروموبل وقيصر) .

وهـذا كله يختلف مع مفهوم الاسلام الذى يقرر المسئولية الفـردية ويقرر ارادة الانسان القادرة على التغيير ، والتى هى موضع الحساب والجزاء .

وقد تردى الفكر الغـربى بين طرفين : المثـالية والمادية وبين الرهبانية والاباحية وهو اليوم فى مرحلة المادية الاباحية ومن ذلك مفهومه الفلسفى القائم على التفسير المادى للتاريخ والحضارة (وهو مفهوم تشترك فيه الليبرالية والماركسية جميعا) وهذا المفهوم يختلف عن مفهوم الاسلام الجامع بين الروح والمادة والعقل والقلب على أساس أن الانسان نفسه قبضة الطين ونفخة الروح .

وأبرز مفاهيم الاسلام التى يجب أن يكون لها أثرها العميق على المصطلحات المعاصرة هى « التكامل » حيث يقرر الاسلام أن الانسان يجمع بين الحس والفهم والعقل وأنه عقل وقلب وتفكير وعاطفة وأن الغاء أحدهم هو بمثابة خروج على الفطرة وعكس لطبيعة الأشياء وأن اليقين أصل والشك عرض وتقوم النظرة الاسلامية على اقتناع العقل وتصديق الفكر . وتتمثل فى ثقة القلب وطمأنينة الروح وواقع الانسان متكامل (بيلوجى ونفسى وعقلانى وروحى) وكلما أهمل أحد الأركان وقع فى الأزمة والصراع وواجه التمزق النفسى وكذلك فى عالم الاجتماع فكلما كانت النظرة اقليمية أو قومية أو وطنية أو أدبية تكون ناقصة وغير قادرة على الكمال والشمول .

واذا كان العالم منقسما الآن الى تيارين : تيـار الليبرالية الرأسمالية وتيار الاشتراكية الماركسيـة ، الأولى تعلى شأن الحرية الفردية والأخرى تعلى الجماعية وتسقط مكانة الفـرد .

والعالم اليوم ممزق بين التيارين :

فان هناك تيار ثالث هو تيار الاسلام الجامع بين الفـردية والجماعية فى توازن واتساق وفيه خـير مافى المذهبين ، وقد خلا من شرهما .

فالفرد فى الاسلام المجتمع ، والحرية منضبطة ، وحق الضعيف فريضة وليس هناك اباحة مطلقة وليس الانسان ترسا فى آلة والقيمة الخلقية هى القاسم المشترك الأعظم للحياة الاجتماعية والحضارة وقد أعلن الاسلام حقوق الانسان منذ أربعة عشر قرنا وطبقها فى مجتمعـه منذ ذلك اليوم ، وقد احترم حريات الناس وحق الفئات المختلفة غـير المسلمة وأمنهـا على أموالها وأعـراضها ومعـابدها .

ومن الدعـائم الأساسية فى مواجهة المصطلحات الغـربية : مفهوم (الثوابت والمتغيرات) الذى قام عليه الاسلام فى مواجهة فكرة التطور المطلق وفكرة النسبية الغربيتين وقد عرف الفكر الغربى فكرة (الثبات المطلق) التى قال بها أرسطو وعاش عليها الغرب طويلا حتى تغير تحت تأثير المذهب التجريبى الاسلامى فانتقل من فكرة الثبات المطلق الى فكرة الحركة المطلقة أو التطور المطلق التى قال بها داروين وسبنسر ووصلت الى قمتها فى فكر (هيجل) وكلا النظرتين مرفوضتان فى الاسلام لأن كلا منهما تأخـذ جانبا واحدا ليسيطر سيطرة كاملة ، أما الاسلام فهو يقر مفهوم (الثوابت) التى جاء بها المنهج الدينى والقـائمه على تقرير واضح للأخـلاق والقيم

والمعروف أن الحدود والضوابطلاتتغير مع فتح باب الحركة والاجتهاد والتغير والتطور بمايناسب العصور والبيئات بالنسبة للفرعيات . وهو تطور يجرى فى دائرة الثوابت ولا يصادم متغيرات المجتمعات أو الحضارات .

ومن هنا فان نظرتنا الى مصطلح التطور الغربى يجب أن تكون قائمة فى اطار مفهومنا الاسلامى . كذلك فان من خطأ المصطلح الغربى أن يعتبر كل تطور تقدما وليس هذا صحيحا على اطلاقه وانما يعنى التطور الانتقال من مرحلة الى مرحلة أخرى نتيجة لظروف وعوامل متغيرة .

والفلسفة المادية والفكر الغربى الحديث يقوم على أساس انكار وجود الله تبارك وتعالى فهى تضع بدلا من اسمه الأعظم : كلمة الطبيعة . ونحن يجب أن نحترز لذلك تماما فان الطبيعة هى من صنع الله عز وجل وأنها مخلوق له ولها خالق ولايمكن القبول بمفهوم أن الطبيعة أوجدت نفسها .

وعلينا أن نحذر ايضا من كل ما يترتب على نظرية الطبيعة وانكار وجود الخالق ، ويقرر الباحثون أن الفلاسفة الماديون ملاحدة لأنهم قالوا ان للمادة وجودا مطلقا وأنها قادرة على الحركة والحياة ، والدهريون ملاحدة لأنهم زعموا أن العالم لا يحتاج الى صانع وأنه بما فيه مبنى على الاتفاق كما أن علينا أن نحترز من قول بعض الفلاسفة أن الأجسام لا تحشر وأن الله تبارك وتعالى جل شأنه لا يعلم الجزئيات أو القول بوحدة الوجود فان هذا كله انكار لمعلوم من أصل الدين بالضرورة وكان صاحبه كافرا بأصل من أصول الدين .

* * *

وقد خطأ الامام الغزالى الفلاسفة الذين أرادوا أن يزنوا كل شىء بميزان العقل فكان الدين فى أيديهم آلة خادمة للفلسفة فكان خطرهم على الدين والأخلاق ، وكذلك خطأ الذين رفضوا وظائف الاسلام والعبادات واحتقروا شعار الدين وانكروا الشرائع والنحل وجحدوا فضل الأديان والملل . وكذلك خطأ الفلاسفة الذين أهملوا احكام الشريعة وتحدثوا عن رفع التكليف فشربوا الخمر وأعرضوا عن الصلاة .

وليس هذا الذى ندعو اليه غريبا فى الفصل بين الأمم وتثبيت وجوه التميز بينها بل ان هؤلاء الذين تجمعهم أبجديات لاتينية واحدة يفعلون مثل ذلك وقد أشارت الصحف الى المحاولات التى تقوم الأكاديمية الفرنسية بها لتطهير اللغة الفرنسية من المصطلحات الانجليزية ، بل لقد قدمت الأكاديمية عبارات بديلة فطالبت باستبدال كلمة (كليوبنج) الانجليزية التى تستخدم فى مصطلحات الاقتصاد بالكلمة الدارجة (كومبا لسلسيون) كما طالبت بتحاشى استعمال كلمة (ديسكاونت) الانجليزية ويجب استبدالها بأى من الكلمات التالية (ريستورن ــ رابية) الخ وكلمة «لورك» الانجليزية وتوجد فى الفرنسية كلمات مثل (ابرانس أو أسبع) الخ وأوردت الصحف كلمات أخرى ، وتنصب هذه التحذيرات على بعض النقاط الدقيقة فى قواعد النحو الفرنسى . وبالنسبة لما يتردد كثيرا هذه الأيام من كلمات الحرية والعقلانية والعلمانية فى عالمنا الاسلامى يقول الدكتور حسن الشرقاوى : ان هناك سوفسطائية جديدة تحاول أن تجعل من الحق باطلا ومن الباطل حقا ، وتتخذ منا لعقلانية مركبا تهاجم به الدين القيم والشريعة السمحاء ، دون أن ندرى أن الثوابت التى أدخلت نفسها فيها مغلقة ومحددة وعاجزة عن التعرفعلى حقيقة الدين ان العقل وحده لا يهدى الى حقيقة الدين ، انما الدين هاد للعقل واذا لم يرتبط العقل بالايمان فانه ينزلق ويقع فى المتشابهات ورغم أنه المحك والمعيار للتمييز بين الصحيح والفاسد من الأمور المحسوسة والملموسة وكل ماله طول وعرض وعمق ، الا أن العقل لا يستطيع ان يخوض فى ساحة المعرفة الربانية دون أن يتسلح بسلاح الايمان والا وقع فى الضلال والشطط ، وذلك لاتباعه الظن والوهم ، فالعقل اذا أراد أن يتدخل فيما ليس له علم ولا هدى ، يصوغ أفكاره تحت قوالب جامدة ويحدد معاييره فى تقنينات محددة ، يحاول بها أن يفرض قانونا جديدا ما أنزل الله به من سلطان ، ولقد حاول الفلاسفة والمفكرون أن يضعوا أنفسهم فى قوالب ليثبتوا أو ينفقوا حقيقة الدين ، وفى الحالين أخفقوا اخفاقا كبيرا وكلما صاغ أحد الفلاسفة نظرية فى أصل الوجود أو ماهية المعرفة جاء فيلسوف آخر فأثبت فلة علمها وتهافت منطقها وضعف حججها وأسانيدها ، ثم جاء بنظرية أخرى ليثبت أصل الوجود وذلك عن طريق قوالب اصطنعها لنفسه ، الا أن نظريته هى الأخرى لا تصد عن النقد فما يلبث أن يظهر غيره تهافتها وضعفها وبعدها عن الحقيقة .

* * *

وهكذا يناقض المفكرون بعضهم بعضا ، ويعلن أحدهم أنه اكتشف الحقيقة وهو واهم ، وأنه وصل الى الحق ، وما يتبع الا الظن أو ما تهوى نفسه ، وهكذا فان

المفكرين الذاتيين برغم استخدامهم عقلهم لم يصل أحــد منهم الى حقيقة واحدة متعلقة بأصول الأشياء أو بحقائق الوقائع أو المبــادىء الأولى . ان محــاولات الفلاسفة والمفكرين هى مجــرد تخمينات وفروض لم تثبت صحتها كما لم يستطع أى منهم عن طريق القوالب العقلانية التى اصطنعوها كنسيج فكرى أن يصطنع منهجا مقبولا يواكب الحقائق الكونية ، اما هى تخمينات وتخبلات وأضغــات أحلام لا تستطيع أن تفيد المتعطش الى المعرفة الا نصبا وتعبا . ولما عجز المفكرون المحدثون عن الوصول الى حقيقة واحدة فيما يتعلق بحقائق الدين تركوا أنفسهم للهوى ، وبدأوا فى الطعن فى حقيقة الدين الذى أنزله الله كهاد للناس واعتبروه معطلا لتقدم العقل البشرى والنشاط العلمى وطعن بعضهم فى السنة المحمدية توطئة للطعن فى أصــل الدين وهــذا الأسلوب المعاصر قد خطط له الماركسيون والملحدون حيث فشلوا فشلا ذريعا فى اخراج المرء عن ايمانه » .

* * *

الفصـــل الثـــانى

الفلسفـــــة الماديـــــة

ان موقف الاسلام من الفلسفة واضح . فقد جاءت الفلسفة لتفسر الغامض الذى كان يبحث عنه الانسان . من شئون الغيبيــات والمصير وعوالم الجن والمعاد وغيرها وكان الفلاسفة يحاولون أن يضعوا تصويرا لهذه الجوانب واجابات لهذه التساؤلات فلما جاء الاسلام ونزل القرآن قدم للبشرية منهجا كاملا لعـــالم الغيب الذى يسمونه (الميتافيزيقا) بحيث لم يعد الانسان معه فى حاجة الى البحث عن ذلك المجهول ، وقد أراد الحق تبارك وتعالى أن قدم للانسان هذا المنهج حتى لا يشغل وقته ولا يضيع جهده فى البحث عن تصورات لن يصل منها الى شىء ، وحتى يدفعه الى السعى فى الأرض وعمرانها وتلك مهمته الحقيقيـــــة .

ومن هنا كانت نظرة الاسلام الى الفلسفة القديمة فكلها تصـــورات فلاسفة قائمة على الاحتمال والظـــن والمحاولة والفـــروض التى هى مجال النظرية البشرية التى تخطىء كثيرا . ومن هنا كان من الضرورى أن يؤمن المسلم بأنه لا حاجة له مطلقا بهذه الفلسفات المضطربة بعد أن أمده الله تبارك وتعالى بالمنهج الأصيل .

ولقد وقعت الأزمة الشديدة عندما ترجمت الفلسفة اليونانية وقام بعض المفكرين بالربط بينها وبين مفاهيم الاسلام (ابن سينا والفارابى) واختلطت عليهم الأمـــور وعجزوا عن تقديم ما يوافق التوحيد الخالص وتبين من بعد أنهم كانوا يعملون لحساب حركة الباطنية التى أفرزت ثورتى الزنج والقرامطة والتى كانت تعمل على هدم الدولة الاسلامية وواجه علماء المسلمين هـــذه المحاولة وكشفوا زيفها (ابن حنبل والشافعى والغزالى وابن تيمية) فى المقدمة ، ثم أعيدت المحاولة مرة أخرى فى العصر الحديث على أيدى دعاة التغريب والغزو الثقافى بهدف تزييف مفهوم الاسلام الأصيـــل الناصع القائم على التوحيد الخالص . وكان لسيطرة النفـــوذ الأجنبى أثره العميق فى فـــرض الفلسفات القـــديمة والمادية على مناهج التعليم وتأثر الشباب المسلم بهـــا ومن هنا كان لابد لحركة اليقظة الاسلامية من وقفـــة ازاء هذا الخطر ، خاصة بعد أن اتسع نطاق الفلسفات . فشملت الفلسفـــة المـــادية وما وراءها من مذاهب وانحرافات .

والفلسفات الغـــربية القديمة هى المنطلق لظهور الفلسفة المادية الحديثة وهى فى مجموعها تقوم على انكار وجود الله تبارك وتعالى وقد صدرت بمفاهيمها المادية فى مواجهة التحـــديات التى قامت بين العلم والكنيسة فى العصور السابقة والتى أوجدت هذه الخصومة الشديدة فى مواجهة الدين بصفة عامة فهى ترى أن الدين عائق عن التطور وهى تعنى (الدين الغربى) الذى صارعته ولكنها لا تعرف أن الدين فى الاسلام مفهوم مختلف ، وأن الاسلام ليس دينا لاهوتيا قاصرا على العلاقة بين الله والانسان ولكنه دين جامع يمتد الى العـــلاقة بين الانسان والمجتمع وأن الاسلام هو الذى انشأ المنهج العلمى التجـــريبى فلا صراع بينه وبين العلم أساسا ومن الخطأ البين أننا ندرس الفلسفة فى مدارسنا وخاصة فى التعليم الثانوى فتترك فى نفوس الناشئة بذرة الشك والالحاد حيث يعتقد الشباب المسلم انه أمام (علم) وليس أمام نظريات وفروض قابلة للخطأ والصواب وأنها فروض وافدة من حضارة أخرى لها ظروفها وتحـــدياتها واذا راجعنا النظريات التى ولدتها الفلسفة الغربية تجدها كلها تقوم على :

١ ــ النسبية ٢ ــ المنفعة ٣ ــ التطور المطلق ٤ ــ الجنس ٥ ــ حيوانيـــة الانسان ٦ ــ دافع المعـــدة ــ الخ . .

أما الأسس الفلسفية للمذهب المادى فهى تقوم على أن الانسان سيد نفسه ومالك مصيره فهو وحده المسئول عن أن يشرع لنفســه فى السياسة والاقتصاد والاجتمـــاع وسائر نواحى حياته وأنه لا موجود الا المادة ، وأن المادة أزلية لم تخلق وأن تفنى وأن كل مافى الوجـــود من أشياء انما تكونت بمحض الصدفة واذن فلا اله ولا ملائكة ولا جن واذن فالأديان كلها باطلة ، واذن فلا بعث ولا نشـــور ولا حساب ولا جـــزاء ، وان كل ما نسميه عقلا أو نفسا أو روحا أو فكرا انما هـــو شكل من أشكال المادة وان تشكيلات المادة وحركاتها خاضعة لقوانين طبيعية لاتتخلف

وهى فى غير حاجة الى الايمان بقوة وراء الكون تحفظه وتسيره ..

ولا ريب أن هـذا المفهوم كله مضاد تماما لمفهوم الدين الحق ، ولمفهوم الاسلام ومن هنا فان جميع النظريات والفروض والاستجابات التى تصدر عن هذه الفلسفة هى باطلة تماما ، وهى فى تقدير الاسلام اجتهادات قابلة للصواب والخطأ وليست لها صفة الحقائق الثابتة أو العمومية ومن ثم فيجب عدم تطويع الاسلام لأى مذهب فلسفى باسم التحديث .

ولا ريب أن النظريات الثلاث الكبرى التى تقوم على الفلسفة المادية باطلة :

أولا : نظرية هيجل التى تقول ان الحضارة تعيش الآن فى خلاصة ما كان فى العصور الماضية من عناصر الجد والصلاح وأنه ليس فى العصور الغابرة ما يستحق يلتفت اليه أو يهتدى به ، اذ أن أجزاء الماضى التى لم تنضم الى الحاضر هى أجزاء مرفوضة نبذها الانسان بعد أن اختبرها ولم يجد فيها غناءه .

وتعنى هذه النظرية أساسا الغاء فكرة الدين .

ثانيا : نظرية دارون فى التطور التى كان من آثارها الفلسفية أن تأصل فى التصور الانسانى للكون أنه مصدر للصراع والنزاع وأن من أراد الحياة والبقاء فعليه بالكفاح والمصارعة فى ضوء هذه النظرية أو أنه لايستحق البقاء الا من أثبت قوته وكل من يفنى فى هذا النظام القاسى فانه انما يفنى لأنه ضعيف يستحق الفناء وأن القوى على الحق اذا هو أخذ مكان الضعيف بعد أن أزاحه وقضى عليه وهذه النظرية هى نظرية الاستعمار والسيطرة على الشعوب الفقيرة الضعيفة وسحقها والاستيلاء على مواردها وهى فلسفة القسوة البالغة بالانسان الذى رحمته الأديان وجعلت له حقا فى مال الغنى وحقا فى العلاج والسكن والكسوة وقد جاء الاسلام حاميا للضعيف حتى قال رسوله صلى الله عليه وسلم : **(الضعيف أمير الركب)** .

ثالثا : نظرية ماركس فى التفسير المادى للتاريخ وهى التى أتمت حلقات الفلسفة المادية الى الحياة وهى التى تجعل الانسان مازال محاربا منذ بدء أمره لأغراضه الشخصية ومصالحه وأنه ما انقسم الى مختلف الشعوب والقبائل والطبقات الا لأجل ما كان فى نفسه من أثرة وحب لذاته ، وما نشب بين الطبقات والشعوب من الحروب والمنازعات الا بسبب هذه الأثرة الذاتية والى هذه المصارعة الطبقية يرجع الفضل فيما رزقه الانسان من تقدم وارتقاء .

وهذا مفهوم زائف وخاطىء فالاسلام لا يقر الصراع الطبقى ولا الصراع الاجتماعى ويقيم مناهج الحياة على أساس التعارف والالتقاء .

ولقد حاولت الفلسفة أن تكون بديلا عن الدين فى تفسير أمور الطبيعة ولكنها عجزت أن تحقق شيئا ، ومن ذلك خطأها فى الادعاء بأن الدين عائق عن التطور ، كذلك من أخطائها أنها تعتمد على العلم التجريبى المتغير ، والذى يفسد بسرعة ، وما قال الغرب ان الدين عائق عن التطور الا لأنه عرف اليهودية والمسيحية فقط ولم يعرف الاسلام ولو عرفه لما قال ذلك بحق ، ولما كان الغرب لايملك منهجا اجتماعيا متكاملا جامعا بين العقيدة والمجتمع (اذ أن منهجه قائم فى اليهودية لا فى المسيحية) فانه يبحث عن أيدولوجيات . أما المسلمين فانهم لا يحتاجون لذلك .

* * *

ان الفكر الغربى لا يستطيع أن يقدم أحكاما مجردة صادقة بعيدة عن تحديات العصر والتاريخ وعن الهوى ، فهو حين يتخذ من ردود فعله ضد الكهنوتية قواعد يريد أن يفرضها على المجتمعات فانه لا يقدم رؤيا صحيحة أو سليمة ، والآخذون بها آثمون لا يعرفون أبعاد الأمور .

ان النظرية المادية هى رد فعل الكهنوت . وأن النظرية الماركسية هى رد فعل الرأسمالية .

ولذلك كله فنحن فى ضوء الاسلام نستطيع أن نقرر :

أولا : أن هناك فرقا واسعا وعميقا بين العلوم الانسانية والعلوم التجريبية فى مقاييسها .

ثانيا : ان محاولة التوفيق بين العقيدة الاسلامية والفلسفات هى محاولة فاشلة وقد فشلت فى التجربة الأولى (العصر العباسى) وانهارت وتصدعت لأنها حاولت الجمع بين متناقضين .

* * *

الفصل الثالث

علم الكلام

ما الموقف من علم الكلام :

يقول الدكتور محمد كمال جعفر : ان الفكر يكون اسلاميا على الحقيقة اذا انبثق أو استلهم من القرآن والسنة الصحيحة نصا أو روحا ، اصالة أو بالتبعية . وكذلك يكون اسلاميا اذا انطلق من المبادىء العامة الكلية التى تمثل فى الواقع قوانين الفكر الأساسية .

اما الذى وقع فى التاريخ الاسلامى فهو أن وصمات الكفر والالحاد والزندقة التى كانت توجه الى من هم خارج النطاق الاسلامى أطلقت بلا حساب على فئات ومذاهب نشأت فى المحيط الاسلامى .

ومن العقم التركيز على الجوانب التجريدية النظرية المنقطعة فى كثير من الأحيان عن دنيا الواقع وحياة الناس ، فقد أحالت الفرق الكلامية الدين الى مجرد مجال نظرى للعقيدة بأبعادها الفكرية دون أن تقدر التجربة الدينية وجوانبها التطبيقية حق قدرها وكانت النتيجة فتح باب الجدل واغلاق باب العمل .

وقد اغتال الاغراق فى الجدل ولجج المخالفة صفاء الايمان وسلامة القصد والنزاهة الفكرية ليحل محلها العناء والتعصب والتجاوز عن القصد .

وقد نشطت عوامل تأريث الصراع الى أبعد حدود النشاط فى كل اتجاه بهدف واحد ، هو تفتيت وحدة هذه الأمة وتشويه عطائها الفكرى وتبديد جهودها واستفراغ طاقاتها فيما ليس فيه عناء حتى أوصدت أبواب الجهاد دون مبرر مفهوم .

ومن هنا تجىء الدعوة الى تجميع نطاق الآفاق الأساسية التى يلتقى عليها الفكر السليم المستفيد من كل ما اتيح له من شواهد الصدق واليقين والنفع العام وهذه الشواهد ترتد فى النهاية الى المصدر الاسلامى الأصيل أما مباشرة أو بطريق غير مباشر .

أما بالنسبة لعلم الكلام فقد ثبتت براعمه واشتدت ساقه لتواجه اعتراضات وشبهات مثارة فى طريق الاسلام وكان يقتضى الاعداد لهذه المواجهة أن يوضع فى الاعتبار فريقان يخاطبهما هذا العلم .

الفريق الأول : هو فريق الشبهات المثارة والاعتراضات الموجهة بغية التشويش والبلبلة من قوم هدفهم الحقيقى لا يرتبط بنشدان الحقيقة ، قدر ما يرتبط بزعزعة الثقة فى العقيدة .

أما الفريق الآخر : فيضم هؤلاء الذين يظن أن يقعوا فريسة لمثل هذه الشبهات من أبناء هذه العقيدة ، ومعنى هذا أن علم الكلام يخاطب من هو خارج الاسلام ويخاطب المسلم الذى يحتاج ثباته ودعم ايمانه الى طمأنة عقله واراحة وجدانه .

واختلاف طبيعة الفريقين يقتضى اختلاف طبيعة المنهج .

ولقد خضع علم الكلام الى الأغراض السياسية المرحلية ونسى فى غمرة الأحداث رسالته الأصلية ، وانقلب سلاحا فتاكا يغتال وحدة الأمة ويذكى نار العداوة بين طوائفها وطبقاتها . وقد تدخلت عناصر غير اسلامية فشجعت هذا التفرق وزادت فى صراع الصراع والحقت فرقا معينة بزمرة المسلمين مع اصطدام الأساس الذى تقوم عليه بمبادىء الاسلام الأولية وقد بذلت جهود لتلمس أصول ونصوص مثبوتة تشير الى تفرق المسلمين الى فرق متعددة .

ولهذا انحرف علم الكلام ليخدم أغراضا ذات

سياسة أيدلوجيــة لهذا الفريق أو ذاك وبذلك حبس نفسه فى قوقعــة الطائفية والطبقية فسلب النظــرة الاسلامية الواسعة والأفق الاسلامى الرحيب .

* * *

وفى البرهنــة على وجــود الله (تبــارك وتعــالى) وصفــاته لم يسلــم علــم الكلام من الوقوع فريسة لأدلة ما لبثت أن صارت موضع أخــذ ورد الفــلاسفة والمفــكرين لعــدم متانتهــا المنطقية وسموها الى مرتبة البرهان لقد نسى علم الكلام النهج القرآنى والأدب الاسلامى تجاه مسألة وجود الله ذلك أن القرآن لم يركز على الاستدلال على وجــود الله وانما فصل القــول فى صفاته وافعاله وعلاقته بالكون وبالانسان وليس هذا هو المجال الحقيقى الذى يقيــد الانسان .

ويرى الدكتور محمد كمال جعفر خطأ فكرة دراسة علم الكلام بدرس الفــرق الكلامية واختلافاتها ، اذ ما الفائدة التى نحصل عليها عندما تعرف أن الخوارج قالوا كذا والأشاعرة قالوا كذا .

ويقول « أنا أمثل جيلا أتيحت له فرصة الاطلاع على التراث ولذلك رسمت منهج التوحيد بين الفــرق الاسلامية أولا أن نبحث عن أصول اتفاق بين فرقتــين مختلفتين وتبرزها ثم ننظر الى أوجه الخلاف فقد تكون أسباب الخــلاف تاريخية لم يعد لها وجود الآن ، أو غرضية ، وقد يكون أسباب الاختلاف فى اللفظ .

ان أهــل السنة يقولون : ان الله يرى بلا كيفية والمعتزلة يقــولون ان الله لا يجد ولا يحصر ، وهو نفس المعنى ، اذن اللغة هى التى تختلف والهدف واحد .

* * *

الفصل الرابع

المنطق اليونانى

يقول الأستاذ محمد رشاد خليل :

قال الامام الشافعى : ما جهل الناس واختلفوا الا بتركهم لسان العرب وميلهم الى لسان أرسطوطاليس . وأشار الشافعى بذلك الى ما حدث زمن المأمون من القول بخلق القرآن ونفى الرؤية وغير ذلك من البدع وأن سببها الجهل بالعربية .

قال السيوطى : والجامع لجميع ذلك قوله : لسان العرب الجارى عليه نصوص القرآن والسنة وتخريج ما ورد فيها على لسان يونان ومنطق أرسطو الذى هو فى حيز ولسان العرب فى حيز ، ولم ينزل القرآن ولا أتت السنة الا على مصطلح العرب ومذاهبهم فى المحاورة والتخاطب والاحتجاج والاستدلال لا على مصطلح اليونان ولكل قوم لغة واصطلاح ولقد كان موقف الذين أرادوا أن يجعلوا من المنطق اليونانى أساسا لمنهج البحث فى الاسلام هو بداية التصدع لأركان الثقافة العربية الاسلامية الشامخة ، فقد اعتمد المتأخرون على المنطق اليونانى اعتمادا كليا حتى جعلوه أساسا فى مباحث الدراسات الأصولية والفقهية وقد عمت الأزمة حين اتخذ النحويون واللغويون هذا المنطق أساسا للدراسات النحوية واللغوية .

وقد أدرك علماء السلف خطر المنطق اليونانى على العربية والاسلام وراو فيه منطقا خاصا بلغة قوم هم اليونان ، وهو يستمد مصطلحاته وتصوراته من هذه التى تختلف اختلافا بينا عن اللغة العربية التى لها منطقها الخاص ، والتى بها نزل القرآن وجاء الاسلام على أساس من مصطلحاتها لذلك رفضه جمهور علماء المسلمين وهاجموه .

* * *

يقول ابن تيمية : ان المنطق ميزان العقلية ومراعاته تعصم الذهن عن أن يغلط فى فكره وليس الأمر كذلك فان العلوم العقلية تعلم بما فطر الله عليه بنى آدم من أسباب الادراك ولا يقف على ميزان وضعى لشخص معين ، ولا تقليد فى العقليات — وجماهير العقلاء فى جميع الأمم يعرفون الحقائق من غير تعلم منهج لوضع أرسطو وهم اذا تدبروا أنفسهم وجدوا أنفسهم تعلم حقائق الأشياء بدون هذه الضمانة الوضعية ثم ان هذه الصناعة زعموا أنها تفيد فى تعريف حقائق الأشياء ولا تعرف الا بها وكلا هذين غلط .

ولسنا هنا فى مجال استعراض النكبة التى حلت بالعرب والاسلام بسبب المنطق اليونانى .

* * *

الفصل الخامس

الاشتقاق

يقول الأستاذ محمد رشاد خليل :

الاشتقاق فى العربية هو اشتقاق شديد المرونة بحيث لا يمكن حصره فى أصل واحد أو ضبطه فى قاعدة . فما الذى تعنيه مرونة الاشتقاق فى اللغة العربية من الوجهة الحضارية .

اللغات فى أصلها تعليما من الله تبارك وتعالى قال تعالى : **(وعلم آدم الأسماء كلها)** وقال : **(خلق الانسان علمه البيان)** أما نمو اللغات وتشعبها وازدهارها وتقدمها أو ضمورها وانزواؤها وبمعنى آخر حياتها وموتها انما هو رهن بأصحابها وعقولهم وظروفهم .

وتقسيم الشعوب الى بدائية وحضارية مرفوض ، لانه يقوم على أصل باطل ، وهو القول بالتطور بالمفهوم الالحادى الحديث ، والذى يذهب الى أن الانسان مجرد تطور للمادة الحية بمقتضى قوانين ذاتية تترقى بمقتضاها المادة من حال الى حال بصورة تلقائية خالصة لا تخضع فيها لاله خالق مدبر .

وينكر هذا المفهوم الخبر الصادق عن رب العالمين والذى تقرر فى صورة قاطعة أن آدم عليه السلام هو أبو البشر خلقه الله تبارك وتعالى بيديه ونفخ فيه من روحه وعلمه الأسماء وهداه الى الحق .

ان المزية اللغوية فى الاشتقاق وغيره من خصائص العربية الباقية هى شاهد لا يكذب على عظمة العقلية العربية الاسلامية واتساعها ورقيها وابداعها ، وهى فى نفس الوقت شاهد على أن هذه العقلية قد قطعت قبل الاسلام شوطا طويلا فى الترقى والتقدم عبر الممارسة والدربة المران الى أن اكتملت هذه الحضارة ونمت معها هذه القدرات والملكات .

* * *

الفصل الســادس

العقلانيـــــــة

العقلانية نزعة غربية الطابع مستمدة من الاعتماد على العقل وبراهينه ومعطياته واتحــاده مصدرا وحيدا للمعرفة وهو مفهوم لا يقبله الاسلام الذى يقرر أن هنالك مصادر عدة للمعرفة منها العقل ولكنه ليس المصــدر الوحيد فالعقل هو مناط التكليف فى الاسلام ولكنه يتحرك لاثما تحت ضوء الوحى ونور الفطرة ، ذلك أن الاسلام يؤمن بالنظرة الجامعة التى توازن وتوائم وتمزج بين الروح والمادة والعقل والوجدان .

ولكن هنــاك من يحاول اليــوم أن يتحــدث عن (العقلانيــة الاسلامية ويقررها وحدها بالاعتبار ، وهذه هى معاودة لتجربة قديمة مر بها المسلمون بعــد ترجمة الفلسفة اليونانية وهى تجــربة المعتزلة الذين اعتبروا العقل مصدرا للمعرفة وأعلوه على الوحى (النقل) ودعوا الى أنه فى حالة الخلاف بين العقل والنقل أن يخضع النقل للعقــل .

ومن هنا ظهرت فكرة التأويل وهى فكرة لها حدودها التى يجب أن لا تخــرج بها عن النص القطعى . وقــد كانت هذه احدى المحاذير التى وقع فيها الفلاسفة .

ولقد حاول البعض (أمثال احمد امــين وغيره) الادعاء بأن سقوط الاعتزال كان عاملا من عوامل تأخر المسلمين والحقيقة أن سقوط الاعتــزال بعد استعلائه وادعائه انه هــو المنطلق الوحيد للمعرفة الاسلامية كان طبيعيا (وهــو نفس الموقف بالنسبة للقائلين باتخــاذ الحدس سبيلا واحدا للمعرفة) وهو الذين يعتمدون على الوجدان وحده .

والقرآن الكريم ليس معجزة عقليــة فحسب ولكنه معجزة متعددة الجوانب فى فنون المعرفة واساليب مخاطبة الانسان من ناحيــة فكره ووجــدانه ومن ناحية التاريخ والحكمة والمعجزة والغيبيات .

فلا تناقض فى اسلوب المعرفة الاسلامى بين النقل والعقل اذ أن النقل فى حقيقته هو (القرآن والسنة) وهما مصدران ربانيان (وان كان أحدهما بكلام النبى) لا يتصل بهما الزيف وهذا يختلف عن موقف المسيحية من اللاهوت القديم الذى هو من صنع البشر . ة

وهذا المفهوم وحده الجامع بين النقل والعقل هو الذى أعطى المسلمين — دون غيرهم من الأمم — القدرة على تقــديم منهج التجريب الاسلامى ومناهج المعرفة وسنن الحضارات والأمم .

وهى حين أخذت من تراث اليونان أو غيرهم انما أخذت بعد ما غربلت وصححت ولم تخالف مفهوم التوحيد فى هذا النقل ، وليس هنا مما يجعلنا ننسى مؤامرة الترجمة وأخطارها والمسئولية التى تقــع على المأمون ورجال اللاهوت الذين استقدمهم والذين خلطوا بين دينهم وبين تراث اليونان كما خلطوا بين فكر أفلاطــون وأرسطو ولسنا ننسى مسئولية المأمون فى قضية خلق القرآن ومما فتح الباب واسعا أمام الزندقــة والشعوبية والفكر الباطنى والالحاد ولقد استعمل العلماء المسلمون ملكة العقــل أعظم استعمال دون أن يفــرطوا فى الأصول الأساسية للوحى التى قام عليها الدين الخــاتم ، ولو أن المسلمين كانوا عقلانيون فحسب لما استطاعوا بناء هذه النهضة الضخمة فى مجال العلم والحضــارة وانما الذى مكنهم من ذلك هــو أنهم أداروا التجريب والعلم فى دائرة الأخلاق والايمان بالله والمسلمون مع ايمانهم بقدرة العقل على التمييز والبرهنــة والاستنباط لم يقولوا أبدا بكلمة (سلطان العقــل) الوافدة المضللة التى جاءت من الفكر المادى ويحاول استعمالها بعض التغريبيين اليوم .

وليس صحيحا ما يدعيه البعض من أن السهام توجه الى ملكة العقــل وتتم التشكيك فى قــدراته ما يسمى (النصوص والمأثورات) ، بل أننا نتساءل لماذا يوصف النص القرآنى والسنة المطهرة بأنها نصوص ومأثورات وقد جهلوا أننا لا يمكن أن تعطى للمنهج العقلى أكثر مما يستحق ، أو نعليه على مكانه الطبيعى فى منظومة الفكر الاسلامى الجامع ، أو أن تجعل له من المكانة ما يتجاوز

به النص القرآنى والسنة المطهرة وهى التى تحمل قوانين الاسلام الأصيلة وضوابطه وأصوله الربانية وثوابته المنـــزلة .

كذلك فان موقف الاســـلام من العقل هو موقفه من الوجدان تماما فهما نافذتان للمعرفة يتكاملان فى المسلم ولا يتعارضان ولا يذهب أحدهما بمكانة الآخر وليس الاسلام دينا كما يدعى بعض الذين كتبوا عن العقلانية (عبارة الاسلام الدين) فان الاسلام دين بمفهوم الدين الحق وليس بمفهوم اللاهوت الغربى وهـــو دين بمعنى الجمع بين العلاقة بين الانسان والله تبارك وتعالى من ناحية وبينه وبين المجتمع من ناحية أخرى وكلاهما يكمل الآن ولا يعارضه ونحن بهـــذا لا نؤمن بأن العقل وحده يملك القدرة على ادراك الحقائق .

وفى نفس الوقت لا نراه الا مرتبطا بالقلب **(ولهـــم قلوب لا يعقلون بها)** فليس هنـــاك فاصل بين العقل والقلب ولكن هناك ترابط وتكامل .

ومن هنا فنحن نرفض كل محاولة للقول بأن العقل يناقص النقل أو أن النقـــل يخضع للعقل ، أو أن هـــذا النقل هو مجموعة مأثورات ونصوص ، اذ كيف يمكن ان يوصف الوحى بذلك وكيف يمكن أن يوصف القرآن بأنه مأثورات او توصف السنة النبوية بأنها نصوص .

ان هذا القول لا يصدر الا من عقلية مادية علمانية لا تعرف تكامل الاسلام مهما تحدثت باسمه ، ولن يكون فى الاسلام تزامل بين الشريعة والفلسفة ، بل لابد أن تخضع كل معطيات الفكر الاسلامى للمنهج الربانى الذى هـــو الشريعة المنزلة ، التى هى لب رسالة الاسلام الى النبى الخـــــاتم .

وليس من مفهوم الاسلام الأصيل قبول التأويل لحل لما يدعى من تناقض من النصوص التى هى الوحى وبين براهين العقل . وان كل دعاوى حل هذا التناقض بين العقل والكتاب باطلة ويجب أن يخضـــع العقل للوحى تماما ولن يكون هناك تناقض بالنسبة للوحى وانما هناك قصور ربما بالنسبة للعقل .

واذا كان الشيخ محمد عبده قد دعا الى ذلك بتأثرا بالله رشد وغيره فتلك نظرة مرحلية اضطر اليها الشيخ ولكن ليست فى الحقيقة ما هو مقبول فى عصر القرآن ، فقد كانت تلك الفكرة أشبه بمرحلة المعتزلة بأخطـــائها ومحاسنهاولا يمكن اعتبارهاقانونا نافذا على كل العصور بل كانت من الضرورات التى لجأ اليها الشيخ محمد عبده للخروج من الدرج والحصار الذى كان يسيطر به المذهب المادى على الفكر البشرى اذ ذاك أما الآن فان الفـــكر الاسلامى قد انتقل من خلال نضال حركة اليقظة الى المرحلة القـــرآنية التى لم يعـــد لديها ما تعتذر به عن الأوضـــاع التى عـــرفها محمد عبده وفريد وجدى واقبـــال والعقـــــاد .

لقد جاءت مرحلة الأصالة والطابع القرآنى الخالص التى صحح الفكر مما كتب عن الســـيرة وعن الفـــكر الاسلامى .

ولقداستطاعتهذه المرحلة أن تكشف أخطاء عنعلم الكلام الذى كان مؤسسا على براهين العقل ، وأخطـــاء المعتزلة ، التى جرت فى هذا الطريق شوطا وهذه مرحلة لن تعود ولا يحتج بها ، والدعاة اليها مخربون يرعنون فى احياء الفرق القديمة البائدة والخلافات التى كانت مثارة فى عصر ترجمة الفكر اليـــونانى وهى مرحلـــة مضت وانتهت .

وبالجملة فنحـــن نتحـــرك مـــن خـــــلال مفهـــــوم الاســـــلام الجـــامع وغـــير اللاهوت فى المسيحية الأوربيـــة التى تقوم على القلب والايمان وليس مثل المعتزلة وعلم الكلام الذى يقوم على العقلانية وانما نحن نؤمن بمفهوم جامع متكامل . واذا قيل أن القـــرآن معجزة عقلية ، نقول نعم ، هو معجزة عقلية ووجدانية تاريخية وعلمية الخ . .

وليس كون العقل مناط التكليف مما يحمل على الدعـــوة الى قداسته ونحن لا نغض من قـــدر التحـــول الذى حدث على يد جمـــال الدين ومحمد عبده يتحرر الفكر الاسلامى من الجبرية الصوفية ولكننا نحب أن ينتقل ذلك الى المرحلة الجـــديدة التى تجاوزت بعض محاولات هذه المرحلة هذه المرحلة الجديدة هى المرحلة القرتنة فى الفكر الاسلامى .

الفصل السابع

العصرية

هناك دعوة مضللة تتحدث دائما عن روح العصر والاستسلام له ، وعلى الانسان أن يجعل نفسه جزءا من عصره ، وقد غاب عن الدعاة الى هذا المذهب أن روح الأمة أعظم من روح العصر وأن روح العصر هى طائفة من التقاليد أعتنقها الناس فى عصر معين دون البحث عما اذا كانت صالحة أم فاسدة ، وهل هى نافعة أم ضارة ؟.

والاسلام يقر مبدأ العصرية ولكنه لا يقر الاستسلام لروح العصر اذا كان ذلك من شأنه أن يتجاوز القيم الأساسية له ذلك أن هناك قيما أساسية لايمكن تجاوزها وأن هناك حدود وضوابط يجب أن يتحرك المسلم فى دائرتها وأن لا يضحى بها فى سبيل الحصول على أى قدر من التقدم المادى .

وأن هذا التحفظ على روح العصر لا يحول مطلقا دون قدرة المسلم على التقدم والتطور والتغيير ومجاراة تحولات العصر والمجتمع وأن الاسلام له من قواه المدخورة ما يمكن المسلمين من الخروج من الأزمة دائما ومن الاستجابة للتقدم الجامع بين شطرين المادى والروحى .

ومن شأن الاسلام أن لا يخضع لانحراف المجتمعات ولكنه قادر على ردها الى طريقها الأصيل الطبيعى .

ونحن الآن نمر بمرحلة خطيرة فى حياة المجتمعات والحضارات وهى مرحلة الانحراف الخطير الذى وقعت فيه الحضارة الحديثة فى تحولها المادى وغياب عنصرها الدينى والأخلاقى وانحرافها عن طريق الله الى طريق الاستعلاء بالعرق والفساد الخلقى .

ومن هنا فان الاسلام لا يقر قبول فكرة الاستسلام (لروح العصر) لأنها تعنى الاندفاع فى الطريق الخطأ .

لقد انحرف هذا العصر عن طريق الأخلاق والدين والعلم الى طريق الفلسفة المادية ، والانحرافات سواء فى المذهب الرأسمالى الليبرالى أو الماركسى الاشتراكى ووصلت البشرية من خلال هذين المذهبين الى صراع رهيب ولم يتحقق لها أملها فى بناء المجتمع الرشيد ، وهى الآن تتطلع الى مذهب جديد ، وليس غير الاسلام .

ان روح العصر تدخل فى باب المتغيرات ولكن روح الأمة تدخل فى باب الثوابت ولابد أن تخضع المتغيرات للثوابت وأحيانا تكون روح العصر مجموعة من الأهواء والاندفاعات يختلط فيها الصحيح بالخطأ ، الاستجابة لا تكون للعصر وانما للحق ، للمنهج ، لمنهج الله تبارك وتعالى . والاسلام قادر على الاستجابة للعصر ، وقادر على استيعاب المتغيرات دون أن يخرج عن قيمه الأساسية وقواعده الصحيحة . والاسلام يقر التقدم ولكنه يجريه فى قنوات ثابتة محكمة .

كما أن الاسلام أعطانا القدرة على مواجهة الأحداث متى كانت متعارضة مع منهج الله فليس علينا أن نستسلم للأوضاع المنحرفة تحت اسم التبرير أو قبول الواقع أو التأويل أو الرخص ودعاة التبرير هؤلاء أعداء التقدم الحقيقى والايمان بالمنهج الحق والاسلام لا يقر دعاة اللا منتمى .

واذا خرج الاسلام من ضوابطه وثوابته فقد انتهت فاعليته ويجب أن نقدر تماما أن الاسلام ليس شأنه شأن المذاهب والأيدلوجيات البشرية ، فهو منهج اجتماعى عمرانى شامل يتجاوز كل الفلسفات التى ابتكرتها العقول البشرية قبله وبعده ، ومن باب أولى كل الأديان السابقة له والتى احتواها كمرحلة نحو وحدته وتكامله .

ومن ثم فهو لا يقبل الخضوع لانحراف المجتمعات نحو الاباحة وانحراف الحضارات نحو المادة .

وكل دعوة فى العصرية يجب أن تكون ذات أصالة

بارتباطها بالمنهج والتاريخ وتنقية الفكرة من الانحرافات التى تضعها الفلسفات فى طريقها لتعود الى المنابع أولا ولتستمد اصالتها من الرشد الفكرى ، ولقد كانت دعــوة العصرية التى قامت بها المدرسة العلمانية منذ أوائل القرن الميلادى دعوة منحرفة مضللة ، حاولت احتواء الفكر الاسلامى وتغريبه قبل أن تجىء حركة اليقظة الاسلامية لتصحيح الطريق .

لقد ذهبت الدعوة العصرية الى آخر الشــوط فى فرض نفوذها فهدمت الخلافة وحطمت الوحدة الاسلامية وحجبت الشريعة الاسلامية وفرضت النظام السياسى الغــربى والمنهج الربوى الاقتصــادى والمنهج العلمانى التعليمى ومع ذلك فان حركة اليقظة الاسلامية كانت قادرة على أن تكشف زيف ذلك كله لا يقر الاسلام فلسفة اللحظة ولا الفردية المفرقة ولا الجماعية التى تأكل الأفراد ولا يقبــل انحراف الفنون والآداب ولا وسائل الكسب الحرام أو الاندفاع نحو أهواء الجنس والجــريمة واذا انحراف المجتمع فالاسلام يدعوه مجددا الى العودة الى الله .

* * *

الفصل الثامن

السلفيــــــة

حاول التغريب والغزو الثقافى أن يصف مصطلح السلفية بأنه مصطلح قديم أو رجعى أو متأخر ، بينما هو فى حقيقته مصطلح التجديد والعودة بالاسلام الى المنابع ، والتماس الأصول الصحيحة للاســلام وتحطيما للتقليد والتبعية ، وحمــاية الفكر من أساليب الغـــزو الفكرى والحضارى ، فقد كان السلفيون فى كل عصر من عصور الاسلام هم مجددوه ، والذين دفعوا عنه تحريف الغالين وردوا عنــه كيد الفلسفات الوثنية المترجمة والنظريات الوافدة وكانوا طليعة المواجهة للاستعمار والنفوذ الأجنبى السياسى والاجتماعى .

فكيف يجىء اليوم من يدعى هزيمة السلفية فى معركة التغريب بدعوى أن تيار التجديد قد جعــل تيار السلفية متخلفا والحقيقة أن تيار التجديد هو الذى انحرف عن الطريق الصحيح بعــد أن احتواه التغريب واخرجه من الأصول الحقيقية والأسس الصحيحة لمفهوم الاسلام وكانت دعوى التغريبين أرنولدتوينبى بأنهم تلاميذ جمال الدين ومحمد عبده دعوى باطلة ، اذ انهم أوغلوا فى التغريب ولم يستطيعوا الصمود فى ميـدان الأصالة ولقد كان التيار السلفى مقدمة للتيــار القرآنى فقد حرر العقيدة ومهد النفس المسلمة للنفهم الصحيح للاسلام دينا ونظام مجتمع ويقرر أرنولدتوينبى كما يستشهد الدكتور مصطفى حلمى بأن الحضارة الاســلامية لم تمت عضــويا كما ماتت الحضارة الاغريقية ويرجع الفضل فى بقائها الى نقــاء العقيدة وقد ظل دور السلفيين باقيا فى احياء عقيــدة التوحيد وفهم الأوائل للاســلام لأن الاسلام — كما يقول توينبى وقد أعاد توكيد وحــدانية الله فى مقابل الضعف البادى فى تمسك المسيحية بهذه الحقيقة الجــوهرية وقد استمرت السلفية المحافظة على التوحيد فى جوهره النقى فمنعت تردى العقيدة الدينية الى صورة من صور الوثنيــــة .

وعندنا ان حركة اليقظة الاسلامية التى دعت الى أن الاسلام دين ودولة قامت على أساس القاعــدة التى رسمتها الحركة السلفية ، والتركيز الأساسى الذى بذلته فى المحافظة على طريقــة (الاتباع لا التقليد) ودعمت مقوماتها الراسخة الجامعة بين اخلاص التوحيد لله تعالى وحــده والايمان بالوحى طريقا لمعرفة عالم الغيب مع استسلام الانسان فى شئون معاشه لما أمر به الله بواسطة خاتم الرسل وتحرير العقول من الوثنيات وأصر الشرك لينفرغ فيما يعود على الانسان بالنفع فى ميادين العلوم ووسيلتها النظر والتجربة مع ثبات الفضائل الأخلاقية والقيم الانسانية .

وقد صور الدكتور مصطفى حلمى الخطوات التى حققتها الحركة السلفية :

أولا : وقفوا بصــلابة أمام محاولات التجزئة والبتر والتأويلات الكلامية والتخريجات الفلسفية والتفسيرات الرمزية الباطنية .

ثانيا : وقفوا بالمرصاد مبينين الانحرافات عــن الأصول الاسلامية والاعتماد على الأصلين الأساسيين : الكتاب والسنــة .

ثالثا : حاربوا نزعة الجبرية التى ساهمت فى ركود الهمم واضعاف الارادة الانسانية وتغليب سلبيتها على جانبها الايجابى النشيط .

رابعا : المحافظة على الاسلام فى مصادره وعقيدته وعباداته ومعاملاته وأنظمته وفقا لطريقة السلف .

ويقــول : لقد حاول الاستشراق افساد مفهوم السلفية المشرق الأصيــل وقال بعضهم : انه ارتداد عن محاكاة الشخصيات المبــدعة المعاصرة الى محاكاة أسلاف القبيلة ، ويعتقد بعض المستشرقين أن الحركة

السلفية الاســـلامية هى شبيهة بالحـــركة الانجيلية الكاثوليكية والاصلاح الدينى خلال القرن السادس عشر بأنها استعادة استخدام طقوس كانت شائعة خـــلال القرون الوسطى ثم هجرت وألغيت أربعمائة سنة .

وهذه المقارنة باطلة تماما فان العودة الى المنابع الاسلامية تختلف تماما عن عودة الكنيسة الى طقوس قديمة تجاوزتها الأيام إذ أنها فى الحقيقة عودة الى الأصول الحقـــة المنزلة .

ذلك أن الاسلام له أصوله الثابتة التى يجب العودة اليها كلما انحرفت السبل بالمسلمين ودخلت الى العقائد والنحل اخلاط فاسدة من العادات والوثنيات فالسلفية طريقةموضوعية ذات أسس علمية منهجية تعتمدالنصوص الشرعية الموثقة ، وتلتمس الثوابت الأساسية : كفطرة التوحيد ومخاطبة العقول البشرية للبرهنة على النبوات بعامة ونبوءة محمد صلى الله عليه وسلم بخاصة والرد على أهل الكتاب من اليهود والنصارى فى كل ما انحرفوا به عن الشرع المنزل مع دحـــض شبهات الملحـــدين والمشركين ، هذا فضلا عن ثبات الفضائل الأخلاقية وقواعـــد التحليل والتحريم فى المأكل والمشرب وتنظيم العـــلاقات الاجتماعية فى الأسرة والمجتمع . واقامة العلاقات الدولية مع سائر الأمم وفقا لأصول الشرع .

* * *

ويقول الدكتور مصطفى حلمى : ان السلفيين ظهـــروا الهجوم المكتسح عنـــدما نقل الفكر الغـــربى اليونانى واللاتينى حيث أخـــذوا فى دراسته وتحقيقـــه ومناقشته ورد اباطيله ، ثم قيس ذلك بمقيـــاس العلم الاسلامى فما وافقه قبله المسلمون وما خالفه رفضوه ، وكان الرفض من علماء السلف محافظة على شخصية الأمة وأصلها ، وقد حارب السلف قائما مستعمرا وحاكما مستبدا فرض علينا لغته وفلسفته وتشريعاته ونظمه فى الاجتماع والسياسة والاقتصاد .

وقد أخـــذ المستشرقون تقليب صفحات تاريخنا لاستخراج كل ما يسىء الى الاســـلام فاعلوا شأن الفرق المنشقة كالخـــوارج والشيعة والمعتـــــزلة والصوفية المنحرفين والفلاسفة ، واحياء وتجنيد ومدح نحل ومذاهب مختلفة أما بأسمائها المعروفة بها كالاسماعيلية أو الباطنية أو تحت أسماء جديدة كالبهائية والقاديانية ، وبعث الالحـــاد من جديد تحت ستار العلمانية والمـــاركسية والدوران مع نشر فكرة وحدة الأديان أو التقريب بينها وازالة الحـــواجز بين الحق بصورته الوحيـــدة والباطل بصوره المتعددة المتضاربة .

ومن هنـــا فان السلفية هى الحركة الكبرى التى جددت الدعوة الاسلامية ولولاها لهان على الغرب ان يستعيد الشرق روحيا وفكريا الى أبعد حد ومن هنا تعرف أن السلفية التى أحياها الشيخ محمد بن عبد الوهاب كانت الحلقة الأولى والأســـاس المدعم لحركة اليقظة الاسلامية اذ جاء بعدها مرحلة الجهـــاد (السنوسى والمهـــدى وأحمد بن عرفان وشـــامل وعبـــد الكريم وعبد القادر الجزايرى) ثم مرحلة العقلانية والتحرر من الجبريةالصوفية (جمال الدين ومحمد عبده) ثم جاء حسن البنا بحمل لواء (القرآنية الجامعة) التى ربطت الحلقات الأربعـــة فى عقد واحد (السلفية والجهاد والعقلانية والتربيـــــة) .

* * *

الفصل التاسع

العلمانية

العلمانية قضية غير اسلامية ، ولكنها أدخلت الى المجتمع الاسلامى فى أطار عملية التغريب والغزو الثقافى ، وهى قضية غير اسلامية لأنها تدعو الى فصل الدين عن الدولة من منطلق تاريخى حيث عجزت المسيحية الغربية عن الملائمة مع متغيرات المجتمعات والاستجابة للتحول الذى وقع بعد خروج المجتمع الغربى من جبرية الرهبانية ويبدو هذا الموقف فى مظاهر ثلاثة :

أولا : النظرة الروحية الخالصة التى يقوم عليها الفكر المسيحى والتى ترتبط بالرهبانية والعزوف عن الحياة الدنيا واحتقار المادة .

ثانيا : الادعاء بأن ما جاء فى الكتاب المقدس معصوم من الخطأ وأن ما يقوله آباء الكنيسة مقدس لا ينقض .

ثالثا : الخصومة مع العلم وعدم قبول معطياته ، وقيام الحكومة الثيوقراطية التى يسيطر عليها رجال الدين .

ذلك أن أوربا بعد أن تحررت من قيد الرهبانية وفى ضوء حقائق العلم التجريبى الذى وضع منهجه المسلمون تغيرت مفاهيم كثيرة وبدأت المواجهة بين العلماء التجريبيون ورجال الكنيسة وقامت الكنيسة باضطهاد رجال العلم ومن ثم أقصى رجال العلم رجال الدين جملة ودخلوا فى مفاهيم جديدة لاقامة مايسمى دين الانسانية وغيرها قائما على الفصل بين الدين والسياسة .

أما فى الاسلام فان الأمر يختلف حيث لايوجد تناقض بين القرآن وبين العلم من ناحية وليس هناك عالم دين له قداسة خاصة ، وليس هناك حكومة رجال دين ، كما أن الاسلام لا يقر العزوف عن الحياة بل يدعو الى السعى فى الأرض والعمل والكسب ولا يحتقر المادة وينكر الرهبانية واعتزال الحياة .

ولقد حاولت قوى النفوذ الأجنبى عزل الاسلام عن المجتمع حين فرضت نظاما سياسيا غربيا وقانونا وضعيا واقتصادا ربويا ومنهجا تعليميا مفرغا من الدين وحاولت أن تصور الاسلام على أنه دين لاهوتى قاصر على العلاقة بين الله والانسان وقائم على العبادات والأخلاق ومن هنا فان العلمانية ليس لها مكان فى عالم الاسلام فقد أخذت أوربا بالعلماية فى مواجهة جمود المسيحية وانحرافها ، ذلك ان المسيحية التى عبرت الى الغرب هى مسيحية بولس وليست المسيحية الأصلية .

ولقد كانت تجربة تركيا العلمانية هى أولى التجارب فى هذا المجال وقد واجهت معارضة وفشلا لأحد لهما ، وكانت ترمى الى فصل الاسلام عن الدولة من أجل :

١ — الغاء الخلافة .

٢ — تمزيق الوحدة الاسلامية الى قوميات واقليميات .

٣ — التمهيد لسيطرة الصهيونية على فلسطين .

ولا شك أن دعوة الغرب الى العلمانية كانت تهدف أساسا الى تمكين الغرب من السيطرة الاقتصادية والاستغلال الاقتصادى لأنه يفسح الطريق أمام السرقة والرشوة مع تعطل الحدود .

ومن هنا فقد تكاثفت القوى الثلاث الزاحفة للسيطرة على الاسلام على تأريث (العلمانية) والدعوة اليها (الغرب والصهيونية والشيوعية) لأنها فى النهاية تنتزع النظام الاسلامى وتحول دون تطبيق شريعة الله .

ويحمل الاتجاه العلمانى فى طياته : الفلسفة المادية والتفسير المادى للتاريخ ، والنظام الربوى ، نظام الراسمالية والليبرالية والديمقراطية بكل فساده وقدرته

على سيطرة طبقة أوليـــاء النفوذ الأجنبى على البلاد من أجل تمكين الراسمالية الربوية من استنزاف ثروات الأمة الاسلامية وتركز الفكرة العلمانية على الغاء الاسلام السياسى (الاسلام دين ودولة ونظام مجتمع) وتعمل على تأريث القــومية والوطنية والاقليمية بما يدعــم الانفصال بين أعضاء الكيان الاسلامى الواحد .

ومن هنا فان كل محاولات دعاة العلمانية انما ترمى الى تدعيم مقولة باطلة : هى أن الاسلام دين روحى وليس دينا ودولة على النحــو الذى نقله الشيخ على عبد الرازق فى كتابه (الاسلام وأصول الحكم) من أصل للمستشرق اليهودى مرجليوث . بينما لم يوجد فى بنيــة الاسلام أى صراع من الصراعات التى فرضت العلمانية فى أوربا أو كانت رد فعل لها ومن هنا تفرض العلمانية نفسها على الفلسفة فتروج لآراء دارون وفرويد وماركس وتعمل على كتابة التاريخ من وجهة نظر علمانية . كما عملت القوى المسيطرة على معاملة المجتمعات الاسلامية على أنها مجتمعات غربية نصرانية لا مناصرة لها من فصل الدين عن الدولة واقامة سائر الهياكل الثقافيــة على أسس لادينية علمانية تقضى على أخلاق الاسلام ووجهة نظرة فى السياسة والعلم والتعليم والاعلام ..

يقول الأستاذ طارق البشرى : لقد سعت العلمانية فى أطروحاتها الحديثة التى تقول لنا ان تصاعد المد الاسلامى مؤخرا ليس الا رد فعل لهزيمة الواقع فقط . ولكن ما أراه الآن أن حركات التحرر الوطنى فى بلادنا على مدى القــرن ١٩ كان يندمج فيها العنصر الاسلامى مع العنصر الوطنى . وتجــارب المهــدية والوهــــــابية والسنوسية وعبد القادر الجزائرى وجمال الدين الأفغانى والحزب الوطنى فى مصر قبل الحرب الأولى كلها خير دليل على ذلك .

ويقرر الأستاذ محمود عارف أن الذين يثيرون قضية العلمانية أو فصل الدين عن الدولة تأتى دعواهم لأحد أسباب ثلاثة :

١ ــ أما نتيجة عدم فهم لعظمة مبادىء الاسلام .

٢ ــ أو نتيجة للرغبة فى معارضة تطبيق الشريعة الاسلامية دون شجاعة المجاهرة بذلك .

٣ ــ أو المعارضة فى كون الاسلام صالحا لكل زمان ومكان .

الفصل العاشر

الإعلام

ان أخطر ما يواجه الأمة الاسلامية فى مجال الاعلام تلك المعطيات الوافدة التى لا تتفق مع عقيدتنا وقيمنا وأخلاقنا وأسلوب عيشنا فان الغرب الذى يحارب عالم الاسلام حربا خفية ومعلنة ، يهدف من بضاعته التى يصدرها تخريب النفس المسلمة والعقل المسلم وهذا ما نجده فى المسلسلات والبرامج الغربية ، حيث توجد مؤسسات متخصصة فى انتاج الفاسد من البرامج المكتوبة والمصورة والمسموعة ، وكلها مؤسسات تحقق أرباحا طائلة . وقوام هذه المخططات التى ترسمها دول متقدمة وتحرص على تنفيذها بمكر ومهارة بغية تفريغ عقول الناس فى أقطار العالم الثالث من محتواها ما تقدمه وكالات الأنباء الكبرى التى ما فتئت تسعى الى احتكار موارد الخبر ومساريه لتصوغه على هواها ثم تذيعه فى جهات العالم الأربع مصوغا باللون الذى تريده .

ان فى العالم قوى عاملة على تخريب الأخلاق وافساد الذمم وتقريب الأمم والفجور الى نفوس العامة والخاصة فى جميع أركان الدنيا بدافع الحقد والكره ، هذا الصنف له دستور مكتوب يسمى (بروتوكولات صهيون) والذين يعملون على تنفيذه هم الذين يملكون معظم مؤسسات الاعلام المبثوثة فى أقطار الأرض وهم يعملون تحت ستار قوانين الحريات العامة وحقوق الانسان وديمقراطية الشعوب ، وهم يستخدمون وسائل الاعلام استخداما يتعارض مع قيم ديننا ومع قواعد الأخلاق والمروءة .

وقد وضعت الشريعة الاسلامية للاعلام قواعد وأسسا ثابتة وفيها حلت ما أحلته وحرمت ما حرمته .

(قل انما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن) .

(انا جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة) .

ويركز الباحثون على أن التحكم الاستعمارى الغربى المركز بوجه عام فى مصادر المعلومات والخبرة والانتاج الاعلامى وتكنولوجيا الاعلام ، يعطينا — كما يقول الأستاذ عبد القادر طاش — فكرة واضحة عن الدور الذى يلعبه هذا التحكم فى مجال تكريس تبعية الدول النامية والمستضعفة للمعسكرات الاستعمارية .

ففى مجال الصحافة وفى مجال تناول المعلومات فان وكالات الأنباء الغربية الأربعة (أسوشيتد برس ، يونايتد برس : رويتر ، وكالة الصحافة الفرنسية ، تتحكم فى ٨٠ فى المائة من التوزيع الاخبارى فى العالم ، وهذه الوكالة الغربية لا تخصص لأخبار الدول النامية أكبر من ٢٠ — ٣٠٪ من تغطيتها الاخبارية بالرغم من أن سكان الدول النامية يؤلفون ثلاثة أرباع سكان العالم ، حيث تحتكر هذه الوكالات بالاضافة الى وكالة تاس الشيوعية معظم الطاقات المادية والانسانية .

وفى مجال الصحافة وتبادل المعلومات — ثلث الدول النامية من عجزها امتلاك وكالات أنباء وطنية خاصة بها ، وتتجاهل وكالات الأنباء الغربية عموما فى تغطيتها الاخبارية مشكلات الدول النامية وتطلعاتها فضلا عما يشوب ما تجود به هذه الوكالات من الدس والتحريف والتشويه .

والمشكلة الأساسية هى أن الصحافة الغربية لاتهتم الا بالأخبار المثيرة كأخبار الأزمات والاضطرابات والكوارث والصحافة الغربية صحافة تجارية مصلحية لأنها تهتم بالمصالح المادية الاقتصادية للدول الغربية وتحاول اشباع تهم قرائها الى أخبار الجرائم والاضطرابات والكوارث دون مراعاة للآثار السلبية الى تتركها هذه النوعية من الأخبار فى تشويه الواقع وتضليل الناس .

أما بالنسبة للاذاعة والتليفزيون فان الدول

الصناعية تتحكم فى ٩٠ فى المائة من الموجات الاذاعية وعددا وافرا من الاذاعات الموجهة القوية بمختلف اللغات العالميــة والمحلية لنشر أفكارها وآرائهـــا السياسية والتبشير لأنماط حياتها ومعيشها بين الشعوب النامية .

وفى مجـــال السينما تعد الأفلام السينمائية أكبر التجارات الاعلامية ربحا فى الولايات المتحدة حيث بلغت مبيعات ١٩٧٣ (٤٠٠ مليون دولار) هذه هى السيطرة الغربية على المعلومات ووسائل التأثير الاعلامى ومراكز الانتاج التليفزيونى والسينمائى بدعوى السوق الحرة وتحت شعار حرية الصحافة والمعلومات وهى الصورة الجديدة للاستعمار لأن الدول الصناعية الغربية تستخدم هذه السيطرة لخدمة مصالحها السياسية والاقتصادية وتسخر هذه السيطرة لتحقيق أهدافها التوسعية فغزو أفكار الشعوب المستضعفة وأضعاف شخصيتها وتخريب ثقافتها وأبعادها ، بشتى الوسائل عن الاهتداء الى شخصيتها المستقلة والاعـــزاز بحضـــارتها المتميزة ، وعلاقتها بها هى عـــلاقة الضعفاء بالأقوياء والاتباع بالمتبوعين ، وعلى الشعوب المسلمة مواجهة التحـــديات الحضـــــارية .

* * *

لقد كانت الثقافة والاعلام والمسرح وأدوات التسلية والترفيه وسائل محتواه لتخريب أخلاقيات الأمـــــم والشعوب ولكى يثبت فى قلوب الشباب روح الاستهانة بالقيم والسخرية بالضوابط والحـــدود ، وخلق طابع الشرعية للانحـــلال والفساد الأخلاقى ولقد استخدمت وسائل الاعلام لبث روح الفرقة والتمزق النفسى والانحلال وخاصة عن طريق الفن الشعبى والفلكلور ولقد شهـــد كثير من الباحثين والدعاة الى الله أن التليفزيون أخطر جهاز يهدد المفهوم الاسلامى والدعوة الاسلامية ، وأن البرامج التليفزيونية بمستواها الحـــالى خلقت أنماطا استهلاكية ترفيهية أضرت المجتمع كله . يقول الدكتور ابراهيم امام ان هذه الأنماط الاستهلاكية التى يعرضها التليفزيون مسئولة عن الأزمات الاجتماعية والنفسية التى يعانى منها الأفراد ، أن التليفزيون مفروض فيه أنه وسيلة البناء لا للهدم ، وسيلة للاصلاح لا للافساد ، وسيلة للتقويم لا للتعويج ، للارتقاء بمشاعر الأمة وليس دفع هذه الأمة الى أسفل الدركات .

ويقرر عدد من الباحثين أن الاعلام ووســـائل الترفيه والتسلية قد عمدت الى تقديم ما يؤدى الى هبوط الأخلاق . وذلك عن طريق غياب الرؤية الاسلامية عن المسلسلات والبرامج . وتقديم النموذج الغربى فى مختلف قضايا المجتمع ، وهو نموذج يختلف تماما عن مفاهيمنا الاسلامية . وهذا يعنى كما يقول الدكتور أبراهيم أمام اننا أمام غزو ثقافى مقنع وجديد لأن الغزاة لا يقولون اننا نغزو البشر بفكرنا وهو جـــديد لأنه مختلف من ناحية الأسلوب والمـــداخل ولكنه ليس جديدا من ناحية الغايات والأهداف لأن هدفه هو زحزحة القيم الاسلامية وأبعاد الالتزام الأخـــلاقى من طريق الحياة الفكرية والأخلاقية للأمـــة الاسلامية .

وأخطر ما فى ذلك أن الاعـــلانات تعرف وتخاطب الغريزة الانسانية وكأن الانسان ما هو الا حيوان عليـــه أن يشبع غرائزه المادية . ومن العجيب أن المعلنين يستخدمون الغريزة الجنسية حتى فى الاعلان عن شفرة الحلاقة أو مشروب المياه الغازية .

لقد قام الاعـــلام الغربى على الاثارة ومن هنا نقل الاعلام الاســـلامى هذه الأساليب من الجنس والاثارة ، اذ حدث نوع من الخلط الشديد بين طبيعة المجتمع الاسلامى وما ينبغى أن يقال فيه مسئولية طبيعة المجتمع الغربى وما يمكن أن يقال فيه .

واحسب أن مسئولية عـــودة الوعى الاسلامى أدى القائمين على أجهزة الاعلام مسئولية ثقيلة لأنها تحتاج الى نفس طويل والى قيادة سياسية وتعليمية راشدة والى قاعدةعريضة من الاعلاميين المتجاوبين مع الخط الاسلامى الراشــــــد .

ولقد كان التأثير السيء الذى أحدثه النموذج الغربى على بعض العقلياتالاسلامية من أهم أسبـــاب هبوط الاعلام الاسلامى، ومن هنا فلابد من تكوين أجيـــال من الاعـــلاميين المسلمين عن غـــير طريق الابتعـــاث ، حيث يركزون هناك على فلسفات غربية عن الاسلام بل معادية له . فالذن سافروا الى البـــلاد الشرقية كانوا يلزمونهم دراسة النظرية الماركسية اللينينية باعتبارها القاعدة الفكرية والمنطلق القيمى لدراسة الاعـــلام أو غيره من العلوم الاجتماعية كالاقتصاد وعلم النفس وعلم الاجتماع والتاريخ والجغرافيا .

اما الطلاب المبتعثون الى الدول الغربية (الولايات المتحدة وفرنسا وبريطانيا والمانيا) فلا بد لهم من دراسة الفلسفة البرجمانية (فلسفـــة الذرائع) وفكر (جون

ديوى) خاصة فى التربية فضلا عن الاتجاهات الليبرالية الحرة القائمة على مذهب الحرية المرسلة واللذة والرغبة ووضع القوانين العلمية على أسس من الأهواء الشخصية والأفكار المعادية للانسانية .

فهل نغامر بتعريض أبنائنا لهذه الأخطار والمذاهب الهدامة ؟ ان أفضل اعداد لدراسة العلوم الاجتماعية هو الأساس الاسلامى والمنطق الشرعى والعقيدة الصحيحة المستمدة من كتاب الله تعالى وسنة رسوله والتوقف عن التبعية التعليمية وكفانا أن نعيش عالة على أولاد العم ماركس أو أبناء العم سام ، اننا امة ذات شخصية اسلامية مستقلة ويجب أن نكون امة ذات شخصية اعلامية مستقلة .

اننا فى حاجة الى انبعاث الثقة بقدرة الاسلام على مواجهة المشكلات المعاصرة بما له من تاريخ وتجربة حضارية وأن تكون اولى مهام الدعوة الاسلامية تعميق الشعور فى المسلمين بوحدة العالم الاسلامى ويجب أن نكشف انهيار التبعية الغربية ونجلى أهم العوامل :

أولا : سقوط الحضارة الغربية وعجزها عن الاجابة عن مشكلات الانسان واخفاق خريجى المدارس الاستعمارية وتلامذتها الذين مكن لهم الاستعمار من تحقيق اى أمل .

ثانيا : استطاعت الدعوة الاسلامية الانتصار فى معركة التحدى الحضارى والصراع الفكرى وتخليص الجماهير المسلمة من مركب النقص أمام الحضارة الأوربية الغازية المتفوقة ماديا .

ثالثا : استطاعت الاحتفاظ بشعور المسلمين لوحدة العالم الاسلامى واقناعهم بأن ذلك دين لا يجوز التفريط فيه :

(وأن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون)

رابعا : الوقوف فى وجه محاولة التفتيت والتذويب للعرب قلب الأمة الاسلامية ودعائمها وفرض واقع التجزئة واقامة الكيانات الاقليمية مستخدما كل النزعات العشائرية والقبلية والعائلية والجنسية والقومية ، ذلك ان ما طرحه النفوذ الأجنبى من شعارات وتداثل فكرية لم تخرج فى الحقيقة عن أن تكون اقنعة اختبأت خلفها الطائفيات والاقليميات التى تحمل الكيد التاريخى للاسلام ..

خامسا : استطاعت الدعوة الاسلامية الانتصار فى قضية التميز الاسلامى وهى قضية لا تزال فى أشد الحاجة الى الترشيد ازاء شراسة المواجهة مع خصوم الاسلام .

سادسا : استطاعت الدعوة الاسلامية حل المعادلة الصعبة بين العلم والدين بعد أن كانت تسقط فى فرية أن العلم من لوازم الالحاد .

سابعا : ضرورة تجاوز مرحلة الايمان بالاسلام (مبادىء ومثلا) الى مرحلة ترجمة المبادىء الى برامج ، واعطاء الزمن الكافى لايضاح كل مرحلة وعدم استعجال الثمرة **(لا يكلف الله نفسا الا وسعها)**.

ثامنا : نقل الآراء والمبادىء الى واقع المسلمين وربط الأسباب بالنتائج .

تاسعا : الاستمرار فى الدفاع عن المواقع الاسلامية المهددة .

عاشرا : الاستمرار فى تحرير الاقطار الاسلامية المستهدفة لاستمرار الهجوم **(ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا) ذلك أن الاستمرار** فى حالة الدفاع يجعل الزمام فى يد أعداء الاسلام ويبقى التحكم بمسار المسلمين الفكرى والثقافى فى أيديهم مع انهاك المسلمين باعادة الشبهات ولذلك فان علينا أن ننتقل من معركة تحقيق الذات الى معركة تقويم الذات .

* * *

الفصل الحادى عشر

الثـــــــورة

اتخذ مصطلح الثورة عدة تفسيرات فرضها الكتاب تحت تأثير الدعاية لمرحلة من مراحل الحيـــاة السياسية والاجتماعية للأمم ، ومنهم من بالغ فى هذا وتصور الثورة اتجاها دائما متصلا ، ومنهم من غالى فى وصف التغيير على أنه ثورة ، ومنهم من وصف حركات الجيوش التى تقوم على تغيير قيادات البلاد على أنها انقلاب أو ثورة . ولا ريب أن الثورة هى حركة جماعية تضم مختلف عناصر الشعب أو الأمة فى حـــركة خروج عن الأوضاع القائمة المضطربة والمنهـــــارة .

وهو مصطلح غربى دخيل على المفاهيم الاسلامية التى تقر كلمة « الاصلاح » وتصور رسالات الأنبياء أنها دعوة الى الاصلاح والى تغيير الواقع الفاسد (**ان أريد الا الاصـلاح ما استطعت**) وقد اشار القرآن الكريم الى التغيير ووضع قاعدته (**أن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهـــم**) .

والاسلام يدعو الى ان تغيير المجتمع لا يتم الا بعد ان يغيروا الناس ما بانفسهم بمعنى ان يسلموا انفسهم لله ويطبقـــوا احكامه ويقيمـــوا شرعته ويبنوا المجتمـــع الربانى الذى يقـــوم على العـــدل والرحمة والاخـــاء البشرى .

والمسلمون مطالبون بالخـــروج من الأزمة وتحرير أنفسهم من التبعيـــة وان يظلوا قادرين على امتـــلاك ارادتهم ، وأن يظلوا مرابطين على الحدود ، محافظين على قواهم وأسلحتهم ، مستعدين للمواجهة ، قادرين على الردع لمن يحاول تجاوز حدودهم أو دخول أرضهم أو فـــرض سلطانه عليهم ولكن هذا المفهوم الاسلامى فى القدرة على امتلاك الارادة لا يسميه الاسلام ثورة ، ولكن هو يعنى فى الحقيقة العودة الى المنابع ، وتحرير الارادة والتماس الأصول الحقيقية للنهضة .

ولقد اتخذت فكرة (الثورة) اكثر من مرة فى العصر الحديث لاخراج المجتمع الاسلامى من أصالته والقضاء على طابعه الاســـلامى . حدث هذا فى الحركة التى قام بها مصطفى كمال أتاتورك فى تركيا والحركة التى قام بها مصطفى كمال أتاتورك فى تركيا والحـــركة التى قام بها عبد الناصر فى مصر فقد كانت كلتاهما محاولتان تغريبيتان لاخـــراج المجتمـــع الاسلامى من طريقه الاســـلامى الى التغريب والاقليمية والتبعية تحت أسماء الثورة والتحرير والاشتراكية . وقد جـــرت الحركتان على طريق فتـــح الطريق أمام المخططات الصهيونية الطامحة فى السيطرة على فلسطين وبيت المقـــدس واقامة وطن لها من النيل الى الفـــــرات .

وفى كلا الحـــركتين لم يشترك الشعب على النحو الذى يعطيها اسم ثورة كما حـــدث فى ثورة ١٩١٩ . أو الثـــورات الجماعية التى يشترك فيها الشعب بمختلف طوائفـــه . ، وقد ظهرت فى السنوات الأخيـــرة خطة الانقلابات العسكرية فى عديد من البلاد العربية والاسلامية قام بها رجال من الجيش أزالوا بها الحكومات القائمة . ولكن هذا النموذج لم يحقق ماكانت تتطلع اليه الشعوب باقامة نظام جـــديد على أساس الشورى أو العـــدل الاجتماعى وانما كان عاملا مؤخرا لحركة اليقظة الاسلامية التى كانت تهدف الى اعادة البلاد الاسلامية والعربية الى الشريعة الاسلامية التى كانت مصدر الحكم فيها قبل الغزو العسكرى الأجنبى الذى أوقف النظام الاسلامى فى مجال السياسة أو الاجتمـــاع أو الاقتصاد أو التربيـــة والتعليم .

لقد كانت هذه الحركات فى الحقيقة مرحلة جديدة من مراحل التغريب ، التى بدات فى ظل النفوذ السياسى الذى كان مرتبطـــا بالنفـــوذ الأجنبى المسيطر عسكريا وسياسيا ، وقد جاء بديلا له بعد انسحاب العسكريين على اثر نمو الغزو الثقافى وامتداد خطوات التغريب .

ولقد تراوحت البـــلاد العربية والاسلامية خـــلال سنوات ما بعد الحرب العالمية الثانية بين الديمقراطية

الغربية وبين الماركسية الشيوعية ، ولم تستطع التنظيمات سواء مع الاقتصاد الحر أو مع التأميم والاقتصاد الموجه أن تحقق للعالم الاسلامى ما كان يطمح اليه من قيام مجتمعه الأصيل الذى يتحقق فيه العدل والشورى وقد تحولت بعض هذه الحركات الى أنظمة دكتاتورية تعمل على تأمين وجودها بشىء غير قليل من العنف ، كما تحول بعضها الآخر الى أسلوب من الانفتاح الاقتصادى والديمقراطى ، وبقيت قضية الاحتلال الصهيونى لفلسطين وبيت المقدس مؤثرا ضخما على حركة المنطقة العربية كلها مع بروز المطروحات القومية والاقليمية والعلمانية فى متابعة للنظم الغربية ، أو النظم الماركسية والشيوعية ، وما يزال للدولتين الكبيرتين ونظامها أثر كبير على بلاد العالم الاسلامى وارتباطاته الاقتصادية والعسكرية مما يؤدى الى تبعية واضحة .

وكل ما تتطلع اليه الأمة الاسلامية اليوم هو ازالة السيطرة الأجنبية وامتلاك الارادة الحرة لاقامة المجتمع الاسلامى المتحرر من العلمانية والقومية والمحقق لنظامه الاسلامى السياسى والاقتصادى والاجتماعى فى ايمان كامل بأن الديمقراطية الغربية ليست هى الشورى الاسلامية وأن العدل الاجتماعى الاسلامى ليس هو الاشتراكية ويجىء هذا عن طريق الاصلاح والتربية وبناء الأجيال الجديدة ، وفى ظل مفهوم الاسلام الذى لا يقر العنف ولا الانقلاب ولا اراقة الدماء ، وانما وفق سنة التطور والتدرج ، وبعيدا عن العنف والديكتاتورية على أساس العبودية لله تبارك وتعالى وتحقيق ارادته والذى يعمل على قيام الوحدة الاسلامية الجامعة وبناء المجتمع الاسلامى الرشيد وتبليغ رسالة الاسلام للعالمين وليس فى ذلك ثورة وانما هى عودة الى المنابع .

* * *

الوجـــــودية ...

مذهب اجتماعى وافد ، ظهر فى فرنسا بعد هزيمتها فى الحرب العالمية الثانية وهو بمثابة رد فعل لمشاعر الهزيمة وثمرة التدمير الذى أصاب فرنسا وأوجد فى نفوس شبابها احساس بالهزيمة والتمزق والغربة ، وقد احتوته القوى التلمودية لاستغلاله لهدم نفسية الشباب الفرنسى ومن ثم تحولت الوجودية الى مذهب ملحد (هيدجر — سارتر — البيركامى) ، لا يعترف بوجود الاله الخالق والانسان فى نظرهم وجد فى هذا الكون دون أن تكون له ماهية مسبقة ، ودون أن يكون على صلة أو معرفة بالقوة التى دفعته الى هذا الوجود .

وسارتر الذى قاد مسيرة هذه النظرية منكر للخالق وهو يظن انه بالحاده ذلك يستطيع أن يخرج الانسان الى عالم الحرية الذى يريد أن يصنعه للانسان .

ويتصور الوجوديون : (انهم جيل بلا أمل ، جيل بلا عمق ، وبلا مستقبل ، ان عمقنا هو الهاوية وحبنا هو الوحشية ، وشبابنا بلا شباب وحياتنا علب من الورق ، فارغة وقابلة للتمزق ، ان حياتنا حطام الوحدة والعزلة والسلبية) والاتجاه الوجودى كما يقول رمضان لاوند — هو تعبير عن الاحساس الجارف بالغربة عن الحضارة والناس أو بتعبير آخر هو احساس الانسان بالوحدة وهو ينطلق من المسلمة التى تقول ان الأشياء لا تتحدد حقيقتها بماهيتها بل بوجودها والراى فى الوجودية أنها اعلان عن افلاس الانسان فى مواجهة القيم الانسانية العامة لقد أصبح الانسان الغربى والمثقف الغربى ، يؤمن بسقوط كل القيم التقليدية ، كما أصبحت الحقيقة بالنسبة له تدور حول وجوده فحسب ، هذا الموقف يعود الى الاحساس بالاغتراب والى نوع من العبثية واللاعقلانية ، ولعل البير كامو فى قصصه وسارتر فى رواياته أن يكونا النموذجين الأصليين لهذه الظاهرة ولن يكتب للوجودية ازدهار فى العالم الاسلامى والعربى فى المستقبل المنظور الذى لا يزال متمسكا بالقيم النابعة من تراثه الاسلامى .

ولن يستعيد العربى شخصيته ويتحرر من حالة الاغتراب الا بعد أن يهيمن على مقدراته القومية أولا ، وثانيا بعد أن يصنع حضارته أو مجتمعه المستقبلى انطلاقا من قيمه التى تتمثل بصفة خاصة بالفكر القرآنى وأخلاق القرآن وقد أسفرت كل المحاولات التى قصد بها الى تغريب العالم العربى رأى اعطاءه الشخصية الغربية عن فشل ذريع حتى الآن ، فقد فشلت الفلسفات الاجتماعية والفلسفة الحديثة والمتمثلة فى سلسلة أحزاب تسمى قومية وتقدمية ويسارية عن استيعاب الوجدان الشعبى وظل انصارها محصورين فى طبقة المثقفين الذين تخرجوا فى ظل الثقافة الغربية والمؤسسات التربوية التى صنعت على الصورة الغربية .

ويجب أن نقتنع بانه لا يمكن أن تقوم للعرب قائمة دون الاسلام ، فهو وحده القادر على اعطائهم الشخصية المميزة ، فاذا توفرت لدينا هذه القناعة أصبح من السهل اعادة تشكيل الشخص المسلم بواسطة رؤيا اسلامية أصيلة تتصل بالقيم ومناهج الفكر والسلوك والنظم الاجتماعية وغيرها . » . ا هـ .

* * *

الفصل الثانى عشر
الآثـــــــار

اتخــذت قوى النفــوذ الأجنبى الآثار والحفريات والكشـــوف الأثرية أداة لتغــريب المسلمين واحيــاء مفاهيم سابقة للاسلام ، وكانت مسألة اكتشاف قبر توت عنخ آمون وغيره من الآثار الفرعونية والأشورية والبابلية احدى مسائل النفوذ الأجنبى فى حجب الواقع الاسلامى القريب ومحاولة تجديد ما قبل الاسلام ورد الأمم الى هذا التاريخ ودعوتهم الى احياء هذا التاريخ البائد الذى قضى عليه الاسلام فيما قضى من وثنيات ولغــات وتقاليد واحيا بدلا منها مفهوما جديدا قائما على التوحيــد الخالص .

ولقد أجرى النفوذ الأجنبى اهتماما كبيرا بحفريات تل العمارقة وآثار اخناتون ومراكب الشمس وغيرها وحاول أن يصف ما قام به (اخناتون) بأنه دين التوحيد ، بينما كان عمله هو توحيد الوثنية حــول عبادة قرص الشمس (أتون) ثم كان ما كان من اكتشاف مقــابر تحتمس الرابع والملكة حتشبسوت وسيلة لاعلاء مفاهيم الوثنية الفرعونية .

وما تزال أحاديث تثــار حول هذه الحفريات فى سبيل احياء الفرعــونية فى مصر ، وقام كثيرون بكتابة تاريخ هذه الفترة ويتصدى كثير من كتاب الصحف الى موالاة هــذه الحفريات تحت اسم الدعوة الى تشجيع السياحــــة .

وهى محاولات مضللة ترمى الى اعطاء هذه المرحلة من تاريخ مصر أكثر من حجمها الحقيقى ، وعندما يعرف ان هذه المرحلة لا يوجد لها أدب ولا ثقافة ولا لغــة يمكن الاعتماد عليها فى احيانها تبدو هذه المحاولات وكأنها تهدف الى تغريب التاريخ .

ولعل أهم ما يذكر فى هذا الصدد ، ما ذكره ارنولد توينبى من قوله :

بالبحث عن الحضــارة الفرعونية فى كيان مصر الحديثة يتبين أن الحضارة الفرعونية قد ماتت من قديم ، وقال دكتور حمدان ان مصر الفرعونية لم تعد موجودة الا فى المتاحف أما فى الوادى فقــد انقرضت كما انقرضت تماسيح النيل فى النهر (أنظر مادة فرعونية) .

ولقد جرت قوى النفوذ الأجنبى لاحتضان الكشوف الأثرية واعتمدت لها مبالغ ضخمة لتجعلها وسيلة لتغريب المسلمين باعادتهم الى ما قبل الاسلام .

ولكن الحفريات التى جــرت فى العالم الاسلامى والبلاد العــربية قد حققت أشياء كثيرة تؤكد ما جاء فى القــرآن الكريم ، وما تزال تكشف الحفريات كل يوم جديدا يزيح الستار عن حقيقة تاريخية ، تظاهر ما جاء فى القرآن الكريم من آيات بينات جعلها الحق تبــارك وتعالى نورا وهدى للبشرية حتى تؤمن وتصدق ثم تزداد ايمانا بأنه من عنــد العليم الخبير ، ولقد انكشفت حقائق كثيرة فى شأن فرعون عندما جاء (الدكتور موريس بوكاى) وكشف عن فرعــون موسى الذى تبين أنه غرق ثم أنجاه الله ليكون تية للناس ، (**فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية**) ..

وكذلك فقد كشفت الحفريات ما يتعلق بشأن القرى المكتفئات التى كانت تفعل الخبائث ومن قبل ذلك كشفت الحفريات كثيرا من شأن قوم ابراهيم وقوم اسماعيل بما صحــح كثيرا من الأكاذيب المدعــاة التى حاولت رحلة ابراهيم الى مكة واقامة قواعد البيت مع ابنه اسماعيل عليهما السلام وكان لهذه الكشوف الأثرية أثرها العكسى المضاد لما كان يهدف اليه بعض الدعاة .

وكان من أخطر الأحداث فى هذا الصدد ذلك الكشف الأثرى الخطير الذى وقع عام ١٩٤٧ على شاطىء البحر الميت عنــدما عثر أحد البدو حينما ضلت عنزته فذهب يبحث عنها فاهتــدى فى أحد الكهوف على تلك الجرار الجحرية الغريبة التى تشتمل على محفوظات دينية أذهلت العالم المسيحى بأسره وقد ألقت الضوء على مرحلة خطيرة من تاريخ المسيحية وتاريخ السيد المسيح نفسه مما يصدق ما جاء فى القرآن الكريم ..

الفصل الثالث عشر

الفلكلور (الأدب الشعبي)

يطلق اسم الفلكلور على الكتابات العامية الشعبية المستقاه من المجتمعات الريفية والبدوية عبارة عن ترنيمات وفكاهات وعبارات قيلت فى مناسبات وجرت مجرى الامثال تصدر عن العقلية البسيطة الساذجة التى لم تصل اليها الثقافة العربية اتصلت بالقرآن الكريم والحديث النبوى وشعر الشعراء الفحول . وهى تمثل طفولة البشرية وسذاجة المجتمعات قبل تحضرها واتصالها بالادب الرفيع ، ولم تكن لهذه الكتابات أهمية تذكر لولا أن المستشرقين ودعاة الغزو الفكرى كانوا قد تنبهوا الى ذلك منذ وقت بعيد رغبة منهم فى اعزاز العامية وخلق تراث لها يمكنهم من الادعاء بأن العامية هى لغة مستقلة تختلف عن اللغة العربية الفصحى وقد وصف الفلكلور بأنه كل ما يتصل بالسذاجة والانحطاط فى الحس الجمالى والفنى .

ومصطلح الفلكلور لا يشمل فى مفهوم فنون القول فحسب وانما هو يشمل كل الفنون والمصنوعات والعادات والتقاليد والمناسبات الخاصة والاحتفالات المتعاقبة بها والتى يتبعها شعب من الشعوب البدائية وما يتعلق بعطاءات البيئة ، وحياة الأمم واعادته مرة أخرى بعد أن عدت الشعوب والأمم هذا التطور ودخلت فى الاسلام الذى قدم لها أرقى المفاهيم وأصح القيم فى مختلف مجالات الميتافيزيقا (الغيب) والحضارة فهى ردة الى المثل العامية الساذجة التى قالها الناس فى عهود السذاجة والضعف والعجز عن فهم الكون الواسع .

والهدف ماكر خبيث من حيث احياء النكات والأمثلة والرقص ومفاهيم الخوف من الطبيعة والأساطير وتقديم الذبائح للآلهة .

وكل هذا يهدف الى اعلاء شأن العاميات التى لا تستطيع أن تعبر الا عن أدنى المشاعر وهل يمكن أن يوضع هذا فى صف أدب الفصحى ومفاهيم الحضارة التى نشرها الاسلام بتحرير العقل البشرى من عبادة الأوثان وكل ما يتعلق بالخرافات والعرافين .

ان الهدف هو الردة الى القديم البالى فى عصر الوثنية ، وحجب المسلمين عن مفاهيم الحضارة الاسلامية التى قدمتها للبشرية .

ولقد تحدث الباحثون فى هذا الصدد فأشاروا :

أولا : الى أن الأساطير والسير الشعبية وألف ليلة ومجموعة الأمثال العامية لا يمكن أن تقدم تصورا صحيحا للمجتمعات الاسلامية .

ثانيا : ان هناك انقطاعا حضاريا قد تم بين عصور ما قبل الاسلام وعصر الاسلام نفسه وان هذا الفلكلور ليس هو تراث مجتمعاتنا الاسلامية الحقيقى الذى تكون منذ أربعة عشر قرنا .

* * *

وعندنا ان احياء الفلكلور لا تتحقق به المحافظة الشخصية للأمة ولا يمكنها من أن تنمو وتزدهر وتتمكن من الحفاظ على ذاتيتها الخاصة ولا من رد أى عدوان عليها وانما الذى يستطيع ذلك هو الميراث الاسلامى الحقيقى (القرآن والسنة) واللغة الفصحى وتاريخ الاسلام ، ذلك أن الفلكلور يقوم على أوهام الشعوب وأهوائها وعلى أدنى قدر من العواطف والمشاعر التى تتعلق بها النفوس الضعيفة المحدودة الأفق ، التى لم تصل الى قدر من الثقافة التى يقدمها الاسلام من حيث تحرر النفس والعقل من الوثنيات والماديات .

وفرق عميق بين التاريخ وبين الفلكلور وبين التراث بل ان الفلكلور نفسه انما يستهدف احياء الاقليميات

والوثنيات والتقاليد والعـــادات التى انحرفت عن مفهوم العقائد الصحيحة مما صنعه الانسان البدائى الساذج فى حالات الفرح والحزن وفى خلال مراحل الالتقاء الاجتماعى العـــام وهى فى مجموعها خارجة عن أصول الدين الحق الذى هدينا اليه ، ولذلك فان احياء هذا النوع من التراث هو احياء لدعوة التفرقة والجهل والتمزق ، ذلك أن قدرا كبيرا من هذا التراث يتعارض مع القيم الأساسية التى بناها الاسلام فى نفوس أهله .

* * *

والمعروف أن المواويل والأغانى هى مجموعة خواطر ساذجة سواء فى الأفراح أو الأحزان وهى فى مجموعهـا تعارض المفهوم الاسلامى الذى يرتقى من الندب واللطم والتفرغ الى قبـــول أمر الله والرضـــا به والايمان بكل قـــدر الله .

وهذا كله يصل بنا الى أن نشجب القول بأن التراث الشعبى للمجتمع هـــو المرآة التى تعكس ما استقـــر فى الوجـــدان الاجتماعى من توهمات عرفتها طفولة البشرية عبر العصور والأجيال ، هذا الوجدان وجدان زائف مبطل ولا يصح القياس عليه لأنه انحرف عن مفهوم الاسلام .

وهـــذا كله كذب والقول بأن المواويل والأغانى والفكاهات والنكات هى تراث شعبى يصور نفسية الأمة ويدل عليها وهم باطل وانما الحقيقة أن هذا كله ركام زائف مما عرفته الأمم فى عصر بدوتها وفى مرحلة طفولتها قبل أن تدخل مرحلة الرشد الفكرى الذى ادخلها اليه الاسلام .

* * *

اسلسلة المصطلحات المعاصرة

دراسة مستقلة تضم ١٥٠ مصطلحاً

تصدر فى هذه الموسوعة

دار العلوم للطباعة
القاهرة ٨ شارع حسين حجازى ، قصر العينى
ت ٣٥٥١٧٤٨٠

رقم ايداع بدار الكتب ٤٢٠١ — ١٩٨٦
الترقيم الدولى ٨ — ١٣٢ — ١٤٢ — ٩٧٧